

سلسلة تحقيق التراث (٣٥)

البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الأول

من أول سورة الأنبياء إلى نهاية سورة النمل
وهي بداية الموجود من الكتاب

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي



البستان

في

إعراب مشكلات القرآن

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجندي، أحمد محمد
البستان في إعراب مشكلات القرآن/ أحمد محمد الجندي ـ الرياض، ١٤٣٩ هـ
٢٥١٣ ص، ١٧×٢٤ سم، ٥ مج.
١. القرآن ـ إعراب. ٢- القرآن ـ نحو. ٣- القرآن ـ القراءات والتجويد
أ. العنوان.
ديوي: ٢٢٤,٢
الإيداع: ٥٤٢٣/ ١٤٣٩
ردمك: ٣- ٥٥- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٧- ٥٧- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م

الموزّع خارج المملكة العربية السعودية:

أروقة للدراسات والنشر

هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net

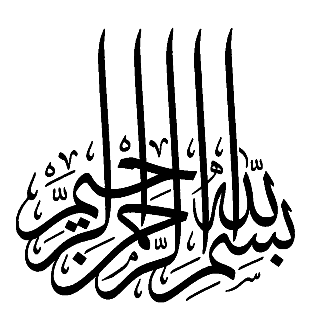


البُسْتَانُ فِي إِعْرَابِ مُشْكِلَاتِ القُرْآنِ

تَصْنِيفُ
أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَرَ الجِبْلِيِّ
المَعْرُوفِ بِابْنِ الأَحْنَفِ اليَمَنِيِّ
المُتَوَفَّى سَنَة ٧١٧ هِجْرِيَّة

الجُزْءُ الأَوَّلُ
مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الأَنْبِيَاءِ إِلَى نِهَايَةِ سُورَةِ النَّمْلِ
وَهِيَ بِدَايَةُ المَوْجُودِ مِنَ الكِتَابِ

دِرَاسَةٌ وَتَحْقِيقٌ
الدكتور أَحْمَد مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمَن الجُنْدِي


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين.

وبعد،

فقد دأب مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، منذ نشأته الميمونة المبارَكة، على الإسهام الفاعل في نشر مجموعةٍ مختارة من أعلاق التراث ونفائسه النادرة، وتكليفِ نُخبةٍ من أفاضل المحقِّقين المتمرِّسين بدقائق الفن القيام بهذه المهمة على أكمل وجه ضمن التقاليد العلمية الراسخة في مسار التحقيق، وإخراج ذلك كُلّه في طبعاتٍ علميةٍ أنيقة استوفت مطالب التحقيق شكلًا ومضمونًا، بحيث غدتْ منشوراتُ المركز شامةً في وجه التراث النضِير، ويتطلّع إلى الإسهام فيها خيرةُ الباحثين والمحقِّقين.

وخلال هذه المسيرة الزاهرة أنجز المركز مجموعةً من كتب التراث القيّمة التي ظَفِرت بتقدير أهل العلم والباحثين؛ لما توفّر لها من ضروب العناية والإتقان، وكان هذا التقدير حافزًا لمواصلة المسيرة، ومُشجِّعًا على إعادة إصدار مجموعة مختارة من الكتب التي نشرت من قبل؛ لوضعها بين يدي الأجيال اللاحقة التي ربما لم تتيسّر لها تلك النشرات الأصيلة المتميزة.

في هذا السياق من الاهتمام والرغبة الصادقة في التجديد وإحياء الكنوز

التراثية تأتي نشرتنا لهذا الكتاب البديع الذي يُنشَر لأول مرّة، وهو كتاب «**البستان في إعراب مشكِلات القرآن**» للإمام الفقيه النحْوي المفسِّر أحمد بن أبي بكر بن عمر الجِبْليّ الشهير بابن الأحنَف اليمني، المتوفّى سنةَ ٧١٧ هجرية، وقد نهض بأعباء تحقيقه باحثٌ صبورٌ هو الأستاذ الدكتور أحمد محمد الجندي، باذلًا فيه من الجهد والعناية ما يستحق التنويه والثناء، كاشفًا بذلك عن أثرٍ علميٍّ جديرٍ بالنشر من تراث القُطر اليمني الشقيق، ذلكم البلد المبارك الذي شهد رسولُ الله ﷺ لأهله بفِقْهِ النفس ورِقّة القلب.

إنّ عِلْمَ (**مُشكل إعراب القرآن**) علمٌ راسخ المكانة بين جملة علوم القرآن، وقد صنّف فيه غير واحدٍ من أعلام المشتغلين بالنحو والتفسير، ويأتي هذا الكتاب القيّم «البستان» في هذا السياق من العناية بعلوم القرآن، ويتميّز «البستان» بغير واحدة من مظاهر الإجادة التي تجعل من نشره عملًا ذا قيمة في دوائر المشتغلين بعلوم القرآن خاصّة، وبالتراث على وجه العموم. فهو كتابٌ ضخمٌ على مستوى الحجم، وربما كان هو الأكبر بين جميع المصنّفات في هذا العلم، وكم نشعر بالأسف لأنّ هذه المجلدات الخمسة التي يتشرّف المركز بنشرها لا تحوي سوى نصف الكتاب وربما أقلّ قليلًا، ومع ذلك فإنه كتابٌ مشحونٌ بالفوائد العلمية الغزيرة الدالّة على الباع المديدة لصاحبه في العلم، وقد جرى فيه مصنّفه على الموضوعية العلمية دون تحيُّز لمدرسة نحْوية بعينها، لا سيّما المدرستان الكبيرتان: البصرة والكوفة، حيث مارس منحىً علميًّا ناضجًا في توجيه المعنى القرآني، معبِّرًا بذلك عن سدادٍ في الرؤية وبصيرة في المعالجة العلمية، فضلًا عن اشتمال الكتاب على غير قليل من النقول عن الكتب النادرة أو المفقودة، مشفوعًا ذلك كلّه بمتانة التكوين العلمي للمؤلف، فهو عالمٌ شهد معاصِرُوه ومَن اعتنى بترجمته بأنه كان من أعيان العلماء

المحقِّقين، ولولا ما شاب كتابه من ذكر الأحاديث الضعيفة ـ بل الموضوعة أحيانًا ـ في فضائل سُوَر القرآن الكريم لكان الكتاب غايةً في بابه، لكنّ أمر تلك الأحاديث فاشٍ في كثيرٍ من كتب التفسير، وتولّى نَقَدةُ المحدِّثين تبيينَه، فليس يغضُّ من قيمة الكتاب.

لقد ظفر الكتاب بتحقيقٍ علمي شاهدٍ بكفاءة المحقق، وبنوعٍ من العناية دالٍّ علــى أهمية الكتاب، فضلًا عن المقدّمة التحليلية الضافية التي قدّمت صورة دقيقة للكتاب وموقعه بين مصنفات إعراب القرآن الكريم، مع اســتيفاءٍ لمطالب التحقيق العلمي، ما جعل منه عملًا علميًّا جَدِيرًا بالاحتفاء به مَتْنًا وتحقيقًا.

هــذا، وقد حظــي الكتــاب بعناية إضافيــة من المركــز، تصحيحًــا وتدقيقًا ومراجعة، فتضافرت جهود المحقّق مع جهود المركز، فجاءت هذه الطبعة في غايةٍ من التجويد.

د. سعود السرحان

الأمين العام للمركز

مقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالَمين، والصّلاة والسّلام على أفصحِ من نَطَق بالضاد، وسيِّد الخَلْق أجمعين، سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأُميِّ الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعـدُ،

فإنّ اللهَ - عزّ وجلّ - شَـرَّفَ اللّغة العربيّةَ بأن جعلها لغةَ القرآن الكريم، ومن هنا كانت عنايةُ العلماء منذ العصور الإسلاميّة الأُولى بهذه اللّغة، فتناولوها بالجَمْع والدِّراسـة والاسـتنباط، وهَمُّهُم في ذلك كلِّه خدمةُ القـرآن الكريم بصفةٍ خاصة، والإسلامِ بصفةٍ عامة.

وكان لعلماءِ النَّحو - خاصةً - مكانةٌ متميِّزةٌ بين علماءِ اللّغة، فكانت دراساتُهم مُنصَبّـةً على القرآن الكريم، كما دَفَعهم إلى ذلك خوفُهم على اللسـان العربيِّ من انتشـار اللَّحن بسـبب اختلاط العرب بغيرهم من الأُمم الأخـرى التي دخلت في الإسلام.

ومـن أهـمِّ الميادين التي اهتـمَّ بها النُّحاةُ: ميـدانُ **إعرابِ القـرآن**، فقد كان اهتمامهم به واضحًا منذ البدايات الأولى، فألَّفوا فيه مؤلَّفاتٍ مسـتقلّةً، وكانت هذه الكتـب تطبيقًا للقواعد النَّحويّة على القـرآن الكريم، ويأتي في طليعة هذه الكتب: «معانـي القرآن» للفَرّاء، و«معاني القرآن» للأخفَـش، و«مجازُ القرآن» لأبي عُبَيدةَ، وما تلاها من كتبٍ سَلَكت السَّبيل نفسَها في إعراب القرآن.

كما اهتمَّ النّحاة بشــيءٍ أَدَقَّ في هذا المَجالِ، وهو إعرابُ مشكِلات القرآن، وأَلَّفُوا فيه كتبًا مســتقِلّةً، ويأتي في مقدّمتها: مشــكِلُ إعراب القــرآن لِمَكِّيِّ بن أبي طالبٍ القَيْسي.

وقــد كان اهتمامي بإعرابِ القــرآن كبيرًا، وأحمَــد اللهَ أنْ وفَّقني إلى تحقيق كتاب في هذا المجال، وهو:

البستان في إعراب مشكِلات القرآن
لأبي العباس أحمَدَ بن أبي بكرٍ بن عُمرَ بن أبي الخَيْر بن أبي الهَيْثم الجِبْلِيِّ
المعروف بالأحنَف أو ابنِ الأحنَف اليمَنيِّ
المتوفَّى سنةَ (٧١٧هـ).

ومن الأسباب التي دفعَتْني إلى تحقيق هذا الكتاب:

١ ـ عنــوان الكتاب، فقد كان أوَّلَ ما دفعَنــي إلى تحقيق هذا الكتاب عنوانُهُ، وهــو إعرابُ مشــكِلات القــرآن، ذاك المجال الذي أحببته حُبًّا شــديدًا منذ ســني دراستي في كلية اللُّغة العربية.

٢ ـ كونُه لِعالِمٍ من علماء اليمن، ذلك القُطر العربِيُّ الإســلاميُّ الذي أَنْجب علمــاءَ في شــتّى المجالاتِ العلميّة، خَدَموا الإســلام والعربيّةَ علــى مَرِّ العصور، فاليمن بلدٌ لمْ ينَلْ ما يســتحِقُّه من اهتمام الباحثين، ولمْ يكشــف الكثيرَ من أســرار خزائنه العلميّة التي تحوي كنوزًا كثيرةً جِدًّا من المخطوطات في مختلَف مجالات العلوم الإســلاميّة والعربيّة، تلك الكنوز التي لمْ ترَ النُّورَ بعدُ، وما تزال حبيسةَ هذه الخزائن التي تنتشر في اليمن.

٣ ـ أنّ هذا الكتابَ يكشـف النِّقابَ عن عالِمٍ مُبَرِّزٍ من علماء اليمن، ربما لمْ يسـمَعْ به أحدٌ من قبلُ، وهذا راجعٌ فيما يبـدو إلى الطّبيعة الخاصّة ببلاد اليمن، أو إلى قلّة مؤلَّفاته، أو إلى عدم ذُيوعِها بين الناس.

٤ ـ أنّ الكتاب له أهميّةٌ خاصّةٌ في نفسـه، فهو حافلٌ بآراءِ العلماء في إعراب القرآن، فقد بَلَغت عنايةُ المؤلِّف بهذه الآراء مبلغًا كبيرًا، كما أنه اهتمَّ باللّغة اهتمامًا واضحًا، واستعان بها في إعرابه وشرحه للآيات القرآنيّة، كما اهتمَّ المؤلِّفُ بالاستشهادِ بكلام العرب، وخاصّةً الشِّعرَ، فزادت شواهدُه النَّحويّةُ واللُّغويّةُ على ستِّمائة بيت، بخلاف ما أَوْرده من أبياتٍ ومقطوعات في الزُّهد والحِكمة ونحوهما.

أمّـا الصُّعوباتُ التي واجهَتْني فـي أثناء تحقيقي لهذا الكتـاب، فهي كثيرةٌ، ولكن الله ـ عزّ وجلّ ـ يَسَّرَ لي أمري، وأعانني عليها، ومن أهمِّ هذه الصِّعاب:

١ ـ أنّني لمْ أعثُرْ على نسـخةٍ كاملةٍ لهذا الكتاب، بل الموجودُ منه جزءٌ يبدأ بسورة الأنبياء، وينتهي بآخرِ القرآن الكريم، وهي نسخةٌ وحيدة، ولكنّها تمتاز بأنّها منقولةٌ من نسخةِ المؤلِّف، ومقابَلةٌ عليها، وبها تصحيحاتٌ وتعليقات.

٢ ـ أنّ هذه النُّسخةَ المذكورةَ توجد صورة منها في دار الكتُب المصريّة، وبها نقـصٌ من آخِرها، إذْ تنتهي بسـورةِ الجنِّ، فبحثتُ عن بقيّتِهـا، ونَظَرتُ في فهارِسِ المكتبات، حتى عثرتُ على مصوَّرةٍ من المخطوط ذاتِه، وهي محفوظةٌ بمركز البحث العلميِّ وإحياء التّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القرى بالمملكة العربيّة السُّعودية، وهي تنتهـي بآخِر القرآنِ الكريم، فطلبتُ إلى بعـض الإخوة الأفاضل، فزوَّدوني بها، ممّا شجَّعني على المُضيِّ في عملي في التحقيق.

ولكـن، علـى الرَّغم مـن أنّ الكتابَ لم يَصِـلْ إلينا كاملًا، إلّا أنـه مهمٌّ جدًّا في مجالِهِ، وهو إعرابُ مشـكِلات القرآن؛ لأنه رَسَـم صورةً واضحةً إلى حَدٍّ بعيد

لشخصيّة مؤلِّفِهِ النَّحويّةِ، فالمؤلِّفُ كان كأكثرِ العلماء المتأخِّرين يمزُجُ بين آراءِ البصريِّين والكوفيِّين في اختياراته النَّحوية، ولكنّه كان أكثرَ ميلًا إلى المذهب الكوفِيِّ في هذه الاختيارات والآراءِ النَّحوية، وهذا مُبَيَّنٌ في الفصل الأول من القسم الأول من هذه الدراسة.

٣ ـ أنّ الكتابَ حافلٌ بالنُّقول عن العلماء في النَّحو واللُّغة وغيرهما، ومنها نُقولٌ عن كتُبٍ مفقودةٍ لمْ تَصِلْ إلينا، ومنها: كتُبٌ لا تزال مخطوطةً، منها: كتابُ «عَيْنُ المعاني في تفسير السَّبع المثاني»، ومختصرُه «إنسانُ العَيْن» لمحمد بن طَيْفور الغَزْنَويِّ السَّجاوَنْدي المتوفَّى في منتصَف القرن السادس الهجريِّ تقريبًا.

وقد تكوَّنَ هذا البحثُ من قسمَيْن، تسبِقُهما مقدِّمةٌ، وتعقُبُهما خاتَمة.

ـ أمّا المقدِّمة فقد اشتملت على أهميّة الموضوع وأسباب اختياري له، والصُّعوباتِ التي واجهتني في تحقيقه.

ـ **وأمّا القسم الأول:** فهو قسمُ الدِّراسة، وقد جاء بعُنوان «الجِبْلِيُّ وكتابُه البُستان في إعرابِ مشكِلات القرآن»، وقد اشتمل على فصلَيْن:

ـ **الفصل الأول: الجِبْلِيُّ ـ حياتُهُ وآثارُهُ**، وقد اشتمل على ثمانيةِ مباحثَ هي:

المبحث الأول: كُنيتُه واسمُه ونَسَبه ولقبُه.

المبحث الثاني: مولدُه.

المبحث الثالث: عصرُه.

المبحث الرابع: شيوخُه وتلاميذُه.

المبحث الخامس: مَنْزِلتُه العلميّة.

المبحث السادس: آثارُه ووفاته.

المبحث السابع: موقفُه من أصول النَّحو.

المبحث الثامن: مذهبُه النَّحويُّ واختياراتُه.

ـ **الفصل الثاني: كتابُ «البســتان في إعراب مشــكِلات القرآن»**، وقد اشتمل على ستةِ مباحثَ هي:

المبحث الأول: عُنوان الكتاب، وتوثيقُ نسبتِهِ للجِبْليِّ، وموضوعه.

المبحث الثاني: مصادرُه.

المبحث الثالث: منهجُ الجِبْليِّ فيه.

المبحث الرابع: المصطلَحاتُ النَّحويّةُ في «البستان».

المبحث الخامس: العِلّةُ النَّحويّة في «البستان».

المبحث السادس: ملحوظاتٌ على الكتاب.

ـ **وأمّا القسم الثانِي: فهو قسمُ التحقيق**، وقد اشتمل على:

ـ وَصْفِ نُسخة المخطوط.

ـ منهج التحقيق.

ـ نماذجَ مصوّرةٍ من المخطوط.

ـ النصِّ المحقَّق.

وقد حَقَّقْتُ الكتابَ مُتَّبِعًا المنهجَ العلميَّ في تحقيق المخطوطات، وبَـيَّـنْتُ ذلك في القسم الثاني: قسم التحقيق، وذلك في منهج التحقيق.

ـ وأمّا **خاتَمةُ الدِّراسة** فقد اشتملت على أهمِّ ما توصَّلتُ إليه من نتائجَ فيها.

ـ **وأمّا الفهارسُ** فقد اشتملت على أحدَ عشَرَ فِهرِسًا، هي:

١ ـ فِهرِسُ الشّواهد القرآنيّة.

٢ ـ فِهرِسُ القراءاتِ القرآنيّة.

٣ ـ فِهرِسُ الأحاديثِ والآثار.

٤ ـ فِهرِسُ الأقوال والأمثال ونحوِها.

٥ ـ فِهرِسُ الأشعارِ والأرجاز.

٦ ـ فِهرِسُ الأعلام.

٧ ـ فِهرِسُ القبائل والطوائف والجماعات.

٨ ـ فِهرِسُ الأماكن والمواضع والبُلدان والمياه.

٩ ـ فِهرِسُ الكتب المذكورة في النَّص.

١٠ ـ فِهرِسُ المصادرِ والمراجع.

١١ ـ فِهرِسُ الموضوعات.

وعَمَلًا بقولِ النبيِّ المصطفى ﷺ: «مَن لمْ يَشْكُرِ النّاسَ لمْ يَشْكُرِ اللهَ عزّ وجلّ»، فإنني ـ بَعْدَ شُكْرِ الله تعالى ـ أتقدَّمُ بجزيل الشُّكر وعظيم الامتنان لأساتذتي الأجِلّاء في كليّة اللّغة العربيّة بالمَنُوفيّة ـ جامعة الأزهر، وأخصُّ منهم حضَرات السّادةِ العلماء: الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الله.

والأستاذ الدكتور/ السيّد محمد عبد المقصود.

والأستاذ الدكتور/ حمزة عبد الله النَّشَرْتي.

والأستاذ الدكتور/ أمين عبد الله سالم.

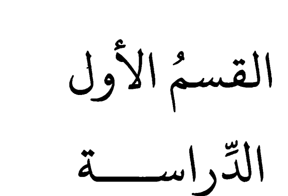
كما أتقدَّم بوافر الشُّكر وأَجْزَلِه للعالِمَيْنِ الفاضلَيْن: سعادةِ الأُستاذ الدكتور تركي ابن سهو العتيبي، وسعادة الأُستاذ الدكتور سَيْف بن عبد الرحمن العريفي، الأستاذَيْنِ بكليّة اللُّغة العربيّة بجامعةِ الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد زَكَّيا الكتابَ للنَّشر بمركز الملك فيصل.

كما أنّني أُهدي هذا العملَ إلى والدي ـ رحمه الله ـ وإلى والدتي بارك الله لنا في عمُرِها، كما أنّني أشـكر لزوجتي وأولادي لِقاءَ ما تحملوه معي بسبب انشغالي عنهم بهذا العمل وغيره.

وبعــدُ.. فهذا مــا اجتهدتُ فيه من أَجْل تحقيق هــذا الكتاب، وإخراجِه على هذه الصُّورة، فاللهَ أسألُ أن يجعلَ هذا العمل خالصًا لوجهِه الكريم، وأن يجعَلَه في ميزان حسناتي يوم القيامة.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

أحمـد محمّـد الجِنْـدي
عضو هيئة التدريس
بكلية اللغة العربية بالمَنُوفية/ جامعة الأزهر
وكلية اللغة العربية بالرياض/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



القسمُ الأول

الدِّراســـــة

الجِبْلِـيُّ وكتابُهُ
«البُسْتانُ في إِعرابِ مُشْكِلاتِ القُرْآنِ»

الفصل الأول: الجِبْـلِيُّ ـ حياتُهُ وآثارُهُ.

الفصـل الثانِي: كتابُ «البُســتان في إعرابِ مشـكِلاتِ القُرآن».

الفصل الأول

الجِبْلِـيُّ ـ حياتُهُ وآثارُهُ

ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: كُنْيتُه واسمُه ونَسَبُه ولَقبُه.

المبحث الثاني: مولدُه.

المبحث الثالث: عصرُه.

المبحث الرابع: شيوخُه وتلاميذُه.

المبحث الخامس: مَنْزِلتُه العلميّة.

المبحث السادس: آثارُه ووفاتُه.

المبحث السابع: موقفُه من أصول النَّحو.

المبحث الثامن: مذهبُه النَّحْويُّ واختياراتُه.

المبحث الأول
كُنْيتُه واسْمُـهُ ونَسَبُه ولقَبُه

١ ـ كُنْيته واسْمُـهُ ونَسَبُه:

هو أبو العَبّاس أحمد بن أَبِي بَكْرِ[١] بن عُمَرَ[٢] بن أَبِي الخَيْر بنِ أَبِي الهَيْثَمِ[٣] الجِبْلِيُّ[٤].

---

(١) ينظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ ٤٢٣، الأعلام للزركلي ١/ ١٠٤.

(٢) ينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك للجَنَـدِيِّ ٢/ ١٧٧، بغية الوعاة ١/ ٢٩٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٤، هدية العارفين للبغدادي ١/ ١٠٤، معجم المؤلفين لكحّالة ١/ ١٧٧.

(٣) ينظر: مجلة معهد المخطوطات العربية مج ١ ج ٢ ص ٢٠٠.

(٤) وقد وردت نسبته عند الأستاذ/ فؤاد سيد: «الجيلي» بالياء، ينظر: مجلة معهد المخطوطات العربية مج ١ جـ ٢ ص ٢٠٠، وهذا تصحيف، والصواب «الجِبْلِيُّ» بالباء الموحدة: نسبةً إلى مدينة جِبْلَةَ، ويُقال: مدينة ذي جِبْلَةَ، وهي مدينة مشهورة بالجنوب الغربيِّ من إبَّ بمسافة سبعة كيلو مترات، وكانت تُسمى قديمًا ذاتَ النَّهْرَيْنِ؛ لأنها كانت بَيْنَ نَهَرَيْنِ كبيرين جاريين في الصيف والشتاء، ابتناها عبدُ الله بنُ عليٍّ الصُّلَيْحيُّ سنة (٤٥٨هـ)، وسمّاها جِبْلَةَ باسم يهوديٍّ كان يبيع الفَخّارَ فيها قبل عمارتها، ثم انتقل إليها أحمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الصُّلَيْحيُّ وزَوْجتُهُ أَرْوَى بنتُ أحمد، وصارت جِبْلَةُ بعد ذلك عاصمةً للدولة الصُّلَيْحِيّةِ، وفيها يقول عبدُ الله بنُ يَعْلَى الصُّلَيْحِيُّ: [بحر الكامل]

هَبَّ النَّسِيمُ، فبِتُّ كالْحَيْرانِ ... شَوْقًا إلى الأَهْلِينَ والجِيرانِ

ما مِصْرُ ما بَغْدادُ ما طَبَرِيّةٌ ... بِمدِينةٍ قد حَفَّها نَهْرانِ

خَدِدٌ لها شامٌ وحَبٌّ مُشْرِقٌ ... والتَّعْكَرُ العالي المُنِيفُ يَمانِ =

٢ ـ لقَبُـه:

لُقِّـبَ الجِبْلِـيُّ بالأحنَفِ[1]، وهذا ما جاء في أول مخطوطةِ «البسـتان» وفي خاتَمتِها، فقد جاء في صفحة العُنوان: «كتابُ البُسـتان في إعرابِ مشكِلات القرآن ـ مُؤَلَّفُ الشيخ الإمام العالِمِ أحمدَ بنِ أَبِي بَكْرِ بن عُمرَ بن أَبِي الخَيْر بن أَبِي الهَيْثم الجِبْلِيِّ المعروفِ بالأحنَف ـ نَفَع الله تعالى بعلومه».

كما جاء في آخرِ ورقةٍ من المخطوط: «كُتِبَ البُسْـتانُ في إعرابِ مشـكِلاتِ القُرآنِ مِن نُسْـخةِ المُؤلِّفِ بِخَطِّهِ، وهُو: الإمامُ العالِمُ أحمَدُ بنُ أبي بَكْرِ بنِ عُمَرَ بنِ أبي الخَيْرِ بنِ أَبِي الهَيْثَمِ الجِبْلِيُّ المعرُوفُ بالأحْنَفِ ـ نَفَعَ اللهُ بِعِلْمِهِ ـ»[2].

وكذلك قال السُّيوطيُّ[3] والدّاوديُّ[4]، وقال البغداديُّ في «هدية العارفين»[5]:

= وقال أحد الشعراء: [بحر الكامل]

يا حَبَّـذا أرضُ الحُصَيْبِ، وحَبَّذا فـي جِبْلـةٍ أهـلٌ لنـا ورِفـاقُ

وتقـع البلدة على هضبة مسـطحة متدرجة، وهي على ارتفاع نحو ٦٧٤٥ قدمًا من سـطح البحر.

ينظـر: معجم البلدان لياقوت ٢/ ١٢٣، ١٢٤، تاج العروس للزبيدي: جبل، معجم المدن والقبائـل اليمنيـة ص ٨٠، ٨١، إعـداد/ إبراهيم أحمد المقحفي، منشـورات دار الكلمة، صنعاء، (١٩٨٥م).

(١) الحَنَفُ: الاعوجاجُ في الرِّجْل، وهو أن تُقْبِلَ إحدى إبْهامَيْ رِجْلَيْهِ على الأخرى، وبه سُمِّيَ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ، الصحاح ٤/ ١٣٤٧، اللسان: حنف.

(٢) الورقة ٣٤٧/ أ من المخطوط، وانظر ٥/ ١٥٠ من التحقيق.

(٣) في بغية الوعاة ١/ ٢٩٩.

(٤) في طبقات المفسرين ١/ ٣٤.

(٥) ١/ ١٠٤.

«الأحنف اليَمَنِيُّ أحمدُ بن أبـي بكرِ بن عُمرَ الأحنَفُ، أبو العبّاس الحَنَفِيُّ»، ومثلَه قال الأَكوَعُ[١].

ولكنّ بعض المصـادر لقَّبته بابن الأحنَف، فقد قال الجَنَدِيُّ[٢]: «عُرِفَ بابنِ الأحْنَفِ لِحَنَفٍ كان بوالِدِه» ومِثْلَهُ قال الخَزْرَجِيُّ[٣].

ولعـلّ قولَ الجَنَدِيَّ ـ وهو تلميذُ الجِبْلِيِّ وأقدمُ من ترجموا له ـ يكون أقربَ إلـى الصّـواب في أنه: ابـنُ الأحنَف؛ لأنه ذَكَـرَ العلةَ في هذا اللَّقـب، وهي قوله: «لِحَنَفٍ كان بوالِدِه».

أمّا كُلٌّ من الزِّرِكْلِيِّ وعمر رضا كَحّالة فقد صَحَّفا لقبَه، قال الزِّركلي[٤]: «ابنُ الأخْنَفِ»، يعني: بالخاء المعجَمة، وقال كحالة[٥]: «أحمدُ الأَخْنف: أحمد بن أبي بكرِ بن عُمر المعروفُ بالأَخْنف»، يعني: بالخاء المعجمة أيضًا، وكذلك قال كحالة في «المستدرك على معجم المؤلفين»[٦].

* * *

---

(١) المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٤، ٢٠٩، ومثله قال الدكتور إميل يعقوب في المعجم المفصل في اللغويين العرب ١/ ٣٣.
(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٧.
(٣) في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١/ ٤٢٣.
(٤) في الأعلام ١/ ١٠٤.
(٥) في معجم المؤلفين ١/ ١٧٧.
(٦) المستدرك على معجم المؤلفين ص ٤٢.

المبحث الثاني
مولـدُه

أجمعت المصــادر التي ترجمت للجِبْليِّ على أنه وُلِدَ ســنةَ إحدى وأربعين وستِّمائة، ولم يُخالِفْ في ذلك أحدٌ منهم[1]، ولم تذكر هذه المصادرُ المكان الذي وُلِــدَ فيه، ولكنْ من خلال ما وَرَدَ في ترجمة الجِبْليِّ في هذه المصادر يمكن القولُ بأنّ الجِبْليَّ وُلِدَ في مدينة جِبْلةَ، ومن الواضح أنه عاش معظمَ سِــنِيِّ حياتِهِ في هذه المدينــة، ولم يغادرها إلا للتدريس في مدارسِ مدينــة تَعِزَّ[2]، ثم عاد إلى بلده مرةً أخرى.

* * *

(١) ينظر: الســلوك للجَنَدِيِّ ٢/ ١٧٧، العقود اللؤلؤية ١/ ٤٢٣، بغية الوعاة ١/ ٢٩٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٤، الأعلام للزركلي ١/ ١٠٤، معجم المؤلفين لكحالة ١/ ١٧٧.

(٢) بالفتح ثم الكســر، والزاي مشــدّدة كتقِلّ، قاعدة اليمن في متأخر الزمن، وأما قاعدة اليمن القديمة فصنعاء، وهي مدينة عظيمة ذات أسوار وقصور، كانت دار ملك بني أيوب ثم بني رسول من بعدهم. معجم البلدان لياقوت: تعزّ، تاج العروس للزبيدي: عزز، الجغرافيا لابن سعيد المغربي: الإقليم الأول.

المبحثُ الثالث

عصـرُه

١ ـ الحياةُ السياسيّة:

عاش الجِبْليُّ في عصر الدّولة الرَّسُوليّة، وهي الدّولةُ التي بدأ حُكمها بتغلُّبِ الملكِ المنصورِ عُمَرَ بن عليٍّ بن رَسُــول[1] على الحُكم، واسـتقلاله بحكم اليمن عن الدّولة الأيوبيّة في مصرَ سـنةَ (٦٢٦هـ)[2]، وانتهى حكم الدّولة الرَّسُـولية سنةَ (٨٥٨هـ)، وآخِر ملوكِهم هو الملِكُ المسعودُ أبو القاسم بنُ الأشرف إسماعيل بن المنصور[3].

---

(١) بنو رَسُـولٍ يُنسَـبُونَ إلى جَدِّهِم محمدِ بنِ هارونَ بنِ أبي الفتح، من أولاد جَبَلَةَ بن الأَيْهَم، ينظر: العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/ ٢٦، ٢٧، وقال يحيى بن الحسـين: «وكان محمد بن هارون جليل القدر، عظيم المَنْزِلة عند الملوك، فقَرَّبهُ أحد الخلفاء العباسية، وأدناه واختص به، ورفع عنه الحجاب، وكان يرسـله إلى من يريد من الملوك بما يريده من الأمور الخفية والأسرار المكتومة من غير كتاب، ثقةً بصدقه وأمانته، وأُطلِقَ عليه اسم رسول، فلا يُعرَفُ إلا به عند أكثرِ الناس، وأقام مدةً في العراق، ثم انتقل إلى مصر فسكنها». غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٤١٩، وينظر: تاريخ اليمن لليمانيِّ ص ١٨٥.

(٢) كان عُمَرُ بنُ عليٍّ نائبًا عن الملك المسعود الأيوبي على اليمن، فلما تُوُفِّيَ الملك المسعود بمكّةَ سـنة (٦٢٦هـ)، اسـتقل عُمَرُ بن عليٍّ بن رسـول بحكم اليمن، وأسـس الدولة التي عُرفت بالدولة الرسـولية، ينظر: العقودِ اللؤلؤية ١/ ٤٤، غاية الأماني ليحيى بن الحسـين ١/ ٤١٨، تاريخ اليمن لليمانيِّ ص ١٨٥.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٣٧، تاريخ اليمن لليماني=

وُلِدَ الجِبْلِيُّ سنة (٦٤١هـ)، وعاصَرَ أربعةً من ملوك بني رسول:

أوّلُهم: مؤسِّسُ دولتهم الملك المنصور عُمَرُ بن عليٍّ بن رسول، وقد امتَدَّ حُكمُه من سنة (٦٢٦هـ) إلى سنة (٦٤٧هـ)(١).

وثانيهم: الملك المظفَّر شمس الدِّين يوسُف بن عُمَرَ بن عليٍّ بن رسول، وقد امتدَّ حُكمَه من سنة (٦٤٧هـ) إلى سنة (٦٩٤هـ)(٢).

وثالثهم: الملك الأشرف مُمَهِّدُ الدِّينِ أبو الفتح عُمَرُ بن يوسف بن عُمَرَ بن عليٍّ بن رسول، وقد امتدَّ حُكمه من شهرِ رمضانَ سنة (٦٩٤هـ) إلى شهر صفرٍ من سنة (٦٩٦هـ)(٣).

ورابعهم: الملك المؤيَّد هِزَبْرُ الدِّينِ داودُ بن يوسُف بن عُمَرَ بن عليٍّ بن رسول، وقد امتدَّ حكمه من سنة (٦٩٦هـ) إلى سنة (٧٢١هـ)(٤).

= ص ١٨٥: ١٨٨، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور ص ١٨٤، الأعلام للزركلي ٥/ ١٧٣.

(١) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٤٤، ٨٢، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٥١٠، ٥١١، غاية الأمانِي ليحيى ابن الحسين ص ٤١٨، ٤٣٣، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي للمستشرق زامباور ص ١٨٤، وذكر الشيخ عبد الواسع اليمانِي أن الملك المنصور قُتِلَ سنة (٦٤٩هـ)، تاريخ اليمن ص ١٨٥، وينظر: الأعلام للزركلي ٥/ ٥٦.

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/ ٩٠، ٢٧٥، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٥١١، غاية الأمانِي ليحيى بن الحسين ١/ ٤٣٣، ٤٧٦، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص ١٨٤، تاريخ اليمن لليمانيِّ ص ١٨٥، الأعلام للزركلي ٨/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٨٤، ٢٩٧، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٥١١، غاية الأماني ١/ ٤٧٦، ٤٧٧، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص ١٨٤، تاريخ اليمن لليمانِيِّ ص ١٨٥، ١٨٦، الأعلام للزركلي ٥/ ٦٩.

(٤) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٩٩، ٤٤٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٥١١، غاية الأمانِي ليحيى بن =

٢ ـ الحياةُ العِلميّة:

إذا رجَعْنا إلى كتُب التاريخ وجَدْنا أنّ عصر الدولة الرَّسُوليّة كان مليئًا بالحروب والمنازَعات والصِّراعات بين الرَّسُوليِّين وبين الأئمة الذين كانوا ينازعونَهم المُلْكَ، ولكنه مع ذلك كان أَزْهَى عُصُورِ اليمنِ من الناحية العلمية والفكرية(١).

يقول الزِّرِكلي(٢): «وفي المؤرِّخين مَن يُشَبِّهُ الدولةَ الرَّسُولية في اليمن بدولة العباسيِّين في العراق».

وقال الأكوع(٣): «كان عصر بني رسول أخصَبَ عُصُورِ اليمن، وأكثرَها ازدهارًا بالعلم، وأوسَعَها عطاءً بالإنتاج الفكري، لاهتمامِ ملوكِ بني رسولٍ بِنَشْرِ العلم، ورَفْعِ مكانة العلماء عندَهم وتكريمِهم، وفتحِ أبواب قصورهم لهم في أي وقتٍ شاؤوا، مما جعل كثيرًا من العلماء يُوَلُّونَ وجوهَهم شَطْر مدينة تَعِزَّ حاضرةِ الدولة الرَّسولية، فكانت مَوْئلًا للعلماء، ومَقْصِدًا لهم، يُنِيخُونَ بها ركائبهم، ويُلْقُونَ فيها عصا الترحال، فيجدون من التكريم والتقدير أكثرَ مما يُؤَمِّلُونَ، وفَوْقَ ما يتوقَّعون، كما وَفَد إلى تَعِزَّ عَدَدٌ من العلماء المشهورين، جاؤوا إليها من شتى ديار الإسلام، طَمَعًا في الإفادة والاستفادة، فكانوا يقدِّمون إلى ملوك بني رسول أبدعَ ما جادت به قرائحُهم من مؤلَّفات، ويهدونَها إليهم، فيجيزونهم عليها أسنى الجوائز وأسخاها».

= الحسين ١/ ٤٧٦، ٤٧٧، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ص ١٨٤، تاريخ اليمن لليمانِيِّ ص ١٨٦.

(١) ينظر في هذا ما كتبه الدكتور شوقي ضيف عن الحركة العلمية في اليمن في كتابه «تاريخ الأدب العربِيِّ: عصر الدول والإمارات» ص ٥٢-٨١.

(٢) الأعلام ٥/ ٥٦.

(٣) المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧ من المقدمة.

٣ـ المدارس التي أُنشئت في مدينة جِبْلَةَ:

سأقتصر هنا على ذِكْرِ أسماءِ المدارس التي بُنِيت في مدينة جِبْلَةَ فقط، سواءٌ أكان بناؤها في عصر الأيوبيِّين أم في عصر بني رسول، لِيَدُلَّ ذلك على مدى ازدهار الحركة العلميّة في اليمن في هذه الحِقبة، وبخاصّةٍ مدينةَ جِبْلة، ومن هذه المدارس:

ـ مدرسة ابن أبي الأمان: أنشأها الشيخ أبو الحسن عليُّ بن إبراهيم بن أَبِي الأمان سنة (٥٥٨هـ)(١).

ـ المدرسة الفاتِنيّة: بناها فاتنُ بن عبد الله المُعِزِّيُّ(٢).

ـ مدرسة المَسانِيفِ: بناها فاتنُ بن عبد الله المُعِزِّيُّ أيضًا (٣).

ـ المدرسة العَوْمانِيّةُ، ويقال لها أيضًا: مدرسة عَوْمانَ: بنتها لُؤْلُؤةُ زَوْجُ الأمير عليِّ بن رسول(٤).

ـ المدرسة النَّجْميّة: وكانت في الأصل دارًا لابن المعلِّم، فاشترَتْه منه خاتُونُ المُلَقَّبةُ الدّارَ النَّجْميَّ ابنةُ عَلِيِّ بن رسول، وجعلتها مدرسةً، وسَمَّتْها باسم زوجها الأمير نَجْم الدين بن أبي بكرِ بن زكريّا، أَحَدِ أُمراءِ الأكراد القادمين إلى اليَمَنِ(٥).

ـ المدرسة الشِّهابيّة: بَنَتْها الدّار النَّجْمِيُّ، ونسبتها إلى أخٍ لها اسمه شِهاب الدين محمد بن عَلِيِّ بن رسول(٦).

---

(١) ينظر: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٦.

(٢) ينظر: المصدر السابق ص ١٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ٦٥.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ص ٦٧.

(٦) ينظر: المصدر نفسه ص ٧١، ٧٢.

ـ المدرسة الشَّرَفِيّةُ: وقد دَرَّسَ بها صاحِبُنا أحمدُ بن أَبِي بكرٍ الجِبْلِيُّ، وكانت قد بنتها الدارُ النَّجْميُّ، ونسبتها إلى أخيها الأمير شرف الدين موسى بن عَلِيٍّ بن رسول[١].

ـ المدرسة الزّاتيّة ـ بالزاي ـ وتسمى مدرسةَ الزّاتِ، بَنَتْها زاتُ دارِها إحدى وَصِيفات الدّارِ النَّجِمْيِّ، وممن دَرَّسَ بها عباسُ بن منصور البُرَيْهِيُّ شيخُ الجِبْليِّ[٢].

ـ المدرسة النِّظاميّة: بناها نِظامُ الدِّين مختصُّ بن عبد الله المظفَّري[٣].

ـ مدرسة أَسَدِ الدِّين: بناها الأمير أَسَدُ الدِّين محمد بن الحَسن بن عليٍّ بن رسول[٤].

٤ ـ اهتمامُ الدّولة الرَّسُوليّة بالعلم والعلماء:

ومما يؤكِّد اهتمامَ بني رَسُول بالعلم وإنشاء المدارس ما قاله الخَزْرجي عن الملكِ المنصور عُمَرَ بن عَلِيٍّ بن رسول، فقد قال[٥]: «وابْتَنَى في مدينة تَعِزَّ مدرستَيْن، تُعرَفُ إحداهما بالوزِيريّة، نسبةً إلى مُدَرِّسِها الوَزِيري، والثانية: الغرابية نِسْبةً إلى مُؤَذِّنِها... وابْتَنَى مدرسةً في عَدَنَ، وابْتَنَى في زَبِيدَ ثلاثَ مدارس، يُعْرَفْنَ بالمنصوريّات: مدرسةَ الشافعيّة، ومدرسةَ الحنَفيّة، ومدرسةَ الحديثِ النَّبوي، وابتَنى مدرسةً في حدِّ المَنْسِكيّة من وادي سهام، ورَتَّبَ في كل مدرسةٍ مُدَرِّسًا

(١) ينظر: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٢.
(٢) ينظر: المصدر السابق ص ٧٥.
(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٠٤.
(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ١٢٦.
(٥) العقود اللؤلؤية ١/ ٨٤.

ومُعِيدًا ودَرَسـةً وإمامًا ومؤذِّنًا ومعلِّمًا وأيتامًا يتعلَّمون القرآن، ووَقَف على الجميع أوقافًا بعيدةً تحمِلهم وتقوم بكفايتهم جميعًا».

وذكر الخَزْرجيُّ أنّ الملِك المظفَّر شـمسَ الدِّين يوسُفَ بن عُمَرَ بن عَلِيٍّ بن رسول سار على سُـنّةِ والده، من بناءِ المدارس وإنفاقه عليها[١]، ثم قال[٢]: «وكان يجالـسُ العلمـاءَ والصّالحين، وكان ـ رحمه الله ـ مشـتغلًا بالعلم، أخَذ من كلِّ فنٍّ بنصيـب، قرأ الفقهَ على الفقيه محمد بن إسـماعيلَ الحَضْرمـيِّ وغيره، والحديثَ على الفقيه محمد بن إبراهيمَ الفشـليّ، وعلى الفقيه محبِّ الدين أحمد بن عبد الله الطَّبري، وقرأَ النَّحوَ واللّغةَ على الشيخ يحيى بن إبراهيمَ العَمَك، وقرأ المنطقَ على الفقيه أحمدَ بن عبد الحميد السُّرْدُدِيِّ».

وذكـر الخَزْرجيُّ أنّ الملِك المؤيَّد سـار على سُـنّةِ أبيه وجَـدِّهِ في اهتمامه بالمدارس والعلماء[٣]، ثم قال[٤]: «وكان ـ رحمه الله ـ مشاركًا في كثيرٍ من العلوم، قد أخذ في كلِّ فنّ، وشارك في كل عِلْمٍ، وكان يحفظ مقدِّمة طاهر بن بابَشاذ، وكفايةَ المُتَحَفِّظِ في اللغة، والجُمَلَ للزَّجّاجِيِّ... وأجازه الشّيخ الإمام المبجَّل أبو العبّاس أحمد بن محمد الطَّبري شيخُ السُّنة بالحرم الشريف في البخاريِّ والترمذيّ، وناوله صحيحَ مسلم، وأجازه في باقي الأمهات».

وقال ابنُ خلدون عـن الملِك المؤيَّد[٥]: «وكان فاضلًا، شـافعي المذهب،

(١) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٧٦.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٧٧.
(٣) المدارس الإسلامية في اليمن ١/ ٤٤١.
(٤) المصدر السابق ١/ ٤٤١، ٤٤٢.
(٥) تاريخ ابن خلدون ٥/ ٥١١.

وجمع من الكتب من سائر الأمصار، فاشتملت خِزانته على مائةِ ألف مجلَّد، وكان يتفقَّد العلماءَ بصلاته، ويبعث لابن دقيقِ العِيد فَقِيهِ الشافعيّة بِمِصْرَ جوائزَه».

وقال الأكوَع[١]: «كما وَقَـف أصحاب تلك المدارس كرائمَ أموالهم عليها، وحبَسوا عليها خزائنَ كتُبِهم التي كانت تزخر بنفائس الكتب ونوادرها في شتى فنون المعــارف، وفي مقدِّمة تلك الخزائن: خِزانةُ الملِك المُؤَيَّدِ داودَ بن الملك المظفر يوسُف بن عُمَرَ بن عَليٍّ بن رسول، التي كانت تحتوي على مائة ألف كتاب».

٥ ـ تأثُّر اليمنيِّين بالنَّحويِّين المَشارِقة والمصريِّين:

أمّـا علمُ النَّحو في هــذه الحقبة «فالملاحَظ أنّ مؤلَّفاتِ المشــارقة قد ذاعت وانتشــرت بين علماءِ اليمن في ذلك العصر، فتَلْمَذُوا عليها، وانصرفوا إلى شرحها، ومن بينِ هذه المؤلَّفات: كتابُ سِــيبوَيْه، ومفصَّل الزَّمخشــري، وجُمَل الزَّجّاجي، وإيضــاحُ الفارســي، ولُمَعُ ابن جِنِّي وغيرُهــا، وكان لمؤلَّفات علمــاءِ مصرَ خاصةً نصيبٌ كبيرٌ عند علماءِ اليمن، وربّما كان السبب في ذلك هو أنّ اليمن ظلَّ ـ عهودًا من التاريخ ـ تحت ظلِّ الفاطميِّين والأيوبيِّين مِن بعدِهم، وأشهرُ مؤلَّفات علماءِ مصرَ التي تدارَسوها: مقدِّمة ابن بابَشاذ[٢]، وكافيةُ ابن الحاجب، وشرح الرَّضيِّ عليها»[٣].

وقد ذكر الأســتاذ خالد عبد الكريم، محقِّق كتاب شــرح المقدِّمة المُحْسِــبة

---

(١) المدارس الإسلامية في اليمن، المقدمة ص ٦، ٧.

(٢) وقد نقل الجبلي عن مقدمة ابن بابشــاذ هذه، كما نقل عن شــرحه لجمل الزجاجي كثيرًا في البستان، ينظر مثلًا: ص١/ ٢٣١، ٢٨٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٩١، ٢/ ٦٧، ٢٣٤، ٤/ ٢٥٨، ٣٣٢.

(٣) ينظــر: يحيى بن حمزة العلــوي، آراؤه ومنهجه في النحو مع تحقيــق كتابه الحاصر لفوائد المقدمة في علم حقائق الإعراب، تحقيق د/ عادل عبد الحميد عبد العزيز ص ١٨، رسالة دكتوراه رقم ٣٢/ نحو، بمكتبة كلية اللغة العربية بالمنوفية.

لابن بابَشـاذ، ثمانيةً ممّن شـرحوا المقدِّمةَ المُحْسِبةَ، ثم قـال[١]: «هؤلاءِ هم منِ اهتمُّوا بمقدِّمة ابن بابَشـاذ، والملاحَظ أنّ أربعةً منهم من علماءِ اليمن، وربما كان سـبب هذا أنّ اليمن ظلَّت عهودًا من التاريخ تحت ظـلِّ الفاطميِّين والأيوبيِّين من بعدِهم، ولعلّ هذا قد ساعد على ذيوع مؤلَّفات أهل مصر في تلك البلاد».

ويقول الحَبَشي[٢]: «وفي العصر الرَّسولِيِّ ازدهرت العلومُ اللُّغويّة والنَّحويّة... وقد اشتُهر عند نُحاةِ اليمن عدّةُ كتُبٍ نَحْويّة ألَّفَها جماعةٌ من علماءِ الإسلام، ككتاب المفصَّل الذي شرحه عدّة علماءَ من علماءِ اليمن... ومن الكتب المقبولة عند أهل اليمـن: المقدِّمة في علـوم النَّحو، المعروفة بالمقدِّمة المُحْسِـبةِ، للعلّامة طاهر بن بابَشاذ، شرحها جماعةٌ من العلماء».



(١) مقدمة تحقيق «شرح المقدمة المُحْسِبةِ» ص ٣٨.

(٢) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٤٠٩، ٤١٠.

المبحث الرابع
شيـوخه وتلاميذه

١ ـ شيوخه:

لم يذكر الجِبْلِيُّ ـ فيما بقي من كتابه «البستان» ـ اسمًا لشيخٍ واحدٍ من شيوخه، ولم تذكر المصادر التي ترجَمَتْ للجِبْليّ مِن أسماءِ شيوخِه سوى شيخٍ واحـدٍ، هو عَبّاس بنُ منصور البُرَيْهِيُّ، ولكن هذا لا يعني أنه لم يتفقه بغيره، فقد قال الجَنَدِيُّ[١]: «وتفقَّه بعَبّاس بن منصورٍ وغيرِه من فقهاءِ جِبْلة»، ومثلَه قال الخَزْرجيُّ[٢] والأكوعُ[٣].

وهذه عادة مؤرِّخي اليمن، أن يقولوا في ترجمة عالِمٍ ما: إنّه تفقَّه بفلانٍ وغيره من فقهاء بلده أو عصره.

أمّا شيخُه الوحيدُ المذكور في ترجمته فهو: أبو الفضل عَبّاس بن منصور بن عَبّاس البُرَيْهِيُّ[٤] ....

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٧.

(٢) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) ينظر: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٤.

(٤) وورد فـي بعض المصـادر: «التَّريمي»، وهو خطأ، قال الأكوع: «غلـط البغدادي في هدية العارفين في نسبته، وذكر أنه التَّرِيمِيُّ، وسلك في الخطأِ نفسه الدكتور صلاح الدين المنجِّد في فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الكونغرس، مع أنه اطلع على كتابه (البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان)، ونَسَـبُهُ الصحيح مزبور في أول الكتاب، كما سـار على الخطأ نفسه أيضًا صاحب معجم المؤلفين». المدارس الإسلامية في اليمن حاشية رقم ٦ ص ٧٥.

السَّكْسَكِيُّ الشـافعي[١]، وقد وُلِدَ سنة عَشْرٍ وستِّمائة[٢]، وذكر البغداديُّ والزِّرِكْليُّ وكحّالة أنه وُلِدَ سنة ستَّ عشْرةَ وستِّمائة[٣].

قال عنه الجَنَدِيُّ: «مولده سـنة عشْرٍ وسـتِّمائةٍ تقريبًا، وتَفَقَّهَ بعُمَرَ بن مسعود الأَبْيَنِيِّ، ومحمد بن إسماعيل الحَضْرمي، وبِبَطّالِ بن أحمد، وكان من أعرفِ الناس بكتُب الشيخ أَبِي إسحاق[٤]، وأكثرهم لها نقلًا ودرسًا...، ثم درَّس بالزّاتِيّة[٥]، ولما انتقل عَلِيُّ بن مسعود عن النَّجْميّة[٦]، صار إليها ودرَّسَ بها، وانتفع به خَلْقٌ كثيرٌ من جِبْلةَ وغيرِها، كابن مُسْلم وابن الأحنَف وابن أبي الرَّجا وغيرهم، وكان فقيهًا فاضلًا محقِّقًا متقنًا بالفروع والأصول»[٧].

وقال عنه الزِّرِكْليّ[٨]: «فقيهٌ شافعيّ، وَلي القضاءَ في تَعِزَّ، وكانت رواتب القضاة تُعطَى من جِزية اليهود، فلمّا أراد السلطان المظفَّر أن يَبْنِيَ مدرستَه التي في غَرْبِيِّ تَعِزَّ، وأمَـرَ بجَمْعِ الجِزيةِ مِن كلِّ بلدٍ، وتعويضِ مسـتحِقِّيها من مال الخراج، عَزَل القاضي عباس بن منصور نَفْسَهُ بسبب ذلك، ولزم بيته...، قال بامخرمة: له شعر حسن».

وقد صَنَّفَ عباسُ بن منصورٍ في الأصول مختصرًا سَـمّاهُ البُرهان في معرفة

---

(١) ينظر: السلوك للجندي ٢/ ١٧٣، هدية العارفين للبغدادي ١/ ٤٣٧، إيضاح المكنون ١/ ١٧٩، معجم المؤلفين لكحالة ٥/ ٦٥، المدارس الإسلامية في اليمن للأكوع ص ٧٠، ٧٥.

(٢) ينظر: السلوك للجندي ٢/ ١٧٣، المدارس الإسلامية في اليمن للأكوع ص ٧٦.

(٣) ينظر: هدية العارفين ١/ ٤٣٧، الأعلام ٣/ ٢٦٨، معجم المؤلفين ٥/ ٦٥.

(٤) يعني: الإمام أبا إسحاق الشيرازي.

(٥) يعني: المدرسة الزاتية.

(٦) يعني: المدرسة النَّجْميّة.

(٧) السلوك ٢/ ١٧٣، ١٧٤، وينظر: المدارس الإسلامية ص ٧٠، ٧٥، ٧٦، ١٠٦.

(٨) الأعلام ٣/ ٢٦٨، وينظر أيضًا: المدارس الإسلامية في اليمن للأكوع ص ٧٦.

عقائد أهل الأديان[١]، وقد نُشِرَ مرَّتَيْنِ، الأولى: بتحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج[٢]، والثانية: بتحقيق الدكتور بسام علي سلامة العموش[٣].

وقد نشره المحقِّقان بلقب «التَّرِيني»، ولم يُحَقِّقا الكلام على هذا اللقب.

وقد تُوُفِّيَ عباس بن منصور سنة (٦٨٣هـ)، قال الجندي[٤]: «ولم يزَلْ على الحال المَرْضيِّ من التدريس والفتوى إلى أن توفِّي سنة ثلاثٍ وثمانين وستمائة».

هذا هو الشّيخ الوحيد الذي ذكرته المصادر من شيوخ الجِبْلي، ولكنْ يمكن أن نستنتج أسماءَ بعض شيوخه من علماء جِبْلَةَ ممَّن ذاعَ صِيتُهُم في هذه الحقبة، ممن عاصَرُوا عَبّاسَ بنَ منصورٍ، ودَرَّسُوا مثلَه في مدارسِ مدينة جِبْلَةَ، ومنهم:

ـ أبو محمد عُبيد الله بن أحمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود بن عليان بن هشام التُّرْخُمِيُّ، ولد سنة (٦١٢هـ)، وتوفي سنة (٦٩٤هـ)، درَّس بمدرسة المسانيف بِجِبْلَةَ، وتفقه به جماعةٌ من بلده[٥].

ـ يحيى بن سالم بن سليمان بن الفضل بن محمد بن عبد الله الشِّهابِيُّ الكِنْدِيُّ، المولود سنة (٥٨٨هـ)، والمتوفَّى سنة (٦٧٠هـ)، وكان أولَ مَن دَرَّسَ بالمدرسة العَوْمانيّة بِجِبْلَةَ[٦].

---

(١) ينظر: السلوك للجندي ٢/ ١٧٤، إيضاح المكنون ١/ ١٧٩، هدية العارفين ١/ ٤٣٧، الأعلام ٣/ ٢٦٨، المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٦ حاشية رقم ٢.

(٢) ونشرته دار التراث العربي سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٣) ونشرته مكتبة المنار بالأردن في طبعته الثانية سنة ١٤٢٦هـ/ ١٩٩٦م.

(٤) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٤، وينظر أيضًا: إيضاح المكنون ١/ ١٧٩، هدية العارفين ١/ ٤٣٧، الأعلام ٣/ ٢٦٨، معجم المؤلفين ٥/ ٦٥.

(٥) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٨٠، المدارس الإسلامية في اليمن ص ١٦، ١٧.

(٦) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ١٨٠، ١٨١، المدارس الإسلامية في اليمن ص٦٥، ٦٦.

ـ أبو عبد الله الحُسين بن علي بن عُمر بن محمد بن علي بن أَبِي القاسم، المولود سنة (٦٠٨هـ)، والمتوفَّى سنة (٦٨٠هـ)، وقد دَرَّسَ أيضًا بالمدرسة العَوْمانيّة[1].

ـ أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن علي بن أَبِي بكرٍ العَرَشانِيُّ، المولود سنة (٥٩٥هـ)، والمتوفَّى سنة (٦٧٦هـ)، وقد دَرَّسَ بالمدرسة النَّجْميّة[2].

٢ ـ تلاميذُه

كما أنّ المصادرَ التي تَرجَمت للجِبْلي كانت شحيحةً في ذكر أسماءِ شيوخه، فإنّها كذلك كانت شحيحةً في ذكر أسماءِ تلاميذه، فلَم تذكر من أسماءِ تلاميذه سوى اثنَيْن فقط هما:

الأول: أخوه أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن أَبِي بكرِ بن عمر الجِبْلِيُّ، قال الجَنَدِيُّ[3]: «وكان له [يعني: لأحمدَ بن أبِي بكر] أَخٌ اسمه إبراهيم، تفقَّه، وكان إمامًا بالمدرسة الشَّرَفيّة، وكان تقيًّا وَرِعًا»، وقال الخَزْرجي[4]: «وفي هذه السنة [يعني سنة ٧٢٠هـ] تُوُفِّيَ الفقيهُ الصالحُ أبو إسحاق إبراهيمُ بن أَبِي بكرِ بن عمر الأحنفُ، وكان فقيهًا وَرِعًا، وكان إمامًا في المدرسة الأشرَفيّة بذي جِبْلَةَ»، وقال الأكوع[5]: «كان ذا معرفةٍ شافية، وفضلٍ نافعٍ، موصوفًا بالزُّهد والوَرَع، تفقه بأخيه وغيرِهِ».

وقد تُوُفِّيَ كما قال الجَنَدِيُّ وغيرُهُ لِخَمْسٍ بَقِينَ من رجب سنةَ عشرين

(١) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٢١، ٢٢٢، المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧.
(٢) ينظر: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٦٩، ٧٠.
(٣) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٨.
(٤) العقود اللؤلؤية ١/ ٤٣٥.
(٥) المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٥.

وسبعمائة[١]، ولم تذكر المصادر شيئًا من أخبار إبراهيمَ هذا أو مؤلفاته.

والثاني: القاضي أبو عبد الله بهاءُ الدِّين محمد بن يوسُف بن يعقوب الجَنَدي السَّكْسَكِيُّ الكِنْدِيُّ، صاحب كتاب السُّلوك، وقد ذكر ذلك في كتابه هذا، فقال[٢]: «شَيْخِي أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عُمَرَ».

ومن أخبار الجَنَدِيِّ مع شيخه الجِبْلِيِّ ما حكاه بقوله[٣]: «قَدِمْتُ جِبْلَةَ سنةَ إحدى وسبعمائة، فوجدته يُدَرِّسُ بالشَّرَفِيّةِ، فقرأت عليه بعض مصنفاته، وأجازني ببقيتها».

ولم يذكر أحدٌ من المؤرِّخين تاريخ مولد الجَنَدِيِّ، وقد تفقه الجَنَدِيُّ بأحمد ابن أَبي بكرٍ الجِبْلِيِّ، كما تفقَّه بغيره، فمنهم:

١ ـ الفقيه الفاضل أبو عَفّان عثمان بن محمد الشَّرْعَبِيُّ، المتوفَّى ليلة الأحد السابع من صفر سنة (٧١٨هـ)، وقد اعتمد عليه الجَنَدِيُّ في ذكر أخبار فقهاء تَعِزَّ، وضَمَّنَهُ كتابه «السلوك»[٤].

٢ ـ أبو العباس أحمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ الحَرازِيُّ، كان عالمًا بالفقه والنَّحو واللغة والأصول والقراءات والحديث، ولد سنة (٦٤٣هـ)، وتوفِّي سنة (٧١٨هـ)[٥].

٣ ـ أبو الحسن عليُّ بن أحمد بن أسعدَ بن أبي بكر الأَصْبَحي، كان من

---

(١) ينظر: السلوك في طبقات العلماء والملوك للجندي ٢/ ١٧٨، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي ١/ ٤٣٥، المدارس الإسلامية في اليمن للأكوع ص ٧٥.

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٧.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٧٧.

(٤) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٢٣١، المدارس الإسلامية في اليمن ص ١٣٧.

(٥) ينظر: العقود اللؤلؤية ١/ ٤٣١، ٤٣٢، المدارس الإسلامية في اليمن ص ٣٦، ٦٠، ٦١.

المحقِّقيـن للفقه، العارفين به، ليس له نظيرٌ في عصره في كثيرٍ من بلاد اليمن، وُلِدَ سنة (٦٤٤هـ)، وتوفِّي سنة (٧٠٣هـ)[١].

٤ ـ أبو محمد صالح بن عُمَرَ البُرَيْهيّ[٢].

وقـد دَرَّسَ الجَنَـدِيُّ في مدرسـة ميكائيلَ بن أَبِي بكرِ بـن محمد المَوْصلي التركمانِـيِّ، وكانـت في مدينـة الجَنَدِ[٣]، ودَرَّسَ في مدرسـة عبـد الله بن العباس الحَجّاجي، وتُسمَّى أيضًا المدرسةَ العبّاسيّة، وكانت في مدينة الجَنَدِ ـ أيضًا ـ[٤].

وقد اختَلف المؤرِّخون في تاريخ وفاة الجَنَدي، فقال الأهدَل[٥]: «وكانت وفاة الجَنَدي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة»، وتابَعَه على ذلك الزِّرِكْلِيُّ وكحّالة[٦]، وذكر البغدادي أنه تُوُفِّيَ في حدود سـنة ثلاث وعشرين وسـبعمائة[٧]، ونقل الأكوع عن الخَزْرجي، أنه قال[٨]: «والذي يظهر لِي أن وفاته كانت في سنة ثلاثين وسبعمائة».

قال الأكوع[٩]: «والصحيح أنه كان حيًّا إلى سنة (٧٣٤هـ)، فقد ذكر الجَنَدي نفسُه في ترجمته لأحمدَ بن علي بن سُحَيم، أنّ العوادر قتلته ظلمًا سنة (٧٣٤هـ)، وهذا يناقض كلام الخَزْرجي».

---

(١) ينظـر: العقـود اللؤلؤية ١/ ٣٥٣: ٣٥٥، المدارس الإسـلامية في اليمن ص ١٠٩، ١١٠، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي ص ٢٠٣، ٢٠٤.

(٢) ينظر: المدارس الإسلامية في اليمن ص ٣٧.

(٣) ينظر: المصدر السابق ص ٣٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ص ١٧٣.

(٥) تحفة الزمن ورقة ٥٣.

(٦) ينظر: الأعلام ٧/ ١٥١، معجم المؤلفين ١٢/ ١٤١.

(٧) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٥٥٦.

(٨) المدارس الإسلامية في اليمن ص٣٧، وينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٤٦١.

(٩) المدارس الإسلامية في اليمن ص ٣٨.

المبحثُ الخامس

مَنْزلةُ الجِبْلِيِّ العلميّةُ وثناءُ العلماءِ عليه

مما تقدَّم يتبيَّن لنا أنّ الجِبْلِيَّ كان يتمتَّع بمنزِلةٍ علميّةٍ كبيرة في بلده جِبْلةَ، وفي مدينة تَعِزَّ التي دَرَّسَ في مدرستَيْن من مدارسها، قال الجَنَدِيُّ عن أُستاذِهِ أحمَدَ ابنِ أَبِي بكرٍ[1]: «له مصنَّفاتٌ مفيدةٌ في التفسير واللّغة والحديث، قَدِمتُ جِبْلةَ سنةَ إحدى وسبعمائة، فوجدته يُدَرِّسُ بالشَّرَفِيّةِ، فقرأتُ عليه بعض مصنَّفاته، وأجازني ببقيّتِها، ثم انتقل إلى تَعِزَّ، فدَرَّسَ بمدرسة الدار الجديدة بمَغْرِبةِ تَعِزَّ، ثم انتقل عنها إلى المدرسة المؤيَّديّة، فدرَّس بها مدةً، وانتفع به جماعةٌ من أهل تعِزَّ».

وقال الخَزْرجي[2]: «وله مصنَّفاتٌ مفيدةٌ في التفسير واللّغة والحديث، وكان عارفًا حافظًا نَقّالًا للمذهب، درَّس في المدرسة الشَّرَفيّة، ثم انتقل إلى المؤيَّديّة بتعِزَّ فدرَّس بها، وانتفع به جماعة»، ونقل السُّيوطيُّ والدّاوُدِيُّ كلامَ الخَزْرجيِّ عنه[3].

هـذا كلُّ ما ذكرَتْه المصادر من أخباره ومنزلتِه العلميّة، وما أثنى به العلماء عليه، وهـذا الكلام ـ وإن كان قليلًا ـ يدلُّ على منزلةِ الجِبْليِّ، ومكانته بين علماءِ

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/ ١٧٧.

(٢) العقود اللؤلؤية ١/ ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) ينظر: بغية الوعاة ١/ ٢٩٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٤، وينظر أيضًا: هدية العارفين ١/ ١٠٤، الأعلام ١/ ١٠٤، معجم المؤلفين ١/ ١٧٧، المدارس الإسلامية في اليمن ص٧٤، ٧٥.

عصــره، ورِحلاته العلميّة بين مدُن اليمن، وتدريســه في مدارسِ بلده جِبْلَةَ، ثم في مدارس تَعِزَّ.

وممّا يدلُّ على تلك المكانة أنه درَّس بالمدرسـة المؤيَّدية، وهي المدرسـة التي بناها الملكُ المؤيَّد الذي حكم اليمن من سنة (٦٩٦هـ) إلى سنة (٧٢١هـ)[١]، ولا يدرِّس فيها ـ بالطبع ـ إلّا من كانت له قدمٌ راسخة في العلم والتدريس.

* * *

(١) ينظـر: العقود اللؤلؤيـة ١/ ٢٩٩، ٤٤٠، تاريخ ابن خلـدون ٥/ ٥١١، غاية الأماني لابن المؤيـد ١/ ٤٧٦، ٤٧٧، معجم الأنسـاب والأسـرات الحاكمـة ص ١٨٤، تاريخ اليمن لليمانِيِّ ص ١٨٦.

المبحثُ السادس
آثـارُه ووفاتُه

١ ـ آثاره:

لم تـذكُر المصـادر التي ترجَمَتْ للجِبْـلـيِّ ـ من أسماءِ مؤلَّفاته ـ سوى «البستان في إعراب مشكلات القرآن»[١]، وهو هذا الكتاب موضوعُ الدراسة والتحقيق.

ولكـنّ العلـماء الذين ترجَمـوا له ذكروا أنَّ لـه مصنَّفاتٍ مفيدةً في التفسـير واللُّغة والحديـث والفقه، وإن لم يذكروا منها سـوى «البسـتان»[٢]، ويبدو أنّ أيـاديَ الزمن قد أتتْ على بقيّة مؤلَّفاته، كما هو حالُ الكثير من تراث العلماء السابقين الذي لم يصِلْ إلينا.

٢ ـ وفـاتُه:

أجمَعت المصادر التي ترجَمتْ للجِبْليِّ على أنه تُوُفِّيَ لِعَشْرٍ بَقِينَ من جُمادَى الآخِرةِ سنةَ (٧١٧هـ)[٣]، ولـم يُخالِفْ في ذلك سوى الأُستاذ فؤاد سيِّد، فقد ذكر أنه

---

(١) ينظر: المستدرك على معجم المؤلفين لعمر رضا كحّالة ص ٤٢، مجلة معهد المخطوطات العربية مج ١ ج ٢ ص ٢٠٠، المدارس الإسلامية في اليمن للأكوع ص ٧٥ حاشية رقم ١.

(٢) ينظر: السلوك للجندي ٢/ ١٧٧، العقود اللؤلؤية للخزرجي ١/ ٤٢٣، بغية الوعاة للسيوطي ١/ ٢٩٩، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٤، هدية العارفين للبغدادي ١/ ١٠٤، الأعلام للزركلـي ١/ ١٠٤، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/ ١٧٧، المدارس الإسـلامية في اليمن ص ٧٥.

(٣) السـلوك ٢/ ١٧٨، العقود اللؤلؤية ١/ ٤٢٤، بغية الوعاة ١/ ٢٩٩، طبقات المفسـرين =

تُوُفِّيَ سنة (٦٩١هـ)، ولا أدري من أين جاء بهذا التاريخ! ويبدو أنه التبس عليه الأمرُ، فقد جاء في آخِر مخطوطة «البستان»: «وُجِدَ بِخَطِّ المؤلِّف ما لَفْظُهُ: فُرِغَ من نِساخَتِهِ سنة... وتسعين وستِّمائة من الهجرة النبويّة، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم»، فيبدو أنّ تاريخ نَسْخ المخطوطة بِخَطِّ المؤلِّف قد الْتَبَسَ عنده بتاريخ وفاته.

* * *

= ١/ ٣٤، هدية العارفين ١/ ١٠٤، الأعلام ١/ ١٠٤، معجم المؤلفين ١/ ١٧٧، المدارس الإسلامية في اليمن ص ٧٤.

المبحثُ السابع
موقفُ الجِبْليِّ من أصول النَّحو

وسوف أتناول هنا موقفَه من الأمور التالية: السَّماع ـ القياس ـ الإجماع.

المطلبُ الأول: موقفُه من السَّماع:

وأنواعُ السَّماع هي: القرآنُ الكريم وقراءاتُه، والحديثُ النَّبويُّ الشريف، وكلام العرب نَثْرًا وشعرًا.

أولًا: موقفُه من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاتِه

إذا نظرنا في «البستان» وجَدْنا أنّ الجِبْليَّ كان يضع النصَّ القرآنِيَّ في المرتبة الأولى في الاحتجاج، ولا يَعْتَرِضُ عليه بوجهٍ من الوجوه، وهذا واضحٌ في الكتاب كلِّه، والأمثلة عليه أكثرُ من أن تُحصَى.

وأمّا القراءاتُ فإنّني سوف أتناولها بشيءٍ من التفصيل، نظرًا لاختلاف موقف الجِبْليِّ منها عن موقفِه من النص القرآنِيِّ.

١ ـ موقفه من القراءاتِ الصّحيحة:

القراءاتُ الصّحيحة هي: قراءات القُرّاءِ السبعةِ، بالإضافة إلى القُرّاءِ الثلاثة بعدَهم[1]، وقد ذكر ابن الجَزَري شروطَ القراءة الصَّحيحة،

(١) ينظر: التيسير للداني ص ٤: ٧، العنوان لإسماعيل بن خلف المقرئ ص ٤٠، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ١٠٨، إتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي ١/ ٧٢، ٧٥.

فقـال(١): «كلُّ قراءةٍ وافقَت العربيّة ولو بوَجْهٍ، ووافَقَـت المصاحفَ العثمانيّةَ ولو احتمالًا، وصحَّ سَنَدُها، فهي القراءةُ الصَّحيحة التي لا يجوزُ رَدُّها، ولا يَحِلُّ إنكارها، بل هي من الأحرف السـبعة التي نَزَل بها القرآن، ووَجَب على الناس قَبولُها، سواءٌ كانت عن الأئمة السـبعة أم عن العشَـرة أم عن غيرِهم من الأئمة المقبولين، ومتى اخْتَلَّ رُكْنٌ من هذه الأركان الثلاثةِ أُطْلِقَ عليها ضعيفةٌ أو شاذّةٌ أو باطلةٌ، سواءٌ كانت عن السبعة أم عَمَّن هو أكبرُ منهم».

ثـم حَكَـى ابنُ الجَزَري عن أَبِي عَمْـرٍو الدانِي، أنه قـال(٢): «وأئمةُ القُرّاءِ لا تَعمَل في شـيءٍ من حروف القرآن على الأَفْشَى في اللغة، والأَقْيَسِ في العربيةِ، بل على الأثبتِ في الأثَـر، والأصحِّ في النَّقل، والرِّوايةُ إذا ثَبتَت عنهم لم يَرُدَّها قِياسُ عَرَبِيّةٍ ولا فُشُوُّ لغةٍ؛ لأنّ القراءةَ سُنّةٌ متَّبَعةٌ يلزم قَبولُها والمصير إليها».

ولذلك كان كثيرٌ من النَّحْويِّين لا ينكرون قراءةً من القراءات التي وردت عن القُرّاءِ السبعة ولا يضعِّفونَها ولا يرُدُّونَها، فسيبويهِ يقول مثلًا(٣): «وقد قرأ بعضهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾(٤) إلّا أنّ القراءةَ لا تُخالَفُ؛ لأنّ القراءةَ السُّنّةُ».

---

(١) النشـر في القـراءات العشـر ١/ ٩، وينظر: الإتقان فـي علوم القرآن للسـيوطي ١/ ٩٩، اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور/ عبده الراجحي ص ٧٤، في أصول النحو للأفغانـي ص ٢٩، ٣٠، أثـر القرآن والقـراءات في النحو العربِي د/ محمد سـمير نجيب اللبدي ص ٣١٩، ٣٢٠.

(٢) النشـر في القراءات العشـر ١/ ١٠، ١١، وينظر: الإتقان للسـيوطي ١/ ١٠٠، اللهجات العربية في القراءات القرآنية د/ عبده الراجحي ص ٨٤، في أصول النحو للأفغاني ص ٣٠، البحث اللغوي عند العرب د/ أحمد مختار عمر ص ٢٩.

(٣) الكتاب ١/ ١٤٨.

(٤) بفتح ﴿ثَمُودُ﴾ [فصلت: ١٧].

ولكنّ بعض النَّحْويِّين ـ كالفَرّاء والمبرّد وغيرهما ـ كانوا ينكرون بعض القراءات إذا خالفت القياس عندهم، ولو كانت عن السَّبعة[١].

قال السُّيوطي[٢]: «كان قومُ من النُحاة المتقدِّمين يَعِيبون على عاصم وحمزةَ وابن عامر قراءاتٍ بعيدةً في العربية، وينسُبونهم إلى اللَّحن. وهم مخطئون في ذلك، فإنّ قراءاتِهم ثابتةٌ بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعَنَ فيها، وثبوت ذلك دليلٌ على جوازه في العربية، وقد رَدَّ المتأخِّرون ـ منهم ابنُ مالك ـ على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رَدٍّ، واختار جوازَ ما وردت به قراءاتهم في العربية، وإن منعه الأكثرون مستدِلًّا به».

وإنما قدَّمتُ هذا التقديمَ لأنّ الجِبْليَّ كان له موقفانِ من القراءات الصحيحة، الأول: قَبْوله هذه القراءات وعدم ردِّها أو تضعيفها من ناحية العربية، والثانِي: تابَعَ الجِبْليُّ فيه بعضَ العلماء الذين كانوا يعترضون على بعض القراءات الصحيحة ويردُّونها، وهذا ما سوف أفصِّله فيما يلي:

أ ـ ارتضاء الجِبْلِيِّ القراءاتِ الصحيحةَ:

إذا نظرنا في كتاب «البستان» وجدنا أنّ الجِبْليَّ كان حريصًا ـ في أغلب المواضع ـ على التسليم بالقراءة الصَّحيحة وعدم معارضتها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾[٣]،

(١) مقدمة تحقيق إعراب القرآن للنحاس، للدكتور زهير غازي زاهد ١/ ١٠٥، وينظر: البحث اللغوي عند العرب ص ٢١ وما بعدها، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ص ٣٢٠ وما بعدها.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي ص ٩٨-١٠٠.

(٣) الأنبياء ٣٠.

قال الجِبْلي[(١)]: «قرأ ابنُ كثير: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بغير واو». ولم يعلِّق الجِبْلي على القراءة بشيءٍ.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[(٢)]، قال الجِبْلي[(٣)]: «قرأ أهلُ المدينة المِثْقال بالرَّفع، بمعنى: وإن وَقَعَ، وحينئذٍ لا خَبَرَ لها، وقرأ الباقونَ بالنَّصب على معنى: وإن كان ذلك الشيءُ مِثْقالَ حبةٍ».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾[(٤)]، قال الجِبْلي[(٥)]: «قرأ ابنُ عامر: ﴿خَرْجًا فَخَرْجُ رَبِّكَ﴾ بغير ألفٍ فيهما، وقرأ حمزةُ والكسائي: ﴿خَراجًا﴾ بألفٍ فيهما، وقرأ الباقون: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألف ﴿فَخَرَاجُ﴾ بالألف».

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾[(٦)]، قال الجبْلي[(٧)]: «وقرأ حمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكر، عن عاصم: ﴿حَٰذِرُونَ﴾، قال الفَرّاء[(٨)]: الحاذِرُ: الذي يَحْذَرُكَ الآن، والحَذِرُ: المخلوق كذلك لا تلقاه إلّا حَذِرًا، وقال الزَّجّاج[(٩)]: الحاذر: المستعدّ، والحَذِرُ: المُتَيَقِّظُ، وقال أبو عُبيدة[(١٠)]: يقال: رَجُلٌ حَذِرٌ وحاذِرٌ».

---

(١) البستان ١/ ١٨٦.
(٢) الأنبياء ٤٧.
(٣) البستان ١/ ١٩٢.
(٤) المؤمنون ٧٢.
(٥) البستان ١/ ٢٩٤.
(٦) الشعراء ٥٦.
(٧) البستان ١/ ٤١٦.
(٨) معاني القرآن ٢/ ٢٨٠.
(٩) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٢.
(١٠) مجاز القرآن ٢/ ٨٦.

ب ـ اعتراضاتٌ للجِبْلِيِّ على قراءاتٍ صحيحة:

ولكنّنا نرى الجِبْليَّ ـ في مواضعَ أُخَرَ ـ يتابع الفريقَ الذي يعترض على بعض القراءات الصّحيحة أو يردُّها أو يضعِّفها، فنراه يحكم أحيانًا على قراءةٍ صحيحة بالضعف أو الشّذوذ أو الردّ، وغالبًا ما يكون في موقفه هذا مُتابِعًا لأحد العلماء السابقين، كالفَرّاء والمبرّد والطَّبري والنَّحاس وأبي عَلِيٍّ الفارسي والثعلبي وغيرهم.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وقرأ ابنُ عامر وأبو بكر، عن عاصم: ﴿نُجِّي﴾ بنونٍ واحدة وتشديد الجيم، وجميع النَّحْويِّين حَكَموا على هذه القراءة بالغلط وأنها لحنٌ، ثم ذكر الفَرّاءُ لها وجهًا فقال[٣]: أَضمَر المصدر في «نُجِّيَ» فنَوى به الرَّفعَ، ونصب ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، كقولك: ضُرِبَ الضربُ زيدًا، ثم تقول: ضُرِب زيدًا، على إضمارِ المصدر، وأنشد ابنُ قُتيبةَ حجةً لهذه القراءة[٤]:

ولوْ وَلَدَتْ قُفَيْرةُ جَرْوَ كلبٍ   لَسُبَّ بذلك الجَرْوِ الكِلابا

قال أبو عليٍّ الفارسي[٥]: هذا إنّما يجوز في ضرورة الشِّعر، وراوِي هذه القراءةِ عن عاصمٍ غالطٌ في الرواية، فإنه قرأ: ﴿نُـۨجِي﴾ بنونَيْن كما روى حفصٌ عنه، ولكن

(١) الأنبياء ٨٨.
(٢) البستان ١/ ٢٠٤.
(٣) معاني القرآن ٢/ ٢١٠.
(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٥٥.
(٥) الحجة للفارسي ٣/ ١٦٠، ١٦١.

النُّونَ الثانيةَ من ﴿نُنْجِي﴾ تَخْفَى مع الجيم، ولا يَجُوزُ تبيينُها، فالتبس على السامع الإخفاءُ بالإدغام، فظَنَّ أنه إدغام، ويدلُّ على هذا إسكانُه الياءَ من ﴿نُجِّي﴾ ونَصْبُ قوله: ﴿نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ ما سكَّن الياء ولَوَجَبَ أن تُرفَع ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «ولا يجوز أن تُضَمَّ الدال وتُهمَز؛ لأنه ليس في الكلام: فُعِّيلٌ».

هـذا ما قاله الجِبْلي، وهذا الذي لم يُجِزْهُ قَرأَ به حمزةُ وعاصمٌ في رواية أبي بكر.

٣ ـ خَطَّأَ الجِبْليُّ حَمزةَ في قراءةٍ له، ففي قوله تعالى: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «قرأ العامّةُ: ﴿السَّيِّئِ﴾ بإشباع الإعراب، وقرأ الأعمَش وحمزة: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئْ﴾ بإسكان الهمزة تخفيفًا كراهةً لالتقاء الحركات، ولا خلافَ في الثاني، والقراءة المَرْضيّةُ ما عليه العامة، والنَّحْويُّون كلُّهم يزعُمون أنّ هـذا من الاضطرار في الشِّعر ولا يجوز مثلُه في كتاب الله تعالى.... قال أبو جعفرٍ النَّحّاس[٥]: كان الأعمش يقفُ على: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئْ﴾ فيترُك الحركةَ، وهو وَقْفٌ حَسَن تامّ، ثم غَلِطَ عليه الراوي، فرَوَى أنه كان يَحذِفُ الإعراب، فتابَعَ حمزةُ الغالطَ، فقرأ في الإدراج بتَرْك الحركة».

(١) النور ٣٥.
(٢) البستان ١/ ٣٣٤.
(٣) فاطر ٤٣.
(٤) البستان ٢/ ٢١١.
(٥) إعراب القرآن ٣/ ٣٧٧.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «واختلف القُرّاءُ في قوله: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾، فقرأ أهل المدينة: ﴿تَأْمُرُونِي﴾ بنونٍ واحدةٍ خفيفة على الحذف والتخفيف، وقَرَأَ أهلُ الشّام بنونَيْنِ على الأصل، وقرأ الآخَرونَ بنونٍ واحدةٍ مشدَّدة على الإدغام.... والأصل: تأمرونَني، فأُدغِمت النونُ في النون، فأمّا ﴿تَأْمُرُونِي﴾ بنونٍ واحدةٍ مخفَّفة فإنّما يجيءُ مِثلُه في الشِّعر شاذًّا، وأبو عَمْرٍو يقول: إنه لَحْنٌ».

فقد حكم الجِبْليُّ هنا على قراءة أهل المدينة بالشُّذوذ.

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾[(٣)]، قال الجِبْلي[(٤)]: «هو مأخوذٌ من: أَنْشَأَهُ اللهُ، أي: ابْتَدَأَ خَلْقَهُ، قَرَأَ أهل الكوفة إلّا أبا بكرٍ بضمِّ الياء وفتح النُّون وتشديد الشِّين على غيرِ تسميةِ الفاعل، أي: يُرَبَّى في الحُلِيِّ، يعني: البناتِ، وهو رديءٌ؛ لأنه لم يُحْكَ في اللغة: نَشَّأَ بمعنى أَنْشَأَ، إلّا أن يقال: إنه في القياس، مثل: بَلَّغَ وأَبْلَغَ وفَرَّحَ وأَفْرَحَ».

فهو هنا يَحكُم على قراءة أهل الكوفة بالرَّداءة.

جـ ـ مفاضلةُ الجِبْليِّ بين قراءاتٍ صحيحة:

وفي مواضعَ أخرى نجدُ الجِبْليَّ يُفاضِلُ بينَ قراءتَيْنِ صحيحتَيْن، أو يرجِّح إحداهما على الأخرى، أو يَحكم عليها بأنها أَوْلَى من الأخرى، على الرَّغم من أنّ

(١) الزمر ٦٤.
(٢) البستان ١/ ٣٦٦.
(٣) الزخرف ١٨.
(٤) البستان ٢/ ٤٥٩.

العلماء حَذَّروا من ذلك، يقول النَّحّاس[١]: «والسلامة من هذا عند أهل الدِّين إذا صحَّت القراءتـان عن الجماعة ألّا يقال: إحداهما أجـوَدُ من الأخرى؛ لأنهما جميعًا عن النبي ﷺ، فيأثَم من قال ذلك، وقد كان رؤساء الصَّحابة ـ رحمهم الله ـ ينكرون مثل هذا».

وقـال النَّحّـاس أيضًـا[٢]: «الدِّيانة تحظُر الطعـن على القـراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذةً إلّا عن النبي ﷺ».

وقد أورد الزَّرْكَشي والسُّيوطي وغيرُهما كلام العلماء في هذا الأمر[٣].

ومن أمثلة ما فاضَلَ فيه الجِبْلِيُّ بَيْنَ قراءات صحيحة:

١ ـ في قولـه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾[٤]، قـال الجِبْلي[٥]: «قرأ أهل الكوفة إلّا عاصمًا: بكسر السين في الموضعَيْنِ، على معنى الاسم، مثلَ: المجلِس والمطلِع، أي: مَذْبَحًا، وهو موضعُ القُربان، وقـرأ الباقون بالفتح فيهما على المصدر، مثلَ: المَدْخَلِ والمَخْرَجِ، وهو إهْراقُ الدّماء وذَبْحُ القَرابين، والفتحُ أَوْلى؛ لأنّ المصدر من هذا الباب بفتح العين، يقال: نَسَكَ يَنْسُكُ: إذا ذَبَحَ القُرْبانَ».

٢ ـ في قوله تعالـى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «قـرأ أبو عبد الرحمن السُّـلَميُّ وأبو جعفـرٍ وحُمَيدٌ الأعرجُ والكِسـائيُّ، ويعقوبُ

(١) إعراب القرآن ٥/ ٦٢.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٣١.
(٣) ينظر: البرهان للزركشي ١/ ٣٤٠، الإتقان للسيوطي ١/ ١٠٩، وينظر: البحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر ص ٢٢.
(٤) الحج ٣٤.
(٥) البستان ١/ ٢٤٨.
(٦) النمل ٢٥.
(٧) البستان ١/ ٤٥٢.

برواية وَرْشٍ: ﴿أَلاَ يا اسْجُدُواْ﴾ بالتخفيف، على معنى: ألا يا هؤلاءِ اسجُدوا... قال الواحدي[١]: والوجهُ قراءةُ العامّة لئلّا تنقطع الصِّلة بما ليس منها».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «واختَلف القُرّاء فيها، فقرأ ابنُ كثيرٍ ووَرْشٌ وأبو عُبَيد وأبو حاتم بفتح الخاء وتشديد الصاد، ومِثْلَهُ رَوَى هشامٌ عن أهل الشام، لَمّا أدغَموا نَقَلوا حركةَ التاء إلى الخاء، وقرأ حفصٌ وأيوبُ، ووَرْشٌ عن نافعٍ، ساكنةَ الخاء مشدَّدةَ الصاد، وقرأ أبو عَمْرٍو بالإخفاء، غيرَ أنّ أبا عَمْرٍو وهشامًا يُشِمّانِ الخاءَ شيئًا من الفتح، وقرأ حمزةُ الخاءَ مخفَّفةً والصادَ مكسورةً، أي: يَغلِب بعضُهم بعضًا بالخِصام، وهي قراءة أُبَيٍّ بنِ كعب، وقرأ الباقونَ بكسر الخاء وتشديد الصّاد إلّا أنّ أبا بكرٍ يكسر الياء، وأجوَدُ القراءةِ فتحُ الخاء مع تشديد الصاد؛ لأنّ الأصل: يختصِمون، فألقِيَت حركةُ الحرف المدغَم، وهو التاء، على الساكن الذي قبلَه، وهو الخاء».

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «قرأ حمزةُ والكِسائيُّ وعاصمٌ وابنُ ذَكْوانَ: ﴿كُرْهًا﴾ بضمِّ الكاف، ورُوِيَ ذلك عن الحَسَنِ، وقرأ نافعٌ وشَيْبةُ وأبو جعفرٍ وأبو عَمْرٍو وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ: ﴿كَرْهًا﴾ بفتح الكاف، وهو أَوْلى؛ لأنه المصدر بِعَيْنِه، والكُرْهُ: اسمٌ للمصدر لا مصدرٌ».

---

(١) الوسيط ٣/ ٣٧٥.

(٢) يس ٤٩.

(٣) البستان ٢/ ٢٣٨.

(٤) الأحقاف ١٥.

(٥) البستان ٣/ ٤٩.

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وقرأ حمزةُ والكِسائي: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ بالتاء والثاء، من الثَّباتِ، وهو أبلغُ في المعنى؛ لأن الإنسان قد يَتَثَبَّتُ ولا يَتَبَيَّنُ، وإذا تَبَيَّنَ فقد تَثَبَّتَ».

٢ ـ موقفُ الجِبْلي من القراءات الشّاذّة:

القراءة الشّاذّةُ هي: ما فَقَدتْ شرطًا أو أكثرَ من شروط القراءة الصحيحة التي سبق ذِكرُها، وهذه القراءاتُ يَحتجُّ بها العلماءُ في اللّغة، قال ابنُ جِنّي في الضَّرب الثانِي من ضَرْبَيِ القراءات[٣]: «وَضَرْبًا تَعَدَّى ذلك، فسمّاه أهلُ زماننا شاذًّا؛ أي: خارجًا عن قراءة القُرّاءِ السبعة المُقَدَّمِ ذِكْرُها، إلّا أنه ـ معَ خروجِه عنها ـ نازعٌ بالثِّقة إلى قُرّائه، محفوفٌ بالروايات من أَمامِه وورائه، ولعلّه أو كثيرًا منه مُساوٍ في الفصاحة للمُجتمَعِ عليه، نعم! وربما كان فيه ما تَلطُفُ صَنْعتُهُ، وتَعْنُفُ بغيره فصاحتُهُ، وتَمْطُوهُ قُوَى أسبابِهِ، وتَرْسُو به قَدَمُ إعرابِه».

وقال السُّيوطي[٤]: «وقد أَطْبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذّة في العربيّة إذا لم تخالف قياسًا معروفًا، بل! ولو خالفته يُحْتَجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعَيْنِه، وإن لم يَجُز القياسُ عليه، كما يُحتَجُّ بالمُجمَع على وروده ومخالفته القياسَ في ذلك الوارِدِ بعَيْنه، ولا يقاسُ عليه، نحوَ ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ﴾[٥] و﴿يَأۡبَى﴾»[٦].

---

(١) الحجرات ٦.

(٢) البستان ٣/ ١١٧.

(٣) المحتسب ١/ ٣٢.

(٤) الاقتراح في علم أصول النحو ص ٩٦، وينظر: الإتقان للسيوطي أيضًا ١/ ١٠٨، وينظر أيضًا ما ذكره الزركشي في البرهان ١/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(٥) المجادلة ١٩.

(٦) التوبة ٣٢.

وإذا نظرنا في «البستان» وجَدْنا أنّ الجِبْليَّ كان أحيانًا يذكر القراءةَ الشاذّة ليفسِّر بها قراءةً صحيحة، أو ليبيِّن بها إعرابًا لهذه القراءة الصّحيحة، وقد يوجِّه القراءةَ الشاذّة توجيهًا قويًّا في العربية، ويَحتجُّ لها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «واختَلف القُرّاءُ فيه، فقرأ أبو جعفرٍ بكسر التاء فيهما، وقرأ نصرُ بن عاصم بالضمّ، وقرأ أبو حَيْوةَ الشاميُّ بالضمِّ والتنوين، وقرأ الباقونَ بالنّصب من غير تنوين، وكلُّها لغاتٌ صحيحة».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾[(٣)]، قال الجِبْلي[(٤)]: «قرأه العامّةُ بنَصْب القاف، وقرأ مجاهدٌ: ﴿الْحَقُّ﴾ بالرَّفع، على نعت ﴿اللَّهُ﴾، وتصديقه قراءةُ أُبَيٍّ: ﴿يُوَفِّيهِمُ اللهُ الْحَقُّ دِينَهُمْ﴾».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[(٥)]، قال الجِبْلي[(٦)]: «وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ وعيسى بن عُمر: ﴿عُجّابٌ﴾ بالتشديد: وهو المفرِّطُ في العُجْب، كما قالوا: رَجُلٌ حُسّانٌ وامرأةٌ حُسّانةٌ».

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[(٧)]، قال الجِبْلي[(٨)]:

---

(١) المؤمنون ٣٦.
(٢) البستان ١/ ٢٨٠.
(٣) النور ٢٥.
(٤) البستان ١/ ٣١٧.
(٥) سورة ص ٥.
(٦) البستان ١/ ٣٠١.
(٧) الزخرف ٧٦.
(٨) البستان ٢/ ٤٨٨.

«قال الفَرّاء(١): وهي في حرفِ عبد الله بن مسعود: ﴿وَلَكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمُونَ﴾. قال أبو جعفر(٢): فعلى هذا يكون «هُمُ» في موضع رفع بالابتداء، و﴿الظّالِمُونَ﴾: خبرُ الابتداء، والابتداءُ وخبرُه خبرُ «كانَ»، كما تقول: كان زيدٌ أبوه خارجٌ، ومثله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾(٣)، و﴿الرَّقِيبُ﴾ بالرَّفع أيضًا، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾(٤) بالنَّصب والرَّفع».

وكان **الجِبْلي أحيانًا** يُنكر القراءةَ الشاذّةَ ويضعِّفها، أو يذكرُها ليستدلَّ بها على أنّ قراءة العامّة أجوَدُ في العربية، ومن أمثلةِ ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾(٥)، قال الجِبْليّ(٦): «وقرأ السُّلَميُّ: ﴿يُبۡلَسُ﴾ بفتح اللام، وقراءةُ العامّة أجوَد».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٧)، قال الجِبْلي(٨): «و﴿ذَٰلِكَ﴾: ابتداء، و﴿عَٰلِمُ﴾: خبره، و﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾: نعتُه، ومن قرأ بالخَفْض(٩) فهو شاذ، نعت لقوله: ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، تقديره: من ربِّ العالَمين العزيزِ الرَّحيم، وهذا بعيدٌ لِما بينَهما من الفصول والآيات والكلمات الكثيرة».

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٣٧.

(٢) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ١٢١.

(٣) المائدة ١١٧.

(٤) الأنفال ٣٢.

(٥) الروم ١٢.

(٦) البستان ٢/ ٣١.

(٧) السجدة ٦.

(٨) البستان ٢/ ٧٨.

(٩) قرأ: ﴿العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بالخفض أبو زيد النحوي، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٨، البحر المحيط ٧/ ١٩٤.

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿أَلِتْناهُمْ﴾ بكسر اللام، وذلك لا يَعرِفُه أهلُ اللّغة، وقَرأَ الباقون: ﴿أَلَتۡنَٰهُم﴾ بفتح اللام».

٣ ـ نظراتٌ في استشهاد الجِبْلِّي بالقراءات:

يُمكن تدوينُ النظَرات التالية حول استشهاد الجِبْليِّ بالقراءات:

أولًا: أنــه كان يَذكُــر قراءةً صحيحةً دون أن يَذكُرَ أنها من الســبعة، ودونَ أن يذكر مَن قَرأ بها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ـ في قولــه تعالــى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾[٣]، قــال الجِبْلي[٤]: «وقُرِئ: ﴿عَلَى صَلاَتِهِمْ﴾».

ولم ينسُــبْها رَغْــم أنها قراءةُ حمزةَ والكِســائيِّ من الســبعة، وقــراءةُ خَلَف والأعمش أيضًا[٥].

ثانيــًا: أنه كان يقول في توجيهــه لكلمةٍ ما: «يجوزُ الرَّفــع» مثلًا، أو: «يجوز الخَفْض»، ونحوَ ذلك، ولكنه ينبِّه على أنّ هذا يجوزُ في غير القرآن، ومن أمثلةِ ذلك ما يلي:

١ ـ فــي قولــه تعالــى: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[٦]، قــال

---

(١) الطور ٢١.
(٢) البستان ٣/ ١٩٢.
(٣) المؤمنون ٩.
(٤) البستان ١/ ٢٦٩.
(٥) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص ٤٤٤، إتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطي ٢/ ٢٨٢.
(٦) القصص ٨٨.

الجِبْلي[١]: «ونصبُ الوَجْه: على الاستثناء، ويجوزُ في الكلام الرَّفعُ على معنى الصِّفة، كأنه قال: غيرُ وجهِه».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «ولو كان في غير القرآن لَجاز النَّصبُ على المصدر».

ثالثًا: أنه كان يقولُ في توجيهه لكلمةٍ ما: «ويجوز الرفع... » مثلًا، أو «يجوز الخَفْض... » ونحوَ ذلك، دون أن ينبِّه على أنّ هذا إنّما يجوزُ في غير القرآن، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «و﴿بَصَآئِرَ﴾: منصوبٌ على الحال، و﴿هُدًى وَرَحْمةً﴾: عطفٌ عليه، ويجوزُ الرَّفع بمعنى: وهو هُدًى ـ يعني: الكتابَ ـ ورحمةٌ لمن آمن به من العذاب».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: ﴿وهو﴾: نصبٌ على المصدر، قال الزَّجّاج[٨]: ويجوز: «﴿وَعْدُ اللهِ﴾ بالرفع، بمعنى: ذلك وعدُ الله».

---

(١) البستان ١/ ٥١٧.
(٢) الصافات ١٨١.
(٣) البستان ٢/ ٢٨٩.
(٤) القصص ٤٣.
(٥) البستان ١/ ٤٩٦.
(٦) الروم ٦.
(٧) البستان ٢/ ٣٠.
(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧٧، ١٧٨.

رابعًا: وقد يُجَوِّزُ وَجْهًا أو أكثرَ في كلمةٍ ما، بدون أن يَذكُر أنه قد قُرِئ به في الشّواذِّ، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ أنه قال[1]: «قولُه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[2] بالخَفْض: نعتٌ لـ﴿ذِكْرٍ﴾، وأجاز الكِسائيُّ[3] والفَرّاء[4]: ﴿مُحْدَثًا﴾ يعني: ما يأتيهم مُحدَثًا، وأجاز الفَرّاء[5] ـ أيضًا ـ رَفْعَ ﴿مُّحْدَثٍ﴾ على تأويل: ﴿ذِكْرٌ﴾؛ لأنك لو حذفتَ ﴿مِنْ﴾ رفعتَ ذِكْرًا».

ولم يذكُر أنه قُرِئَ بالنَّصب والرَّفع، فقد قَرأ بالنَّصب زيدُ بنُ عليٍّ، وقرأ بالرَّفع إبراهيمُ بن أَبِي عَبْلة[6].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[7]، قال الجِبْلي[8]: «ويجوز الرفعُ، بمعنى: قُلُوبُهُم لاَهِيةٌ، أو يكون خبرًا بعدَ خبر، أو على إضمارِ مبتدأٍ».

وقد قرأ بالرَّفع إبراهيمُ بن أَبِي عَبْلة وعيسى بن عُمر وعِكرمةُ وسعيدُ بن جُبَير[9].

---

(١) البستان ١/ ١٧٨.
(٢) الأنبياء ٢.
(٣) ينظر رأي الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١.
(٤) معاني القرآن ٢/ ١٩٧.
(٥) ينظر: معانِي القرآن ٢/ ١٩٧، ١٩٨.
(٦) الكشاف ٢/ ٥٦٢، البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.
(٧) الأنبياء ٣.
(٨) البستان ١/ ١٨٠.
(٩) ينظر: زاد المسير ٥/ ٣٤٠، مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٤١، البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾(١)، قال الجِبْلي(٢): «ونَصْبُ ﴿ءَاخِذِينَ﴾ على الحال، ويجوز رفعُه في غير القرآن على خبر ﴿إِنَّ﴾».

وقد قرأ ابنُ أَبِي عَبْلَةَ واليمانِيُّ بالرَّفع(٣).

خامسًا: وقد يُجَوِّزُ وَجْهًا أو أكثَر في كلمةٍ ما، رَغْم أنه لم يُقرَأْ بهذا الوَجْه، ودون أن ينبِّه على أنّ هذا إنما يجوزُ في غير القرآن، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾(٤)، قال الجِبْلي(٥): «وهو خبرُ ﴿إِنَّ﴾، ويجوز النَّصبُ على الحال، ويكونُ الخبر: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾».

وما أجازه الجِبْليُّ هنا لم يقرَأْ به أحدٌ، كما قد يُوهِمُ به كلامُه، وهو في هذا متابِعٌ للنَّحاسِ(٦).

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾(٧)، قال الجبلي(٨): «مبتدأٌ وخبرٌ، وأجاز أبو إسحاقَ(٩) نصبَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ بمعنى: أُحِقُّ الحقَّ، أو: أعنِي الحقَّ».

---

(١) الذاريات ١٥، ١٦.
(٢) البستان ٣/ ١٦٦.
(٣) ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٢٩، عين المعانِي للسجاوندي ورقة ١٢٦/ ب.
(٤) النور ١١.
(٥) البستان ١/ ٣١٣.
(٦) ينظر: إعراب القرآن ٣/ ١٣٠.
(٧) الفرقان ٢٦.
(٨) البستان ١/ ٣٧٥.
(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٥.

ولـم يذكُر الجِبليُّ بقيّة كلام الزَّجّاج، فقد قال الزَّجّاج[١]: «ولم يُقْرَأْ بها، فلا تَقْرَأَنَّ بها».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «و﴿يَوْمَ﴾: منصوبٌ على الظرف، وأجاز الفَرّاءُ رفعَه[٤]».

سادسًا: أنّ الجِبْليَّ ربما نَسَب قراءةً إلى غير مَن قَرأَ بها، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾[٥]، قال الجِبْليُّ[٦]: «قرأ قَتادةُ ومجاهدٌ وابنُ سِيرِينَ وعَوْنٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ وأبو جعفرٍ ونافعٌ والأعمشُ وحمزةُ وأيوبُ بإسكانِ الياء، على أنه: اسمٌ موصوفٌ بالفعل، تقول: عَلاَهُمْ مِنْ عالِيهِمْ».

وقد قرأ قَتادةُ ومجاهدٌ وابنُ سِيرِينَ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على أنه حرفُ جَرٍّ، لا كما ذكر المؤلِّف[٧].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[٨]، قال الجِبْلي[٩]: «قرَأَه

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٥.
(٢) السجدة ٢٩.
(٣) البستان ٢/ ٩٢.
(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٣.
(٥) الإنسان ٢١.
(٦) البستان ٤/ ٢١٥.
(٧) ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٥، البحر المحيط ٨/ ٣٩١.
(٨) المعارج ٤٣.
(٩) البستان ٤/ ٧٨.

العامّةُ: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتح الياء وضمِّ الراء، وقَرأَ عاصمٌ الجَحْدَرِيُّ بضمِّ الياء وفتح الراء».

وهذه ليست قراءةَ عاصمٍ الجَحْدَرِيِّ، وإنما هي قراءةُ عاصم بن أبي النَّجُود في رواية كلٍّ من الأعشى وأَبي بكرٍ عنه، وهي أيضًا قراءةُ عَلِيِّ بن أَبي طالبٍ والأعمش والسُّلَمِيِّ(١).

ثانيًا: موقفُ الجِبْلِيِّ من الاستشهاد بالحديث:

إذا نظرنا في «البستان» وجدنا أنّ الجِبْلِيَّ استشهَد بالحديث النَّبويِّ بصورةٍ كبيرة، ولكنّ هذا الاستشهادَ بهذه الأحاديث ينقسم قسمَيْن:

الأول: أحاديثُ أوردها الجِبْلِيُّ في فضائل السُّور، أو في تفسير الآيات، أو في بيانِ أسبابِ النزولِ، أو في بيانِ حُكْمٍ فِقْهِيٍّ ونحوِ ذلك، وهذه الأحاديث كثيرةٌ جدًّا، والأمثلة عليها أكثرُ من أن تُحصَى.

الثاني: أحاديثُ أوردها الجِبْلِيُّ للاستشهاد بها على حُكمٍ نَحْويٍّ، أو معنًى لُغَوِيٍّ، وهذه الأحاديث قليلةٌ بالنسبة للقسم الأول، ومن أمثلتها:

١ ـ ما ذكره الجِبْلي في شرحه لمعنى التقدير في قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾(٢)، فقد قال حاكيًا عن أبي عُمرَ الزاهد(٣): «يقال: قَدَرَ اللهُ لك الخيرَ، يَقْدِرُهُ قَدْرًا، المعنى: قَدَّرَهُ، ومنه الخبر في هلال رمضان: «فإنْ غُمَّ عليكُم فاقْدُرُوا لهُ»؛ أي: قدِّرُوا له».

---

(١) ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٦، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠.

(٢) الأنبياء ٨٧.

(٣) البستان ١/ ٢٠٢.

٢ ـ وفي قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «والهَوْنُ في اللغة: الرِّفق واللِّين، ومنه قوله ﷺ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا ما، عسى أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما، وأَبْغِضْ بغيضَكَ هَوْنًا ما، عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «قرأ العامّة: ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بكسر الكاف، وقرأ حُمَيدٌ الأعرج ويعقوبُ بضمِّ الكاف، قال أبو عَمْرِو بنُ العلاء: هو خطأ؛ لأنّ الكُبْر بالضمِّ في الوَلاَءِ والسِّنِّ، ومنه الحديث: «الولاء للكُبْر»، وهو: أَقْعَدُ وَلَدِ الرَّجُلِ من الذكور وأقربُهم إليه نسبًا».

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «قال الزَّجّاج[٧]: من لم يصرِفْ فلأنّه اسمُ مدينة تُعرَف بِمَأْرِبَ: من اليمن، بينها وبين صنعاءَ مسيرةُ ثلاثة أيام، ومَن صَرَف فلأنّه اسمُ البلد، فيكون مذكَّرًا سُمِّي به مذكَّر. ورُوِيَ في الحديث، أنّ النبيَّ ﷺ سئل عن سَبَأٍ فقال: «كان رجلًا له عشرةٌ من البنين».

٥ ـ في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[٨]، قال الجِبْلي[٩]: «وأصلُ المَرَجِ:

(١) الفرقان ٦٣.
(٢) البستان ١/ ٣٩١.
(٣) النور ١١.
(٤) البستان ١/ ٣١٣.
(٥) النمل ٢٢.
(٦) البستان ١/ ٤٥٠.
(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٤.
(٨) سورة ق ٥.
(٩) البستان ٣/ ١٤٠.

الاضْطِرابُ والقَلَقُ، يقال: مَرَجَ أمْرُ النّاسِ، ومَرَجَ الدِّينُ، ومَرَجَ الخاتَمُ في إِصْبَعِي، أي: قَلِقَ من الهُزالِ، وفي الحديث: «مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وأماناتُهُمْ».

٦ ـ في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾(١)، قال الجِبْلي(٢): «وقرأ النَّخعِيُّ والشَّعْبِيُّ: ﴿فَلاَ تَكْهَرْ﴾ بالكاف، وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود، والكَهْرُ في اللغة: القَهْرُ والانْتِهارُ، والكَهْرُ: عُبُوسُ الوَجْهِ والشَّتْمُ، والعربُ تُعاقِبُ بَيْنَ الكاف والقاف، يَدُلُّ عليه حديثُ مُعاوِيةَ بنِ الحَكَمِ الذي تكلَّم في الصلاة: «واللهِ ما كَهَرَنِي ولاَ ضَرَبَنِي»، يعني: رسولَ الله ﷺ ».

ثالثًا: موقفُ الجِبْليِّ من الاستشهاد بكلام العرب

وكلام العرب نَثرٌ وشعر، وسأتكلَّم هنا عن موقفِ الجِبْليِّ من الاستشهاد بالأمثال والشِّعر:

أولًا ـ استشهاد الجِبْليِّ بالأمثال والأقوال:

الأمثال التي استشهَد بها الجِبْلي تنقسم إلى ثلاثةِ أقسام:

الأول: ما استشهَد به على شرح معنًى لُغَوِيٍّ، ومن أمثلته عنده ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾(٣)، قال الجِبْلي(٤): «أي: لم يَقْرُبْ من أن يراها من شدّة الظُّلُمات، قال الفَرّاء(٥): «كاد» صلةٌ، أي: لم يرَها، كما

---

(١) الضحى ٩.
(٢) البستان ٤/ ٤٦٨.
(٣) النور ٤٠.
(٤) البستان ١/ ٣٤٣.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٥٥.

تقـول: ما كِدت أعرِفُه، وقال المبرّد[١]: لم يرَهـا إلّا بعد الجَهد، كما يقول القائل: مـا كدتُ أراكَ من الظلمة، وقد رآه ولكنْ بعد بأسٍ وشـدة، وقيل: معناه: قَرُبَ من الرؤية ولم يَرَ، كما يقال: كاد العروسُ يكونُ أميرًا، وكاد النعام يطير».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «وقال ابنُ عبّاس: يريد النَّوْمَ والماءَ، وكذلك قال ثَعْلَبٌ[٤]: البَرْدُ هاهنا: النَّوْمُ، ومن أمثال العرب: «مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ» يعني: النَّوْمَ؛ أي: أصابني من البَرْدِ ما منعني من النوم».

٣ ـ في قوله تعالـى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «والطَّبَقُ في اللغة هو: الحال، والعرب تقولُ لِمَن وقع في أمرٍ شديدٍ: وَقَعَ في بَناتِ طَبَقٍ».

الثاني: ما استشهَد به على حُكمٍ نَحويٍّ، كاستشهاده على أنّ الألفَ واللام في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا﴾[٧] للجنس، فقد قال الجِبْلي[٨]: «والكافر هاهنا: اسمٌ للجنس، ولهذا عُرِّفَ بالألف واللام، تقول العرب: أَهْلَكَ النّاسَ الدِّينارُ والدِّرْهَمُ، ويريدون به الجِنْسَ».

الثالث: ما استشهد به على تفسيرِ آيةٍ، ومن أمثلته عنده:

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٩٥.
(٢) النبأ ٢٤.
(٣) البستان ٤/ ٢٥٥.
(٤) ينظر قوله في الأضداد لابن الأنباري ص ٦٤، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٩٧.
(٥) الانشقاق ١٩.
(٦) البستان ٤/ ٣٦٢.
(٧) النبأ ٤٠.
(٨) البستان ٤/ ٢٦٥.

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾[١]، قال الجِبْليّ[٢]: «أي: وفرَّقْناهُم في كلِّ وجه من البلاد كُلَّ التفريق، وذلك أنّ الله تعالى لَمّا أغرق مكانَهم، وأَذْهَبَ جَنَّتَيْهِم، تَبَدَّدُوا في البلاد، فصارت العربُ تتمثَّل بهم في الفُرْقةِ، فيقولون: تفرَّقوا أَيْدِيَ سَبَأ، وأَيادِي سَبَأ».

ويُلاحَظُ في هذا المثل اهتمامُ الجِبْلي بذكرِ اختلاف رواية المثل.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «وقيل: أراد بالنَّجم هاهنا: الثُّرَيّا إذا سَقَطَتْ وغابَتْ، والعرب تُسمِّي الثُّرَيّا نَجْمًا وإن كانت في العدد سَبْعَةَ أَنْجُمٍ، فسِتّةٌ منها ظاهرةٌ، وواحدٌ منها خَفِيٌّ يَمْتَحِنُ الناسُ به أبصارَهُم، ومنه قول العرب:

طَلَعَ النَّجْمُ عِشاءَ ابْتَغَى الرّاعِي كِساءَ».

ثانيًا ـ استشهاد الجِبْليّ بالشعر:

اهتمَّ الجِبْلي بالشِّعر اهتمامًا كبيرًا، فقد استشهَد به في ستِّمائةٍ واثنَيْ عشَرَ موضعًا، تكرر الاستشهاد في ثلاثين موضعًا منها، وبلغ عدد الأبيات المستشهَد بها في هذه المواضع السِّتّمائة والاثْنَتَيْ عَشْرةَ: سبعَمائةٍ وسبعةً وستينَ بيتًا، بِعَدِّ الشطر من الرَّجَز المشطور بيتًا، وهذه الأبيات تكرَّر منها أربعةٌ وثلاثون بيتًا، وبلغ عددُ أبيات الرَّجَز في هذه الشواهد مائةً وستةً وخمسين بيتًا، وأمّا أبياتُ الشِّعر فبلغت ستَّمائةٍ وأحدَ عشَرَ بيتًا.

---

(١) سبأ ١٩.
(٢) البستان ٢/ ١٦٩.
(٣) النجم ١.
(٤) البستان ٣/ ٢٠٠.

وقد رَقَّمْتُ كُلَّ موضعٍ من مواضعِ الاستشهاد برقمٍ واحدٍ، حتى وإن اشتمل على أكثرَ من بيت، وأما الأبيات المكرَّرة فلم أُعِدْ ترقيمها مرةً أخرى، بل اكتفيتُ بالإشارة إلى أنّ هذا الشاهدَ قد تقدَّم برقم كذا في صفحة كذا.

وهذه الأشعار تنقسم قسمَيْن:

الأول: أشعارٌ في الزُّهد والحِكمة ونحوِهما، فقد أورد الجِبْلي عدّةَ أبياتٍ ومقطوعات في الزّهد والحكمة ونحوهما في كتابه، وهذه الأبيات لا ينطبق عليها ما اشترطه العلماءُ من شروط الاستشهاد[١].

والثاني: شواهدُ لُغَويّةٌ ونَحْويّة، وهذا هو الغالبُ على استشهاده بالشِّعر في الكتاب، وهذه الشواهدُ كلُّها لشعراءَ يُحْتَجُّ بشعرهم، ولكنّه استشهد ببيتَيْنِ للمتنبي ـ وهو لا يُحْتَجُّ بشعره ـ في موضعَيْنِ على معنيَيْنِ لُغويِّيْنِ:

ـ الأول: استشهاده على معنى السَّبْحِ ببيتَيْنِ أحدهما للمتنبي، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «وأصل السَّبْحِ سُرعةُ الذَّهابِ، ومنه السباحة في الماء لِتَقَلُّبِ السّابحِ بِيَدَيْهِ ورِجلَيْهِ، وفَرَسٌ سابِحٌ: إذا كان شَدِيدَ الجَرْيِ، قال الشاعر:

أَباحُوا لكُمْ شَرْقَ البِلادِ وغَرْبَها ... ففِيها كُم يا صاحِ! سَبْحٌ منَ السَّبْحِ

وقال آخَر:

أَعَزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرْجُ سابِحٍ ... وخَيْرُ جَلِيسٍ في الزَّمانِ كِتابُ».

---

(١) ومن أمثلة شعر الزهد والحكمة ونحوهما عنده ما ورد في البستان ص ٢/ ٧٢، ٣/ ٧٨، ٣/ ١٧٣، ١٧٧، ٤/ ٤٨٢، ٥/ ٢٧.

(٢) المزمل ٧.

(٣) البستان ٤/ ١٢٤.

وهذا البيت الثانِي للمتنبي.

ـ والثانِـي: في قوله تعالــى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[(١)]، فقد قــال الجِبْلي[(٢)]: «وقيل: معنى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ تَهْدِيدٌ، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[(٣)]؛ أي: جَزاؤُكُم في الآخرة، فَأَخْرَجَ الكلامَ مُخْرَجَ اللِّينِ في الحُسْــنِ للأعمالِ رَجاءَ أن يُنْصِفُوا عند اللُّطْفِ، كما قال الشاعر:

فمَن وَجَدَ الإحسانَ قَيْدًا تَقَيَّدا».

وهذا الشَّطر الذي استأنَس به الجِبْلي إنّما هو عَجُزُ بَيْتٍ لأبِي الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي، وصدره:

وقَيَّدْتُ نَفْسِي في ذَراكَ مَحَبّةً».

ـ نظراتٌ في استشهاد الجِبْليِّ بالشعر:

يُلاحَظ على الجِبْليِّ عدةُ أمورٍ في استشهاده بالشعر، ومن هذه الأمور:

١ ـ تَـكرار بعض الشواهد: بعضُ الشواهد كرَّره الجِبْلي في موضعَيْنِ، وبعضها كرَّره في ثلاثة مواضعَ، وبعضُها كرَّره في أربعة مواضع.

ـ فمن الشواهد التي تكرَّرت مرتَيْنِ، واستشهَد به على الوَجْه نفسِه، قولُ الراجز:

جاؤُوا بِصَيْدٍ عَجَبٍ منَ العَجَبْ
أُزَيْـرِقِ العَيْنَيْــنِ طُــوّالِ الذَّنَبْ

---

(١) الكافرون ٦.

(٢) البستان ٥/ ٩٨.

(٣) فصلت ٤٠.

استشــهَد به الجِبْلي على قراءة أبِي عبد الرحمن السُّــلَمي وعيســى بن عُمر: ﴿عُجّابٌ﴾[١] بالتشديد، ثم استشهَد بالبيت الثانِي على الوجه نفسِه في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا﴾[٢].

ـ قولُ الشاعر:

إذا قَصُـرَتْ أَسـيافُنا كان طُولُهـا خُطانـا إلـى أَعْدائِنـا فنُضـارِبِ

استشــهَد به الجِبْلي مرتَيْنِ على وجهٍ واحد، وهو أن الجَزْم بـ«إذا» إنّما يجوز في الشِّعر للضرورة[٣].

ـ قولُ الراجز:

نَحنُ بَنُـو جَعْدةَ أربـابُ الفَلَجْ
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ ونرجُو بِالفَرَجْ

استشهَد به الجِبْليُّ مرتَيْنِ على وجهٍ واحد، وهو زيادةُ الباء[٤].

ـ قولُ ذي الرُّمّة:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ في رَوْنَقِ الضُّحى وصُورتِهـا، أو أنـتِ في العَيْـنِ أَمْلَحُ

استشهَد به الجِبْلي مرتَيْنِ على مجيء «أو» بمعنى: «بل»[٥].

---

(١) ص ٥، وينظر: البستان ٢/ ٣٠١.
(٢) نوح ٢٢، وينظر: البستان ٤/ ٩٠.
(٣) ينظر: البستان ٢/ ١٥١.
(٤) ينظر: البستان ٤/ ١٢.
(٥) ينظر: البستان ٢/ ٢٨٤، ٤٧٦.

ـ قولُ ذي الرُّمّة:

حَتَّى إذا ما أَضاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ   وغُـودِرَ البَقْـلُ مَلْـوِيٌّ ومحصُودُ

استشهَد به الجِبْلي مرتَيْن، الأولى: في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾[1]، والثانية: في قوله تعالى: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾[2]، فقد قال[3]: «وزعم الفَرّاء[4] أنه يجوز: ﴿مُحَلِّقُونَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرُونَ﴾ يعني: بعضُكُم كذا وبعضُكُم كذا».

وأَنْشَدَ البيتَ السابقَ على أنّ التقدير: منه مَلْوِيٌّ ومنه محصودٌ.

ـ قولُ كُثَيِّرِ عَزّةَ:

لِـمَـيّـةَ مُـوحِـشًـا طَـلَـلُ   يَـلُـوحُ كـأَنَّـهُ خِـلَـلُ

استشهَد به الجِبْلي مرتَيْنِ على وجهٍ واحد، وهو أنّ نعتَ النُّكرة إذا تقدَّم عليها أُعْرِبَ حالًا[5].

ـ ومما استشهَد به مرتَيْنِ، ولكنْ على وجهَيْنِ مختلفَيْن قولُ النابغة:

يـا دارَ مَـيّـةَ بِـالعَلْيـاءِ فالسَّـنَدِ   أَقْـوَتْ وطالَ عَليها سـالِفُ الأَبَدِ

فقد استشهَد به على الالتفاتِ من الخطاب إلى الغَيْبة في قوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ

---

(١) ص ٥٧، ينظر: البستان ٢/ ٣٢٦.

(٢) الفتح ٢٧.

(٣) البستان ٣/ ١٠٥.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٦٨.

(٥) ينظر: البستان ٥/ ١٣٤.

إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾[١]، والثانيــة فــي قوله تعالى: ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[٢] على أن «المُقْوِينَ» بمعنى: المسافرين.

ـ وقولُ الشاعر:

أســتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًــا لســتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبــادِ إليــهِ الوَجْــهُ والعَمَلُ

فقد استشهَد به مرتَيْنِ، الأولى: على أنّ الوجهَ في قوله تعالى: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٣] معناه: العَمَلُ، والثانية: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[٤] على أنه ممّا حُذِفَ منه حَرْفُ الجرِّ، وتعَدَّى إليه الفعلُ بنفسه.

ـ قولُ حَسّانَ بن ثابت:

هَجَوْتُــكَ فاخْتَضَعْــتَ لهــا بِذُلٍّ بِـقـافِـيـةٍ تَـأَجَّــجُ كـالـشُّــواظِ

رواه الجِبْلي بهذه الرواية شــاهدًا على أنّ الشُّــواظَ هو اللَّهَبُ الذي لا دُخانَ فيه[٥]، ثم استشــهَد به مــرةً أخرى بروايةٍ مختلفة قليلًا على معنــى الهَمْزِ[٦]، وهذه الرواية هي:

هَمَزْتُــكَ فاخْتَضَعْتَ بِــذُلِّ نَفْسٍ بِـقـافِـيـةٍ تَــأَجَّــجُ كـالـشُّــواظِ

ـ وأمّا ما تكرَّر ثلاثَ مرات: فهو قول علقمةَ بن عَبَدةَ:

فــإنْ تَســألوني بالنِّســاءِ فــإنَّنــي بَـصِيــرٌ بِــأدواءِ الـنِّســاءِ طَـبيــبُ

(١) الحجرات ٧، وينظر: البستان ٣/ ١١٨.
(٢) الواقعة ٧٣، وينظر: البستان ٣/ ٣١٣.
(٣) القصص ٦٨، وينظر: البستان ١/ ٥١٧.
(٤) سورة المطففين ٣، ينظر: البستان ٤/ ٣٣٥.
(٥) البستان ٣/ ٢٦٧.
(٦) البستان ٥/ ٥٨.

استشهَد به الجِبْليُّ ثلاثَ مراتٍ على شاهدٍ واحد، وهو مَجِيءُ «الباء» بمعنى «عن»[١].

ـ وأمّا ما تكرَّر أربعَ مرات: فهو قولُ الشاعر:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فقَد تَرَكتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

فقد استشهَد به الجِبْليُّ أربعَ مراتٍ على حذف الباءِ من «الخير»، وتَعَدِّي الفعلِ إليه بنفسه[٢].

٢ ـ اهتمامه بإيراد الرِّوايات المختلفة للشواهد الشِّعرية: كان الجِبْلي يهتمُّ أحيانًا بذكر الرِّوايات المختلفة للشاهد الشِّعري الذي يُنشده، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ ـ قال الجِبْلي[٣]: «والجزم بـ«إذا» ـ وإن جاء في الشعر ضرورةً ـ لا يُحْمَلُ عليه القرآنُ، ورواية الجزم في الشِّعر كما قال:

إذا قَصُرَتْ أسيافُنا كان طُولُها خُطانا إلى أعدائِنا فنُضارِبِ

وخَطَّأَهُ المغرِبيُّ؛ لأنّ القصيدةَ مرفوعةُ القوافي، وفيها:

وقدْ عِشْتُ دَهْرًا والغُواةُ صَحابتِي أُولَئِكَ خُلْصانِي الَّذِينَ أُصاحِبُ

وفيها:

فلِلْمالِ عِنْدِي اليَوْمَ راعٍ وكاسِبُ»

---

(١) ينظر: البستان ١/ ٣٨٧.

(٢) ينظر: البستان ١/ ٢٢.

(٣) البستان ٢/ ١٥١.

ب ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «فإنْ قيل: «بَيْنَ» لا يقعُ إلّا لاثنَيْن فصاعدًا، فكيف جاء «بَيْنَهُ»؟ فالجوابُ: أنّ «بَيْنَهُ» هاهنا لجماعة السَّحاب، كما تقول: الشجر حَسَنٌ وقد جلستُ بينَه. وفيه جوابٌ آخَر، وهو: أن يكونَ السّحابُ واحدًا، فجاز أن يقال: «بَيْنَهُ»؛ لأنه مشتملٌ على قِطَعٍ كثيرة، كما قال الشاعر:

بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

فأوقع «بَيْنًا» على الدَّخُولِ ـ وهو واحدٌ ـ لاشتماله على مواضعَ، هذا قولُ النَّحْوِيِّين إلّا الأصمعيَّ، فإنه زَعَم أن هذا لا يجوز، وكان يرويه:

.... بَيْنَ الدَّخُولِ وحَوْمَلِ

جـ ـ وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «قرأ أهل المدينة والشّام وأيوبُ بفتح الفاء؛ أي: مُنَفَّرةٌ مذعُورةٌ، وقرأ الآخَرون بالكسر؛ أي: نافِرةٌ، يقال: نَفَرَتْ واسْتَنْفَرَتْ بِمَعْنًى واحِدٍ، وأنشد الفَرّاءُ:

أَمْسِكْ حِمارَكَ إنَّهُ مُسْتَنْفَرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرةٍ عَمَدْنَ لِقُرَّبِ

والقَرَبُ: طَلَبُ الماءِ، والقارِبُ: هو الطّالِبُ، ويروى:

فِي إِثْرِ أَحْمِرةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ

---

(١) النور ٤٣.
(٢) البستان ١/ ٣٤٥.
(٣) المدثر ٥٠.
(٤) البستان ٤/ ١٦٠.

و«غُرَّبٌ»: اسم جَبَلٍ، ذكره صاحب ديوان الأدب»(١).

٣ـ معانِـي الأبيات: اهتم الجِبْلي فـي بعض المواضع بتوضيح معانِي ألفاظ الشاهد الذي ينشده، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ ـ أنشد الجِبْليُّ قولَ الشاعر(٢):

وكُنّـا إذا الجَبّـارُ صَعَّـرَ خَـدَّهُ   ضَرَبْناهُ تَحْتَ الأُنْثَيَيْنِ على الكَرْدِ

ثم قال(٣): «أي: العُنق، والأُنْثَيان: الأُذُنان».

ب ـ أنشد الجِبْلي قول خِداش بن زُهير(٤):

ونَرْكَـبُ خَيْـلًا لا هَـوادةَ بَيْنَهـا   وتَشْقَى الرِّماحُ بِالضَّياطِرةِ الحُمْرِ

ثم قـال(٥): «الضَّياطِرة: جمع ضَيْطَـرٍ، وهو الرجلُ الضَّخـم اللئيم، ومثلُه: الضَّوْطَر، ويقال: ضَيْطار أيضًا بالألف، على فَيْعالٍ، ذكره صاحب الضِّياء»(٦).

جـ ـ أنشد الجِبْلي قول ابن مُقبِل:

باتَتْ حَواطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْـنَ لها   جَزْلَ الْجِـذا غَيرَ خَـوّارٍ ولا دَعِرِ

ثم قال(٧): «الخَوّار: الذي يَتَقَصَّفُ، والدَّعِرُ: الذي فيه ثُقب».

---

(١) ١/ ٣٢٣.

(٢) البستان ١/ ٦١.

(٣) البستان ١/ ٦١.

(٤) البستان ١/ ٥١١.

(٥) البستان ١/ ٥١١.

(٦) يعني: صاحب ضياء الحلوم، ينظر: شمس العلوم ٦/ ٣٩٦٧.

(٧) البستان ١/ ٤٩٠.

ـ مآخذُ على استشهاد الجِبْلي بالشِّعر:

١ ـ قال الجِبْلي[1]: «وقال الراجز:

لَعَمْـرُكَ إنَّ الزِّبْرِقـانَ لَبـاذِلٌ ... لِمَعْرُوفِهِ عِنْدَ السِّنِينَ وأفْضَلُ».

والبيتُ من الطويل، وليس من الرَّجَز.

٢ ـ استشهد الجِبْلي ـ على أنّ اللهوَّ في قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾[2] معناه: الجماع ـ بقول امرئ القَيْس[3]:

أَلا زَعَمَـتْ بَسْباسَـةُ اليـومَ أَنَّنِي ... كَبِرْتُ وأَنْ لا يُحْسِنُ السِّرَّ أمثالِي

وهذه الروايةُ التي أنشَد البيتَ عليها لا شاهدَ فيها، وروايةُ ديوانِ امرئ القيس: «أَلّا يُحْسِـنُ اللَّهْوَ» فكان حَرِيًّا به أن يستشـهِدَ بهذه الرواية؛ لأنه يستشهِد على لفظ اللَّهو لا على لفظِ السِّرِّ.

٣ ـ أنشد بيتًا مكسورَ الوزن، وهو قولُ دُريدِ بن الصِّمّة[4]:

كَمِيشُ الإزارِ، خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ ... صَبُـورٌ على الجُلَّى، طَـلاَّعُ أَنْجُدِ

وروايةُ ديوانـه: «صَبُورٌ على العَزّاءِ»، وعلى رواية «الجُلَّى» بالقصر ينكسـر الوزن، وقد رواه ابنُ قُتيبة: «على الجَلّاءِ» بالمد، وبها يستقيم وزن البيت.

---

(١) البستان ٢/ ٤٠.

(٢) الأنبياء ١٧.

(٣) البستان ١/ ١٨٤.

(٤) البستان ٤/ ٢٦.

٤ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «يُقال: طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقًا: إذا زارَ لَيْلًا، قال ابنُ الرُّومِيِّ:

يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بأَوَّلِهِ إنَّ الحَوادِثَ قد يَطْرُقْنَ أَسْحارا
لاَ تَفْرَحَنَّ بِلَيْلٍ طابَ أَوَّلُهُ فرُبَّ آخِرِ لَيْلٍ أَجَّجَ النّارا».

والبيتانِ ليسا لابن الرُّومي، ولا هما في ديوانه، وإنّما هما لِمُحَمَّدِ بن حازم ابن عَمْرٍو الباهِلِيِّ.

المطلب الثاني: موقفُ الجِبْلي من القياس:

القياسُ عليه مدارُ علم النَّحو؛ لأنّ النَّحوَ كلُّه قياس، وقد استعمَل البصريُّون والكوفيُّون القياسَ في استنباطهم للأحكام وتعليلهم لها، وكان البصريُّون أكثرَ تحفُّظًا من الكوفيِّين فيما يقيسون عليه، وفيمن يأخُذون عنه اللغة[٣].

وأركانُ القياس ـ كما ذَكَر العلماء ـ أربعةٌ: أصلٌ، وهو المَقِيسُ عليه، وفَرْعٌ وهو المَقِيس، وحُكْمٌ، وعِلّةٌ جامعةٌ، ولكلِّ واحدٍ منها شروطٌ ذكروها[٤].

أمّا أقسامُ القياس فقد ذكرها السُّيوطي، فقال[٥]: «حَمْلُ فَرْعٍ على أَصْلٍ، وحَمْلُ أَصْلٍ على فَرْعٍ، وحَمْلُ نَظِيرٍ على نَظِيرٍ، وحَمْلُ ضِدٍّ على ضِدٍّ».

---

(١) الطارق ١.
(٢) البستان ٤/ ٣٧٦.
(٣) ينظر: مدرسة الكوفة للدكتور مهدي المخزومي ص ١١٦، ٣١٧، أثر القرآن والقراءات في النحو العربي للدكتور محمد سمير نجيب اللبدي ص ٤٥.
(٤) ينظر: لُمَعُ الأدلة للأنباري ص ٩٣، الاقتراح للسيوطي ص ١٥٤، في أصول النحو للأفغاني ص ١٠٨.
(٥) الاقتراح ص ١٦٠.

- **القياسُ عند الجِبْلي:**

إذا نظرنا في «البستان» وجَدْنا أنّ الجِبْليَّ استخدم القياسَ بأقسامه بصورةٍ واضحة في الأحكامِ النَّحويّةِ والأوجُهِ الإعرابيّةِ التي ذكرها، ومن أنواع القياس التي وَرَدت عنده:

أ - حَمْلُ الفَرْع على الأصل، ومن أمثلته عنده:

١ - صرفُ الممنوع من الصَّرف: ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وفيه وجهان، أحدُهما: أَنَّ مِن العرب مَن يَصْرِفُ جَمِيعَ ما لا ينصرف، وهو لغةُ الشعراء؛ لأنهم اضْطُرُّوا إليه في الشِّعْرِ فصَرَفُوهُ، فجَرَتْ على ألسنتهم كذلك، والوجه الآخَر: أنّ هذا الجمعَ أَشْبَهَ الآحادَ؛ لأنهم قالوا: «صَواحِباتُ يُوسُفَ».

٢ - إعلالُ المصدر لإعلال فعله: ففي قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «وظهرت الواو في قوله: ﴿لِوَاذًا﴾ على معنى: لاَوَذْتُ لِواذًا، يقال: لاَوَذَ فُلاَنٌ بِفَلاَنٍ يُلاوِذُ مُلاَوَذةً ولِواذًا، ولو كان مصدرًا لـ«لُذْتُ» لَقال: لِياذًا، مثلَ: القِيامِ والصِّيام، ويُقال أيضًا: لاَذَ يَلُوذُ لِواذًا ولِياذًا بقلبِ الواو ياءً».

ب - حَمْلُ الأصل على الفَرْع: ومن صُوَره عنده:

---

(١) الإنسان ٤.

(٢) البستان ٤/ ١٩٨.

(٣) النور ٦٣.

(٤) البستان ١/ ٣٥٩.

١ ـ في قولـه تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾[(١)]، قال الجِبْلـي[(٢)]: «و«لا» بمعنى «ليسَ»، وهو: خَبَرٌ، وليس بِنَهْيٍ، إذْ لا يَجُوزُ أن يُنْهَى الإنسانُ عن النِّسيانِ؛ لأنه ليس باختياره، وقال صاحب إنسانِ العَيْن: هو نَهْيٌ، وإثباتُ الأَلِفِ كقول الراجز:

إذا العَجُوزُ غَضِبَتْ فطَلِّقْ
ولاَ تَـرَضّـاهـا ولا تَـمَـلَّـقْ

والمعنى: لا تَنْسَ العملَ به».

والحركـة بعضُ الحرف، ومع ذلك حُمِل الحـرف عليها في الآية على هذا الرأي الذي حكاه الجِبْلي عن صاحب إنسان العَيْن، كما حُمل عليها في البيت.

٢ ـ حَمْـلُ الوَصْـلِ على الوقْـف: ففي قوله تعالـى: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[(٣)]، قـال الجِبْلي[(٤)]: «وأَسْـكَن الهمـزةَ فيهما قُنْبُلٌ، وقـرأ الباقونَ بالخفض والتنوين فيهما... ومن أَسْكَن الهمزةَ فعلى نيّة الوَقْف».

جـ ـ حَمْلُ النَّظِيرِ على النَّظِيرِ: ومن أمثلته عندَه:

١ ـ مـا ذَكَره في قوله تعالـى: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[(٥)]، فقد قال[(٦)]: «وأصل الـوِزْرِ: ما حَمَلْتَهُ، فسُـمِّيَ السـلاحُ وِزْرًا لأنه يُحْمَلُ... ولم يُسْـمَعْ لأَوْزارِ الحَرْبِ بِواحِدٍ، إلّا أنه على التأويل: وِزْرٌ». فهذا يعني أنه حَمَله على نظيرِه مثلَ حِمْلٍ وأحمال.

---

(١) الأعلى ٦.
(٢) البستان ٤/ ٣٩٣.
(٣) النمل ٢٢.
(٤) البستان ١/ ٤٥٠.
(٥) محمد ٤.
(٦) البستان ٣/ ٧٢.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «والحِجارةُ: جَمْـع حَجَرٍ، وليس بقياس، ولكنهم قالوه كما قالوا: جَمَـلٌ وجِمالةٌ وذَكَرٌ وذِكارةٌ، والقياس: أَحْجارٌ».

٣ ـ في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «وهو يكون مصدرًا واسْمًا، وقال البِيوَرْدِيُّ: الوِسْواسُ ـ بالكسر ـ المصدر، والوَسْواسُ ـ بالفتح ـ الاسم، على قياس الزِّلْزالِ والزَّلْزالِ».

المطلبُ الثالث: موقفُ الجِبْلي من الاجماع

المراد به: إجماعُ نُحاةِ البصرة والكوفة[٥]، وشرطُ هذا الإجماع ـ كما ذكر العلماء ـ ألا يخالف المنصوصَ ولا المَقِيسَ على المنصوص، فإذا خالفه لم يكن حجةً[٦].

وقد اسـتعمل الجِبْلي هذا الدّليلَ النَّحويَّ ـ أعني: الإجماع ـ في «البستان»، ورَدَّ به على مَن خالَفَ ما أَجْمَعَ عليه النَّحْويُّون، ومن أمثلتِه عنده ما يلي:

١ ـ في قوله تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[٧]، قـال الجِبْلي[٨]: «وفي موضع ﴿أَنَّهُۥ﴾ من الإعراب ثلاثةُ أقوال: يجوز أن يكون موضعُها

---

(١) التحريم ٦.
(٢) البستان ٣/ ١١٥.
(٣) الناس ٤.
(٤) البستان ٥/ ١٤٦.
(٥) ينظر: الاقتراح ص ١٤٦.
(٦) قاله ابن جني في الخصائص ١/ ١٩٠، ونقله عنه السيوطي في الاقتراح ص ١٤٦.
(٧) فصلت ٥٣.
(٨) البستان ٢/ ٤٢٠.

رفعًا على البدَل على الموضع، والموضع رفعٌ بإجماع النَّحْويِّين، ويجوز أن يكونَ موضعهــا خفضًا على اللفظ، ويجوز أن يكون موضعُها نصبًا بمعنى: لأنه على كلِّ شيءٍ شهيد».

فقوله: «والموضع رفعٌ بإجمــاع النَّحْويِّينَ» يعني: موضعَ قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾، فقد أجمع العلماء على أنّ الباء صِلةٌ، و«ربك»: فاعل «يكفي».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «ولا يجوز الإدغــامُ في الياءَيْنِ عند النَّحْويِّين كما لا يجوز إذا لم يُنصَب الفعل؛ لأنك لو أدغمتَ لالْتَقَى ساكنانِ، إذ الثاني ساكنٌ، والأول لا يُدْغَمُ حتَّى يُسَكَّنَ، وكذلك كلُّ حَرْفٍ أَدْغَمْتَهُ في حرفٍ بعدَه لا بُدَّ من إسـكان الأول، وقد أجمَعوا على مَنْع الإدغام في حال الرَّفع، فأمّا في حال النصب فقد أجازه الفَرّاءُ[٣] لأجل تَحَرُّكِ الياء الثانية، وهو لا يجوز عند البصْريِّين؛ لأن الحركةَ عارضةٌ ليست بأصلٍ».

٣ـ في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «وقد أجاز النَّحْويُّون: رأيــتُ ثلاثةَ نَفَرٍ وثلاثةَ رَهْطٍ، حَمْلًا على المعنى، ولم يُجيزوا: رَأَيْتُ ثلاثةَ قَوْمٍ ولا: ثلاثةَ بَشَرٍ، والفَرْقُ بينَهما: أن نَفَرًا ورَهْطًا لِما دُونَ العَشَرةِ من العدد، فأُضيف ما دون العشَــرة من العدد إليه، إِذْ هو نظيرُه، و«قَوْمٌ» قد يقع لِما فَوْقَ العشَــرة، فلم يَحْسُــنْ إضافةُ ما دون العشَــرة إلى ما فوقَها، فأمّا «بَشَرٌ» فيقع للواحد، فلم يمكنْ إضافةُ عددٍ إلى واحد».

---

(١) القيامة ٤٠.

(٢) البستان ٤/ ١٩٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن ١/ ٤١٢.

(٤) التغابن ٦.

(٥) البستان ٣/ ٤٣٥.

فقولـه: «وقد أجاز النَّحْويُّون... إلخ»، ثم قوله: «ولم يجيزوا... إلخ» إجماعٌ منهم أيضًا.

٤ ـ فـي قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾[١]، قـال الجِبْلي[٢]: «يعني: مرجِعُهم ومصيرُهم ومَعادُهم إلينا بعد الموت، يقال: آبَ يَئُوبُ أَوْبًا وإيابًا، والأصل: إيْوابٌ، فأُدغِمت الياءُ في الواو، وانقلبت الواو إلى الياء، وقرأ أبو جعفرٍ بتشـديد الياء، قال أبو حاتم[٣]: وهذا لا يجوز، ولو جاز لَجاز في الصيام والقيام، وهو شـاذٌّ لم يُجِزْهُ أحدٌ غيرُ الزَّجّاجِ، فإنه قال[٤]: يقال: أَيَّبَ إِيّابًا، على فَيْعَلَ فيعالاً».

فقوله: «وهو شاذٌّ لم يُجِزْه أحدٌ غيرُ الزَّجّاج» إجماعٌ من نُحاة البصرة والكوفة لم يخالفْهم فيه غيرُ الزَّجّاج كما ذَكَر الجِبْلي.

* * *

---

(١) الغاشية ٢٥.

(٢) البستان ص ١٤٧٧، ١٤٧٨.

(٣) ينظر قوله في المحتسب لابن جني ٢/ ٣٥٧، الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ١٩٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٩.

المبحثُ الثامن
مذهبُه النَّحْويُّ واختياراتُه

يمكــن القولُ بأنّ الجِبْلــيَّ كان ـ كغيره من العلمــاء المتأخِّرين، الذين كانوا ينتخِبون لأنفُسِهم من آراءِ البصْريِّين والكوفيِّين ما يرَوْنَه راجحًا، دون التقيُّد بمذهبٍ واحدٍ دائمًا، وربّما مَزَجوا بينَ المذهبَيْنِ.

وإن كان الجِبْلي يمزُج بين آراء البصريِّين والكوفيِّين، فإنه كان أكثرَ ميلًا إلى مذهب الكوفيِّين في اختياراته النَّحوية، كما كان أكثرَ ميلًا إلى استخدام مصطلحاتهم النَّحوية، وربما اختار رأيًا من آراء المتأخِّرين، وخاصةً طاهرَ بن أحمد بن بابَشــاذ؛ نظرًا لتأثُّر اليمنيِّين بكتُب ابن بابَشاذ بصفةٍ خاصة[1].

واختيــاراتُ الجِبْلــي في «البســتان» كثيــرةٌ جــدًّا، ولكنَّني ســأضرب أمثلةً لاختياراته البَصْريّة والكوفية، ســواءٌ أكانت هذه الاختيارات للمدرستَيْن: البصريّة والكوفيّة بصفة عامة، أو كانت لأفرادٍ من هاتَيْن المدرستَيْن:

فمن أمثلة ما اختار فيه مذهبَ البصريِّين:

١ ـ اختار مذهبَ البصريِّين في أنه لا يُعْطَفُ على الضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[2]، قال

(١) ينظر تأثر اليمنيين بكتب المصريين، وبخاصة كتب طاهر بن أحمد بن بابشاذ ١/ ٢٧ من هذه الدراسة.
(٢) الأحزاب ٧.

الجِبْلي(١): «ولم يقلْ: ونُوحٍ؛ لأنّ المُظهَر إذا عُطِف على المضمَر المخفوض أُعِيدَ الحرفُ، تقول: مررتُ به وبزَيْد».

٢ ـ اختار مذهبَ البصريِّين في أنّ الواو العاطفةَ لا تكون زائدةً، ففي قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾(٢)، قال الجِبْلي(٣): «واختلف النُّحاةُ في جوابه، فقال بعضُهم: جوابه: «فُتِحَتْ أَبْوابُها»، والواو مُقْحَمةٌ زائدةٌ عند الكوفيِّين، تقديرها: حتى إذا جاءوها فُتِحت أبوابُها، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً﴾(٤)، يعني: ضِياءً، وهذا خطأٌ عند البَصْريِّين؛ لأنها تفيد معنًى، وهي للعطف هاهنا».

٣ ـ اختار قول أَبِي عُبَيدةَ والأخفَش في أنّ «أو» قد تأتي بمعنى الواو، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(٥)، قال الجِبْلي(٦): «والألفُ في «أَوْ»: صلةٌ، ومعناه واو العطف، كأنه قال: وإنّا وإياكم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾(٧) الألف هاهنا: صلةٌ».

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(٨)، قال الجِبْلي(٩): «﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواو، كقوله: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾»(١٠).

---

(١) البستان ٢/ ١٠٠.

(٢) الزمر ٧٣.

(٣) البستان ٢/ ٣٧٠.

(٤) الأنبياء ٤٨.

(٥) سبأ ٢٤.

(٦) البستان ٢/ ١٧٤.

(٧) الإنسان ٢٤.

(٨) الصافات ١٤٧.

(٩) البستان ٢/ ٢٨٣.

(١٠) المرسلات ٦.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «و﴿أَوْ﴾ بمعنى: الواو، والألف صلة، يعني: ﴿وَكَفُورًا﴾».

٤ ـ اختار مذهب البَصْريِّين في أنّ اللام الواقعةَ في خبر «إنِ» المخفَّفة هي الفارقةُ، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «أي: وقد كانوا لَيَقُولُونَ، واللام: لامُ توكيد، لَمّا خُفِّفت «إنَّ» دخلت على الفعل، ولزمتها اللام فرقًا بين النفي والإيجاب، والكوفيون يقولون: «إنْ» بمعنى: «ما»، واللام بمعنى: «إلّا»، أي: وما كانوا إلا يقولون».

فقد وَجَّهَ الآيةَ على وَفْق مذهب البصريِّين، ثم حكى مذهبَ الكوفيِّين بما يوحي أنه اختار مذهبَ البصريِّين، ولكنه في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾[٥]، قال[٦]: «إنْ» عند الكوفيِّين بمعنى: «ما»، واللام بمعنى «إلّا»، تقديره: وما يكاد الذين كفروا إلّا لَيُزْلِقُونَكَ، و«إنْ» عند البَصْريِّين مخفَّفةٌ من الثقيلة، واسمها مضمَرٌ معَها، واللام لام التأكيد لَزِمَتْ هذا النوعَ لِئَلّا تُشْبِهَ «إن» الَّتِي بمعنى «ما».

٥ ـ اختار مذهبَ المبرّد والزّجّاج في جوازِ وصف «اللَّهُمَّ»: ففي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «نصبُ

---

(١) الإنسان ٢٤.
(٢) البستان ٤/ ٢٢٠.
(٣) الصافات ١٦٧.
(٤) البستان ٢/ ٢٨٨.
(٥) القلم ٥١.
(٦) البستان ٤/ ٢٨.
(٧) الزمر ٤٦.
(٨) البستان ٢/ ٣٥٦.

علـى النِّداء المضاف، وقال صاحبُ إنسـان العَيْن: هو منصوبٌ بإضمار فعل؛ لأن ﴿ٱللَّهُمَّ﴾ فـي معرض الأصوات، ولا يوصَفُ، ولأنه فـي غاية المعرفة، فلا يُعَرَّفُ بالصِّفةِ، والحَقُّ أنه بِمنزِلةِ: يا أللهُ فاطِرَ السماواتِ».

٦ ـ اختـار مذهبَ البصْريِّين في أنّ ﴿أَن﴾ وما دَخَلت عليه في موضع نصبٍ علـى المصدر، فـي نحو قوله تعالـى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾[1]، وذلك في قولـه تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾[2]، فقد قال[3]: ﴿أَن﴾: في موضع نصب، تقول العرب: أَسْنِد الحائطَ أَنْ يَمِيلَ».

٧ ـ اختار رأيَ البَصْريِّين في أنّ تذكيرَ وصفِ السماء في قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾[4] إنّما هو على النَّسَب، فقال[5]: «و﴿مُنفَطِرٌۢ﴾: نعتٌ للسماء، وإنما أتى ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ بغيرِ هاءٍ ـ والسماءُ مؤنثةٌ ـ لأنه بمعنى النَّسَبِ؛ أي: السماءُ ذاتُ انفطار».

٨ ـ اختـار مذهبَ البَصْريِّين في أن ﴿الظَّالِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾[6] منصوبٌ على الاشتغال، فقال[7]: «ونصب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ على إضمار فعل؛ أي: ويُعَذِّبُ الظَّالِمِينَ».

ومما اختار فيه مذهبَ الكوفيِّين:

١ ـ اختار قولَ الكوفيِّين في أنّ «﴿إِنَّ﴾ قد تأتِي بمعنى «إِذْ»، ففي قوله تعالَى:

(١) النساء ١٧٦.
(٢) الحجرات ٣.
(٣) البستان ٣/ ١١٣.
(٤) المزمل ١٨.
(٥) البستان ٤/ ١٣٦.
(٦) الإنسان ٣١.
(٧) البستان ٤/ ١٥٨.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «يعني إذْ أَرَدْنَ، وليس معناه الشرطَ؛ لأنه لا يجوز إكراهُهنَّ على الزِّنا إن لم يُرِدْن تحصُّنًا، نظيرُها قولُه تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٣]، يعني: إذْ كُنْتُمْ، وقولُه تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤]؛ أي: إذْ كُنْتُم، وقولُه تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[٥]؛ أي: إذْ شاءَ الله».

٢ ـ اختار قولَ الكوفيِّين في أنّ الاسم بعدَ «لولا» مرفوعٌ بفعل مضمَر، ذَكَر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾[٦]، فقال[٧]: «رُفِع بإضمار فعل تقديرُه: ولولا ثَبَتَ أَجَلٌ مسمًّى لِعَذابِهِم»، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾[٨]، قال[٩]: «و«﴿كَلِمَةٌ﴾»: رُفع بفعلٍ مضمَر تقديره: ولولا ثَبَتَتْ كلمةٌ سَبَقت من ربِّك».

ولكنه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾[١٠] أجاز قولَ البَصْريِّين والكوفيِّين معًا، فقال[١١]: «رُفع إمّا بالابتداء وإمّا بفعلٍ مضمَر تقديره: ولولا ثَبَتَ رجالٌ مؤمنون».

---

(١) النور ٣٣.
(٢) البستان ١/ ٣٢٩.
(٣) البقرة ٢٧٨.
(٤) آل عمران ١٣٩.
(٥) الفتح ٢٧.
(٦) العنكبوت ٥٣.
(٧) البستان ٢/ ٢٠.
(٨) فصلت ٤٥.
(٩) البستان ٢/ ٤١٨.
(١٠) الفتح ٢٥.
(١١) البستان ٣/ ١٠٢.

فهو وإنْ لم يصرِّحْ باختياره في الآية الثانية، إلّا أنّ قوله: «تقديره: ولولا ثَبَتَ... إلخ»، بالإضافة إلى اختياره قولَ الكوفيِّين في الآية الأولى، يُرَجِّحُ أنه اختار مذهبَ الكوفيِّين في الآية الثانية أيضًا.

٣ ـ اختياره مذهبَ الكوفيِّين في أن «إِنِ» المخفَّفةَ من الثقيلة بمعنى «ما» النافية، وأنّ اللام في خبرها بمعنى «إلّا»، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾[1]، فقد أَوَّلَ الآيةَ على أنّ التقدير: وما كانوا... إلّا مُبْلِسِينَ»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3]، قال الجِبْلي[4]: «أي: وما كانوا قبلَ بَعْثِهِ فيهم إلّا في ضلالٍ مُبين، وهو الشِّرك بالله تعالى».

ولكنه في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ﴾[5]، قال[6]: «هذه «إِنِ» الثقيلةُ في الأصل، خُفِّفَتْ فزال عمَلُها في أكثر اللغات، ولزمتْها اللامُ فَرْقًا بينَها وبينَ التي بمعنى «ما»، وقوله: ﴿لَّمَّا جَمِيعٌ﴾، قرأ ابنُ عامرٍ وعاصمٌ وحمزةُ والأعمش: ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد، وقرأ الباقونَ بالتخفيف، فمَن شَدَّدَ جعل «إِنْ» بمعنى: الجَحْد، على أنّ «لَمّا» بمعنى «إلّا»، تقديره: وما كلٌّ إلّا جميعٌ، كقولهم: سألتُك لَمّا فعلتَ؛ أي: إلّا فعلتَ، ومن خَفَّفَ جعل «إِنْ» للتحقيق مخفَّفةً و«ما»: صلةٌ، مجازُه: وإِنْ كُلٌّ لَجَمِيعٌ».

---

(١) الروم ٤٩.
(٢) ينظر: البستان ٢/ ٤٥.
(٣) الجمعة ٢.
(٤) البستان ٣/ ٤٠٧.
(٥) يس ٣٢.
(٦) البستان ٢/ ٢٣٠.

فنراه هنا قد اختار مذهبَ الكوفيِّين على قراءة التشديد في ﴿لَّمَّا﴾، واختار مذهبَ البَصْريِّين على قراءة التخفيف.

٤ ـ اختار مذهبَ الكوفيِّين في جواز العطف على موضع اسم «إنَّ» بالرَّفع قبل مجيءِ الخبر، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[1]، قال الجِبْلـي[2]: «قرأه العامّةُ بنصب التاء، وقَرأَ ابنُ عباس بالرفع عطفًا على محلِّ قوله: ﴿ٱللَّهَ﴾ قبل دخول﴿ إِنَّ﴾، كما قال الشاعر:

فَـإِنِّـي وقـيّـارٌ بها لَـغَـرِيـبُ

نظيرُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، قال الجِبْلي[5]: «وارتفع ﴿جِبْرِيلُ﴾ وما بعده عطفًا على محلِّ قوله: ﴿ٱللَّهَ﴾ قبل دخول ﴿إِنَّ﴾، نظيرُه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[6].

٥ ـ اختار مذهبَ الكوفيِّين وبعضِ البَصْريِّين في أنّ حروفَ الخفض ينوبُ بعضُها عن بعض، وصُوَرُ هذه النِّيابة كثيرةٌ في البستان، ومنها:

أ ـ «عَلَى» بمعنى: اللام، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾[7]،

---

(١) الأحزاب ٥٦.

(٢) البستان ٢/ ١٣٤.

(٣) المائدة ٦٩.

(٤) التحريم ٤.

(٥) البستان ٣/ ٤٥٧.

(٦) المائدة ٦٩.

(٧) الصافات ١٤٦.

قال الجِبْلي[١]: «وقوله: ﴿عَلَيۡهِ﴾ أي: له».

ب ـ «عَلَى» بمعنى: «مِنْ»، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «عَلَى» هاهنا بمعنى «مِنْ»، ذَكَرَ أبو عُبيدةَ[٤] وغيرُه من أهل اللّغة: و«عَلَى» و«مِنْ» في هذا الموضع يَعْتَقِبانِ».

جـ ـ اللام بمعنى «إلى»، ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ﴾[٥]، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾[٦]، وفي قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا﴾[٧].

د ـ الباء بمعنى «عَنْ»، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾[٨]، قال الجِبْلي[٩]: «والباء بمعنى «عَنْ»؛ أي: فاسألْ عنه، كقول الشاعر ـ علقمةَ بن عَبَدة ـ:

فإن تسألوني بالنِّساءِ فإنَّني ... بَصِيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طَبيبُ».

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾[١٠]، قال الجِبْلي[١١]: «أي: عن

---

(١) البستان ٢/ ٢٨٢.

(٢) المطففين ٢.

(٣) البستان ٤/ ٣٣٤.

(٤) مجاز القرآن ١/ ١٤.

(٥) الشورى ١٥، ينظر: البستان ٢/ ٤٣١.

(٦) المجادلة ٣، ينظر: البستان ٣/ ٣٥٤.

(٧) الزلزلة ٥، ينظر: البستان ٢/ ٤٣١.

(٨) الفرقان ٥٩.

(٩) البستان ١/ ٣٨٦.

(١٠) الفرقان ٢٥.

(١١) البستان ١/ ٣٧٤.

الغَمـام، والباء و«عَـنْ» يتعاقَبان، كما يقال: رَمَيْتُ بِالقَـوْسِ، وعنِ القَوْسِ، بمعنًى واحد».

هـ ـ «عن» بمعنى الباء، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[1]، قال الجِبْلي[2]: «ومعنى ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾؛ أي: بالهوى، فأقيم «عَنْ» مُقامَ الباء، كما أُقِيمَ الباءُ مُقامَ عَنْ».

وفي قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[3]، قال الجِبْلي[4]: «بمعنى: «عَنْ»، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[5] أي: عَنْهُ».

و ـ الباء بمعنى «إلى»، ففي قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾[6]، قال الجِبْلي[7]: «والباءُ في قوله: ﴿إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ بمعنى «إلى»، يعني: إلّا إلى سلطانٍ، في قول بعض المفسِّرين، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ ﴾[8]؛ أي: إِلَيَّ، ومنه قول الشاعر:

أَسِيئِي بنا، أو أَحْسِنِي، لا مَلُومةٌ   لدَيْنا، ولا مَقْلِيّةٌ إنْ تَقَلَّتِ».

ز ـ الباء بمعنى «مِنْ»، ففي قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[9]، قال الجِبْلي[10]: «وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾: نعتٌ للعَيْن و﴿بِهَا﴾:

---

(١) النجم ٣.
(٢) البستان ٣/ ٢٠١.
(٣) المعارج ١.
(٤) البستان ٤/ ٦٠.
(٥) الفرقان ٥٩.
(٦) الرحمن ٣٣.
(٧) البستان ٣/ ٢٦٥.
(٨) يوسف ١٠٠.
(٩) المطففين ٢٧، ٢٨.
(١٠) البستان ٤/ ٣٤٩.

بمعنى: «مِنْها»، وقد تقدَّم نظيرُها في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، وهو قولُه تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[1].

حـ ـ «مِنْ» بمعنى: الباء، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾[2]، قال الجِبْلي[3]: «يعني: الرِّياحُ ذواتُ الأعاصير، و«مِنْ» معناه: الباء، كأنه قال: بالمُعصِرات، كقوله: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَٰمٌ﴾[4]، وكذلك كان عِكرمةُ يقرؤها: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾.

٦ ـ اختار مذهبُ الكوفيِّين في نصبِ الفعل على الصَّرف في نحوِ قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا...﴾ الآية[5]، فقد قال[6]: «قرأ أهلُ المدينة والشام: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرَّفع على الاستئناف، كقوله تعالى في سورة براءةٌ: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾[7]، وقرأه الآخَرون نصبًا على الصَّرف، كقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[8] صُرِفَ من حالِ الجزم إلى النَّصب استخفافًا، وكراهيةً لتوالي الجزم».

٧ ـ اختياره قولَ الفَرّاء والزَّجّاج في أنّ «إلّا» في الاستثناء المنقطع بمعنى «سوى»، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[9]،

---

(١) الإنسان ٦.
(٢) النبأ ١٤.
(٣) البستان ٤/ ٢٤٨.
(٤) القدر ٤، ٥.
(٥) الشورى ٣٥.
(٦) البستان ٢/ ٤٤٠.
(٧) التوبة ١٥.
(٨) آل عمران ١٤٢.
(٩) الدخان ٥٦.

قال الجِبْلي[١]: «نُصِب لأنه استثناءٌ ليس من الأول، يعني: سوى الموتةِ الأُولى التي ذاقوها في الدنيا، قال الفَرّاء[٢] والزَّجّاج[٣]: «إلّا» بمعنى «سِوَى»، كقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[٤]؛ أي: سِوَى ما سَلَفَ».

٨ ـ اختار مذهبَ الكوفيِّين في جواز إضافةِ الشيءِ إلى نفسِه؛ لاختلاف اللَّفظَيْنِ في قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾[٥]، فقال الجِبْلي[٦]: «والمكرُ هو: العمَلُ القبيح، وأُضيفَ المكرُ إلى صفتِه».

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «والحَبْلُ هو: الوَرِيدُ، فأُضِيفَ إلى نفسِه لاختلاف اللَّفظَيْن».

وفي قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[٩]، قال الجِبْلي[١٠]: «أي: دِينُ المِلّةِ المستقيمة، وهو جَمْع القَيِّم...، وإنما أضاف الدِّينَ إلى القَيِّمةِ ـ وهي نعتُه ـ لاختلاف اللَّفظَيْن، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾[١١]، والدار هي: الآخِرة، فأضافها إلى نَعْتِها».

---

(١) البستان ٣/ ٢٤.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٤٤.
(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٢٨.
(٤) النساء ٢٢.
(٥) فاطر ٤٣.
(٦) البستان ٢/ ٢١١.
(٧) سورة ق ١٦.
(٨) البستان ٣/ ١٤٥.
(٩) البينة ٥.
(١٠) البستان ٥/ ١٧.
(١١) يوسف ١٠٩.

٩ ـ ذهب إلى أنّ العاملَ في «إذا» هو فعلُ الشَّـرط، بينَما ذهبَ الجمهورُ إلى أنّ العاملَ فيها هو جوابُ الشَّـرط، ففي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾[1]، قـال الجِبْلـي[2]: «ولا يَجوز أن يكـونَ العاملُ في «إذا»: ﴿بَصِيرًا﴾، كما لا يَجُوزُ: اليومَ إِنَّ زَيْدًا خارجٌ، ولكنّ العاملَ فيها ﴿جَآءَ﴾ لشِبْهِها بِحُرُوفِ المُجـازاة، وقد يُجازَى بهـا، كما قـال قيسُ بن الخَطيم:

إذا قَصُـرَتْ أسـيافُنا كان طُولُهـا   خُطانـا إلـى أعْدائِنا فنُضـارِبِ».

وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾[3]، قال الجِبْلي[4]: «﴿إِذَا﴾ في موضع نَصْبٍ بـ﴿جَآءَكَ﴾، إلّا أنّها غيرُ معرَبة لِتَنَقُّلِها، وفي آخِرها أَلِفٌ، والأَلِفُ لا تُحَرَّكُ».

١٠ ـ اختـار قـولَ الكوفيِّيـن والأخفَـش في جـواز زيادة «مِـنْ» في الكلام الموجَب، ففي قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[5]، قال الجِبْلي[6]: «و﴿مِّن﴾ هاهنـا: صلةٌ، معناه: يَغْفِرْ لكم ذُنُوبَكُم، ولم تدخُلْ لتبعيضِ الذّنوب، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[7]؛ أي: اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الذي هو الأَوْثانُ».

١١ ـ اختار رأيَ الكِسائي في أنّ «إنْ» في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[8]

---

(١) فاطر ٤٥.
(٢) البستان ٢/ ١٥١.
(٣) المنافقون ١.
(٤) البستان ٣/ ٤٢٢.
(٥) نوح ٤.
(٦) البستان ٤/ ٨٣.
(٧) الحج ٣٠.
(٨) الأعلى ٩.

بمعنى: «قَدْ»، فقال[١]: «و﴿إِن﴾ في معنى «قَدْ»، أي: فذكِّرْ قد نَفَعت الذِّكرى، قال الكِسائي[٢]: سمعتُ العربَ تقول: إنْ قام زيدٌ، وظننتُه شرطًا، قال: فسألتهم، فقالوا: نريد: قد قام زيدٌ، وليس نريد: ما قام زيدٌ».

١٢ ـ اختار رأيَ الكوفيّين في أن المبتدأ والخبرَ يترافعانِ، فقال[٣]: «قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ﴾[٤]، قرأه العامّةُ بالرَّفع على الابتداء، وخبره في ﴿أَنَّ﴾، وكذلك حُكمُ الآية التي قبلَها حُكمُها، فتُرفع ﴿الْخامِسةُ﴾ بـ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ بالخامسة».

* * *

(١) البستان ٤/ ٣٩٤.

(٢) ينظر قوله في شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢٣٢/ أ، ياقوتة الصراط لأبي عمر الزاهد ص ٥٧١، الأضداد لابن الأنباري ص ١٨٩، ١٩٠.

(٣) البستان ١/ ٣١٢.

(٤) النور ٩.

الفصلُ الثاني

كتابُ

البُستان في إعرابِ مشكلاتِ القرآن

ويشتملُ علىٰ المباحثِ الآتية:

المبحـث الأول: عُنـوانُ الكتـاب، و توثيق نِسـبتُه للجِبْلي، وموضوعه.

المبحث الثاني: مصادرُه.

المبحث الثالث: منهَجُ الجِبليِّ فيه.

المبحث الرابع: المصطَلحات النَّحْويّة في البستان.

المبحث الخامس: العلّةُ النَّحويّة في البستان.

المبحث السادس: ملحوظاتٌ علىٰ الكتاب.

المبحث الأول
عنوانُ الكتاب، وتوثيق نِسبتِهِ للجِبْلي، وموضوعُه

المطلبُ الأول: عُنوانُ الكتاب:

جاء عنوانُ الكتاب في أوّل المخطوط وآخِره: «**البستان في إعـرابِ مشكِلات القــرآن**»، وأنه لأَحْمَـدَ بنِ أبِـي بكرِ بن عُمَرَ بنِ أَبِي الخَيـرِ بـنِ أَبِي الهَيْثم الجِبْليِّ المعـروف بالأحنَـف، وقد جـاء في صفحةِ العنـوان ما نصُّه: «كتابُ البسـتان في إعرابِ مشكِلات القرآن، مُؤَلَّفُ الشّيخ الإمام العالِم أَحْمَدَ بنِ أَبِي بكرِ بن عُمَرَ بنِ أَبِي الخَيـرِ بنِ أَبِي الهَيْثم الجِبْلِيِّ المعروفِ بالأحنَف نَفَع الله تعالى بعلومه».

كمـا جاء في آخِر ورقةٍ من المخطـوط ما نصُّه: «**كُتِبَ البُسْـتانُ في إِعْرابِ مُشْـكِلاَتِ القُــرْآنِ** مِنْ نُسْـخةِ المُؤَلِّفِ بِخَطِّهِ، وهُـوَ: الإمامُ العالِـمُ أَحْمَدُ بنُ أَبِي بَكْـرِ بنِ عُمَـرَ بنِ أَبِي الخَيْرِ بنِ أَبِـي الهَيْثَمِ الجِبْلِيُّ، المَعْـرُوفُ بِالأَحْنَفِ، نَفَعَ اللهُ بِعِلْمِهِ»[1].

وهذا ما جـاء في مجلّة معهـد المخطوطات العربيّة[2]، ومـا ذكره صاحبُ معجَم المؤلِّفين[3]، ولم يَذكُر أحدٌ أنّ للكتابِ عنوانًا آخرَ غيرَ هذا العنوان.

---

(١) الورقة ٣٤٧/ أ.

(٢) المجلد الأول، الجزء الثاني ص ٢٠٠.

(٣) المستدرك على معجم المؤلفين لكحّالة ص ٤٢.

المطلبُ الثاني: توثيق نِسبتِهِ للـجِبْلي:

كتابُ البستان في إعرابِ مشكِلات القرآن لأحمدَ بن أَبِي بكرِ بن عُمرَ الجِبْلي، وهـذا ما جاء في صفحة العُنوان، وما جاء فـي الورقةِ الأخيرة من المخطوط، ولم يُشَكِّكْ أحدٌ في اسم الكتاب، ولا في أنه للجِبْلي، كما أشارت الكتُبُ التي تَرجَمت للجِبْلـيِّ إلـى أنّ هذا الكتـابَ للجِبْلي، جـاء ذلك في مجـلّـة معهد المخطوطات العربيّة[1]، وفي المستدرك على معجم المؤلِّفين[2].

المطلبُ الثالث: موضوعه:

موضوعُ الكتاب ـ كما هو واضحٌ من عُنوانه ـ هو: إعرابُ مشكِلات القرآن، وهذا هو الغالبُ على الكتاب، فقد اهتمَّ فيه الجِبْلِيُّ بالمشـكِلات الإعرابيّة للآيات القرآنيّـة، كما اهتمَّ بغيرِ هذه المشـكِلات الإعرابيّة، وهذا واضحٌ في الكتاب بصفةٍ عامّـة، ولكنّ المؤلِّف لـم يقتصرْ على إعراب القرآن، بل قد توسَّـع كثيرًا في إيراد آراءِ المفسِّـرين، وتَبِع ذلك إيرادُه كثيرًا مـن الأحاديث والأخبار والقَصَص، وربّما استطرد فيها استطرادًا، وهذه الأحاديثُ والأخبار والقَصَص في أغلبها لا علاقةَ لها بإعرابِ القرآن.



(١) المُجلد الأول، الجزء الثاني ص ٢٠٠.

(٢) المستدرك على معجم المؤلفين لعمر رضا كحّالة ص ٤٢.

المبحثُ الثاني

مـصـادرُه

المصادرُ التي اعتمد عليها الجِبْليُّ في البستان كثيرةٌ جدًّا، ويمكن تقسيمُها إلى ما يأتِي:

أولًا: مصادرُ بصَرْيّةٌ، ومنها:

١ ـ العَيْن، للخليل بن أحمد:

ومن أمثلة نُقوله عن كتاب العَيْن ما يلي:

١ ـ فـي قوله تعالى: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾[1]، قال الجِبْلي[2]: «وفَرَّقوا بين المِصباح والسِّراج، فقال الخليل[3]: المصباح: السِّراج بالمِسْرَجة، وقيل: هو موضعُ الفتيلة، والسِّراج: نفسُ السِّراج».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم﴾[4]، قال الجِبْلي[5]: «وقال الخليل[6]: يقال: سَلَقْتُهُ باللِّسان؛ أي: أسمعتُه ما يَكرَه وأكثَرتُ، ويقال: لِسانٌ مُسْلِقٌ؛ أي: حديدٌ ذَلِقٌ».

---

(١) النور ٣٥.

(٢) البستان ١/ ٣٣٢.

(٣) العين ٣/ ١٢٦.

(٤) الأحزاب ١٩.

(٥) البستان ٢/ ١٠٨.

(٦) العين ٥/ ٧٦.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «قال الخليل[٣]: النُّكُرُ: نعتٌ للأمر الشديد، والنُّكُرُ: الداهية».

٢ ـ **كتابُ سيبوَيْه**: وكان نَقلُه عن الكتابِ بطريقةٍ من أربع:

الأُولَى: النَّقل الصريح: حيث يشير إلى أنّ هذا قولُ سيبوَيْه، وقد جاء ذلك في ثلاثينَ موضعًا من البستان، ومن أمثلتِه عنده ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾[٤]، قال الجِبلي[٥]: «قال سيبوَيْه[٦]: هذا من الاستثناء المنقطع، المعنى لكنْ بأنْ يقولوا: ربُّنا الله».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَـٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «قرأ نافعٌ: ﴿أنْ﴾ مخفَّفةً ﴿لَعْنةُ الله﴾ بالرَّفع، قال سيبوَيْه[٩]: لا تُخفِّف ﴿أَنَّ﴾ في الكلام وبعدَها الأسماءُ إلّا وأنت تريدُ الثَّقيلةَ».

والثانية: النقل بالمعنى: ومن أمثلته عنده ما يلي:

---

(١) القمر ٦.
(٢) البستان ٣/ ٢٣٠.
(٣) العين ٥/ ٣٥٥.
(٤) الحج ٣٩.
(٥) البستان ١/ ٢٥٤.
(٦) الكتاب ٢/ ٣٢٥.
(٧) النور ٧.
(٨) البستان ١/ ٣١١.
(٩) الكتاب ٣/ ١٦٣، ١٦٤.

١ ـ في قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «أي: لعبًا وباطلًا، لا لحكمةٍ...، وهو منصوبٌ على الحال عند سيبوَيْه وقُطرُب، مجازُه: عابِثين».

ولم يذكر سيبوَيْه هذه الآيةَ في كتابه، وإنّما تحدَّث عن وقوع المصدر حالًا في نحو: قَتَلْتُهُ صَبْرًا، ولَقِيتُهُ فُجاءةً ومُفاجأةً وكِفاحًا ومُكافَحةً[٣].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «وهذا عطفُ البيان الذي يقوم مقامَ النَّعت لـ﴿هَذَا﴾، وهذا قول سيبوَيْه[٦]».

والثالثة: النقل عن الكتاب دون الإشارة إليه: ومن أمثلته ما يلي:

ـ قال الجِبْلي[٧]: «وقوله: ﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾[٨] و﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾[٩] منصوبانِ على المصدر، وقيل: على إضمارِ الفعل المتروكِ إظهارُهُ». اهـ، وهذا الرأيُ الثاني الذي ذكره هو رأيُ سيبوَيْه[١٠].

والرابعة: أقوالٌ لم أقفْ عليها في الكتاب: ومن أمثلتها عندَه ما يلي:

---

(١) المؤمنون ١١٥.
(٢) البستان ١/ ٣٠٢.
(٣) ينظر: الكتاب ١/ ٣٧٠.
(٤) الزخرف ٣١.
(٥) البستان ٢/ ٤٦٢.
(٦) ينظر: الكتاب ٢/ ١٨٩: ١٩٣.
(٧) البستان ٣/ ٣٠٠.
(٨) سورة ص ٥٩.
(٩) سورة ص ٦٠.
(١٠) ينظر: الكتاب ١/ ٢٩٥، ٣٢٨.

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾[1]، قال الجِبْلي[2]: «قرأ أهلُ المدينة والكوفة إلّا عاصمًا بضمِّ السِّين هاهنا وفي سورة ص، وقَرَأ الباقون بكسرها، قال الخليلُ وسيبوَيْه[3]: هما لغتان، مثلَ قول العرب: بحرٌ لُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ، ودُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ، وكُرْسِيٌّ وكِرْسِيٌّ».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾[4]، قال الجِبْلي[5]: «ونصب: ﴿طِبَاقًا﴾ نعتًا لـ: ﴿سَبْعَ﴾، وقال سيبوَيْه[6]: نصبه لأنه مفعولٌ ثانٍ».

٣ ـ مَجازُ القرآن لأبي عُبيدةَ: ونُقولُه عنه كثيرةٌ، وكان نقلُه عنه بطريقتَيْن:

الأولى: النَّقل الصَّريح، ومن أمثلتِه ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾[7]، قال الجِبْلي[8]: «قال أبو عُبيدةَ[9]: الظِّلُّ: ما تنسَخُه الشمس، وهو بالغَداة، والفَيْءُ: ما نَسَخَ الشَّمْسَ، وهو بعدَ الزَّوال، وسُمِّيَ فَيْئًا لأنه فاءَ من جانبِ المغرب: أي رَجَع».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[10]، قال

---

(١) المؤمنون ١١٠.
(٢) البستان ١/ ٢٩٩.
(٣) ينظر قولهما في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤، معاني القراءات للأزهري ٢/ ١٩٧.
(٤) الملك ٣.
(٥) البستان ٣/ ٤٧٣.
(٦) ينظر قوله في الكشف والبيان للثعلبي ٩/ ٣٥٦، عين المعاني للسجاوندي ورقة ١٣٥/ ب، القرطبي ١٨/ ٢٠٨.
(٧) الفرقان ٤٥.
(٨) البستان ١/ ٣٨٣.
(٩) مجاز القرآن ٢/ ٧٥، ٧٦.
(١٠) سبأ ٢٤.

الجِبْلي[١]: «قال أبو عُبيدةَ[٢]: معناه: إنّا لَعلى هُدًى وإنّكم إيّاكُم لَفي ضلالٍ مبُين».

والثانية: نقلُه عن أَبِي عُبيدةَ بغير إشارةٍ إليه:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «يعني: مستكبِرًا نَفْسَهُ، تقول العرب: جاء فلانٌ ثانِيَ عِطْفِهِ؛ أي: متبخترًا لتَكَبُّرِهِ وعِزِّهِ».

وهذا كلام أَبِي عُبيدةَ في مجازِ القرآن[٥].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «والسُّورة مشتقةٌ من السُّورِ الذي يُحِيطُ بالبَلَدِ؛ لأنها تحيطُ بآياتٍ من القرآن، وقيل: هي مشتقةٌ من السُّؤْرِ وهو البَقِيّةُ». اهـ، والقولانِ قالهما أبو عُبيدة[٨].

٤ ـ معاني القرآن للأخفَش: وقد نَقَل الجِبْليُّ عن الأخفَش في نحو خمسينَ موضعًا، منها ما نَقَله عن «معانِي القرآن»، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾[٩]، قال الجِبْلي[١٠]: «قرأ نافعٌ:

---

(١) البستان ٢/ ١٧٤.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ١٤٨.
(٣) الحج ٩.
(٤) البستان ١/ ٢٢٩.
(٥) ٢/ ٤٥.
(٦) النور ١.
(٧) البستان ١/ ٣٠٩.
(٨) في مجاز القرآن ١/ ٣، ٥، ٢٠.
(٩) النور ٧.
(١٠) البستان ١/ ٣١١.

﴿أنْ﴾ مخفَّفـةً ﴿لَعْنةُ اللَّهِ﴾ بالرَّفع...، وقـال الأخفش[١]: لا أعلم الثقيلةَ إلّا أجودَ فـي العربية؛ لأنك إذا خَفَّفْـتَ والأصلُ التثقيلُ فتُخَفِّفُ وتضمرُ الشـأنَ بأنْ تجيءَ بالأصل ولا تحذفَ شيئًا ولا تُضْمِرَ أجودُ».

٢ ـ فـي قولـه تعالـى: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[٢]، قال الجِبْلـي[٣]: «قال الأخفش[٤]: اللَّيل والنهار لا يَمكُران بأحدٍ ولكنْ يُمْكَرُ فيهما، كقولـه تعالى: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾[٥]، يعني: أخرجك أهلُها، وهذا من سَعةِ العربيّة».

ومن آراء الأخفَش التي نَقَلها الجِبليُّ عن كتبٍ لعلماءَ آخَرين:

١ ـ في قولـه تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «وسَيْناءُ، كان حقُّه أن ينصرفَ كما ينصرفُ عِلْباءٌ وحِرْباءٌ، لكنه اسمٌ لبقعةٍ أو لأرضٍ، وهو معرفةٌ فلم ينصرفْ للمعرفة والتأنيث، وقال الأخفَش[٨]: هو اسمٌ أعجميٌّ معرفةٌ، فهو كامرأةٍ سمَّيتَها بجَعْفَرٍ، ومِثلُه «طُورُ سِينِينَ»».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾[٩]،

---

(١) معاني القرآن ص ١١٤.
(٢) سبأ ٣٣.
(٣) البستان ٢/ ١٧٧.
(٤) معاني القرآن ص ٤٤٥.
(٥) محمد ١٣.
(٦) المؤمنون ٢٠.
(٧) البستان ١/ ٢٧٥.
(٨) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١١٣، الحجة للفارسي ٣/ ١٧٩.
(٩) العنكبوت ٥٨.

قال الجِبْلـي[١]: «وقرأ حمزةُ والكِسـائيُّ وخَلَفٌ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾، مـن: أَثْوَيْتُ...، قال الأخفـش[٢]: لا تعجبُني هذه القراءة؛ لأنك لا تقول: أَثْوَيْتُهُ الدّارَ، بل تقول: في الدّارِ، وليس في الآية حرفُ جرٍّ في المفعول الثاني».

٥ ـ مصادرُ بَصْريّةٌ أخرى، منها: كُتُب ابن قُتَيبةَ، كتفسير غريبِ القرآن، وتأويلِ مُشـكِل القرآن وتأويل مختلفِ الحديث، وقد أشار الجِبْليُّ إلى النقل عن ابن قُتَيبةَ في ستةَ عشَرَ موضعًا، ولكنّ أكثرَ ما نَقَله الجِبْلي عن ابن قُتَيبة كان بدون إشارةٍ إليه.

ـ ومـن هـذه المصادر أيضًا: كُتـب المبرّد، كالكامـل والمقتضَب والفاضل والمذكَّر والمؤنَّث وغيرِها، فمن أمثلة ما نَقَله الجِبْليُّ عن المبرّد:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾[٣]، قـال الجِبْلي[٤]: «وقـال المبرّد[٥]: لم يرَها إلّا بعدَ الجَهد، كما يقول القائل: ما كدتُ أراك من الظُّلمة، وقد رآه ولكنْ بعدَ بأسٍ وشدّة».

٢ ـ في قوله تعالـى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «قال المبرّد[٨]: قولُه: ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ﴾

(١) البستان ٢/ ٢١.
(٢) ينظر قوله في الحجة للفارسي ٣/ ٢٦٤، الوسيط للواحدي ٣/ ٤٢٤.
(٣) النور ٤٠.
(٤) البستان ١/ ٣٤٣.
(٥) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٩٥.
(٦) النور ٤٥.
(٧) البستان ١/ ٣٤٨.
(٨) الكامل ٢/ ٢٧٦، المقتضب ٢/ ٤٩.

يريـدُ: الناسَ وغيرَهم، وإذا اختلط النوعـانِ حُمِلَ الكلامُ على الأغلب، ولذلك قال: ﴿مَنْ﴾ لغير ما يَعقِل».

ومـن هـذه المصادر أيضًـا: معانِي القـرآن وإعرابُه للزَّجّاج: وهـو من أكثر الكتُب التي نَقَل عنها الجِبْلي في البستان، فقد نَقَل الجِبْليُّ عنه في نحوِ مائةٍ وخمسةٍ وأربعين موضعًا.

ثانيًا: مصادرُ كوفيّة، ومنها ما يلي:

١ ـ معانـي القرآن للفَـرّاء: وهو أهمُّ هذه المصادر علـى الإطلاق، فقد نَقَل الجِبْليُّ عن الفَرّاء صراحةً في مائتَيْن وخمسةٍ وثلاثين موضعًا، وكان نَقْلُه عن الفَرّاء بطريقةٍ من ثلاثٍ:

الأولى: النَّقل الصَّريح بالإشـارة إلى أنّ هذا قـولُ الفَرّاء، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾[(١)]، قـال الجِبْلي[(٢)]: «وقـال الفَرّاء[(٣)]: إنّما جمع اثنَيْنِ فقال: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾، وهو يريد داودَ وسُليمانَ؛ لأنّ الاثنين جَمْعٌ، وهو مثلُ قوله: ﴿فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾[(٤)]، وهو يريدُ أخوَيْنِ».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[(٥)]، قال الجِبْلي[(٦)]:

---

(١) الأنبياء ٧٨.

(٢) البستان ١/ ١٩٨.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٠٨.

(٤) النساء ١١.

(٥) الحج ٢.

(٦) البستان ١/ ٢٢٣.

«وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿سَكْرَى وَما هُمْ بِسَكْرَى﴾ بفتح السِّين من غير ألفٍ وبالإمالة، قال الفَرّاء[١]: وهو وجهٌ جيِّدٌ في العربية؛ لأنه بمنزلة: الهَلْكَى والجَرْحَى والمَرْضَى والزَّمْنَى، والعربُ تجعل «فَعْلَى» علامةً لِجَمْعِ كُلِّ ذي زَمانةٍ وضَرَرٍ وهلاكٍ، ولا يبالونَ أكان واحدُهُ «فاعلًا» أو «فعيلًا» أو «فَعْلانَ»».

الثانية: النَّقل عن الفَرّاء بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «كان حقُّه: وأسرَّ؛ لأنه فعلٌ تقدَّم الاسمَ، واختلف النُّحاة فيه، فمنهم من قال: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ في محلِّ الخَفْض على أنه تابعٌ للناس في قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[٤]. اهـ، وهذا قولُ الفَرّاء في معاني القرآن[٥].

٢ ـ في قوله تعالَى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «والعربُ تضَعُ «بَلْ» موضعَ «أَمْ»، و«أَمْ» موضعَ «بَلْ» إذا كان في أول الكلام استفهام، كقول الشاعر:

فواللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ ... أمِ القَوْمُ أو كُلٌّ إلَيَّ حَبِيبُ

أي: بل كلٌّ». اهـ، وهذا نصُّ كلام الفَرّاء في معانِي القرآن[٨].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢١٤، ٢١٥.
(٢) الأنبياء ٣.
(٣) البستان ١/ ١٨٠.
(٤) الأنبياء ١.
(٥) ٢/ ١٩٨.
(٦) النمل ٦٦.
(٧) البستان ١/ ٤٦٧.
(٨) ٢/ ٢٩٩.

الثالثة: أقوالٌ ليست في معاني القرآن، ومن أمثلتها ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «قال الفَرّاءُ[(٣)] والزَّجّاج[(٤)]: لم يقُلْ: كواحدة؛ لأنّ أَحَدًا: نَفْيٌ عامٌّ يصلُح للواحد والاثنَيْن والجميع والمذكَّر والمؤنَّث، قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾[(٦)].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[(٧)]، قال الجِبْلي[(٨)]: «قال الحَسن والفَرّاءُ والكِسائيّ[(٩)]: المَيِّتُ ـ بالتشديد ـ: من لم يَمُتْ وسيمُوتُ، والمَيْتُ بالتخفيف: الذي فارقَه الرُّوحُ، فلذلك لم يخففه هاهنا».

٢ ـ كتُبُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلبٍ: وهو من أكثرِ العلماء الذين وَرَد ذكرهم في البستان، ولكنّ أكثرَ ما نقله الجِبْلي عنه كان من خلال كتُبِ تلاميذه، كأَبِي بكرٍ بن الأنباريِّ وأبي بكرٍ النّقاش وغيرِهما، كأبي منصورٍ الأزهريِّ في التهذيب ومعاني القراءات.

أمّا ما نقله الجِبْلي عن كتُبِ ثعلبٍ فكان بطريقتَيْن:

---

(١) الأحزاب ٣٢.
(٢) البستان ٢/ ١١٥.
(٣) ينظر قوله في التهذيب للأزهري ٥/ ١٩٦، والكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٣٤.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٢٤.
(٥) البقرة ٢٨٥.
(٦) الحاقة ٤٧.
(٧) الزمر ٣٠.
(٨) البستان ٢/ ٣٥١.
(٩) ينظر قول ثلاثتهم في الكشف والبيان للثعلبي ٨/ ٢٣٤، تفسير القرطبي ١٥/ ٢٥٤.

الأولى: النقل الصَّريح عن ثعلب، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[١] قال الجبلي[٢]: «وقال أحمدُ بن يحيى ثَعْلبٌ[٣]: المِثْلُ صِلةٌ، المعنى: ليسَ كهُوَ شيءٌ، فأدخل المِثْلَ توكيدًا للكلام، كقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾[٤]، وفي حرف ابن مسعود: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِما آمَنْتُمْ بِهِ﴾.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «وقال ثَعْلَبٌ[٧]: السَّبْحُ: التَّرَدُّدُ والاضْطِرابُ، والسَّبْخُ: السُّكُونُ والسُّكُوتُ».

والثانية: النقلِ عن كتُب ثعلبٍ بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ﴾[٨]، قال الجِبْلي[٩]: «ويقال: قَوْمٌ سامِرٌ ورَجُلٌ سامِرٌ، مثل: قَوْمٌ زَوْرٌ». أ هـ، وهذا قول ثعلبٍ في مجالسه[١٠].

٢ ـ في قوله تعالَى: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾[١١]، قال الجِبْلي[١٢]: «يقال:

---

(١) الشورى ١١.
(٢) البستان ٢/ ٤٢٩.
(٣) مجالس ثعلب ص ٢٣١.
(٤) البقرة ١٣٧.
(٥) المزمل ٧.
(٦) البستان ٤/ ١٢٦.
(٧) مجالس ثعلب ص ٤٠٣.
(٨) المؤمنون ٦٧.
(٩) البستان ١/ ٢٩٢.
(١٠) ص ٧٧.
(١١) محمد ١٥.
(١٢) البستان ٣/ ٧٥.

أَسِـنَ الماءُ يَأْسَنُ أَسَنًا، وأَجِنَ يَأْجَنُ أَجَنًا، وأَسَنَ يَأْسُنُ وأَجَنَ يَأْجُنُ أُسُونًا وأُجُونًا: إذا تَغَيَّرَ». ا هـ، وهذا ما قاله ثعلبٌ في الفصيح[١].

٣ ـ كتُب أَبِي بكرٍ ابن الأنباريِّ: مثلَ إيضاح الوَقْف والابتداء، والأضداد، والزاهرُ في معاني كلماتِ الناس، وغيرِها، ومن أمثلة ما نقله الجِبْلي عن ابن الأنباري.

١ ـ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «وجوابُ «إذا» محذوفٌ، قال ابنُ الأنباري[٤]: ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ هو الجواب، كأنه قال: حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ اقتَربَ الوعدُ الحقُّ، والواو مُقْحَمةٌ بمعنى التعجُّب، كما تقول في الكلام: وأَيُّ رَجُلٍ زَيْدٌ».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «قال ابنُ الأنباري[٧]: الطَّوْرُ: الحال، والطَّوْرُ أيضًا: التّارةُ والمَرّةُ، وجمعه: أَطْوارٌ».

ثالثًا: مصادرُ بغداديّةٌ: ومن البغداديِّين الذين نَقَل عنهم الجِبْلي: ابنُ كَيْسان وأبو القاسم الزَّجّاجي وأبو عَلِيٍّ الفارسيُّ وابنُ جِنِّي، ولكنّ الفارسيَّ هو أهمُّ مَن نَقَل عنه الجِبْلي من البغداديِّين، فقد نَقَل عنه في سبعةَ عشَرَ موضعًا، وأمّا ابنُ كَيْسان فقد نَقَل عنه في موضع واحدٍ فقط، وأمّا الزَّجّاجِيُّ فقد نَقَل عنه الجِبْلي بدون أن يشيرَ إليه، وأمّا ابنُ جِنِّي فقد نَقَل عنه الجِبْلي في موضع واحدٍ فقط.

---

(١) ص ٢٧٢.

(٢) الأنبياء ٩٦.

(٣) البستان ١/ ٢٠٩.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٧٩.

(٥) نوح ١٤.

(٦) البستان ٤/ ٨٧.

(٧) شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٤٣.

أمّا ابنُ كَيْسان فقد نَقَل عنه الجِبْلي في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[١]، فقال[٢]: «و﴿مَا﴾: في موضع رَفْع بـ﴿سَآءَ﴾ عند سيبوَيْه[٣]، و﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: صلةُ ﴿مَا﴾، والهاء محذوفةٌ أي: يَعْمَلُونَهُ، وقال الأخفش[٤]: ﴿مَا﴾: نكرةٌ في موضع نصب، و﴿كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ نَعْتُهُ، والهاء محذوفةٌ أيضًا من الصِّفة، وحذْفُها من الصِّلةِ أحسنُ، وهو جائزٌ من الصِّفة، وقال ابنُ كَيْسان[٥]: ﴿مَا﴾ والفعلُ: مصدرٌ في موضع رَفْع بـ﴿سَآءَ﴾. فلا يُحتاجُ إلى هاءٍ محذوفةٍ على قوله».

وأمّا الزَّجّاجيُّ فمن المواضع التي نَقَلَ فيها الجِبْليُّ عنه:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «وإنّما رَفَع المصدرَ وهو النَّفخةُ لأنه لَمّا نَعَتَها أقامها مُقامَ المرفوع؛ لأنّ الرَّفع بالمصدر ـ إذا نُعِتَ ـ أحسَنُ؛ لأنه يَقْرُبُ من الاسم، والنَّصب جائزٌ، ومثله في الكلام: ضُرِبَ بِزَيْدٍ ضَرْبٌ شَدِيدٌ، فإذا لم يُنْعَت المصدرُ كان الوجهُ النصبَ وقَبُحَ الرَّفعُ، وذلك قولك: ضُرِبَ بِزَيْدٍ ضَرْبًا، وسِيرَ بِزَيْدٍ سَيْرًا». اهـ، وهذا الكلام بنصِّه تقريبًا قاله الزَّجّاجي في الجُمَل[٨].

---

(١) المنافقون ٢.
(٢) البستان ٣/ ٤٢٤.
(٣) أشار سيبويه إلى ذلك في كتابه ٣/ ١٥٦.
(٤) معاني القرآن ص ٣٧، ٣٨، ١٣٩.
(٥) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٢٤٨، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٠، وغيرهما.
(٦) الحاقة ١٣.
(٧) البستان ٤/ ٤١.
(٨) ص ٨١.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وقولُه: «وَدُودٌ» له معنَيانِ، قيل: هو «فَعُولٌ» بمعنى «مَفْعُولٍ»، كحَلُوبٍ ورَكُوبٍ أي: مَوْدُودٌ، وقيل: هو «فَعُولٌ» بمعنى: فاعِلٍ، أي: يَوَدُّ عِبادَهُ الصالحين، ومنه: شَكُورٌ لِعَبْدِهِ على عَمَلِهِ، والعَبْدُ شَكُورٌ لِنِعَمِ رَبِّهِ، ومنه: اللهُ تَوّابٌ على عبده، وعَبْدُ اللهِ تَوّابٌ إلى رَبِّهِ مِن ذَنْبِهِ». اهـ، وهذانِ المَعْنَيانِ ذكرهما الزَّجّاجِيُّ في كتابه: اشتقاقُ أسماءِ الله[٣].

وأمّا الفارسيُّ فمن أمثلة ما نَقَله الجِبْليُّ عنه:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «وقرأ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ عن عاصم: ﴿نُجِّي﴾ بنونٍ واحدةٍ وتشديد الجيم، وجميع النَّحويِّين حَكَموا على هذه القراءة بالغلط وأنّها لحنٌ...، قال أبو عليٍّ الفارسي[٦]: هذا إنّما يجوزُ في ضرورة الشِّعر، وراوِي هذه القراءةِ عن عاصم غالطٌ في الرواية، فإنه قَرأ: ﴿نُـۨجِي﴾ بنونَيْنِ كما رَوَى حَفْصٌ عنه، ولكن النونَ الثانية من ﴿نُنْجِي﴾ تخفَى مع الجيم، ولا يجوز تبيينُها، فالتبس على السامع الإخفاءُ بالإدغام فظَنَّ أنه إدغام، ويدلُّ على هذا إسكانُه الياءَ من ﴿نُجِّي﴾ ونَصْبُ قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعلُه ما سكن الياء، ولَوَجَبَ أن تُرفَع ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٧]، قال

---

(١) البروج ١٤.
(٢) البستان ٤/ ٣٧٠.
(٣) ص ١٥٢.
(٤) الأنبياء ٨٨.
(٥) البستان ١/ ٢٠٤.
(٦) الحجة ٣/ ١٦٠، ١٦١، وينظر: المسائل البغداديات ص ٣٦٩.
(٧) النور ٣١.

الجِبْلـي[١]: «وقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قرأ ابنُ عامر بضـمِّ الهاء، ومثله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ في الزُّخرف[٢]، و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ في الرحمن[٣]، قال أبو عليٍّ الفارسي[٤]: وهذا لا يتَّجه؛ لأنّ آخِرَ الاسم هو الياءُ الثانية من «أَيُّ»، فينبغي أن يكونَ المضمومُ آخِرَ الاسـم، ولو جاز أن يُضَمَّ الهاءُ ـ من حيث كان مقترنًا بالكلمة ـ لَجازَ أن يُضَمَّ الميمُ في «اللَّهُمَّ» لأنه آخِرُ الكلمة، وينبغي ألّا يُقرأَ بِهذا، ولا يُؤْخَذَ به».

وأمّا ابنُ جِنِّي فقد نَقَل عنه الجِبْلي في موضعٍ واحدٍ فقط، فقال[٥]: «قَرأَ العامّة: ﴿يَـٰمَـٰلِكُ﴾[٦] بإثبـاتِ الكاف، وقَرأَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالب ـ رضي الله عنه ـ والأعمشُ: ﴿يا مالِ﴾ بحذف الكاف على الترخيم، ورَوَى أبو الدَّرداء ذلك عن النبيِّ ﷺ، قال أبو الفتح عثمانُ بن جِنِّي[٧]: هذا من أحقِّ الأشـياءِ بالترخيم؛ لأنه موضعٌ قد ذَهَبَتْ فيه قُواهُم، ولـم تنفَعْ فيه شكـواهم، فضَـعُفُوا عن تتميم نداءِ مالكٍ خازنِ النار».

رابعًـا: مصـادرُ مِصريّـة: ويمثِّلُها عند الجِبْلـي: إعرابُ القـرآن لأبي جعفرٍ النَّحّاس، وشرحُ المقدِّمة المُحْسِبةِ، وشرحُ جُمَل الزَّجّاجي لابن بابَشاذ.

١ ـ إعرابُ القرآن للنَّحاس: الجِبْلي وإن كان قد نَقَل عن النَّحّاس نقلًا صريحًا في واحدٍ وعشرينَ موضعًا فقط، إلّا أنه تأثَّر به تأثُّرًا كبيرًا؛ لأنّ أكثرَ الآراء التي نقلها الجِبْلي عن النحّاس كانت بغير عَزْو، وربّما نَقَل الجِبْلي كلامَ النحّاس واختيارَه في

---

(١) البستان ١/ ٣٢٢.

(٢) الآية ٤٩.

(٣) الآية ٣١.

(٤) الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٩٨، ١٩٩.

(٥) البستان ٢/ ٤٨٩.

(٦) الزخرف ٧٧.

(٧) المحتسب ٢/ ٢٥٧ باختلاف كبير في ألفاظه.

إعـرابٍ مـا دون أن يعلِّق عليه، بما يوحي بأنه يؤيِّد النحّـاسَ فيما ذهب إليه، وكان الجِبْلي يحكي كلامَ النحّاس أحيانًا بقوله: «قال الصَّفّارُ»، أو: «قاله الصَّفّارُ»، وهذا في عشَرة مواضعَ، وكان أحيانًا يقول: «قال أبو جعفرٍ»، وهذا في موضعَيْن، وأحيانًا يقول: «قال النَّحّاسُ»، أو: «قاله النَّحّاسُ»، وهذا في تسـعة مواضع، وكان نَقْله عن النحّاس ـ كما ذكرتُ ـ بطريقةٍ من اثنتَيْن:

الأُولى: النَّقل الصَّريح: حيث يصرِّح بالإشارة إلى النحّاس، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾[١] قال الجِبْلي[٢]: «قال أبو جعفرٍ النحّاس[٣]: كان الأعمشُ يقف على: ﴿وَمَكْرَ السَّـيِّئْ﴾، فيترُك الحركة، وهو وَقْفٌ حَسَـنٌ تامّ، ثم غَلِطَ عليه الراوي، فرَوَى أنه كان يحذف الإعرابَ، فتابَعَ حمزةُ الغالطَ، فقَرأَ في الإدراج بتَرْك الحركة».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾[٤]، قال الجِبْلـي[٥]: «وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ قيل: همـا معرفتان، فيكون خفضُهما على النَّعـت، وقيل: هما نَكِرةٌ، فيكون خفضُهما على البدَل، وأما ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ و﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ فهما نكِرتانِ، فيكون خفضُهما على البدَل لا على النَّعت، هكذا ذكره الصَّفّارُ[٦]».

---

(١) فاطر ٤٣.
(٢) البستان ٢/ ٢١٢.
(٣) إعراب القرآن ٣/ ٣٧٧.
(٤) غافر ١: ٣.
(٥) البستان ٢/ ٣٧٧.
(٦) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٤/ ٢٦.

والثانية: النَّقل غيرُ الصَّريح: حيث ينقُل عنه بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «ولا يجوز في الكلام: اقتربَ حسابُهم للناس؛ لئلّا يُقَدَّمَ مُضْمَرٌ على مُظْهَرٍ لا يجوز أن يُنْوَى فيه التأخيرُ». ا هـ، وهذا الكلام قاله النحّاس بنصِّه[٣].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «معطوفٌ على الجبال، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى: مع الطّير، كما تقول: التقَى الماءُ والخشبةَ». ا هـ، وهذا ما قاله النحّاس في إعرابِ القرآن[٦].

٢ ـ شرحُ المقدِّمة المُحْسِبةِ، وشرحُ جُمَلِ الزَّجّاجِيِّ لطاهر بن أحمدَ بن بابَشاذ، وهذانِ الكتابان كان لهما أثرٌ كبيرٌ لا في الجِبْلي وحدَه، بل في علماءِ اليمن بصفةٍ عامّة، وقد ذكرتُ السببَ في ذلك في الفصل الأول من هذه الدراسة[٧]، وكان نقلُه عن كتُب ابن بابَشاذ بطريقةٍ من اثنتَيْن:

الأولى: النَّقل الصَّريح، وهذا هو الغالبُ فيما نَقَله الجِبْلي عن كتابَيْ طاهر ابن أحمد إليه، ومن أمثلة ذلك مايلي:

---

(١) الأنبياء ١.
(٢) البستان ١/ ١٧٨.
(٣) في إعراب القرآن ٣/ ٦٣.
(٤) الأنبياء ٧٩.
(٥) البستان ١/ ١٩٨.
(٦) ٣/ ٧٥، ٧٦.
(٧) ١/ ٢٧.

١ ـ في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «قيل: اللامُ صِلةٌ، مجازُها: يدعو مَن ضُرُّه أقربُ من نَفْعِه، وهكذا قرأها ابنُ مسعود، وقال طاهر بن أحمد[٣]: مَنْ قال: اللام هاهنا زائدةٌ ففاسدٌ؛ لأنّها لا تقَعُ أولاً في أقوى مراتبِها وتكونُ زائدةً، وإنّما زِيدت وسَطًا في قول بعضهم:

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى منَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبه».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «وقال طاهر بن أحمد[٦]: ليس المرادُ بالسلام في الآيةِ الكرامةَ والتحيّة، وإنّما المرادُ به التَّبَرُّؤُ والتَّخْلِيةُ؛ لأنه خطابُ المؤمنين للجاهلين، كأنّهم قالوا: تَبَرَّأْنا منكم تَبَرُّؤًا، وسُلِّمْنا منكم تَسْلِيمًا، فأَوْقَعَ السلامَ موقعَ التسليم، فانتصب بانتصابه، فلذلك وَجَب نصبُه».

ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «وقال طاهر ابن أحمد[٩]: ﴿حَدَآئِقَ﴾: بدَلٌ من ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾، وهو بَدَلُ نَكِرةٍ من نَكِرةٍ. قال: ومثله من الشعر:

وكُنْتُ كذِي رِجْلَيْنِ: رِجْلٍ صَحِيحةٍ ورِجْلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ».

---

(١) الحج ١٣.
(٢) البستان ١/ ٤٦٨.
(٣) شرح جمل الزجاجي ١/ ١٣٦.
(٤) الفرقان ٦٣.
(٥) البستان ١/ ٣٩١.
(٦) شرح جمل الزجاجي ٢/ ١٥٢.
(٧) النبأ ٣١، ٣٢.
(٨) البستان ٤/ ٢٥٨.
(٩) شرح المقدمة المحسبة ص ٤٢٥، وينظر: شرح جمل الزجاجي ١/ ٥٧.

والثانية: النَّقل عنه بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «فـ﴿مِن﴾ الأولى: للغاية؛ لأنّ ابتداءَ الإنزال من السماء، والثانية: للتبعيض؛ لأنّ البرَدَ بعضُ الجبال التي في السماء، والثالثة لتبيين الجِنس؛ لأنّ جنسَ تلك الجبال جنسُ البَرَد، فالأُولَيانِ متعلِّقتان بـ﴿يُنَزِّلُ﴾، والثالثة: متعلِّقةٌ باستقرارٍ محذوف». اهـ، فهذا النصُّ قاله طاهر بن أحمد في شرح جُمَل الزَّجّاجي[(٣)].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٤)]، قال الجِبْلي[(٥)]: «و﴿ما﴾ هاهنا بمعنى: «مَنْ»، قال بعض النَّحْويِّين: قد تدخُل «ما» لصفاتِ من يَعقِل، كقوله تعالى هاهنا: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنّ الربَّ هو المالك، والمِلْكُ صفة». اهـ، وبعض النَّحْويِّين هذا هو طاهر بن أحمد[(٦)].

خامسًا: مصادرُ أخرى:

وأهمُّها ثلاثةُ كتُب، هي: الكشفُ والبيان للثَّعلبي، والوسيطُ للواحدي، وإنسانُ عَيْن المعاني لِمُحمد بن طَيْفور الغَزْنَويِّ السّجاوَنْدي.

١ ـ الكشفُ والبيان للثَّعلبي: وهو من أكثرِ الكتُبِ التي نَقَل عنها الجِبْلي، وقد تعدَّدت هذه النُّقولُ بين نقولٍ نَحْويّة ولُغوية، بالإضافة إلى التفسير والحديث

---

(١) النور ٤٣.
(٢) البستان ١/ ٣٤٧.
(٣) ١/ ١٣٩.
(٤) الشعراء ٢٣.
(٥) البستان ١/ ٤١٤.
(٦) وقد قاله في شرح جمل الزجاجي ١/ ٣٦.

وأسباب النزول ونحوِها، وكانت نُقولُه عن الثَّعلبيِّ بطريقةٍ من اثنتَيْن:

الأُولَى: النَّقل الصَّريح، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾[١]، قال الجبْلي[٢]: «قال الثعلبي رَحِمَهُ اللهُ[٣]: رأيتُ في بعض الكتب أنّ لقمان قال لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ...﴾ إلى آخِر الآية، فانْفَطَرَ هَيْبَةً من هذه الكلمة فمات، فكان آخِرَ حِكْمتِهِ».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «قَرأَه العامّةُ بالياء لأَجْل الحائل، وقَرأ أبو جعفرٍ بالتاء لتأنيث النَّجْوَى، والأَوَّلُ أصَحُّ وأفْصَحُ، قاله الثَّعلبي[٦]».

والثانية: النقل عن الثَّعلبيِّ بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «والزَّلْزَلَةُ والزَّلْزالُ: شدّةُ الحركة على الحال الهائلة، من قولهم: زَلَّتْ قَدَمُهُ: إذا زالت عن الجهة بسرعة». اهـ، وهذا ما قاله الثَّعلبي في الكشف والبيان[٩].

---

(١) لقمان ١٦.
(٢) البستان ٢/ ٦٠.
(٣) الكشف والبيان ٧/ ٣١٤.
(٤) المجادلة ٧.
(٥) البستان ٢/ ١١٤.
(٦) في الكشف والبيان ٩/ ٢٥٦.
(٧) الحج ١.
(٨) البستان ١/ ٢٢٢.
(٩) ٧/ ٦.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «ونظيرها في الكلام: شِبْرٌ وأَشْبارٌ، وجِلْدٌ وأَجْلادٌ، فكما أنّ الحِمارَ يحمِلُها وهو لا يَدْرِي ما فيها، ولا يَنْتَفِعُ بها، كذلك اليهودُ يقرؤون التوراةَ ولا ينتفعون بها؛ لأنهم خالَفُوا ما فيها». اهـ، وهذا أيضًا ما قاله الثَّعلبي[٣].

٢ ـ الوَسِيط للواحِدي: وهو من أهمِّ المصادر عندَ الجِبْلي، وهو مثلُ الكشف والبيان، تعدَّدت نُقول الجِبْلي عنه بين نَحْويّةٍ ولُغويّة وتفسيريّة، وكانت نُقولُه عن الواحِدي بطريقةٍ من اثنتَيْن أيضًا:

الأولى: النَّقل الصريح، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «قال الواحِدي[٦]: ﴿أَنَّ﴾ في قراءة مَن فَتَح الألفَ محمولةٌ على الجارِّ في قول الخليل وسيبوَيْه[٧]، التقدير: ولِأَنَ هذه أُمّتُكم أمةً واحدةً ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾، ومن قرأ بالتخفيف، فـ﴿أَنْ﴾ هي المخفَّفة من المشدَّدة، كقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٨]، ومَن كَسَرَ مع التشديد فهو على الاستئناف».

---

(١) الجمعة ٥.
(٢) البستان ٣/ ٤٠٩.
(٣) في الكشف والبيان ٩/ ٣٠٧.
(٤) المؤمنون ٥٢.
(٥) البستان ١/ ٢٨٩.
(٦) الوسيط ٣/ ٢٩٢.
(٧) الكتاب ٣/ ١٢٦، ١٢٧.
(٨) يونس ١٠.

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «وقال الواحدي[(٣)]: إنّما شَـرَطَ إرادةَ التحصُّن لأنّ الإكراهَ لا يُتَصَوَّرُ إلّا عند إرادة التحصُّن، فإن لم تُرِدِ المرأةُ التحصنَ باغَتْ بالطبع».

والثانية: النقل عن الواحدي بغير إشارةٍ إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ فـي قوله تعالـى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾[(٤)]، قـال الجِبْلي[(٥)]: «يعنـي: على شَـكٍّ، وأصلُه من حَرْف الشّـيء وهـو: طَرَفُه، نحوَ: حَـرْفِ الجبل والحائط الذي القائمُ عليه غيرُ مستقرٍ، فالذي يعبُد الله على حرفٍ كالذي هو على حـرفِ جبل أو نحوِه يضطرِبُ اضطرابًا، ويضعُف قيامه خوفًا من السـقوط». اهـ، وهذا نصُّ كلام الواحدي[(٦)].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾[(٧)]، قـال الجِبْلي[(٨)]: «وإنما خَصَّ الطيـرَ بالذِّكر من جملة الحيَوان لأنها تكون بينَ السّـماءِ والأرض، فهـي خارجـةٌ عن جُملـة مَن في السـماوات والأرض». اهـ، وهـذا ما قاله الواحدي[(٩)].

---

(١) النور ٣٣.
(٢) البستان ١/ ٣٢٩.
(٣) الوسيط ٣/ ٣١٩.
(٤) الحج ١١.
(٥) البستان ١/ ٢٣٠.
(٦) في الوسيط ٣/ ٢٦١.
(٧) النور ٤١.
(٨) البستان ١/ ٣٤٥.
(٩) في الوسيط ٣/ ٣٢٣.

٣ ـ إنسانُ عَيْن المعاني أو إنسانُ العَيْن: وقد اعتمد عليه الجِبْلي اعتمادًا كبيرًا، إذ نَقَل عنه نقلًا صريحًا في أربعةٍ وخمسين موضعًا في البستان، وقد تنوَّعت نُقولُه عنه بينَ نقولٍ نَحْويّة ولُغويّة وتفسيريّة وغيرها، وهذا الكتابُ أَلَّفَهُ أبو عبد الله محمدُ بن طَيْفور الغَزْنَويُّ السَّجاوَنْدِيُّ اختصارًا لكتابه «عَيْنُ المعانِي في تفسير السَّبع المثاني»[١].

وكتاب إنسان العَيْن لم أستطع الوصول إليه بعدَ أن بحثتُ عنه في فهارس المخطوطات المتاحة أمامي، ولذلك اضطُرِرت إلى تخريج أقوال السَّجاوَنْديِّ من كتابه الأصليِّ «عَيْن المعانِي في تفسير السبع المثاني»، باستثناء ما لم يَرِدْ في عين المعانِي، وقد نبَّهت على ذلك في موضعه، وكانت نُقولُ الجِبلي عن صاحب إنسان العَيْن بطريقة من اثنتَيْن:

الأولى: النقل الصَّريح، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «قال صاحب إنسان العَيْن[٤]: والشُّكُورُ: إشارةٌ

(١) ينظر: طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ١٥٧، الوافي بالوفيات ٣/ ١٧٨، طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠١، كشف الظنون ٢/ ١١٨٢، الأعلام ٦/ ١٧٩، معجم المؤلفين ١٠/ ١١٢، وذكر القفطي أن ابن محمد بن طيفور هذا هو الذي اختصر كتاب والده، قال القفطي: «محمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي المفسر النحوي اللغوي، قريب العهد منا، كان في وسط المائة السادسة للهجرة النبوية، صنف كتابًا في تفسير القرآن العزيز سماه «عَيْنَ التفسير»، ذكر فيه النحو وعلل القراءات والأبيات ومعانيها واللغة إلى غير ذلك من معانِي التفسير في مجلدات، أعدادها قليلة، وفوائدها كثيرة جليلة، واختصر وَلَدُهُ هذا التفسير وسماه: «إنسان العين». إنباه الرواة ٣/ ١٥٣.

(٢) الفرقان ٦٢.

(٣) البستان ١/ ٣٩٠.

(٤) عين المعاني ورقة ٩٣/ أ.

إليه في عُمَر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لِفَوات وِرْدِهِ».

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وهو نُوحُ ابن لَمَكَ بن مَتُّوشَلَخَ بن أَخْنُوخَ ـ وهو إِدْرِيسُ عليه السّلام ـ ونوحٌ بالسُّرْيانِيّةِ معناه: السّاكِنُ؛ لأن الأرض طُهِّرَتْ من خَبَثِ الكفار وسَكَنَتْ إليه، وفي الحديث: «أَوَّلُ بَنِي إسرائيلَ نُوحٌ ـ عليه السّلام ـ»، قاله السَّجاوَنديُّ»[٣].

والثانية: النقل عنه بدون الإشارة إليه، ومن أمثلته ما يلي:

١ ـ في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «وقرأ طلحة بن مصرِّف والحسن وعيسى بن عُمر: ﴿سُورةً﴾ بالنَّصب على معنى: أَنْزَلْناها سُورةً، والكناية صلةٌ زائدة، وقيل: على الإغراء؛ أي: اتَّبِعوا سورة أنزلناها». ا هـ، وهذا الوجه الثاني قاله السَّجاوَندي في عين المعانِي[٦].

٢ ـ في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «وقيل: الباء للتّعدِية؛ أي: تُشَقِّقُ السماءُ الغمامَ: تُهْوِيها إلى الأرض». ا هـ، وهذا ما قاله السَّجاوَندي[٩].

---

(١) نوح ١.
(٢) البستان ٤/ ٨١.
(٣) عين المعانِي ورقة ١٣٧/ ب.
(٤) النور ١.
(٥) البستان ١/ ٣٠٨.
(٦) ورقة ٨٨/ ب.
(٧) الفرقان ٢٥.
(٨) البستان ١/ ٣٧٤.
(٩) ينظر: عين المعانِي ورقة ٩٢/ ب.

المبحثُ الثالث
منهجُ الجِبْليِّ في البستان

والحديثُ عن منهج الجِبْلي في البستان يتناول الأمورَ التالية:

خُطّةُ الكتاب ـ نُقولُه عن العلماء ـ اهتمامُه باللُّغة ـ اهتمامُه بتوضيح التصحيف ـ استطرادُه في ذِكْرِ أشياءَ بعيدةٍ عن موضوع الآية التي يشرحها ـ تَرْكُهُ آياتٍ بدون إعراب أو شرح ـ تأثرُه بلغةِ الفقهاء والمتكلِّمين ـ اهتمامُه بالروايات المختلفة للشِّعر ـ أشعارٌ في الزهد والحِكمة.

١ ـ خُطّةُ الكتاب:

أ ـ تناول الجِبْلي سُوَرَ القرآن سورةً سورةً، بترتيب المصحف.

ب ـ كان الجِبْلي يبدأُ كلَّ سورةٍ بذكر اسمها، وما إذا كانت مكيّةً أو مَدنيّةً، ثم يذكر عددَ حروفها وعددَ كلماتها وعدد آياتها، ثم يذكر بابًا فيما جاء في فضل قراءتها، فيذكر حديثَيْن في الغالب(١)، وقد يذكر حديثًا واحدًا(٢)، وقد يذكر أكثرَ من ذلك(٣).

---

(١) وهذا هو الغالب في الكتاب.

(٢) كما ذكر في فضل قراءة سورة قريش ٥/ ٧٣.

(٣) فقد ذكر المؤلف ثلاثة أحاديث في فضل قراءة كل من السورة الآتية: النور، الرحمن، الواقعة، المعارج، التكوير، العاديات، التكاثر، الكوثر، الكافرون، وذكر أربعة أحاديث في فضل قراءة كل من السور الآتية: السجدة، الدخان، الحديد، البينة، الزلزلة، وذكر خمسة أحاديث في فضل قراءة كل من السور الآتية: الفتح، الأعلى، المعوذتين، وذكر ستة أحاديث في فضل قراءة سورتَي الملك، الإخلاص.

جـ ـ أغلبُ الأحاديث التي أورَدها الجِبْلي في فضائل السُّور موضوعةٌ، وقد نبَّهتُ على ذلك في أوّل سُورة الأنبياء.

د ـ بعدَ أن يذكرَ الجِبلي ما وَرَد في فضل قراءة السورة يذكر «بابُ ما جاء فيها من الإعراب»، فيتناول آياتِ هذه السورة بالإعراب والشّرح، ولكنه في الغالب لا يتناول جميعَ آياتِ السورة، بل ينتقي بعضًا منها، وهو في هذا يتّبع طريقةَ أكثرِ المعرِبين السابقين، ولكنه في أحيانٍ أخرى يُعربُ جميعَ آيات السورة، كما هو الحالُ في أغلبِ سُوَر الجزءِ الثلاثين.

هـ ـ قد يذكُر في ثنايا السورة فصلًا أو أكثرَ، يوردُ فيه حديثًا أو أكثرَ في تفسير آية أو ذكْرَ سببِ نزول، وقد يذكر بعضَ القَصَص في هذا الفصل.

و ـ أَوْرد الجِبْلي نحوَ ثمانِمائة حديث، منها ما أَوْرده في فضائلِ السُّور كما سبق، ومنها ما أَوْرده في تفسير آيةٍ، أو في سببِ نزولٍ أو نحو ذلك، ومنها أحاديثُ استشهَد بها الجِبلي على حُكم نَحْويّ أو رأي لُغوي، وهي قليلةٌ بالنسبة للأحاديث الأخرى، وأما الأخبار والقَصَص فأغلبها إسرائيليّاتٌ موضوعة.

٢ ـ نُقولُه عن العلماء:

ـ كان الجِبْلي يذكر آراءَ النُّحاة في مسألةٍ ما، وقد يُكْثِرُ من هذه الآراء كثرةً واضحةً، ثم يختار الرأيَ الراجح منها، وقد يذكُر هذه الآراءَ بدون ترجيح، وقد يكتفي الجِبلي بذِكر رأيٍ واحدٍ في إعراب الآية اعتمادًا على أنّ هذا هو الراجح، وقد يذكر الجِبْلي وجهًا إعرابيًّا أو أكثرَ في إعراب آيةٍ ما دون أن يعزوَ هذه الآراءَ إلى أصحابها.

٣ ـ اهتمامُه باللغة:

اهتمَّ الجِبْلي اهتمامًا كبيرًا بالآراءِ اللغويّةِ في توضيحِ معاني الآياتِ التي يتناولها، كما اهتمَّ أيضًا بظواهرَ لغويّةٍ عديدة، ومنها:

أ ـ **الفروق اللغوية**: ومن أمثلتها عندَه ما يلي:

ـ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وواحدُ القواعد: قاعِدٌ بغير هاء، وقواعدُ البيت: أساسُه، واحدُها: قاعدةٌ، بهاء».

ـ في قوله تعالى: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٣]، قال الجِبلي[٤]: «يقال: ناصَهُ الشَّيْءُ: إذا فاتَـهُ، والنَّـوْصُ بالنون: التَّأَخُّرُ، والبَـوْصُ بالباء: التَّقَدُّمُ، قالـه الفـراء»[٥]. وقد جمعهما امرؤ القيس في بيتٍ، فقال:

فَـتَـقْصُرُ عَنْها خُطْوةً فَـتَـبُوصُ».

ـ في قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «والنَّضْخُ ـ بالخاءِ المُعجَمةِ عند العـرب ـ: الـرَّشُّ، والنَّضْحُ ـ بالحاءِ المُهمَلةِ ـ: دُونَهُ».

ب ـ **الأضـداد**: اهتمَّ الجِبلي في مواضعَ كثيرةٍ بإبرازِ الألفاظ المتضادّة وبيان معانيها، ومن أمثلة ذلك عندَه ما يلي:

ـ لفظ «التفكُّه»: ففي قوله تعالى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[٨]، قال الجِبلي[٩]: «ومعنى ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعَجَّبُونَ ممـا نَزَلَ بكم في زَرْعِكم، وقيل: تَنَدَّمُـونَ، وقيل: تَلَاوَمُونَ،

---

(١) النور ٦٠.
(٢) البستان ١/ ٣٥٥.
(٣) سورة ص ٣.
(٤) البستان ٢/ ٢٩٦.
(٥) معاني القرآن ٢/ ٣٩٧.
(٦) الرحمن ٦٦.
(٧) البستان ٣/ ٢٧٧.
(٨) الواقعة ٦٥.
(٩) البستان ٣/ ٣١١.

وقيل: تَحْزَنُونَ، وهو من الأضداد، تقول العربُ: تَفَكَّهْتُ: إذا تَنَعَّمْتَ، وتَفَكَّهْتُ: إذا حَزِنْتَ، قال أبو عَمْرٍو والكِسائيُّ[(١)]: التَّفَكُّهُ هو: التَّلَهُّفُ على ما فات، وقيل: التَّفَكُّهُ: التَّكلُّمُ فيما لا يَعْنِيكَ، ومنه قيل للمُزاح: فُكاهة».

ـ لفظُ «الظنِّ»: ففي قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾[(٢)]، قال الجِبلي[(٣)]: «أي: عَلِمْتُ وأَيْقَنْتُ في الدنيا أَنِّي مُحاسَبٌ في الآخرة، والظَّنُّ يُستعمَلُ في اللُّغة بمعنى: اليقين، ويستوي اللفظُ بحقيقته فيه، ويُسْتَعمَلُ بِمعنى الشَّكِّ، قال أهلُ اللغة: الظَّنُّ من الأَضْداد، يكون يقينًا ويكون شَكًّا، كالرَّجاءِ يكون أَمَلًا ويكون خَوْفًا».

٤ ـ اهتمامُه بتوضيح التصحيف: ومن أمثلته ما يلي:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾[(٤)]، قال الجبلي[(٥)]: «قيل: هو في سَماءِ الدنيا، وقيل: في السَّماء الرابعة بِحِذاءِ الكعبةِ يُقالُ له: الضُّراحُ بضادٍ معجَمة، ومَن رواه بالصّاد المهمَلة فقد صَحَّفَ، ذكره ابنُ الأثير في غريبه»[(٦)].

٥ ـ استطرادُه في ذكر أشياءَ بعيدةٍ عن موضوع الآية التي يشرحها:

كان الجِبلي يتطرَّقُ أحيانًا إلى ذِكرِ حكم نَحْويٍّ أو فائدة لُغويّة أو حُكم فِقْهيّ أو غير ذلك ممّا هو خارجٌ عن موضوع الآية التي يتناولها، ومن أمثلة استطراده في ذكر فوائدَ لُغويّة:

---

(١) ينظر قولهما في تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٨٠، الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٨.
(٢) الحاقة ٢٠.
(٣) البستان ٤/ ٤٥.
(٤) الطور ٤.
(٥) البستان ٣/ ١٨٤.
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/ ٨١.

ـ ما أورده في شرحه لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[١]، فقد أورد فصلًا ذَكَر فيه أحاديثَ في فضل النِّكاح، وممّا وَرَد في هذا الفصل قولُه[٢]: «ويُسْتَحَبُّ لـه أن يتزوَّج الأبكار، ولا يتزوجَ عجوزًا ولا عاقرًا، لما رُوِيَ عن ابن عُمر ـ رضي الله عنـه ـ أنّ رسـولَ الله ﷺ قـال: «عليكم بالأبـكار، فإنّهنَّ أعذب أفواهًـا وأَنْتَقُ أرحامًا، وأَسْـمَنُ أَقْبالًا، وأرضى باليسـير من العمل»، ومعنى قوله عليه السّـلام: «أنتـق أرحامًـا»؛ يعني: كثيرة الولـد، يقال: امـرأة ناتِقٌ؛ أي كثيـرة الأولاد»، قال الشاعر:

أَبَى لهُـمُ أَن يَعرِفُـوا الضَّيْمَ أَنَّهمْ ... بَنُـو ناتِـقٍ كانـتْ كثيـرًا عِيالُها»

ـ ما أَوْرده في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾[٣] فقد قال الجِبْلي[٤]: «أَماراتُها وعلاماتُها منَ انشقاق القمر وخروج النبيِّ ﷺ، والأَشْراطُ واحدُها: شَرَطٌ، وأصلُ الإشـراطِ: الإعلامُ، يقال: أَشْرَطَ نَفْسَهُ للأمر: إذا جَعَلَ نَفْسَهُ عَلَمًا فيه، وبهذا سُمِّيَ أصحابُ الشُّرَطِ، لِلُبْسِهِم لِباسًا يكون علامةً لهم، ومنه قيل: الشَّرْطُ في البيع وغيره؛ لأنـه علامة من المتبايعَيْنِ، ويقال: أَشْـرَطَ فُلانٌ نَفْسَـهُ في عمل كـذا؛ أي: أَعْلَمَها وجَعَلهـا له، قال أوسُ بـن حُجْرٍ يصفُ رَجُلًا يُدَلِّي بحَبْلٍ مـن رأس جبلٍ إلى نَبِقَةٍ ليقطَعها ويتَّخذَ منها قَوْسًا:

فأَشْـرَطَ فيها نَفْسَـهُ وهْـوَ مُعْصِمٌ ... وأَلْقَـى بأسـبابٍ لـهُ وتَوَكَّـلا».

---

(١) النور ٣٢.

(٢) البستان ١/ ٣٢٧.

(٣) محمد ١٨.

(٤) البستان ٣/ ٧٩.

ـ وفي قوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «أي: فُتِّتَتْ فَتًّا، ولُتَّتْ لَتًّا، كما يُبَسُّ السَّوِيقُ ويُلَتُّ، قال الشاعر:

فانْبَسَّ حَيّاتُ الكَثِيبِ الأَهْيَلِ

والبَسِيسةُ عندَ العرب: الدَّقيقُ أو السَّوِيقُ يُلَتُّ ويُتَّخَذُ زادًا، وذُكِرَ عن لِصٍّ من غَطَفانَ أنه أراد أن يَخْبِزَ، فخافَ أن يُعَجَّلَ عن الخَبْزِ، فقال:

لا تَخْبِزا خُبْزًا، وبُسّا بَسّا
ولاَ تُطِيلَنْ بِمُناخٍ حَبْسا».

٦ ـ تركُه آياتٍ بدون إعراب أو شرح: كان الجِبْلي يرى في بعض الأحيان أنَّ بعضَ الآيات ظاهرةُ التفسير أو الإعراب، فلا يُعرِبُها، فنراه يقول مثلًا: «وما بعدَ هذا ظاهرُ التفسير» ونحوَه، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

ـ ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[(٣)]، فقد قال الجِبْلي[(٤)]: محَلُّ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾: رفْعٌ على النعت للمؤمنين، وإن شئتَ قلت: هو رَفْعٌ على الابتداء، وإن شئتَ قلت: محَلُّه نَصْبٌ على المدح، وما بعدَه ظاهرُ التفسير».

ثم انتقل إلى إعراب الآية الخامسة من السورة، فقال[(٥)]: «قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾[(٦)]، قال اللَّيث: الفَرْجُ: اسمٌ يَجْمَعُ سَوْآتِ الرجال والنساء،

---

(١) الواقعة ٥.
(٢) البستان ٣/ ٢٨٨.
(٣) المؤمنون ٢.
(٤) البستان ١/ ٢٦٨.
(٥) البستان ١/ ٢٦٨.
(٦) المؤمنون ٥.

فالقُبُلانِ ومـا حَوالَيْهِما كُلُّهُ فَرْجٌ، والمراد بالفَرْجِ هاهنـا فُرُوجُ الرجال خاصةً، قال الكلبيُّ: يعني: يَعَفُّونَ عما لا يَحِلُّ لهم».

ـ ما وَرَد في الآية الأولى من سُورة النور، فقد شَرَحَها إلى أنْ وصل فيها إلى قوله تعالـى: ﴿وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[(١)]، ثم قال[(٢)]: «أي: لكي تتَّعظوا وتعمَلـوا بما أمَرَكم الله به، وتنتهوا عمّا نهاكم الله عنه، وما بعدَه ظاهرُ الإعراب إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾[(٣)]».

والأمثلة على هذا كثيرةٌ، وربما كان ذلك راجعًا إلى أنّ هذا الكتابَ مُختصَرٌ وليس مُفَصَّلًا، وهذا ما ذكره الجِبْلي في أكثرَ من موضع من كتابه، ومنها:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾[(٤)]، ذَكَر الجِبلي عدةَ آراءٍ، ثم قال[(٥)]: «فيه اختلافٌ بين العلماءِ يطول شرحه هاهنا».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[(٦)]، ذَكَر الجِبْلي عدةَ آراءٍ ثم قال[(٧)]: «وفيه تفاسيرُ واختلافٌ بين العلماء يطـول شرحُها هاهنا، فاكتفَيْنا بحديث المصطفى وتفسيره ﷺ».

٧ ـ **تأثُّرُه بِلُغةِ الفقهاءِ والمتكلِّمين:** الجِبْلِيُّ كان فقيهًا، وقد بدا تأثُّرُه في كتابه

(١) النور ١.
(٢) البستان ١/ ٣١٠.
(٣) النور ٦.
(٤) القصص ٧٦.
(٥) البستان ١/ ٥٠٩.
(٦) لقمان ٢٠.
(٧) البستان ٢/ ٦٥.

«البستان» بلغة الفقهاء واضحًا جَلِيًّا، كما تأثَّر أيضًا بلغة علماءِ الكلام والتوحيد، وهذا واضحٌ في غير موضع من كتابه.

فمن المواضع التي تأثَّر فيها بلُغة الفقهاء:

ـ في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[1]، قال[2]: «والمعنى: زوِّجوا أيُّها المؤمنونَ مَن لا زَوْجَ له من أحرارِ رجالكم ونسائكم، وهو أمرُ نَدْبٍ واستحباب، وهو الصحيح المشهور والذي عليه الجمهور، وفسَّر بعض الفقهاء الآيةَ على الحَتْم والإيجاب، فأَوْجب النكاحَ على من استطاعه». اهـ، ثم عَقَدَ فصلًا ذكر فيه أقوالَ الفقهاء في هذه الآية[3].

ـ وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[4]، قال[5]: «فَصْلٌ: عن عبد الله بن عُمر، قال: طَلَّقْتُ امرأتِي على عهد رسول الله ﷺ وهي حائضٌ، فذَكَرَ ذلك عُمَرُ لرسول الله ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «مُرْهُ فلْيُراجِعْها، ثُمَّ يُمْسِكْها حتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ عندَه حَيضةً أُخرى، ثُمَّ يُمْهِلها حتَّى تَطْهُرَ مِن حَيْضتِها، فإذا طَهُرَت فلْيُطَلِّقْها ـ إن شاء ـ قبلَ أن يُجامِعَها أو يُمْسِكْها، فتلك العِدّةُ التِي أَمَرَ اللهُ أن تُطَلَّقَ لها النساءُ»، رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن قُتَيبة عن الليث، وهذا هو طلاقُ السُّنة، وأمّا طلاق البِدعة فهو أن يقعَ في حال الحَيْض أو في طُهرٍ جامَعَها فيه، فهو واقعٌ وصاحبُه آثِمٌ».

(١) النور ٣٢.

(٢) البستان ١/ ٣٢٦.

(٣) ينظر: البستان ١/ ٣٢٦.

(٤) الطلاق ١.

(٥) البستان ٣/ ٤٤١.

ومن المواضع التي تأثَّر فيها بلغة المتكلِّمين:

ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾[١]، قال[٢]: «وهذه الآيةُ حُجّةٌ على القَدَرِيّةِ[٣]؛ لأنه نَفَى خالِقًا غَيْرَهُ وهم يثبتون معه خالِقِينَ».

ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٤]، قال[٥]: «وفي قوله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ حُجّةٌ على القَدَرِيّةِ؛ لأن الله تعالى صَرَفَ الجِنَّ إلى نَبِيِّهِ ﷺ بالإرادة، ولمْ يأمرهم بذلك؛ لأنّ الله تعالى قد يريد ما لا يَأمُر به فيكون، ويَأمُر بما لا يريد فلا يكون».

٨ ـ **اهتمامُه بإيراد الرّواياتِ المختلفة للشِّعر**: كان الجِبْلي يهتمُّ بذكر الرّوايات المختلفة للشاهد الشِّعري الذي يُنشده، ومن أمثلته ما يلي:

ـ قال الجِبْلي[٦]: «والجزم بـ«إذا» ـ وإن جاء في الشِّعر ضرورةً ـ لا يُحْمَلُ عليه القرآنُ، ورواية الجَزْم في الشعر كما قال:

إذا قَصُرَتْ أسيافُنا كان طُولُها ... خُطانا إلى أَعْدائِنا فنُضارِبِ

وخَطَّأَهُ المغربي؛ لأنّ القصيدةَ مرفوعةُ القوافي، وفيها:

وقدْ عِشْتُ دَهْرًا والغُواةُ صَحابَتِي ... أُولَئِكَ خُلْصانِي الَّذِينَ أُصاحِبُ

---

(١) فاطر ٣.

(٢) البستان ٢/ ١٩١.

(٣) يعني بالقدرية هنا المعتزلة.

(٤) الأحقاف ٢٩.

(٥) البستان ٣/ ٥٩.

(٦) البستان ٢/ ١٥١.

وفيها:

فلِلْمالِ عِنْدِي اليَوْمَ راعٍ وكاسِبُ»

ـ وفي قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾[1]، قال[2]: «قرأ أهلُ المدينة والشام وأيوبُ بفتح الفاء؛ أي: مُنَفَّرةٌ مَذْعُورةٌ، وقَرأ الآخَرون بالكسر، أي: نافِرةٌ، يقال: نَفَرَتْ واسْتَنْفَرَتْ بِمَعْنًى واحِدٍ، وأنشد الفَرّاءُ:

أَمْسِكْ حِمارَكَ، إِنَّهُ مُسْتَنْفَرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرةٍ عَمَدْنَ لِقُرَّبِ

والقَرَبُ: طَلَبُ الماءِ، والقارِبُ: هو الطّالِبُ، ويروى:

فِي إِثْرِ أَحْمِرةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّبِ

و«غُرَّبٌ»: اسم جَبَلٍ، ذكره صاحب ديوان الأدب»[3].

ـ قال الجِبْلي[4]: «وأنشد النَّحْويّون للفرزدَق:

وإِذا الرِّجالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ خُضُعَ الرِّقابِ نَواكِسَ الأَبْصارِ

وَرَوَوْهُ بكسر السِّين من نَواكِسِ، وأصله «نَواكِسِينَ»، فحُذِفَت النونُ للإضافة والياءُ لالتقاء الساكنَيْن، فبقيت السين مكسورةً في اللفظ».

٩ ـ أشعارٌ في الزهد والحِكمة: أكثَرَ الجِبلي من إيرادِ أبياتٍ ومقطَّعاتٍ في الزهد والحكمة، ممّا يدخُل في إطار استطرادِه في أشياءَ بعيدةٍ عن الإعراب، ويُنظَر ما سبق في موقف الجِبْلي من الشعر في الفصل الأول[5].

---

(١) المدثر ٥٠.

(٢) البستان ٤/ ١٦٠.

(٣) ديوان الأدب للفارابي ١/ ٣٢٣.

(٤) البستان ٤/ ١٩٨.

(٥) ١/ ٦٠ وما بعدها.

المبحثُ الرابع
المصطَلحاتُ النَّحويّة في البستان

تُعَدُّ المصطَلحاتُ وسيلةً أساسيّةً لفهم العلوم، ومنها علم النَّحو، «فلا بد للنَّحو من مصطَلحاتٍ تكون أعلامًا على موضوعات ومعانٍ يُطْلِقُها أصحاب الصناعة، فيفهمُها الدارسون من أهلها»[1].

وقد كان لكلِّ فريق من البَصْريِّين والكوفيِّين مصطلحاتٌ نَحْويةٌ خاصةٌ به، كما كانت هناك مصطَلحاتٌ مشتركة بين الفريقَيْن، يقول الدكتور مهدي المخزومي[2]: «والمصطلحات النَّحوية التي اصطنعتها المدرستانِ ثلاثُ طوائف:

١ ـ طائفةٌ كوفيّة خالصة، لم يعرفْها البصريُّون.

٢ ـ طائفةٌ بَصْريّة خالصة، لم يعرفْها الكوفيون.

٣ ـ طائفةٌ كوفيّةٌ بَصْريّة، إلّا أنّ لها عندَ الكوفيِّين اسمًا، وعند البصريِّين اسمًا آخر». ا هـ.

وقد كان الجِبلي يستخدمُ المصطلح البَصْريَّ أحيانًا، كما كان يستخدم المصطَلح الكوفيَّ أحيانًا أخرى، وربما استخدم مصطلحًا غيرَ معروف عند الفريقَيْن.

---

(١) مدرسة الكوفة في منهجها في دراسة اللغة والنحو، تأليف الدكتور/ مهدي المخزومي ص ٣٠٣، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، (١٣٧٧هـ) = (١٩٥٨م).

(٢) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي المخزومي ص ٣٠٥.

ولن أتناولَ في هذه الدراسة المصطلحاتِ البَصْريّةَ أو الكوفيّةَ التي استخدمها الجِبْلي؛ وذلك لأنّ هذه المصطلحاتِ قد بلغت من الشُّــهرة عند النَّحويِّين حَدًّا لا يحتاج إلى إبرازها وتوضيحها، ولكنني سأقتصرُ هنا على المصطلحات التي وقَفْتُ عليها عند الجِبْلي، وليست ـ على حَدِّ عِلْمِي ـ بصريّةً ولا كوفيّةً، ومن أمثلتها عندَه ما يلي:

١ ـ **الفعل المستقبل**: وقد استعمله الجِبْلي في كتابه في موضع واحد، وأراد به اسـمَ الفاعل[١]، ففي قولـه تعالى: ﴿وَكُلٌّ آتُـوهُ داخِرِينَ﴾[٢]، قـال الجِبْلي[٣]: «وأصلُ ﴿آتُوهُ﴾: آتِيُوهُ، وهو فعلٌ مستقبَلٌ على قراءة العامة، وقرأ الأعمش وحمزة وحفص: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾ من غير مَدٍّ، جعلوه فعلًا ماضيًا».

ويبـدو أن مصطلـح الفعل المسـتقبَل هنا من مصطَلحـات الكوفيِّين؛ فإنهم يُسَـمُّونَ اسـمَ الفاعل بالفعل الدائم[٤]، ولكنّي لم أقفْ على قولٍ لأحدٍ من العلماء في هذا.

٢ ـ **النَّصـب على الصَّرف**: مصطَلـح الصَّرف عند الكوفيِّين معنـاه: أنّ الفعل المضـارع صُرِفَ من الجزم إلى النَّصب لوقوعه بعدَ الواو اسـتخفافًا للنصب، ولكنّ الجِبْلي استعمل هذا المصطلحَ في موضع واحدٍ من البستان على وَجْهٍ يختلف عن هذا المعنى الذي استعمَله فيه الكوفيُّون، ففي قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ﴾[٥]،

---

(١) مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٠-٥٢.

(٢) النمل ٨٧.

(٣) البستان ١/ ٤٧١.

(٤) ينظر: مدرسة الكوفة للمخزومي ص ٢٨١، ٣١٠، مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٢.

(٥) الحجرات ١٧.

قال الجِبْلي في إعراب ﴿أَنْ﴾[1]: «نُصب على الصرف، وإن شئتَ على نزع الصفة؛ أي: بأنْ هداكم».

فربما أراد الجِبْلي بالنَّصب على الصَّرف هنا: النصبَ على المفعول من أجله، وهو أحدُ وجهَيْن ذكرهما العلماءُ في إعراب قوله تعالى: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ﴾؛ لأنه لا سبيلَ هنا إلى المعنى الثاني الذي يستعمله فيه الكوفيون، وهو صرفُ الفعل من حال الجزم إلى حال النَّصب.

٣ ـ **الاستثناء الصَّحيح**: ويعني به الاستثناءَ المتَّصل، وقد استعمله الجِبْلي بهذا المعنى في موضعٍ واحدٍ من البستان، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[2]، قال الجِبْلي[3]: «اختلفوا في معنى ﴿إِلَّا﴾، فقال قومٌ: هو استثناءٌ صحيح، واللَّمَمُ: من الكبائر والفواحش».

٤ ـ **الابتداء المُحَقَّقُ**: وربما يعني به المبتدأَ المذكورَ لا المقدَّر، وقد استعمله الجِبْلي في موضعَيْن:

ـ الأول، في قوله تعالى: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ﴾[4]، قال الجبلي[5]: «اللَّائِي« جَمْعُ «التِّي»، يقال: اللَّائِي واللَّاتِي، ومحله رفعٌ، خبرُ ابتداء محقَّق».

ـ والثانِي: في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ

---

(١) البستان ٣/ ١٣٥.

(٢) النجم ٣٢.

(٣) البستان ٣/ ٢١٤.

(٤) المجادلة ٢.

(٥) البستان ٣/ ٣٥٣.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وقوله: ﴿هُوَ ٱللَّهُ﴾ ابتداءٌ وخبر، و﴿ٱلَّذِى﴾: رفـعٌ؛ لأنه صفـة ﴿ٱللَّهُ﴾، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: نعتٌ على التَّنْزِيـهِ والنَّفْيِ، وموضعه رفعٌ بالابتـداء، و﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾: رفعُ خبرِ ابتداءٍ محقَّق، و﴿ٱلرَّحِيمُ ﴾: رفعٌ: خَبَرٌ ثانٍ ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ إلى آخِـرِهِ، كُلُّها أخبارٌ لابتداءٍ محـذوف، تقديره: هو الملك، وذلك «هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ».

٥ ـ **المفعـول المُحَقَّقُ**: ففي قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «و﴿يَوۡمَ﴾ الأول: نُصِب على الظرف، واليوم الثاني نُصِب على البدَل منه، و﴿مَنۡ﴾: منصوبٌ بـ﴿يَنفَعُ﴾، وهو مفعولٌ مُحَقَّقٌ».

* * *

(١) الحشر ٢٢.

(٢) البستان ٣/ ٣٨٠.

(٣) الشعراء ٨٨، ٨٩.

(٤) البستان ١/ ٤٢٠.

المبحثُ الخامس
العلّة النَّحويّةُ في البستان

استنبطَ النُّحاة عِلَل النَّحو من نَظَرِهِم في كلام العرب، حتى بَلَغت عندَهم ثلاثةً وعشرينَ نوعًا، ذكرها الجليسُ الدِّينَوريّ، فقال[١]: «علّة سَماع، وعلّة تشبيه، وعلّة استغناء، وعلّة استثقال، وعلّة فَرْقٍ، وعلّة توكيد، وعلّة تعويض، وعلّة نظير، وعلّة نقيض، وعلّة حَمْل على المعنى، وعلّة مشاكَلةً، وعلّة معادلة، وعلة قُرْبٍ ومجاورة، وعلّة وجوب، وعلّة تغليب، وعلّة اختصار، وعلّة تخفيف، وعلّة دِلالةِ حال، وعلّة أَصْلٍ، وعلّة تحليل، وعلّة إشعار، وعلّة تضادٍّ، وعلّة أَوْلَى».

وقد نَقَل السُّيوطي هذه العِلَلَ عن الدِّينَوري، ولكنه جَعَلها أربعًا وعشرين بزيادة: علّة الجَوازِ[٢].

العلّة البسيطةُ والمركَّبة:

هل يجوز أن يُعَلَّلَ الحكمُ الواحدُ بعلّتَيْنِ أو أكثرَ؟

أجاب الأَنْباري عن هذا السُّؤال فقال[٣]: «اعلم أنّ العلماءَ اختلفوا في ذلك، فذهب قومٌ إلى أنه لا يجوز؛ لأنّ هذه العِلّة مُشَبَّهةٌ بالعلّة العقليّة، والعلّة العقليّة لا يَثبُت الحكمُ معَها إلّا بعلّةٍ واحدة، فكذلك ما كان مُشَبَّهًا به، وذهب قومٌ إلى أنه

(١) ثمار الصناعة للجليس الدينوري ص ١٣٥.
(٢) ينظر: الاقتراح للسيوطي ص ١٧٦.
(٣) لمع الأدلة للأنباري ص ١١٧، وينظر: الاقتراح للسيوطي ص ١٨٢.

يجـوزُ أن يُعَلَّلَ بعلّتَيْـنِ فصاعدًا، وذلك مثلَ أن يُدَلَّ على كـونِ الفاعل ينزلُ منزلةَ الجـزءِ من الفعل بعِلَل». اهـ، ثم ذكر الأنباري عَشْـرَ عِلَلٍ فـي هذا الحكم[١]، ثم اعترَض على الرأي المُجَوِّزِ لِتَعَدُّدِ العِلَلِ في الحكم الواحد[٢].

وكان السُّيوطيُّ أكثَرَ توضيحًا للمعنى، وكانت عبارته أخصرَ من عبارة الأنباري، حيـث قال[٣]: «العلة قد تكون بسـيطةً، وهي: التي يقع التعليلُ بهـا من وجهٍ واحدٍ، كالتعليـل بالاسـتثقال والجِوار والمشـابَهة ونحو ذلك، وقـد تكـون مُرَكَّبةً من عدةِ أوصافٍ: اثنينِ فصاعدًا، كتعليل قلب «ميزان» بوقوع الواو سـاكنةً بعد كسرة، فالعلّة ليس مجرَّدَ سكونِها، ولا وقوعِها بعد كسرة، بل مجموع الأمرَيْن، وذلك كثيرٌ جدًّا».

وقد استعمل الجِبْلِيُّ عدةَ أنواع من العلّة البسيطة في كتابه، كما استعمل العلّةَ المركَّبة في بعض المواضع، فعَلَّلَ لبعض الأحكام بعلّتَيْن أو أكثر، وهذا يتضح فيما يلي:

أولًا ـ العِلَلُ البسيطة: من أصناف العِلَل البسيطة عند الجِبْلي:

١ ـ **علّة السَّماع**: والتعليلُ بالسَّماع حكاه الجِبْلي عن غيره من العلماء، فمن أمثلة التعليل بالسَّماع عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «قال طاهرُ

---

(١) لُمَعُ الأدلة للأنباري ص ١١٧: ١٢٠، وقد أورد السيوطي عدة أمثلة على ذلك في الاقتراح ص ١٨٢، ١٨٣.
(٢) لمع الأدلة للأنباري ص ١٢٠، ١٢١.
(٣) الاقتراح للسيوطي ص ١٨٢.
(٤) الفرقان ٧٤.
(٥) البستان ١/ ٤٠٠.

ابن أحمد[١]: وإمامٌ في الآية جَمْع؛ لأنه المفعول الثاني لـ«جَعَلَ»، والمفعول الأول جمعٌ أيضًا، والثاني هو الأول، فوجَبَ أن يكون جمعًا واحِدُه: آمٌّ؛ لأنه قد سُمِعَ هذا في واحِدِه، قال الله سبحانه: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[٢]، فهذا جمع آمٍّ مُسَلَّمًا».

ب ـ وفي قوله تعالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «و﴿إِن﴾ في معنى «قَدْ»؛ أي: فذَكِّرْ قدْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، قال الكِسائِيُّ[٥]: سَمِعْتُ العرب تقول: إِنْ قامَ زَيْدٌ، وظَنَنْتُهُ شَرْطًا، قال: فسألْتُهُم فقالوا: نريد: قدْ قام زيدٌ، وليس نريد: ما قام زيد».

٢ ـ **علة التشبيه**: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «وإنما بُنِيا على الضمِّ دون الفتح والكسر؛ لأنهما أشبَهَا المنادى المفرَد، إذ المنادى يُعْرَبُ إذا أُضِيفَ أو نُكِّرَ، كما يُفعَلُ بهما، فبُنِيا على الضمِّ كما بُنِيَ المنادى المفرَد، وهما مرفوعان على الغاية».

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾، قال الجِبْلي[٨]: «فإن قيل: لِمَ عُدَّ ﴿يسٓ﴾ آيةً

---

(١) شرح جمل الزجاجي ٢/ ٢١٧.
(٢) المائدة ٢.
(٣) الأعلى ٩.
(٤) البستان ٤/ ٣٩٤.
(٥) ينظر قوله في شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢٣٢/ أ، ياقوتة الصراط لأبي عمر الزاهد ص ٥٧١، الأضداد لابن الأنباري ص ١٨٩، ١٩٠، التهذيب للأزهري ١٥/ ٥٦٨.
(٦) الروم ٤.
(٧) البستان ٢/ ٢٩.
(٨) البستان ٢/ ٢٢٢.

ولـم يُعَدَّ ﴿طسٓ﴾؟ فالجواب أن ﴿طسٓ﴾ أشـبه «قابيل» من جهة الزِّنةِ والحروفِ الصِّحاح، و﴿يسٓ﴾ أولُه حرفُ عِلّةٍ، وليس مثلُ ذلك في الأسـماء المفرَدة، فأشـبه الجُملةَ والكلامَ التامَّ، وشاكَلَ ما بعده من رؤوس الآي».

٣ ـ علّة الاستغناء: ومن أمثلتها عنده:

ـ في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[1]، قال الجِبْلي[2]: «وقَرأَ ابنُ كثيرٍ برواية قُنْبُلٍ والحَسَـنُ وعبدُ الرحمن الأعرج: ﴿لأُقْسِمُ﴾ بغير أَلِفٍ، موصولةً ليس بين اللام والهمـزة مَدٌّ...، فـإن قيل: أَلاَ يأتونَ بالنون على هذه القراءة ولا يَحسُـن في القَسَـمِ اسـتعمالُ اللام بلا نُونٍ، كما لا يَحسُـن اسـتعمالُ النون بلا لاَمٍ؟ قيل: المُعَوَّلُ على قراءة الأكثر والجمهور، والقراءة سُـنّةٌ مُتَّبَعةٌ، ووجْهُها في العربيّة أنهم اسـتغنَوْا بأحدِ التأكيدَيْنِ عن الآخَر».

٤ ـ علّة الاستثقال: وهي أكثرُ العِلَل استعمالًا عند الجِبْلي، ومن أمثلتها عنده:

أ ـ فـي قوله تعالى: ﴿**وَفَجَّرْنا الأَرْضَ عُيُونًـا**﴾[3]، قال الجِبْلي[4]: «وعُيُونٌ: جمـع عَيْنٍ في أكثر العدد، وقرأ الكوفيُّون بكسـر العين، والأصل الضَّمُّ، فأُبدِل من الضمّة كسرةٌ استثقالًا للجمع بين ضمةٍ وياءٍ».

ب ـ وفـي قولـه تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[5]، قـال الجِبْلي[6]: «وأصله: اِوْقِيُوا، فحُذفت الواو لوقوعها بين ياءٍ وكسرةٍ في قولك: تَقِي،

---

(١) القيامة ١.

(٢) البستان ٤/ ١٦٦.

(٣) القمر ١٢.

(٤) البستان ٣/ ٢٣٥.

(٥) التحريم ٦.

(٦) البستان ٣/ ٤٥٩.

واستُغني عن ألفِ الوصل، ثم أُلقِيت حركةُ الياء على القاف، وحُذفت لسكونِها وسكون الواو بعدها فصارت: قُوا».

٥ ـ **علّة الفَرْقِ**: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «والأصل: بما، حُذِفت الألفُ فَرْقًا بين الاستفهام والخبر».

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «والألف ألفُ استفهام، وهو استفهامُ تعجُّبٍ وإنكار، ولَمّا دخلتْ أَلِفُ الاستفهام استَغْنَيتَ عن ألفِ الوصل فحَذَفْتَها، وكان فتحُ ألفِ الاستفهام فرقًا بينها وبينَ ألفِ الوصل».

جـ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «هذه ﴿إِنْ﴾ الثَّقيلةُ في الأصل خُفِّفَتْ، فزال عملُها في أكثرِ اللُّغات، ولزمتْها اللامُ فرقًا بينَها وبين التي بمعنى: «ما».

٦ ـ **علّة التوكيد**: ومن أمثلتها عندَه:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]: «قَرأَه العامّة: ﴿فَذَانِكَ﴾ بتخفيف النون، وقَرأَ ابن كثيرٍ وأبو عَمْرو ورُوَيْسٌ بتشديد النون،

---

(١) النمل ٣٥.
(٢) البستان ٣/ ٤٥٢.
(٣) سبأ ٨.
(٤) البستان ٢/ ١٥٣.
(٥) يس ٣٢.
(٦) البستان ٢/ ٢٣٠.
(٧) القصص ٣٢.
(٨) البستان ١/ ٤٩٢.

وهي لغةُ قريش، وفي وجهِه أربعةُ أقوال». ا هـ، ثم ذكر الجِبْلي من هذه الأقوال: «وقيل: التشديدُ للتأكيد، كما أدخَلوا اللام في (ذلك) [1].

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[2]، قال الجِبْلي[3]: «وأدخل ﴿مِنْ﴾ هاهنا للتوكيد».

٧ ـ علّة التعويض: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾[4]، قال الجِبْلي[5]: «قَرأَه العامة: ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بتخفيف النون، وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرٍو ورُوَيْسٌ بتشديد النون، وهي لغةُ قريش، وفي وجهِه أربعة أقوال».

ثم ذكر الجِبْلي من هذه الأقوال: «قيل: شَدَّدُوا النونَ عِوَضًا من الألف الساقطة، ولم يُلْتَفَتْ إلى التقاءِ الساكنَيْن»[6].

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾[7]، قال الجِبْلي[8]: «وأصله: عِزْهةٌ، كما أنّ أصلَ السَّنةِ: سَنْهةٌ، ثم حُذِفَت الهاءُ، فجُعِلَ جَمْعُهُ بالواو والنون عِوَضًا من الحذف، وإنما جُمِعَ بالواو والنون وهو مؤنَّثٌ لا يَعقِل ليكون ذلك عِوَضًا مِمّا حُذِفَ منها».

---

(١) البستان ١/ ٤٩٢.
(٢) الزمر ٧٥.
(٣) البستان ٢/ ٣٧٢.
(٤) القصص ٣٢.
(٥) البستان ١/ ٤٩٢.
(٦) البستان ١/ ٤٩٢.
(٧) المعارج ٣٧.
(٨) البستان ٤/ ٧٥.

٨ ـ علّة الحَمْل على النَّظير: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «يعني السَّماواتِ والأرضَ، و﴿إِلَّا﴾ هاهنا: صفةٌ للآلهة بمعنى «غير»، وليس باستثناءٍ ولا ببدل، ويجوز أن يُشَبَّهَ ﴿إِلَّا﴾ بـ«غَيْرٍ» فيُوصَفَ بها، كما يجوز أن يُشبَّه «غيرٌ» بـ«إلّا» ويُستثنَى بها».

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[(٣)]، قال الجِبْلي[(٤)]: «قرأَ أهلُ المدينة وعاصمٌ الجَحْدَريُّ ـ هاهنا وفي سورة الملائكة ـ: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنَّصب على معنى: ويُحَلَّوْنَ لؤلؤًا، واستَدلّوا بأنها مكتوبةٌ في جميع المصاحف بالألفِ هاهنا، وقَرأَ الباقونَ بالخفض: عطفًا على الذهب، ثم اختلفوا في وجه إثباتِ الألف، فقال أبو عَمْرو: أُثبِتت فيه كما أُثبِتت في: قالوا وكالوا».

٩ ـ علّة الحَمْل على المعنى: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾[(٥)]، قال الجِبْلي[(٦)]: «أي: آدَميٌّ مِثْلُنا يَهْدُونَنا؟ ولم يقل: يَهْدِينا؛ لأن البشر ـ وإن كان لفظُه واحدًا ـ فإنه في معنى الجمع، وهو اسم الجنس، وواحده إنسانٌ لا واحدَ له من لفظه، وقد أجاز النَّحويُّون: رَأَيْتُ ثلاثةَ نَفَرٍ وثلاثةَ رَهْطٍ، حَمْلًا على المعنى، ولم يجيزوا: رَأَيْتُ ثلاثةَ قَوْمٍ ولا ثلاثةَ بَشَرٍ».

---

(١) الأنبياء ٢٢.

(٢) البستان ١/ ١٨٥.

(٣) الحج ٢٣.

(٤) البستان ١/ ٢٣٧.

(٥) التغابن ٦.

(٦) البستان ٣/ ٤٣٤.

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[(١)]، قال الجِبْلي[(٢)]: «وإنّما جُمع وهو فِعْلُ واحِدٍ رَدًّا على معناه، كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[(٣)]، وهو نعتٌ لـ﴿أَحَدٍ﴾؛ لأنه بمعنى: الجماعة، فحُمل النَّعتُ على المعنى فجُمِعَ».

١٠ ـ علّة المعادلة: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[(٤)]، قال الجِبْلي[(٥)]: «قرأ العامّةُ: ﴿آتَاكُمْ﴾ بِمَدِّ الألِفِ؛ أي: أَعْطاكُمْ، واختاره أبو حاتم، وقَرأَ أبو عَمْرو بِقَصْرِ الألف: من الإتيان؛ أي: جاءَكُمْ، واختاره أبو عُبيد للمُعادلةِ بينَه وبينَ ﴿فَاتَكُمْ﴾؛ لِيُوافِقَ الكلامُ بَعضُهُ بَعْضًا، ونَقِيضُ الفَوْتِ: الإِتْيانُ».

ب ـ وفي قوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾[(٦)]، قال الجِبْلي[(٧)]: «ومعنى ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ أي: مَنْ أَعْبُدُ، ولكنه يقابِلُ قولَه: ﴿أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يعني: مِن الأصنام، فحُمِلَ الثانِي عليه».

١١ ـ علّة القُربِ والمجاوَرة: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ

---

(١) الحاقة ٤٧.

(٢) البستان ١/ ٥٧.

(٣) البقرة ٢٨٥.

(٤) الحديد ٢٣.

(٥) البستان ٣/ ٣٤١.

(٦) الكافرون ٣.

(٧) البستان ٥/ ٩٦.

بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «قَرأَ الأعمَشُ وحمزةُ والكِسائيُّ وخلفٌ وحفصٌ ويعقوب: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ بنَصْب الذّال، عطفًا على قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾، وهو اختيارُ أَبِي عُبيدٍ لقُربِه من المنصوب، وقَرأَ الآخَرون بالرَّفع نَسْقًا على قوله: ﴿يَشْتَرِى﴾».

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿كالْمُهْلِ تَغْلِي في الْبُطُونِ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «قَرأَ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ورُوَيْس: ﴿يَغْلِى﴾ بالياء، جَعَلوا الفعلَ للمُهْلِ، واختاره أبو عُبيد، قال: لأنّ المُهْلَ مُذَكَّرٌ وهو الذي يَلِي الفِعْلَ، فصار أَوْلَى به التذكيرُ، ولِلْقُرْبِ».

١٢ ـ علّة الجَوار: ومن أمثلتها عنده:

ـ في قوله ـ تعالَى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «و﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾: ابتداءٌ وخبَر، وهُما جميعًا خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾، ويُحْتمَلُ أن يكون ﴿نَحْنُ﴾ توكيدًا للنون في ﴿إِنَّا﴾ وإن كان أحدُهُما كنايةَ المنصوب؛ لأنه يَجُوز أن يُؤَكَّدَ المَنْصُوبُ بالمرفوع، كقولك: رَأَيْتُكَ أَنْتَ».

١٣ ـ علّة التغليب: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾[٧]، قال الجِبْلي[٨]:

---

(١) لقمان ٦.
(٢) البستان ١/ ٤٩٤.
(٣) الدخان ٤٥.
(٤) البستان ٣/ ١٩.
(٥) الإنسان ٢٣.
(٦) البستان ٢/ ٢٢٧.
(٧) الزخرف ٣٨.
(٨) البستان ٢/ ٤٧٢.

«والمعنى: بُعْدُ ما بَيْنَ المشرقِ والمغرب، فغُلِّبَ لَفْظُ المَشْرِقِ، كما يُقالُ للغَداةِ والعَشِيِّ: العَصْرانِ، قال حُمَيْدُ بن ثور:

ولن يَلْبَثَ العَصْرانِ يومًا ولَيْلةً إذا طَلَبا أَنْ يُدْرِكا ما تَيَمَّما

ويقال لأَبي بكرٍ وعُمَرَ - رضي الله عنهما -: العُمَرانِ، ولِلسِّبْطَيْنِ: الحَسَنانِ، ويقالُ للشمس والقمر: القَمَرانِ، قال الشاعر:

أَخَذْنا بِآفاقِ السَّماءِ عَلَيْكُمُ لَنا قَمَراها والنُّجُومُ الطَّوالِعُ

يعني: الشمسَ والقمر، ويقال للكوفةِ والبصرة: البَصْرَتانِ والمِصْرانِ، قال الشاعر:

وبَصْرةُ الأَزْدِ مِنّا، والعِراقُ لنا والمَوْصِلانِ، ومِنّا مِصْرُ والحَرَمُ

أراد: المَوْصِلَ والجَزِيرةَ، والبَصْرةَ والكُوفةَ».

ب - وفي قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾[1]، قال الجِبْلي[2]: «يعني: بَيْنَ ثَمُودَ وبَيْنَ الناقةِ، يَوْمٌ لها ويَوْمٌ لهم، وإنما قال: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ لأنّ العربَ إذا أَخْبرت عن بني آدمَ وعن البهائم غَلَّبُوا بني آدمَ على البهائم».

١٤ - علّةُ التخفيف: ومن أمثلتها عنده:

أ - في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[3]، قال الجِبْلي[4]: «وقوله: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ يعنِي: صَنِيعُهُ وحِيلَتُهُ ﴿مَا يَغِيظُ﴾، قيل: ﴿مَا﴾ بِمعنى

(١) القمر ٢٨.
(٢) البستان ٣/ ٢٤٠.
(٣) الحج ١٥.
(٤) البستان ١/ ٢٣٣.

«الَّــذِي»، مَجازه: هل يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ الــذي يغيظُه، فحذف الهاءَ ليكون أَخَفَّ، وقيل: إنَّها بِمَعْنَى المصدر، تقديرُه: هـل يُذْهِبَنَّ كيدُه غيظَه»؟

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «ويجوز: ﴿دِرِّيٌّ﴾ بغيـرِ همـزٍ، يكون مخفَّفًا من المهموز، وهو بمعنى ﴿دُرِّيٌّ﴾، وكُسِـرَ أولُه حملًا على وسَـطِه وآخِره؛ لأنه ثَقُل عليه ضمةٌ بعدَها كسـرةٌ وياء، كما قالوا: كِرْسِيٌّ للكُرْسِيِّ».

١٥ ـ **علّة دِلالةِ الحال**: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «يعني: فإنّ تعظيمَها، ثم حَذَف المضافَ لِدلالةِ ﴿يُعَظِّمْ ﴾ على التعظيم».

ب ـ وفي قوله تعـالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾[٥]، قال الجِبْلي[٦]: «أي: بَرَدٌ، و«مِنْ»: صلةٌ، وقيل: معناه: وينزِّل من السماء قَدْرَ جبالٍ، أو أمثالَ جبالٍ وبَرَدٍ إلى الأرض، ومفعولُ الإنزال محذوفٌ، التقدير: ويُنَزِّلُ من السّـماء من جبالِ بَرَدٍ فيها بَرَدًا، فاستغنَى عن ذكر المفعول للدِّلالة عليه».

١٦ ـ **علّةُ الأصل**: ومن أمثلتها عنده:

أ ـ فـي قولـه تعالـى: ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾[٧]، قـال

---

(١) النور ٣٥.
(٢) البستان ١/ ٣٣٤.
(٣) الحج ٣٢.
(٤) البستان ١/ ٢٤٧.
(٥) النور ٤٣.
(٦) البستان ١/ ٣٤٦.
(٧) الفرقان ٤٩.

الجِبْلي[١]: «والأَناسيُّ: جمعُ الإنسان، فتكون الياءُ بدلاً من النون؛ لأنّ أصلَه: أَناسِينُ بالنون، مثلَ: سَراحِينَ جَمْع سِرْحانٍ، فلما أُلْقِيَت النونُ من آخِره عُوِّضَت الياءُ».

ب ـ وفي قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «وجاءت لامُ الأمر مكسورةً على بابِها، وسُكِّنت في قوله تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾ لاتّصالها بالفاء، ويجوز كَسْرُها؛ لأنّ أصل لام الأمر الكَسْرُ، وإنما تُسَكَّنُ تخفيفًا إذا تقدَّمها حرفُ عطفٍ».

ثانيًا ـ العِلَل المُركَّبة: ومّما وَرَد في البستان منها:

١ ـ التعليلُ بالتخفيف والفَرْق: ففي قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾[٤]، قال الجِبْلي[٥]: «أي: أَغْصانٍ، وقيل: ألوانٍ، وتثنيةُ ذاتٍ: ذَواتا على الأصل؛ لأنّ أصل ذاتٍ ذَواتٌ، لكنْ حُذِفَت الواوُ تخفيفًا وللفَرْق بين الواحد والجمع».

٢ ـ التعليلُ بالفَرْق والحَمْل على النَّظير: ففي قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾[٦]، قال الجِبْلي[٧]: «وهذه النونُ هي نونُ التأكيد الخفيفةُ دَخَلت معَ لام القَسَمِ، والوقفُ عليها إذا انفتح ما قبلَها بالألف فَرْقًا بينَها وبين النُّون الثقيلة، ولأنها بِمَنْزِلةِ قولك: رَأَيْتُ زَيْدا».

---

(١) البستان ١/ ٣٨٥.
(٢) الطلاق ٧.
(٣) البستان ٣/ ٤٤٥.
(٤) الرحمن ٤٨.
(٥) البستان ٣/ ٢٧٢.
(٦) العلق ١٥.
(٧) البستان ٤/ ٥٠١.

٣ ـ التعليلُ بالاستثقال والأصل: ففي قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[١]، قال الجِبْلي[٢]: «وموضع ﴿صالِي﴾: رفعٌ على خبرِ الابتداء، والأصل في ﴿صَالِ﴾: صالِيٌ، فاستثقَلوا الضَّمة في الياء فحذَفوها، فبقيت الياءُ ساكنة، والتنوين ساكنٌ، فأسقطوا الياءَ لاجتماع الساكنَيْن، وأبقَوا الكسرةَ في اللام على أصلِها. والعلّة في هذا أنّهم بنَوا الخَطَّ على الوقف، فكان حمزةُ والكِسائيُّ يقفانِ على ﴿صَالِ﴾ بغير ياء اتِّباعًا للكِتابِ».

٤ ـ التعليلُ بالاستثقال والأَوْلَى: ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «وهو جَمْع: مُصْطَفًى، زِدْتَ عليه ياءً ساكنة ونونًا، والألفُ من مصطفى ساكنةٌ فحُذِفت الألف لالتقاء الساكنَيْن، وكانت أَوْلى بالحذف لأنّ قبلَها فتحة».

* * *

---

(١) الصافات ١٦٣.

(٢) البستان ٢/ ٢٨٧.

(٣) سورة ص ٤٧.

(٤) البستان ٢/ ٣٢٢.

المبحثُ السادس
ملحوظاتٌ على الكتاب

أولًا: ملحوظاتٌ على المنهج: ومنها نُقولُه عن العلماء:

هناك ملحوظاتٌ في نُقول الجِبْلي عن العلماء، تتمثَّل فيما يأتي:

أ ـ أخطاءٌ في النُّقول عن العلماء:

وممّا أخطأَ فيه الجِبْليُّ: نُقُولُهُ التي نَقَلها من كتابِ الجُمَل في النَّحو المنسوب خَطَأً للخليل بن أحمد، وقد نَقَل الجِبْلي أربعةَ عشَرَ نصًّا عن هذا الكتاب، ونسبها للخليل بن أحمد، وهو في الحقيقة كتابٌ آخَرُ اسمه «المُحَلَّى في وجوه النَّصب» لابن شُقَيْرٍ البغداديِّ المتوفَّى سنة (٣١٧هـ)(١)، وهذه الآراءُ في أغلبها آراءٌ كوفيةٌ؛

(١) هو: أبو بكر أَحْمَدُ بن الحسن بن الفَرَجِ بن شُقَيْرٍ النحويُّ البغدادي، أخذ عن أَبِي العباس المُبَرِّدِ وأَبِي جعفر الطبري وأَحْمَدَ بنِ ناصحٍ، وكان في طبقة ابن السَّرّاجِ ومَبْرَمانَ، قال السيرافِيُّ: «وفي طبقتهما [يعني ابن السراج ومبرمان] ممن يَخْلِطُ علم البصريين بعلم الكوفيين: أبو بكر بن شُقَيْرٍ وأبو بكر بن الخياط». اهـ، ومن مؤلفات ابن شقير أيضًا بخلاف كتابه المحلى: المذكر والمؤنث ـ المقصور والممدود ـ مختصر في النحو، قال ياقوت: «قرأت في كتاب ابن مسعدة أن الكتاب الذي يُنْسَبُ إلى الخليل، ويُسَمَّى الجُمَلَ من تصانيف ابن شقير هذا».
ينظر في ترجمة ابن شقير: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٩، معجم الأدباء لياقوت ٣/ ١١، الفهرست لابن النديم ص ٩١، إنباه الرواة للقفطي ١/ ٦٩، ٧٠، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ٣٠٩، الوافي بالوفيات ٦/ ٣٤٩، بغية الوعاة للسيوطي=

لأن صاحبها الحقيقيَّ أبا بكرٍ بنَ شُقير كان من أوائل من خلطوا بَيْنَ المذهبَيْن: البصريِّ والكوفي، ويُمْكِنُ أن نلتمس العذر للجِبْلي في نسبته تلك النصوصَ للخليل؛ لأنه قد شاع بين الناس أن هذا الكتاب للخليل بن أحمد.

وهذه الآراءُ قمتُ بتخريجها من كتاب الجُمَل المنسوب للخليل، ولكنَّني حَرصتُ على التنبيه في كلِّ موضع ـ تقريبًا ـ على أنّ هذا الكتابَ منسوبٌ خَطَأً للخليل بن أحمد، وحَرصتُ ـ في أغلب هذه المواضع ـ على تبيين اتّجاه هذا الرأي إن كان بَصْريًّا أو كوفيًّا.

ـ فمن الآراء التي نَقَلها الجِبْلي عن كتابِ الجُمَل المنسوب للخليل:

١ ـ قال الجِبلي[١]: «قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾[٢]؛ أي: ضياءً، والواو هاهنا زائدةٌ لا موضعَ لها؛ لأنها دخلت حَشْوًا، ومنه قولُ امرئ القيس:

فلَمّا أَجَزْنا ساحةَ الحَيِّ، وانْتَحَى   بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ

معناه: انتحى، فأُدخِلت الواو حَشْوًا وإقحامًا، هكذا قاله الخليل[٣]».

٢ ـ قال الجِبْلي[٤]: «قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ

= ١/ ٣٠٢، هدية العارفين للبغدادي ١/ ٥٨، الأعلام ١/ ١١٠، معجم المؤلفين ١/ ١٩٦، وينظر: تحقيق نسبة كتاب المحلى أو الجمل لابن شقير ما كتبه الدكتور/ فائز فارس في مقدمة تحقيقه لكتاب المحلى في وجوه النصب لابن شقير ص ٣٠-٣٣.

(١) البستان ١/ ١٩٣.

(٢) الأنبياء ٤٨.

(٣) الجمل في النحو المنسوب للخليل ص ٢٨٨.

(٤) البستان ١/ ٢٣٨.

ٱللَّهِ﴾[١]: عطفٌ بالمستقبل على الماضي؛ لأنّ الصَّدَّ بمعنى دوام الصِّفة لهم... وقال الخليل[٢]: الواو إقحامٌ، ومعناه: يَصُدُّون».

ب ـ آراءٌ منسوبةٌ خطأً:

نَسَب الجِبلي بعضَ الآراء خطأً لبعض العلماء، والصّواب أنها لغيرهم، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ أنه نَسَب رأيًا للفَرّاء، وهو في الحقيقة للنحّاس، ففي قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾[٣]، قال الجِبْليّ[٤]: «قال الفَرّاء: و﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: جمع مِفْتَحٍ، ومن قال: مِفْتاحٌ، قال: جمعُه: مفاتيح».

وهذا القول قاله النحّاسُ بنصِّه[٥]، أمّا الفَرّاء فإنه عندَ قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾[٦] قال[٧]: «﴿مَفاتِحُهُ﴾: خَزائِنُهُ، وواحدُ المفاتيح: مَفْتَحٌ إذا أردتَ به المصدر، وإذا كان من المفاتيح التي يُفْتَحُ بها ـ وهو الإِقْلِيدُ ـ فهو: مِفْتَحٌ ومِفْتاحٌ».

فواضحٌ من كلام الفَرّاء أنّ المفاتيحَ عندَه: جمعٌ لمِفْتَحٍ ومِفتاح على السواء.

٢ ـ كما أنه نَسَب رأيًا آخَرَ للفَرّاء، وهو ـ في الحقيقة ـ للنَّحاس، ففي قوله

---

(١) الحج ٢٥.
(٢) الجمل في النحو المنسوب للخليل ص ٢٨٨.
(٣) القصص ٥٠.
(٤) البستان ١/ ٥١٢.
(٥) في إعراب القرآن ٣/ ٢٤٢.
(٦) النور ٦١.
(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٦١.

تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]، قال الجِبْليّ[2]: «قال الفَرّاء: و﴿أَيُّكُمْ﴾: رفعٌ على الابتداء، وهو اسمٌ تامٌّ، و﴿أَحْسَنُ﴾: خبَرُه. و﴿عَمَلًا﴾: نصبٌ على التفسير».

وهذا خطأ، فهذه العبارة بنصها قالها النحّاسُ، لا الفَرّاء[3].

٣ ـ أنه نَسَب للمبرّد رأيًا، وهو في الحقيقة لثعلب، ففي قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[4]، قال الجِبلي[5]: «واللام في قوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ لامُ القَسَمِ، لَمّا حُذِفَت النونُ من فعله كُسِرَتِ اللامُ، ونُصِبَ فِعْلُها تشبيهًا بلام «كَيْ»، معناه: إنّا فتَحْنا فتحًا مُبِينًا لكي يُجْمَعَ لك معَ المغفرة تَمامُ النعمة في الفتح، فلمّا انضمَّ إلى المغفرة شيءٌ حادثٌ واقعٌ حَسُنَ معنى«كَيْ»، هكذا ذكره ابنُ الأنباري عن أبي عَبّاس المبرد».

وهذا الكلام قاله ابنُ الأنباري في إيضاح الوَقْف والابتداء[6]، ولم يَحْكِهِ عن المبرّد، وأمّا حكايةُ ابن الأنباريِّ عن المبرّدِ فقد أَوْردها الواحديُّ في الوسيط[7]، ولكنّ الأزهريَّ حكاه عن ابن الأنباريِّ عن ثعلبٍ لا عن المبرّد، وكذلك ابنُ الجوزي، ولم أقف على أنه للمبرّد[8].

٤ ـ أنه نَسَب للمبرّد رأيًا يناقضُ ما ذهب إليه المبرّدُ في المقتضَب، ففي قوله

---

(١) الملك ٢.
(٢) البستان ٣/ ٤٧٢.
(٣) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٧.
(٤) الفتح ٢.
(٥) البستان ٣/ ٩٥.
(٦) إيضاح الوقف ص ٩٠٠.
(٧) الوسيط ٤/ ١٣٣، ١٣٤.
(٨) ينظر: التهذيب للأزهري ١٥/ ٤٠٩، زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٤٢٣.

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾[1] قال الجِبلي[2]: «هذا عند المبرّد لفظُه لفظُ الخَبَرِ ومعناه الأَمْرُ، كأنه قال: آمِنُوا وجاهِدُوا، ولذلك قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3] بالجزم؛ لأنه جوابُ الأمر، فهو محمولٌ على المعنى».

ولكنّ كلامَ المبرّد في المقتضَب موافقٌ لسيبوَيْه في أن ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿تُجاهِدُونَ﴾: عطفُ بيانٍ للتِّجارة، وليس كما نُقِلَ عنه أنه يَجعَل ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ أَمْرًا في المعنى[4].

وقد ذكر الدكتور محمد عبد الخالق عُضَيْمة أنّ الذي نَسَبَ الرأيَ الأولَ للمبرّد هو ابن الشَّجَري وأبو حَيّان[5].

وقد رَجَعْتُ إلى غيرهما من الكتب، فوجدتُ أنّ النحّاسَ ومَكِّيًّا قد نَسَباهُ للمبرّد من قبلُ، وقد ذكره النحّاسُ بقوله: «وقد حُكِيَ لنا عن محمد بن يزيد... »[6].

جـ ـ نَقْلُهُ عن العلماء من كتُبِ غيرِهم: ومن أمثلته في البستان:

١ ـ أنه نَقَل عن ابن جِنِّي كلامًا من خلال شرح الجُمَل لطاهر بن أحمد، ففي قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾[7]، قال الجِبْلي[8]: «قرأ العامّة: ﴿يَٰمَٰلِكُ﴾ بإثباتِ الكاف، وقَرأ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ والأعمش: ﴿يا مالِ﴾ بحذف

---

(١) الصف ١٠، ١١.
(٢) البستان ٣/ ٤٠١.
(٣) الصف ١٢.
(٤) ينظر: المقتضب ٢/ ٨٠، ١٣٣، ١٣٤.
(٥) ينظر: أمالي ابن الشجري ١/ ٣٩٥، البحر المحيط ٨/ ٢٦٠.
(٦) إعراب القرآن ٤/ ٤٢٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٣٧٤.
(٧) الزخرف ٧٧.
(٨) البستان ٢/ ٤٨٩.

الـكافِ على الترخيم، ورَوَى أبــو الدَّرداء ذلك عن النبي ﷺ، قال أبو الفتح عثمانُ ابن جِنِّي: هذا من أحقِّ الأشياء بالترخيم؛ لأنه موضعٌ قد ذَهَبَتْ فيه قُواهُم، ولم تنفَعْ فيه شكواهم، فضَعُفُوا عن تتميم نداء مالكٍ خازِنِ النار».

وهذا النصُّ هو معنى كلام ابن جِنِّي في المحتسِب[1]، وأمّا ما أَوْرده المؤلِّف هنا فقد نَقَله بنصِّه عن طاهر بن أحمد عن ابن جِنِّي[2].

٢ ـ أنه نَقَل عن الفَرّاء نصًّا في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾[3] يختلف اختلافًا كبيـرًا عما قاله الفَـرّاء، فقال[4]: «قال الفـراء: الطَّمْثُ: الافْتِضـاضُ، وهو النكاح بالتَّدْمِيةِ».

بينما قال الفراء[5]: «﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: لم يَفْتَضِضْهُنَّ، قال: وطَمَثَها؛ أي: نكَحَها، وذلــك لِحالِ الدَّمِ». ا هـ، أما النصُّ الــذي أورده المؤلِّفُ هنا فهو ما نقله الواحديُّ وغيره من المفسِّرين عن الفراء[6].

٣ـ أنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[7]، قال الجِبلي[8]: «وقرأ داودُ بن أَبِي هنــد: ﴿بالِغٌ أَمْـرُهُ﴾ بالتنوين ورفعْ الأمــر، قال الفراء: أي: أَمْـرُهُ بالِغٌ، فرفعُه على الابتداء، و﴿بالِغٌ﴾: خبرُه، والجملة خبرُ ﴿إِنَّ﴾».

---

(١) المحتسب ٢/ ٢٥٧.
(٢) ينظر: شرح جمل الزجاجي لطاهر بن أحمد بن بابشاذ ١/ ٢٨١.
(٣) الرحمن ٥٦.
(٤) البستان ٣/ ٢٧٤.
(٥) معاني القرآن ٣/ ١١٩.
(٦) ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٧.
(٧) الطلاق ٣.
(٨) البستان ٣/ ٤٤٢.

بينما قال الفراء[١]: «ولو قُـرِئَ: ﴿بالِغٌ أَمْرُهُ﴾ بالرَّفع لَجاز»، أمّا النصُّ الذي جاء به المؤلِّفُ هنا فقد نَقَله عن مَكِّيِّ بن أَبِي طالب عن الفَرّاء[٢].

ثانيًا: ملحوظات على الأسلوب: ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ إيهامُ كلامِه خلافَ المراد:

قـد يقعُ من الجِبْلي أحيانًا ما يشـبهُ الخلطَ في كلامه، فيؤدِّي ذلك إلى وقوع القارئ في لَبْسٍ في فَهْمِ ما يريده من كلامه، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٣]، قال الجِبْلي[٤]: «وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يُقرأُ بكسر الألفِ على الابتداء والحكاية».

فقوله: «يُقرَأُ بكسـر الألف» يوهم أنه قُـرِئَ بفتح الألف بالفعل، في حينَ أنّ أحدًا لم يَقرأْ بالفتح كما يوهمُ كلامُه.

٢ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٥]، قال الجِبْليُّ[٦]: «وأُسكِنت التاءُ الأُولَى لأنّها مؤنَّثة، وفُتِحت الأخرى لأنه فِعْلُ مُذَكَّرٍ».

وهو يعني بالتاءِ الأولى: تاءَ التأنيث السـاكنةَ في ﴿تَبَّتْ﴾، وبفتح الأخرى: الباءَ المشدَّدة في قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾؛ لأنه ليس في الثاني تاءُ تأنيث، ولكنّ كلامَه فيه إلباسٌ.

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١٦٣.
(٢) ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٨٤.
(٣) سبأ ٧.
(٤) البستان ٢/ ١٥٣.
(٥) المسد ١.
(٦) البستان ٥/ ١٠٩.

٣ ـ تخليطُه في «أنِ» التي تكون بمعنى «إذْ» في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ﴾(١)، فقد قال الجِبليّ(٢): «قرأ أهل المدينة والكوفة إلّا عاصمًا: (إنْ) بكسر الألف، على معنى: «إذْ»، كقوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(٣)، وقوله: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾(٤)، والكسرُ في (إنْ) على أنه: جزاءٌ استغنى عن جوابِه بما تقدَّمه، كما تقول: أَنْتَ ظالِمٌ إنْ فَعَلْتَ، كذا قاله الواحدي(٥)، وقَرأَ الآخَرون بالفتح على معنى: لِأَنْ كنتم، أراد معنى المُضِيِّ».

هذا ما قاله الجِبْلي متابعًا فيه الواحديَّ، وإنما تكونُ هذه بمعنى «إذْ» على مذهب الفَرّاء(٦) إذا كانت «أَنْ» بفتح الهمزة، وأمّا على قراءة ﴿إِن كُنتُم﴾ فـ﴿إِن﴾: شَرْطيّة باتّفاقِ البَصْريِّن والكوفيِّين، فهذا تخليطٌ من المؤلِّف تَبِعَ فيه الواحِديَّ فيما قاله في الوسيط(٧).

٢ ـ وقوعُ التناقُض في كلامه:

كان الجِبْلي أحيانًا يذكُر وجهًا إعرابيًّا في آية، ولكنه عندَ تأويله لَها يذكر تأويلًا مخالفًا للوجه الإعرابِيِّ الذي ذكره أَوَّلًا، ومن أمثلته في البستان ما يلي:

---

(١) الزخرف ٥.
(٢) البستان ٢/ ٤٥٥.
(٣) البقرة ٢٧٨.
(٤) النور ٣٣.
(٥) في الوسيط ٤/ ٦٤.
(٦) ينظر: معاني القرآن ٣/ ٢٧.
(٧) ينظر: الوسيط ٤/ ٦٤.

١ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾[١]، قال الجِبلي[٢]: «وفي محلِّ ﴿مَنْ﴾ من الإعراب ثلاثةُ أوجُه: الرَّفع على الابتداء، والنَّصب على الإضمار، تقديره: أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْيةِ يَجْعَلُونَهُ رَبًّا أو بَناتِ اللهِ؟ والخَفْض رَدًّا على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقولِهِ: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾.

فقوله: «والنَّصب على الإضمار...» كان ينبغي أن يكون التقدير مثلًا: أَجَعَلْتُمْ أو أَتَجْعَلُونَ مَنْ يُنَشَّأُ في الحِلْية رَبًّا أو بناتِ اللهِ؟ حتى يوافقَ ما ذكره أولًا، لا كما قدَّره: أو مَن يُنشَّأُ في الحِلْية تجعَلونه ربًّا... إلخ؛ لأن «مَنْ» ـ على هذا التأويل الذي ذكره ـ: مبتدأٌ، و﴿تَجْعَلُونَهُ﴾ المقدَّر هو الخبر.

٢ ـ أنه قال[٣]: «قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾[٤]؛ أي: ما كان للرحمن ولـدٌ، و«إنْ« هاهنا: نفيٌ وجحودٌ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٥]؛ أي: ما أنت إلّا نذيرٌ، وقوله: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[٦]؛ أي: ما نحن إلّا بشَرٌ مِثلُكم، والمعنـى: قلْ لهم يـا محمد: إن كان للرَّحمن ولَدٌ فـي قولكم وزَعْمِكم ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ يعني: المُوَحِّدِينَ».

وهذا تخليطٌ من المؤلِّف؛ لأنه ذكر أنّ «إِنْ» نافيةٌ بمعنى «ما»، ثم فَسَّرَ المعنى على وجهٍ آخَرَ في «إِنْ» وهو: أنها شَرْطيّةٌ على بابها، والفاء جوابُها.

---

(١) الزخرف ١٨.
(٢) البستان ١/ ١٥٢.
(٣) البستان ٢/ ٤٩٠.
(٤) الزخرف ٨١.
(٥) فاطر ٢٣.
(٦) إبراهيم ١١.

٣ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾[١]، قال الجِبليّ[٢]: ﴿طَاعَةٌ﴾، وهو رفعٌ على الحكاية، وقيل: هو ابتداءٌ محذوفُ الخبر تقديره: طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أَمْثَلُ أو أَحْسَنُ، أو أَمْرُنا طاعةٌ».

فالمؤلِّف هنا ذكر أنّ ﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأٌ محذوفُ الخبر، ثم فَسَّرَ ذلك بقوله: «طاعةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ أَمْثَلُ»، وهذا مطابقٌ للوجه الإعرابي، ولكنّ قوله: «أو: أَمْرُنا طاعةٌ» معناه أنّ ﴿طَاعَةٌ﴾: خبرُ ابتداءٍ محذوف، على عكس ما ذكره هو أَوَّلًا من أنه مبتدأٌ محذوفُ الخبر، وهذانِ الوجهان صحيحان، وقد قال بهما سيبوَيْه[٣].

٤ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[٤]، قال الجِبْليُّ[٥]: «وقيل: «ما» بمعنى: «الَّذِي»، أي: كانوا قَلِيلًا من الليل الَّذِي يَهْجَعُونَ؛ أي: كانوا قَلِيلًا من الليل هُجُوعُهُم؛ لأن «ما» إذا اتصل به الفعل صار في تأويل المصدر، كقوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾؛ أي: بِظُلْمِهِمْ».

فهذانِ وجهانِ خَلَط المؤلِّف بينَهما، فالأول: أن تكون «ما» موصولةً، وعليه يكون المعنى: كانوا قليلًا من الليل الوقتِ الذي يهجَعونَه، والوجهُ الثاني: أن تكون «ما»: مصدَريّةً، وهي معَ ما بعدَها في تأويل مصدرٍ في محلِّ رفع بَدَل من الضَّمير في ﴿كَانُوا﴾، و﴿قَلِيلًا﴾ خبرُ «كان»، والمعنى على هذا: كانوا قليلًا من الليل هجوعُهم، ولكنّ المؤلِّف لفَّق بين هذَيْنِ الوجهَيْن، فذكر أنها موصولةٌ، ثم فسَّرها على أنها مصدَريّة.

---

(١) محمد ٢١.

(٢) البستان ٣/ ٨٠.

(٣) ينظر: الكتاب ١/ ١٤١.

(٤) الذاريات ١٧.

(٥) البستان ٣/ ١٦٧.

٥ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾[١]، قال الجِبلي[٢]: «أي: الحَقُّ اليَقِينُ لا شَكَّ فيه، فأضافه إلى نفسه توكيدًا، وأصله: حَقُّ الشَّيْءِ أو: حَقُّ الأَمْرِ اليَقِينِ، كقولك: عَيْنُ اليَقِينِ ومَحْضُ اليَقِينِ».

فقول المؤلِّف: «فأضافه إلى نفسِه توكيدًا» مؤيِّدٌ لمذهب الكوفيِّين في جواز إضافةِ الشيءِ لنفسه، والموصوفِ لصفتِه، ولكنّه بما ذكره بعدَه من تأويله للمعنى بقوله: «وأصله: حَقُّ الشّيءِ اليقين أو حقُّ الأمرِ اليقين» ذاهِبٌ مَذْهَبَ البصريِّين في أنّ الموصوفَ لا يضاف لصفتِه، وهم يؤوِّلون مثلَ هذا على حَذْف موصوفٍ كما ذكر المؤلِّف هنا من أنّ أصله: حَقُّ الشَّيْءِ أو حَقُّ الأَمْرِ اليَقِينِ.

٦ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾[٣]، قال الجِيْليُّ[٤]: «و﴿مِّن﴾ هاهنا: صلةٌ معناه: يَغْفِرْ لكم ذُنُوبَكُمْ، ولم تدخُل لتبعيض الذنوب، كقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[٥]؛ أي: اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الذي هو الأَوْثانُ».

هذا ما قاله الجِبْلي، ولكنْ كيف تكونُ «مِنْ» صلةً ولبيان الجِنس في آنٍ واحد؟!

٧ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[٦] قال الجِبلي[٧]: «رفعٌ بالابتداءِ

---

(١) الواقعة ٩٥.
(٢) البستان ٣/ ٣٢٤.
(٣) نوح ٤.
(٤) البستان ٤/ ٨٣.
(٥) الحج ٣٠.
(٦) المرسلات ٨.
(٧) البستان ٤/ ٢٣١.

والخبر، وكذلك ما بعدَهــا». ثم قال بعد ذلك[1]: «وهي مرفوعةٌ بإضمار فعل مثلِ هذا؛ لأن «إِذا» هاهنا بمنزلة حرفِ المجازاة».

٣ ـ ملحوظاتٌ نَحْـويّة: ومن أمثلتها في البستان ما يلي:

١ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾[2] قال الجِبْلي[3]: «ورفعُ ﴿مَوْتَتُنَا﴾ على خبرِ ﴿إِنْ﴾؛ لأنّ ﴿إِنْ﴾ بمعنى: «ما»، والتقدير: ما هي إلا موتتُنا الأولى».

ومـا قاله المؤلِّـفُ هنا غيـرُ صحيـح؛ لأن «إِنْ» عَمِلَتْ ـ على قِلّةٍ ـ لشِـبهِها بـ«لَيْسَ»، ومن شـروطِ إعمالِها عمَلَ «لَيْـسَ» ألّا ينتقضَ نَفْيُها بـ«إِلّا»، وقد انتقضَ النَّفْـيُ هنا بــ«إلّا»، فبَطَلَ عَمَلُها، وعليه فــ﴿هِيَ﴾: مبتدأٌ، و﴿إِلَّا﴾: أداةُ اسـتثناءٍ مُلغـاة، و﴿مَوْتَتُنَا﴾: خبرُ المبتدأ.

٢ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[4]، قال الجِبلـي[5]: «ومحَلُّ ﴿أَنتُمْ﴾: رفـعُ توكيدٍ للواو فـي ﴿تَعْبُدُونَ﴾، و﴿آباؤُكم﴾: معطوفٌ عليه، و﴿الْأَقْدَمُونَ﴾: نعتُه».

ومثله ما وَرَد في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[6]، فقد

(١) البستان ٤/ ٢٣١.
(٢) الدخان ٣٥.
(٣) البستان ٣/ ١٥.
(٤) الشعراء ٧٥، ٧٦.
(٥) البستان ١/ ٤١٧.
(٦) النجم ٢٣.

قـال الجِبْلي[١]: «و﴿أَنتُمْ﴾: رفعُ تأكيدٍ للتاء والميم في ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، و﴿آباؤُكُمْ﴾ عطفٌ على ﴿أَنتُمْ﴾.

وهـذا غيرُ صحيـح؛ لأنّ قولِـه: ﴿أَباؤُكُمْ﴾ في الآية الأولـى معطوفٌ على الضميـر المتَّصل، لا على ﴿أَنتُمْ﴾، و﴿آباؤكم﴾ فـي الآية الثانية معطوفٌ على تاء الفاعل في: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾، وجاءت ﴿أَنتُمْ﴾ توكيدًا لضمير الرَّفع المتَّصل في الآيتَيْنِ لكي يصحَّ العطفُ عليه.

٣ ـ أنه في قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾[٢]، قال الجِبْلي[٣]: «هذه ﴿ها﴾: التنبيه؛ أي: هاكُمْ، وقيل: تَعالَوْا».

وهذا وَهَمٌ؛ لأن ﴿ها﴾ هنا هي: اسمُ الفعل، وليست للتنبيه كما قال؛ لأنّها لو كانت للتنبيه لكانت حرفًا.

والله أعلم.

* * *

---

(١) البستان ٣/ ٢١٢.

(٢) الحاقة ١٩.

(٣) البستان ٤/ ٤٥.

خاتمةُ الدِّراسة

الحمـدُ لله الـذي بنعمته تتمُّ الصالحـات، أحمَدُ الله حمدًا كثيـرًا على نِعَمه السوابغ، وآلائه العظيمة، فبعد أربع سنواتٍ قضيتُها في صُحبة هذا الكتاب ومؤلِّفه، عايشـتُهما معايشـةَ الخِلِّ الوفِيِّ، والصاحب الأمين، والصَّديـق المخلص، أفدتُ فيها إفاداتٍ عظيمةً في علم النَّحو واللُّغة والتفسـير والقراءات وغيرها، أقول: بعدَ هـذه الرحلة الطويلة، يمكنُني أن أرصُدَ بعض النتائج التي توصَّلت إليها من خلال تحقيقي لهذا الكتاب، وذلك فيما يلي:

١ ـ أنّ الكتـابَ مهـمٌّ في بابه، وهو إعرابُ مشـكِلات القـرآن، ويُعَدُّ إضافةً للمكتبة العربيّة بصفة عامة، وللمكتبة اللُّغوية بصفةٍ خاصة.

٢ ـ أنّ الكتابَ يكشف النِّقاب، ويُميط اللِّثام عن عالِم كبير، لم ينَلْ حظَّه من الذيوع والشهرة، ليس في علم النَّحو فحسبُ، وإنّما في علوم اللغة والفقه والتفسير والحديث وغيرها.

٣ ـ أنّ عدمَ اشـتهار الجِبْليِّ وغيره من علماءِ اليمن المغمورين يرجع ـ فيما يبدو ـ إلى الطبيعة الخاصّة لبلاد اليمن، تلك الطبيعةِ التي فَرَضت عليها وعلى أهلها نوعًا من الانعزال عن بقيّة أقطار العالَم الإسلاميِّ الكبير، رَغْم إنجازاتهم ومؤلَّفاتهم العلميّة المهمة في مختلف ميادينِ المعرفة والحضارة الإسلامية.

٤ ـ أنّ الجِبْليَّ أَثْرَى كتابَه بنقولٍ كثيرةٍ عن العلماء السابقين، ومنهم: سيبوَيْهِ الذي نَقَـل عنه الجِبْليُّ نقلًا صريحًا في نحو ثلاثيـنَ موضعًا، والفَرّاءُ الذي نقل عنه الجِبْلي

في أكثرَ من مائتَيْ موضع، والأخفَش الذي نَقَل عنه الجِبْلي في نحو خمسين موضعًا، وثعلبٌ الذي نَقَل عنه الجِبْلي في أربعينَ موضعًا، والزَّجّاج الذي نَقَل عنه الجِبْلي في نحو مائةٍ وخمسين موضعًا، وابنُ الأنباري الذي نقل عنه الجِبْلي في تسعة وعشرينَ موضعًا، والنحّاس الذي نَقَل عنه الجِبْليُّ في واحدٍ وعشرين موضعًا، وهكذا.

٥ ـ أنّ الكتابَ لم يقتصرْ على إعرابِ المشكِلات القرآنية، بل تَعدّاها إلى الاهتمام الكبير باللغة، فقد استعان الجِبْلي باللغة في توضيح معانِي الآيات، كما اهتمَّ الجِبْلي بآراءِ المفسِّرين، فقد كان الجِبْلي يمزجُ بين مسائل النَّحو واللغة والتفسير، وهذا واضحٌ في الكتاب من أوله إلى آخره.

٦ ـ أنّ الجِبْلي اهتمَّ بالقراءات اهتمامًا بالغًا، سواءٌ منها الصحيحة والشاذّة، فزادت القراءات التي أَوْردها في كتابه على ثمانِمائة قراءةٍ بين صحيحة وشاذّة، وقد كان في معظم المواضع يذكر القراءة ومن قَرأَ بها باستثناءِ بعض المواضع التي كان يذكر فيها القراءة بدون ذكر من قَرأَ بها.

٧ ـ أنّ الجِبْليَّ اهتمَّ بالشعر اهتمامًا كبيرًا، فبلغ عدد الأبيات عنده (٧٣٣) بيتًا، منها (١٠٣) أبيات في الزهد والحِكمة، وسائرها شواهدُ نَحْويّة أو لُغوية، باستثناء بَيْتَيْنِ للمتنبِّي أَوْردهما المؤلِّف على سبيل الاستئناس.

٨ ـ أنّ المؤلِّف ـ كما يبدو من خلال كتابه ـ كوفِيُّ النزعة، وهذا واضحٌ من خلال اختياراته ومواقفِه من آراءِ البصريِّين والكوفيين، ولكنه كغيرِه من المتأخِّرين، كانوا يمزُجونَ بين اختياراتهم البصريّة والكوفية، وهذا واضحٌ أيضًا في الكتاب.

٩ ـ أن الكتاب يكشف عن تَأَثُّرِ الجِبْلِيِّ النحويين السابقين، وخاصة النحويين المصريين كالنَّحَّاسِ وابن بَابَشَاذَّ، وهذا راجع إِلَى العلاقة السياسية بين البلدين:

مصـر واليمن، مِمَّا أدى إِلَى تأثر اليمنيين العلماءَ المصريين في مختلف المَجالات العلمية، ومنها علم النحو.

١٠ ـ أنّ المؤلِّف استعمل المصطلَحاتِ النَّحويةَ للبَصْرِيِّين والكوفيِّين، ولكنه كان أكثَرَ استعمالًا لمصطلحاتِ الكوفيِّين، ومن مصطلحاتِ الكوفيين التي استعملها الجِبْلـي: النَّصـبُ على الصَّرف ـ الفعلُ المجهول ـ ما لم يُسَـمَّ فاعلـه ـ خبرُ ما لم يُسَـمَّ فاعله ـ ضمير العِماد ـ الردّ والتكرير ـ الخروجُ من الوصف ـ حروف الصِّفة، وحروفُ الإضافة ـ الإجراء وعدم الإجراء ـ القطع ـ التفسير ـ الترجمة، كما استعمل عدةَ مصطلحاتٍ ليسـت معروفـةً عند الفريقَيْن، ومنها: الفعلُ المسـتقبَل ـ النَّصب على الصَّرف بمعنى النَّصب على المفعول من أَجْله ـ الاسـتثناء الصحيح ـ الابتداءُ المحقَّق ـ المفعولُ المحقَّق.

١١ ـ أنّ الجِبْلـي اهتـمَّ بالعِلّة النَّحوية اهتمامًا كبيرًا، وقد حصرتُ له سـبعةَ عَشَـر نوعًا من أنواع العِلّة البسيطة، وهي علةُ السَّماع وعلّةُ التشبيه وعلّة الاستغناء وعلّة الاستثقال وعلّة الفَرْق وعلّة التوكيد وعلّة التعويض وعلّة الحَمْل على النظير وعلّة الحَمْل على المعنى وعلّة المعادَلة وعلّة القُرب والمجاورة وعلّة الجواز وعلّة التغليـب وعلّة التخفيـف وعلّة دِلالة الحال وعلّة الأصل وعلّـة الأَوْلَى، بالإضافة للعِلـل المركَّبة، وهي: التعليل بالتخفيف والفَـرْق، والتعليل بالفَرْق والحَمْل على النظير، والتعليل بالاستثقال والأصل، والتعليل بالاستثقال والأَوْلَى.

١٢ ـ أنّ الجِبْلـيَّ كان أحيانًا يوافق بعضَ النحاة السـابقينَ الذين رَدُّوا بعض القراءات الصحيحة، فضعَّفوها أو طَعَنوا على من قرؤوا بها، ولكنّه في الغالب كان يقبَل بهذه القراءات، ولا يُضَعِّفُها ولا يَرُدُّها، ولا يطعَن على من قرأ بها.

والله أعلم.



القسم الثاني

التحقيق

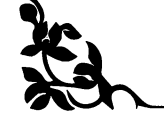
ويشتمل علىٰ ما يأتي:

١ ـ وَصْفِ نسخَةِ المخطوط.

٢ ـ منهجِ التحقيق.

٣ ـ نماذجَ مصوَّرةٍ من المخطوط.

٤ ـ النصِّ المحقَّق.



١ ـ وصفُ نُسخةِ المخطوط

كتاب «البستان في إعراب مشكِلات القرآن» له نسخةٌ مخطوطةٌ واحدة محفوظةٌ بالمكتبة المتوكِّليّة بالجامع الكبير بصنعاءَ باليمن برقم (١٠٦ ـ تفسير)، ومنها مصوَّرةٌ بدار الكتب المصرية برقم (٢٩١٣٦).

وهذه النُّسخة ـ فيما يبدو ـ هي الجزءُ الثاني من الكتاب؛ لأنّها تبدأُ بسورة الأنبياء، ولم أجدْ أيّةَ إشارةٍ فيما رَجَعتُ إليه من فهارسِ المكتبات أو غيرِها إلى وجود نسخةٍ كاملة من الكتاب، أو نسخةٍ أخرى للجزء الموجود منه.

ومصوَّرةُ دار الكتب المصرية تنتهي باللوحة رقم (٢٦٠/ أ) من الكتاب عند قول المؤلِّف: «فَصْلٌ: عن عَلِيٍّ بن أَبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يَأْتِي على الناس زَمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسْمُهُ ولا من القرآن إلا»».

وقد أشار مَنْ صوَّر هذه النُّسخة بدار الكتب المصرية إلى أنّ الباقيَ سقَطَ من التصوير، فاجتهدتُ في البحث عن بقيّة هذه النسخة، فوجدتُ أن فِهرِس المخطوطات بمركز البحث العلميِّ وإحياء التراث بجامعة أُمِّ القرى بمكةَ المكرَّمة أشار إلى أنّ بالمركز نسخةً مصوَّرةً للبستان برقم (٨٦٢ ـ تفسير)، فأرسلتُ في طلبها، فوجدتها مصوَّرةً عن نسخة دار الكتب المصرية، إلّا أنها تنتهي بآخِر القرآن الكريم، ويبدو أن القائمينَ على المركز قد أكملوا النقصَ الواقعَ في مصوَّرة دار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء.

ـ وعدد أوراق نسخة البستان (٣٤٦ ورقة)، ومقاسها ٢١سم X ١٥سم، ويتراوح عدد سطور الصفحة في الغالب بين ٢٤ سطرًا و٢٦ سطرًا، وقد يقِلّ عدد السطور في الصفحة إلى ١٦ سطرًا [كما في الورقة ٢٣٦/ ب، ٢٣٧/ أ]، وإلى ٢١ سطرًا [كما في الصفحة ٢٣٧/ ب]، وقد يزيد عدد السطور في الصفحة إلى ٢٨ سطرًا [كما في الصفحة ٥/ ب، ٨/ ب وغيرهما]، وقد يصل إلى ٣١ سطرًا [كما في الصفحتين ٣٠٥/ أ، ٣٠٧/ أ].

ـ والنسخة مكتوبةٌ بخطٍّ نَسْخي جيِّد، ولكنّها لا تخلو من بعض الأخطاء التي وقعت سهوًا من الناسخ، وقد تمكنت من إصلاحها بفضل الله، ويغلِب على ظنِّي أن ثلاثةَ ناسخينَ تناوبوا على كتابة هذه النسخة؛ لأنّني استطعت أن أمِيزَ بَيْنَ ثلاثة خطوطٍ متفاوتة في أثنائها.

ـ وعلى الرَّغم من أنّ الكتابَ له نسخةٌ واحدةٌ فقط إلّا أنّها تتميَّز بأنها منقولةٌ من نسخةِ المؤلف التي كتبها بيده سنة ستمائة وتسعين ونيّف كما جاء على الورقة الأولى من المصوَّرة، وجاء في آخِر الكتاب أيضًا: «كُتِبَ «البُسْتانُ في إِعْرابِ مُشْكِلاَتِ القُرْآنِ» مِنْ نُسْخةِ المُؤَلِّفِ بِخَطِّهِ، وَهُوَ: الإِمامُ العالِمُ أَحْمَدُ بنُ أَبِي بَكْرِ ابنِ عُمَرَ بنِ أَبِي الخَيْرِ بنِ أَبِي الهَيْثَمِ الجِبْلِيُّ المَعْرُوفُ بِالأَحْنَفِ ـ نَفَعَ اللهُ بِعِلْمِهِ ـ... تَمَّ الكِتابُ الكَرِيمُ بِعَوْنِ اللهِ المَلِكِ العَظِيمِ، والحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، وَكانَ فَراغُ ذَلِكَ بِعَوْنِ اللهِ ـ تَعالَى ـ ... الثّانِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ المُعَظَّمِ أَحَدِ شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمائَةٍ مِنَ الهِجْرةِ النَّبَوِيّةِ..... وُجِدَ بِخَطِّ المُؤَلِّفِ ما لَفْظُهُ: فُرِغَ مِنْ نِساخَتِهِ سَنَةَ... [١] وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مِنَ الهِجْرةِ النَّبَوِيّةِ، عَلَى صاحِبِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلاَمِ».

---

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة.

ـ وهذه النسـخة لم يُعرَف اسـمُ ناسـخها، ولكنْ كُتِب عليها تاريخُ النسـخ، وهو كما سـبق: «الثَّانِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ المُعَظَّمِ أَحَدِ شُهُورِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ».

ـ أمّا صفحة العنوان فقد كُتِب عليها: «كتاب البسـتان في إعراب مشـكِلات القرآن ـ مؤلَّف الشيخ الإمام العالِمِ: أحمد بن أَبِي بكر بن عمر بن أَبِي الخيْر بن أَبِي الهيثم الجِبْلي المعروف بالأحنف ـ نفع الله تعالى بعلومه».

ـ وعلى حواشـي الصفحة عدة تمليكات، ومما استطعتُ قراءتَه منها ما جاء بأعلى الصفحة: «... الفقير إلى الله سبحانه... عبد الله بن محمد... بن محمد ـ غفر الله له ـ في ٥ شـهر ربيع الأول سـنة (١١٧٠هـ)»، ومنها ما جاء بأعلى الصفحة من جهة اليسار: «كتبه الموفق [كذا]..... عَلِيٌّ..... ـ رضي الله عنه وجزاه الجنة»، فربما كان هذا اسم الناسخ، ولكنني لم أستطع قراءته؛ لأن بقية الكلام قد طمس.

ـ وكُتِبَ تحت هذا الكلام: «من كتب الفقير إلى الله رب العالمين: محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين [كذا] المنتصر بالله رب العالمين.... شهر محرم الحرام سنة ستٍّ وستينَ وألف». بالإضافة إلى أشعار وحِكَمٍ جاءت على صفحة العنوان.

ـ كما أنّ هذه النسـخةَ مقابَلةٌ ومصحَّحةٌ على نسـخة المؤلِّف، ففي مواضعَ عديـدةٍ من الكتـاب نرى تصحيحاتٍ لبعض الألفاظ بخـطٍّ مماثل إمّا فوق الكلمة المصحَّحة، وإمّا بإزائها في حاشـية الصفحة، ثم يكتب رمز «صح» بعد انتهاء هذا التصحيح، وقد أشـرتُ إلـى ذلك في عدة مواضع، كما توجد في حواشـي بعض الأوراق مـن حينٍ لآخَر عبـارة «بلغ مقابلةً»، ومن ذلك ما ورد في حاشـية الورقة (١١٠/ ب) والورقـة (١٢٩/ ب) والورقـة (١٣٥/ ب) والورقـة (١٣٩/ ب) والورقة (١٤٤/ ب).

ـ وقـد وقع تبديلٌ لورقتَيْـن في أول المخطوط، فقد جاءت الورقة التاسـعة مكانَ الورقة الثانية، وجاءت الورقة الثانية مكان الورقة التاسـعة، ولكنّني استطعت ـ بحمـد الله ـ أن أعيدَ ترتيبَهما؛ لأنّ المخطوطَ به نظام التعقيبة في جميع صفحاته، مما أعانني على ترتيب هاتَيْن الورقتَيْن.

ـ وفي الورقة (٣٤٧/ أ) جاءت نهاية نصِّ كتاب البسـتان، ثم بدأَ نصُّ كتاب آخَـر، هـو في الحقيقة رسـالةٌ صغيرة في أصـول الفقه بعنوان «أوصـاف العلل»، تصنيف الشيخ الصالح الولِيِّ يحيى بن أَبِي الخير اليمني.

ـ وقد شـغلت هذه الرسـالة بقيـة الورقة (٣٤٧/ أ)، ثـم الورقة (٣٤٧/ ب و٣٤٨/ أ و٣٤٨/ ب)، ثـم جـاءت فـي الورقة (٣٤٩) عدةُ أبياتٍ من الشـعر في الحكمـة، ثـم انتهى المخطوط بتمليكٍ جـاء فيه: «صار هذا الكتـاب المبارك إلى ملك....... بتاريخ يوم الثلاثاء...... من شـهر رمضان المبارك سـنة........ والله خير الشاهدين».

* * *

٢ ـ منهَجُ التحقيق

اتَّبعت في تحقيقي لهذا الكتاب المنهجَ العلميَّ المتَّبَع في تحقيق المخطوطات، وذلك وفق الخطُوات الآتية:

١ ـ قمتُ بنسخ نصِّ الكتاب من الأصل المخطوط متَّبِعًا قواعدَ الإملاء المألوفة، معَ مراعاة علامات الترقيم، وقد وجدت في النصِّ بعض الأخطاء الإملائيّة التي أمكن تداركُها، فصحَّحتُها، وأشرت إلى بعضٍ من ذلك في الحواشي.

٢ ـ وَجْه الورقة من المخطوط وضعتُ له رقمًا ثم شَرْطةً مائلةً هكذا:/ ، ثم الحرف: أ، وظهرُ الورقة رَمَزتُ له بالحرف: ب، ووضعت كلًّا من الرقم والحرف بين معقوفتين بعدَ آخِر كلمة من الصفحة، ومثال ذلك: وجهُ الورقة الأولى [١/ أ]، ثم ظهرُ هذه الورقة هكذا [١/ ب]، ووجه الورقة (١٠٠) هكذا [١٠٠/ أ]، ثم ظهرها [١٠٠/ ب]، وهكذا.

٣ ـ الآياتُ القرآنيةُ التزمت فيها بقراءة حفص دائمًا، وأنزلتها في النصِّ من مصحف المدينة المنورة، إلّا ما ورد مخالفًا لها في أصل المخطوط، كما في قوله تعالى: ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾[1]، فقد جاءت في أصل المخطوط بضمِّ الميم وفتح اللام: ﴿مُهْلَكَ﴾، بينما قرأها حفصٌ: ﴿مَهْلِكَ﴾ بفتح الميم وكسر اللام.

وهذه الآيات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) النمل ٤٩.

الأول: الآياتُ موضوعُ الشّرح والإعراب: وهذه الآياتُ كنتُ أمِيزُها بالخطِّ الأســود العريض، وأضعُها بين قوسين مزهرين هكذا ﴿﴾، وكتبتُ رقمَ كلِّ آية في نهايتها واضعًا هذا الرقمَ بين معقوفَتين داخل القوسين المزهرين هكذا [].

الثانِي: الآياتُ المستشــهَدُ بِهــا: وهذه الآيات وضعتُها بيــن مزهرين أيضًا، ولكن بخط أبيض، وعزوتُها إلى سُــوَرها في حاشــية التحقيق، ذاكرًا اسم السورة، ثم رقم الآية.

الثالث: الآيات المخالفة ـ بقراءةٍ ـ لمصحف المدينة المنوَّرة: نضدتُها بحرف الكتاب، لاشــتمالها على كلمة أو أكثر ليســت تتطابق مع قراءة حفصٍ عن عاصم التي كتب بها مصحف عثمان، ووضعتها بين قوسين مزهرين.

٥ ـ خَرَّجْــتُ القــراءات القرآنيــة من كُتب القــراءاتِ وكُتب إعــراب القرآن ومعانيه وكتب التفســير وغيرها، وعزوتُ القراءةَ إلى مَنْ قرأ بها إذا أغفَل المؤلِّف ذلك، وإذا ذكر المؤلِّف في قراءةٍ ما أسماءَ بعضِ القراء الذين قرؤوا بها، فإنني كنت أذكر أسماءَ بقية القُرّاء بقدر المستطاع.

٦ ـ الأحاديثُ النبويّة وضعتُها بين علامتَي التنصيص هكذا « »، وخرَّجتها من كتب السُّنّةِ وغيرها، ذاكرًا اسمَ الكتاب، ثم رقمَ الجزء والصفحة، ثم اسم الكتاب، ثم اسمَ الباب الذي ورد الحديث فيه.

وأمّا الأحاديث الضّعيفة والموضوعة فقد أشرتُ إلى درجتها، وخرَّجتها من كتــب الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة، ومن كتُب التفســير وغيرها، وأمّا أحاديثُ فضائل السُّوَر فقد أشرتُ في أول سورة الأنبياء إلى أنّ أكثرَ هذه الأحاديث موضوعٌ، وخرَّجتها أيضًا من مظانِّها.

٧ ـ خَرَّجْتُ الأمثالَ والأقوال من كتُب الأمثال وكتب الأدب وغيرها.

٨ ـ جُلُّ الشـواهد الشِّعريّة في «البستان» شـواهدُ نَحْويّةٌ ولغوية، وقليلٌ منها أبيات في الزهد والحكمة، وقد أطلقتُ عليها لفظَ شواهدَ تَجَوُّزًا.

وقد خَرَّجْتُ الأشـعارَ والأرجازَ، ذاكرًا البَحْرَ الذي ورد عليه البيت، ثم اسمَ القائـل إن لم يذكره المؤلِّف، مُصَحِّحًا نِسْـبةَ البيت إذا نَسَـبَهُ المؤلف خطأً، ذاكرًا الرواياتِ في البيت إذا تعدَّدت، شـارحًا الألفاظَ الغريبةَ فيه، ثم أُبَيِّنُ الشاهدَ ووجهَ الاستشهاد إن كان البيتُ يحتاج لبيانه، ثم أُخَرِّجُ البيتَ من مصادره التي يوجد فيها، بادئًا بذكر ديوان الشاعر إن كان له ديوان.

٩ ـ ترجمـتُ للأعـلام الذيـن وَرَد ذِكرهم في نصِّ المخطـوط، وترجمت للمشهورينَ منهم أيضًا، ولكنَّني أوجزتُ في هذه التراجم.

١٠ ـ عَرَّفْـتُ بالقبائـل والطوائف والجماعات، وكـذا بالأماكن والمواضع تعريفًا موجزًا.

١١ ـ خَرَّجْـتُ أقـوالَ العلماء من نحويِّين ولُغَويِّين مـن كتُبهم بقَدْر الإمكان مكتفيًا بِها في تخريج هذه الأقوال، فإن لم أجدها في كتبهم رجعتُ إلى غيرها لأُخَرِّجَ هذه الآراءَ منها، أمّا الأقوالُ غيرُ المنسوبة فقد كنت أعزُوها إلى قائليها مُخَرِّجًا إياها من كتبهم إذا وجدتها فيها، أو من غيرها إن تعَذَّر ذلك، كما خَرَّجْتُ أقوال المفسِّرين والفقهاء من كتب التفسير والفقه.

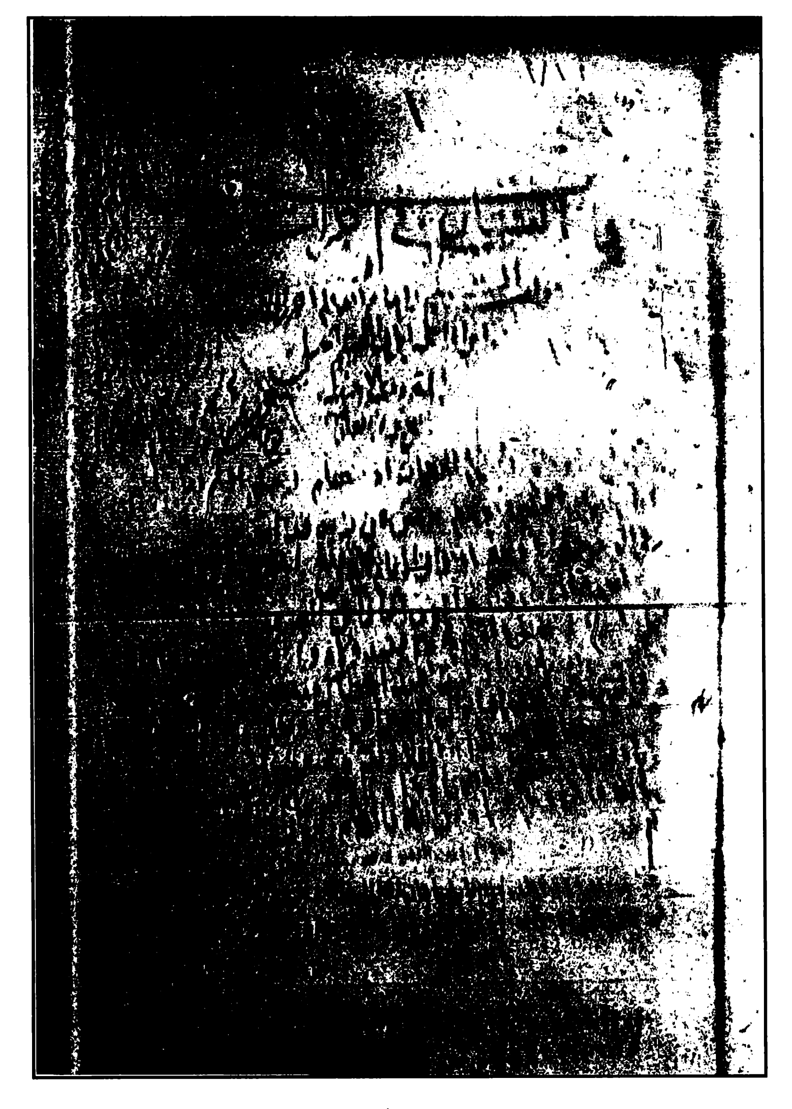
١٢ ـ عَلَّقْتُ على الآراءِ والمسائل الخلافيّة التي ذكرها المؤلِّف بإيجاز.

١٣ ـ الزِّيادةُ التي أضفتُها إلى النصّ، وكانت ضروريّةً لإصلاح النص وضعتها بين معقوفَتين هكذا []، وأشرت إلى ذلك في الحاشية.

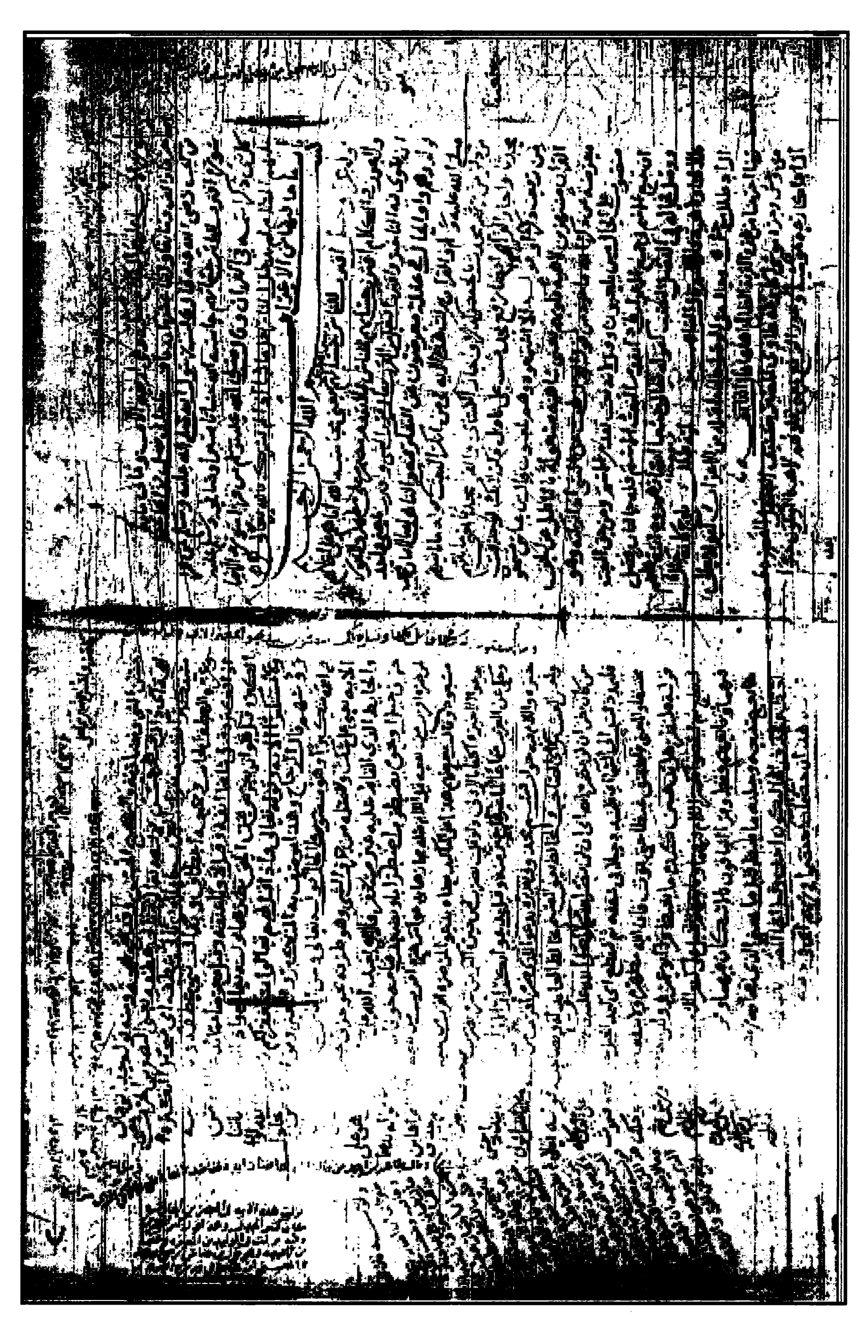
١٤ ـ الألفاظ المكرَّرة في الأصل، والألفاظ المصحَّفة أو المُحَرَّفةُ صحَّحتها، وأشرت إلى ذلك كلِّه في الحاشية.

* * *

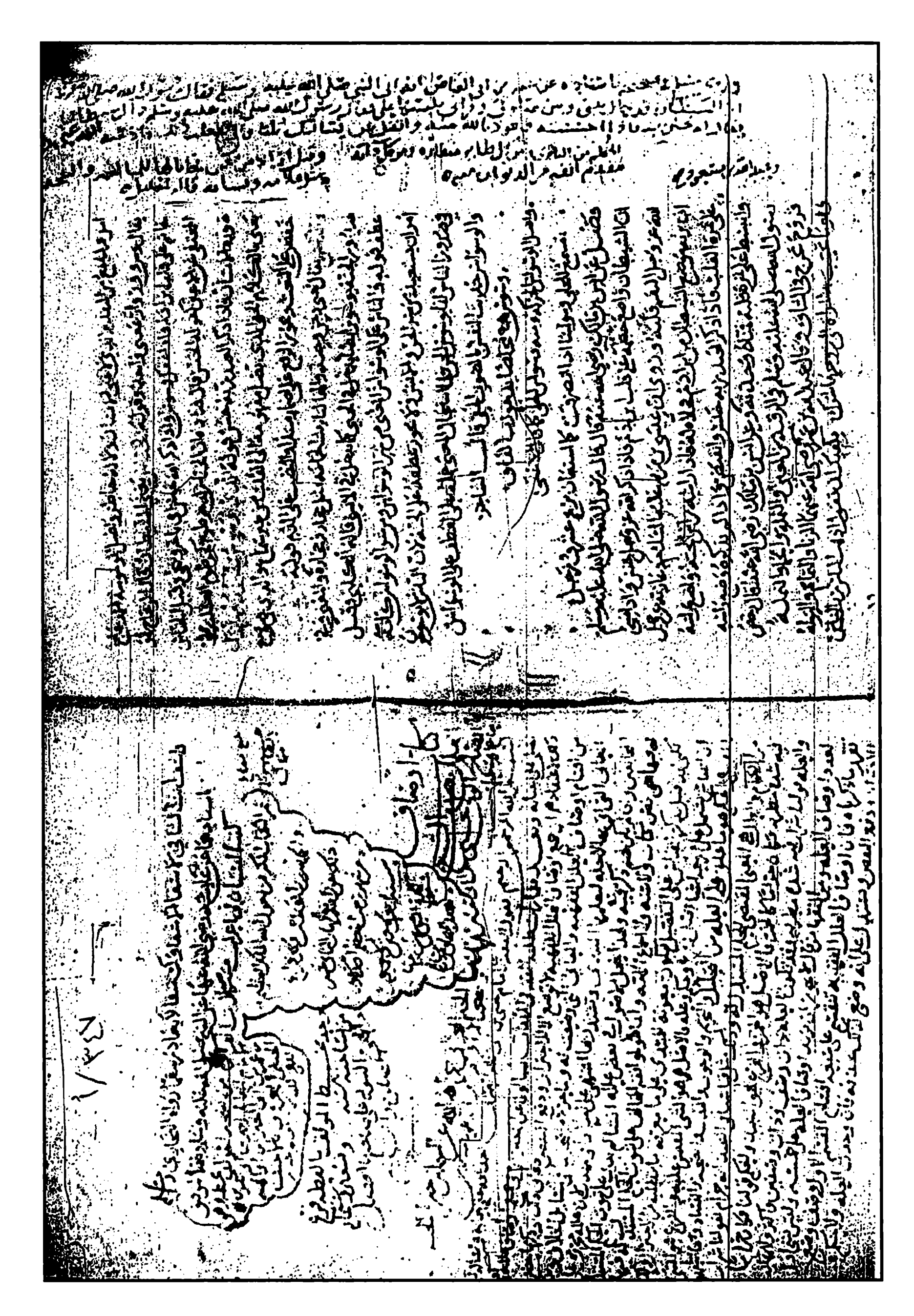
٣ ـ نماذج مصوَّرة من المخطوط



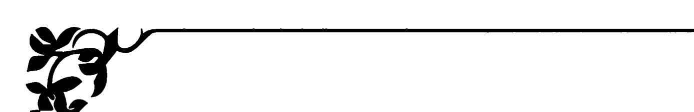
صفحة العنوان



الورقة الأولى



الورقة الأخيرة

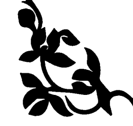



البُسْتـانُ

في إعـرابِ مُشـكِلات القُـرْآنِ

لِأَبي العَبّاسِ أحمَدَ بنِ أَبي بَكْرٍ بنِ عُمَرَ الجبلي ت (٧١٧هـ)

من أولِ سورةِ الأنبياء إلى آخرِ القرآنِ الكريم




سورةُ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ
مكِّية

وهــي أربعةُ آلافٍ وثمانِمائة حرف، وألفٌ وثمانٍ وســتونَ كلمةً، ومائةٌ واثنتا عشْرةَ آيةً.

بابُ ما جاء في فَضْل قراءتها[(١)]

عــن أُبَيِّ بنِ كعــبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «من قرأ ســورة ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ حاســبه الله حسابًا يســيرًا، وصافَحَهُ وسَلَّمَ عليه كلُّ نَبيٍّ ذُكِرَ اسمُهُ في القرآن»[(٢)].

---

(١) هذه عادة المؤلف عند بدء كل ســورة، فهو يذكر عدد حروفها وعدد كلماتها وعدد آياتها، ثــم يــورد حديثًا أو أكثر فــي فضل قراءتها، وأغلــب الأحاديث التي أوردهــا المؤلف في فضائل الســور في هــذا الكتاب موضوعة، قال ابن قتيبة: «وقــال ابن المبارك في أحاديث أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: «من قرأ سورة كذا فله كذا»: أظن الزنادقة وضعته»، تأويل مختلف الحديث لابــن قتيبة ص ٧٣، وينظر: ضعفاء العقيلي ١/ ١٥٦، ١٥٧، الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٤٠، ٢٣٩-٢٤٢. وقال العجلونيُّ: وباب فضائل القرآن «من قرأ ســورة كذا فله كذا» من أول القرآن إلى آخره ســورةً ســورةً وفضيلةَ قراءةِ كلِّ ســورةٍ، رَوَوْا ذلك وأسندوه إلى أُبَــيِّ بنِ كَعْــبٍ، ومَجْمُوعُ ذلك مُفْتَــرًى وَمَوْضُوعٌ بإجماع أهل الحديث»، كشــف الخفاء ٢/ ٤١٩.

(٢) ينظر: الكشف والبيان للثعلبي ٦/ ٢٦٨، الوسيط للواحدي ٣/ ٢٢٩، الكشاف للزمخشري ٢/ ٥٨٧، مجمع البيان للطبرسي ٧/ ٧٠، بصائر ذوي التمييز ١/ ٣٢٢.

وقال ﷺ: «من قرأ سورةَ الأنبياء ـ عليهم السَّلام ـ لم يدخُل النارَ، يعمل ما شاء إذا لم يُشْرِكْ بالله تعالى »[١].

بابُ ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولـه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ﴾ يعني: محاسبةَ اللهِ إياهم على أعمالهم، قيل: اللام بمعنى «مِنْ»، يعني: اقترب من الناس حسابُهُمْ، ولا يجوز في الكلام: اقترب حسابُهم للناس؛ لئلّا يُقدَّمَ مُضمَرٌ على مُظْهَرٍ لا يجوز أن يُنْوَى فيه التأخيرُ[٢]، و«اقْتَرَبَ»: «افْتَعَلَ» من القُرْبِ، يقال[٣]: قَرُبَ الشيءُ واقْتَرَبَ بمعنًى واحدٍ.

قولـه: ﴿وَهُمۡ﴾ واو الحال ﴿فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ عن التفكرِ فيه والتأهبِ له بالإيمان بمحمدٍ ﷺ والقرآنِ، نزلت هذه الآيةُ فيمن أنكر البعثَ.

قوله: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ بالخَفْض: نعتٌ لـ«ذِكْرٍ»، وأجاز الكِسائي[٤] والفَرّاء[٥]: «مُحْدَثًا»[٦] يعني: ما يأتيهم مُحدَثًا، وأجاز الفراء[٧] أيضًا رفع ﴿مُّحۡدَثٍ﴾[٨] على تأويل: ﴿ذِكۡرٌ﴾؛ لأنك لو حذفت «مِنْ» رفعتَ

(١) لم أعثر له على تخريج.
(٢) من أول قوله: «ولا يجوز في الكلام: اقترب... » قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٦٣.
(٣) قاله ابن الأعرابيِّ فيما حكاه عنه ثعلب، ينظر: ياقوتة الصراط لأبي عمر الزاهد ص ٣٥٧.
(٤) ينظر رأي الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١.
(٥) معاني القرآن ٢/ ١٩٧.
(٦) وقد قرأ بالنصب زيدُ بنُ عليٍّ، ينظر: البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.
(٧) ينظر: معاني القرآن ٢/ ١٩٧، ١٩٨.
(٨) وقد قرأ بالرفع إبراهيم بن أبِي عبلة، ينظر: الكشاف ٢/ ٥٦٢، البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

ذِكْرًا. ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾ قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: ساهيةً مشغولةً بالباطل عن الحق، معرضةً عن ذكر الله، مأخوذٌ من قول العرب: لَهِيتُ عَنِ الشَّيْءِ: إذا تَرَكْتَهُ[1].

وهو منصوبٌ على الحال من ﴿يَلْعَبُونَ﴾[2]، وقيل: لأنه نعتٌ تقدَّم الاسمَ، ومن حقَّ النعت أن يَتْبع الاسمَ في جميع الإعراب، فإذا تقدَّم النعتُ الاسمَ فله حالتان: فَصْلٌ ووصل، فحالُهُ في الفصل النصبُ، كقوله تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾[3]، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾[4] و﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾، قال الشاعر:

١ـ لِمَيّةَ مُوحِشًا طَلَلُ ... يَلُوحُ كَأَنَّهُ خِلَلُ[5]

أراد: طَلَلٌ موحِشٌ، وحالُه في الوصل حالُ ما قبلَه من الإعراب، كقوله

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٤٢٨، الصحاح ص ٢٤٨٧.

(٢) يريد: من واو الجماعة في ﴿يَلْعَبُونَ﴾، قاله الكسائي والفراء والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ١٩٨، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٣.

(٣) القمر ٧.

(٤) الإنسان ١٤.

(٥) البيت من الوافر المَجزوء، لكُثَيِّرِ عَزّةَ، ورواية ديوانه: «لِعَزّةَ»، ومن رواه: «لِمَيّةَ»، قال: إنه لذي الرمة، وسوف يتكرر البيت مرة أخرى ٥/ ١٣٤ من هذا الكتاب.
اللغة: الخِلَلُ: جمع خِلّةٍ، وهي بطانة يُغَشَّى بها جفن السيف، تُنْقَشُ بالذهب وغيرِهِ.
والشاهد فيه قوله: «موحشًا طللُ» فقد نصب «موحشًا» على الحال من «طللُ»، وكان في الأصل نعتًا له، فلما تقدم عليه صار حالًا منه.
التخريج: ديوان كُثَيِّر ص ٥٠٦، الكتاب ٢/ ١٢٣، معاني القرآن للفراء ١/ ١٦٧، كتاب الشعر ص ٢٢٠، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٥٩، الخصائص ٢/ ٤٩٢، عين المعاني ورقة ٨٣/ أ، أسرار العربية ١٤٧، شرح المفصل ٢/ ٥٠، ٦٢، اللسان: خلل، وحش، مغني اللبيب ص ١١٨، ٥٧١، ٨٦٥، شرح شواهد المغني ٢٤٩، خزانة الأدب ٣/ ٢١١، ٦/ ٤٣.

تعالَى: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا﴾[١]، قال النابغة[٢]:

٢ ـ مِنْ وَحْشِ وَجْرةَ مُوشِـيٍّ أَكارِعُهُ   طاوِي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ[٣]

أراد: أكارعه مُوشِـيَّةٌ، ويجوز الرفع بمعنـى: قُلُوبُهُم لاَهِيَةٌ[٤]، أو يكون خبرًا/ بعد خبر، أو على إضمار مبتدأ[٥]. [١/ ب]

قوله: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۝٣﴾ كان حقه: وأسـرَّ؛ لأنه فعل تقدم

---

(١) النسـاء ٧٥، ومـن أول قولـه: «ومن حق النعت أن يتبع الاسـم» قاله الثعلبي في الكشـف والبيان ٦/ ٢٦٩، وينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٢٦٨.

(٢) هـو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبيانِيُّ، أبـو أمامـة، شـاعرٌ جاهليٌّ من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كان الشـعراء يقصدون قُبَّتَهُ في سـوق عكاظ، يعرضون عليه شـعرهم، نادم النعمان بن المنذر، وعُمِّرَ طويلًا، وتوفي سنة (٦٠٤م) تقريبًا. [الشعر والشعراء ص١٦٣-١٧٩، الأعلام ٣/ ٥٤، ٥٥].

(٣) البيت من البسيط من قصيدة للنابغة في مدح النعمان والاعتذار له، وهذا البيت في وصف ناقته التي حملته إلى النعمان، يشبهها بالثور الوحشي.

اللغـة: وجرة: فلاة بين مكة والبصرة ليس فيها منزل، موشـي أكارعه: الوشـي: خلط لون بلون، والأكارع: القوائم واحدها كُراعٌ، والمعنى: أن هذا الثور بقوائمه نقط سود وخطوط، طـاوي المصير: خالي المِعَى جائعٌ، والمصير: المعى وجمعـه أَمْصِرةٌ ومُصْرانٌ، الصَيَّقَلُ: شَحّاذُ السُّيُوفِ الذي يجلوها، الفَرَدُ والفُرُدُ: المنقطع القرينِ.

التخريج: ديوانه ص ١٧، الزاهر ٢/ ٢٩٦، تهذيب اللغة: فرد ١٤/ ٩٩، الكشـف والبيان ٦/ ٢٦٩، القرطبي ٦/ ٢٣٥، اللسان: فرد، تاج العروس: فرد.

(٤) قاله الكسائي والفراء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ١٩٨، إعراب القرآن ٣/ ٦٣، وقد قرأ بالرفع ابن أَبِي عبلة وعيسى بن عمر وعكرمة وسعيد بن جبير، ينظر: زاد المسير ٥/ ٣٤٠، مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٤١، البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

(٥) هذان الوجهان حكاهما النحاس عن بعضهم بغير عزو في إعراب القرآن ٣/ ٦٣، ٦٤.

الاسمَ، واختلف النحاة فيه، فمنهم من قال[١]: ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ في محل الخفض على أنه تابعٌ للناس في قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، وقال الكسائي[٢]: فيه تقديمٌ وتأخير، أراد: الذين ظلموا أسَرُّوا النجوى.

وقال قُطرب[٣]: هو شائعٌ في كلام العرب، وحُكِيَ عن بعضهم أنه قال: سمعت بعض العرب يقول: أَكَلُونِي البَراغِيثُ[٤]، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾[٥]، قال الشاعر:

٣ ـ بِكَ نالَ النِّضالُ دونَ المَساعِي فاهتديـنَ النِّبالُ للأغراضِ[٦]

---

(١) هـذا قول الفراء، ينظر: معاني القرآن ٢/ ١٩٨، قال أبو حيان: «وهذا أبعد الأقوال»، البحر ٦/ ٢٧٦، وعليه فلا وقف على: ﴿ٱلنَّجْوَى﴾، ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا ص ٢٥٠، القرطبي ١١/ ٢٦٩.

(٢) ينظر قول الكسائي في الكشف والبيان ٦/ ٢٦٩، عين المعاني ورقة ٨٣/ أ، تفسير القرطبي ١١/ ٢٦٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٦.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٦/ ٢٧٠، وعين المعانِي ورقة ٨٣/ ب، وهو محمد بن المستنير بن أحمد لَقَّبَهُ سِيبَوَيْهِ بِقُطْرُبٍ، عالم بالنحو واللغة والأدب، وهو أول من وضع المثلث في اللغة، من مصنفاته: معاني القرآن، النوادر، المثلثات. [إنباه الرواة ٣/ ٢١٩، ٢٢٠، بغية الوعاة ١/ ٢٤٢، ٢٤٣، الأعلام ٧/ ٩٥].

(٤) حكى أبو عبيدة هذه العبارة عن أبي عمرو الهذلِي في مجاز القرآن ١/ ١٧٤، ٢/ ٣٥.

(٥) المائدة ٧١.

(٦) البيت من بحر الخفيف لأبي تمام من قصيدة له يمدح بها أحمد بن أبي دؤاد، ورواية ديوانه: «**بك عاد النضال...... واهتدين**».

اللغة: النضال: المباراة في رمي السهام، الأغراض: جمع غَرَضٍ وهو الهدف الذي يُنْصَبُ فيُرْمَى فيه.

التخريج: ديوان أبي تمام بشرح التبريزي ١/ ٣١٣، عين المعاني ورقة ٨٣/ ب، تفسير القرطبي ١١/ ٢٦٩.

ويحتمل أن يكون محـل «الَّذِينَ» رفعًا على الابتداء[١]، أو يكون معناه: «وأسروا النجوى»، ثم قال: هم الذين ظلموا[٢]، ويحتمل أن يكون محله رفعًا على البدل من الواو في: ﴿أَسَرُّوا﴾[٣]، قال المبرد: فهذا كقولك في الكلام: إن الذين في الدار انْطَلَقُوا بَنُو عبدِ الله، على البدل مما في ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾، ويجوز أن يكون في موضع نصب على معنى: أعني الذين ظلموا[٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ يعني الرسل الأولين، قال الزَّجّاج[٥]: هـو واحدٌ ينبئ عن جماعة؛ أي: وما جعلناهم ذوي أجسـاد[٦]: ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ⁽٨⁾﴾ قال ثعلبٌ والمبرّدُ جميعًا: العرب إذا جاءت بين الكلام بجَحْدَيْن كان الكلام إخبارًا، فمعناه: إنما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطعام، ومثله في الكلام: ما سمعتُ منكَ ولا أَقْبَلُ، فمعناه: إنما سمعت منك لأقبل منك، قال: وإذا كان في أول الكلام جَحْدٌ كان الكلام مجحودًا جحدًا حقيقيًّا، وهو مثل قولك: ما

---

(١) ويكـون خبره محذوفًا، تقديـره: الذين ظلموا يقولون: ما هذا إلّا بشـر مثلكم، ينظر: البيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٥٨، التبيان للعكبري ص ٢/ ٩١١، الدر المصون ٥/ ٧١.

(٢) أي: أنـه خبـر لمبتدأ محذوف، والتقديـر: هم الذين، وهذا أحد قوليـن للأخفش، وأجازه الزجـاج، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤١٠، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١، البيان للأنباري ٢/ ١٥٨.

(٣) هذا قول يونس بن حبيب وسـيبويه والأخفـش والفراء والمبرد والزجـاج، ينظر: الكتاب ٢/ ٤١، معانـي القرآن للأخفش ص ٢٦٢، معاني القرآن للفـراء ٢/ ١٩٨، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٤، وينظر قول المبرد في الوسـيط ٣/ ٢٢٩، القرطبي ١١/ ٢٦٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٥.

(٤) هذا الوجه أجازه الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٤، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٦٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨١.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٥.

(٦) في الأصل: «ذوي الأجساد».

زيــدٌ بخارج، فإذا جاءت العرب بالجَحْدَيْن في أول الكلام كان أحدُهما صلةً، تقول: ما ما قمتُ، تريد: ما قمتُ، ومثله: ما إنْ قمتُ، تريد: ما قمت[١].

قال الفراء[٢]: وإنَّما قال: ﴿جَسَدًا﴾ ولم يقل: أجسادًا؛ لأنها اسم الجنس، كقوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[٣]، وقد تقدَّم قول الزّجّاج فيه.

قولـه تعالـى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴿١١﴾﴾؛ أي: أهلكنـا أهلَهـا، يُخَـوِّفُ أهلَ مكة، والقَصْمُ: الكسـر والدَّقُّ، يقال منـه: قَصَمْتُ ظَهْرَ فلانٍ، وانْقَصَمَتْ سِنُّهُ: إذا انكسرتْ.

قولـه تعالـى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ يعنـي: رأَوْا عـذابنـا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾﴾ يعني: يسـرعون هاربين، يقال منه: رَكَضَ فلانٌ فَرَسَـهُ: إذا لَكَزَهُ بالرِّجْلِ، وأصله: التحريك.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ يريـد: لـم نخلقهما عبثًا ولا باطلًا، بل خلقناهما دلالةً على قدرتنا ووحدانـيَّـتنا ليعتبروا بخلقهما ويتفكَّروا فيهما ويعلموا أنّ العبادةَ لا تصلح إلا لخالقهما[٤]، ونَصْب ﴿لاعبين﴾ على الحال[٥].

---

(١) انتهى قول ثعلب والمبرد، وقد حكاه أبو عمر الزاهد بنصه في ياقوتة الصراط ص ٣٥٧: ٣٥٩، وذكره الأزهري باختلاف يسير في التهذيب ١٠/ ٥٦٦، ٥٦٧، وينظر: زاد المسير ٥/ ٣٤١.

(٢) قال الفراء: «وَحَّدَ الجسدَ ولم يجمعه، وهو عربي؛ لأن الجسد كقولك: شيئًا مجسدًا؛ لأنه مأخـوذ من فعل فكفى مـن الجمع، وكذلك قراءة من قـرأ: ﴿لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾، والمعنى: سُقُوف»، معاني القرآن ٢/ ١٩٩.

(٣) غافر ٦٧.

(٤) من أول قوله: «لم نخلقهما عبثًا... » قاله ابن الجوزي بنصه في زاد المسير ٥/ ٣٤٣.

(٥) وهي الحال اللازمة الذكر، وصاحب الحال هو ضمير الفاعل في ﴿خَلَقْنَا﴾، ينظر: التبيـان للعكبري ص ٩١٣.

[٢/ أ] قوله: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ / أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ يعني: امرأة، وقيل: ولدًا ﴿لَّاَتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾؛ أي: مـن عندنا، يريد: من الحُور العين وما اتخذناه من أهل الأرض ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ يعنـي: ما كنا فاعلينَ ذلك، قال الفَرّاء[١] والمبرّد[٢] والزَّجّاج[٣]: يجوز أن تكون «إنْ» للنفـي، كقوله: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[٤]، ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾[٥]، ويجوز أن تكون للشـرط؛ أي: إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لَدُنّا، قال الفراء[٦]: وهذا أَشْبَهُ الوجهينِ بِمَذْهَبِ العربيةِ.

واللهـو في اللغة يقع على المرأة وعلى الولد، ولهذا يقال: امرأةُ الرجلِ وَوَلَدُهُ رَيْحانَتاهُ[٧]، وأصل اللهو: الجماعُ، كُنِّيَ عنه باللهو كما كُنِّيَ عنه بالسِّرِّ، ثم قيل للمرأة: لَهْوٌ؛ لأنها تُجامَعُ، قال امرؤ القيس:

٤ ـ أَلا زَعَمَتْ بَسْباسَـةُ اليومَ أَنَّنِي كَبِرْتُ وأنْ لايحسنُ السرَّ أمثالِي[٨]

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٠٠.

(٢) ينظر قول المبرد في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٣٣.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) فاطر ٢٣.

(٥) الملك ٢٠.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٠٠.

(٧) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس ص ٧٩٥، ٧٩٦، اللسان: «لهو».

(٨) البيت مـن الطويل، لامرئ القيس يرد على امـرأة عيرته بالكِبَرِ، ورواية الديوان: «يُحْسِـنُ اللَّهْوَ»، وكان حَرِيًّا بالمؤلف أن يستشهد بهذه الرواية لأنه يستشهد على لفظ اللهو.

اللغة: بَسْباسةُ: اسم امرأة من بني أسد، السر أو اللهو هنا: الجماع.

التخريـج: ديوانه ص ٢٨، معاني القرآن ١/ ١٥٣، مجاز القرآن ١/ ٧٦، الزاهر ١/ ١٠٨، ٢/ ٣١٢، الخصائـص ٢/ ٤٢٣، أمالي ابن الشـجري ٢/ ١٧٢، ٣/ ١٩٣، عين المعاني ورقة ٨٣/ ب، زاد المسـير ١/ ٢٧٧، تفسـير القرطبي ٣/ ١٩١، ٦/ ٢٤٨، ١١/ ٢٧٦، اللسان: لهو، خزانة الأدب ١/ ٦٤.

يريد: الجماع(١)، وهذه الآية نزلت في الذين قالوا: اتخذ الله ولدًا.

قولــه تعالــى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾﴾ يعني السماواتِ والأرض، و«إلّا» هاهنا صفةٌ للآلهة بمعنى «غَيْرٍ»(٢)، وليس باستثناءٍ ولا ببدل(٣)، ويجوز أن يُشَبَّهَ «إلّا» بـ«غَيْرٍ» فيُوصَفَ بها، كما يجوز أن يُشَبَّه «غَيْرُ» بـ«إلّا» ويُسْتَثْنَى بِها، قال الزَّجّاج(٤): ولذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها، قال الشاعر:

٥ ـ وكلُّ أخٍ مفارِقُهُ أخوهُ لعَمْرُ أبيكَ إلّا الفَرْقَدانِ(٥)

---

(١) من أول قوله: «وأصل اللهو الجماع...» قاله ابن قتيبة بنصه في تأويل مشكل القرآن ص ١٦٣.

(٢) قال سيبويه: «هذا باب ما يكون فيه «إلّا» وما بعده وصفًا بمنزلة «مِثْلٍ» و«غَيْرٍ»، وذلك قوله: لو كان معنا رجلٌ إلّا زيدٌ لَغُلِبْنا...، ونظير ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾، الكتاب ٢/ ٣٣١، ٣٣٢، وهذا قول أكثر العلماء»، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ١١٥، ١١٦، مجاز القرآن ١/ ١٣١، ١٥٥، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٧، ٦٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢، التهذيب ١٥/ ٤٢٤، وذهب الفراء إلى أنها بمعنى «سِوَى»، معاني القرآن ٢/ ٢٠٠.

(٣) لا يجوز أن يكون لفظ الجلالة هنا بدلًا؛ لأنه لو كان بدلًا لكان المعنى: لو كان فيهما اللهُ لفسدتا، وهو باطل، ولا يجوز نصبه على الاستثناء؛ لأنه يكون المعنى: إن فساد السماوات والأرض امتنع لوجود الله تعالى مع الآلهة، وفي هذا إثبات إله مع الله، وهو باطل، ينظر في ذلك التبيان للعكبري ٢/ ٩١٤، ٩١٥، الدر المصون ٥/ ٧٧، ٧٨.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٨.

(٥) البيت من الوافر لعمرو بن معدي كرب، ونسب لحضرمي بن عامر رضي الله عنه، ونُسِبَ لِسَّوارِ بن المُضَرَّبِ.

اللغة: الفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان، وقيل: هما كوكبان قريبان من القطب.

والشاهد فيه: استعمال «إلا» بمعنى «غير».

التخريج: ديوان عمرو بن معدي كرب ص ١٧٨، الكتاب ٢/ ٣٣٤، مجاز القرآن ١/ ١٣١،=

يعنـي: غير الفرقدَيـنِ، قال الزَّجّاج[١]: المعنـى: وكلُّ أخ غيرَ الفرقَدَيْنِ مفارقُه أخوه.

قولـه: ﴿لَفَسَدَتَا﴾؛ أي: لَخَرِبتا وبَطَلتا وهلَكتـا وهلَكَ من فيهما لوجود التمانع بين الآلهة ولم يَجْرِ أَمْرُ العالَمِ على النظام؛ لأنّ كلَّ أَمْرٍ صَدَرَ عن اثنين فأكثر لم يَجْرِ على النظام[٢].

قولـه تعالـى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، ثم نَزَّهَ نفسَـه عمـا يقولون فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: بل هم عبادٌ مُكْرَمون، يعني: الملائكـة، نزلت هذه الآيةُ في خُزاعة، حيث قالـوا: الملائكةُ بناتُ الله ـ جَلّ وعز عن ذلك ـ.

قولـه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ قرأ ابن كثيـر[٣]: ﴿أَلَمْ يَرَ﴾ بغير واو[٤]، والمعنى: أولم يعلم الذين كفروا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾

= معاني القرآن للأخفش ص ١١٦، المقتضب ٤/ ٤٠٩، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/ ٣٨٨، ٤/ ١٥٨، الزاهر ٢/ ٣٩٢، شـرح أبيات سيبويه ٢/ ٤٦، البيان للأنباري ٢/ ٢٤٠، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٣٧٥، شمس العلوم ١/ ١٣٤، شرح المفصل ٢/ ٨٩، رصف المبانِي ص ٩٢، اللسان: ألا، الجنى الدانِي ص ٥١٩، مغني اللبيب ص ١٠١، ٧٣٩، شرح شواهد المغني ص ٢١٦، خزانة الأدب ٣/ ٤٢١، ٩/ ٣٢١، ٣٢٢.

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٨٨.

(٢) من أول قوله: «لخربتا وبطلتا» قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٢٣٤، وينظر: زاد المسير ٥/ ٣٤٥.

(٣) عبـد الله بن كثيـر الداري المكي أبو معبد، أحد القراء السـبعة، فارسـي الأصل، كان قاضي الجماعة بمكة، كان عطارًا وكانوا يسمون العطار داريًّا فَلُقِّبَ بالدّارِيِّ، ولد بمكة سنة (٤٥هـ)، وتوفِّي بها سنة (١٢٠هـ). [غاية النهاية ١/ ٤٤٣: ٤٤٥، الأعلام ٤/ ١١٥].

(٤) وهي أيضًا قراءة ابن محيصن وحميد وشبل بن عباد، ينظر: السبعة ص ٤٢٨، تفسير القرطبي ١١/ ٢٨٢، البحر المحيط ٦/ ٢٨٦، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٦٢، ٢٦٣.

قيل: كانت السماواتُ مرتَّقةً طبقةً واحدةً ففتقها فجعلها سبعَ سماوات، وكذلك الأرَضُونَ كانت مرتَّقةً طبقًا واحدًا ففَتقَها فجعلها سبعَ أرَضِين، وقيل: كانت السماء مع الأرض جميعًا، ففتقهما الله بالهواء الذي جُعِل بينهما، وقيل: كانت السماء رَتْقاءَ لا تمطر ففتقها بالمطر، وكانت الأرض رَتْقاءَ لا تنبت ففتقها بالنبات/، نظيره قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ * وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾(١).

وأصل الرَّتق: السدُّ، ومنه قيل للمرأة التي فرجُها ملتحم: رتقاءُ، وأصل الفَتْق: الفتح، وإنما وحَّد الرتقَ وهو من نعت السماواتِ والأرض؛ لأنه مصدرٌ وُضع موضعَ الاسم، مثلَ: الزَّوْر والصوم والفطر والعدل ونحوِها، والمعنى: كانتا ذواتي رتق(٢).

قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ٣٠﴾ يعني: أنّ كلَّ شيءٍ خُلِقَ من الماء، نظيره قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ﴾(٣).

«ولَمْ يصرِّح الله تعالى بذكر الخبز والطعام لقلّته عنده، فصرح بذكر الماء لأنه شرفُه، إذْ كان كل شيءٍ خَلَقَهُ - من الحيوان والفاكهة وغير ذلك - حياتُهُ بالماء»(٤)، وخَفَضَ حَيًّا على النعت لـ«شيء».

---

(١) الطارق ١١، ١٢.

(٢) قاله أبو عبيدة والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٣٧، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٠، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٦٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣، والزَّوْرُ: مصدر بمعنى الزائر، والصَّوْمُ مصدر بمعنى الصائم، والفِطْرُ مصدر بمعنى المُفْطِر، والعَدْلُ مصدر بمعنى العادل، والمؤلف هنا اختار رأي البصريين في أن المصدر المنعوت به إنما هو على تقدير مضاف.

(٣) النور ٤٥.

(٤) من أول قوله: «ولم يصرح الله» حكاه أبو عمر الزاهد عن ابن الأعرابي في ياقوتة الصراط ص ٢٢٩.

فصل

رُوِيَ في الأخبار المشهورة المَأْثُورةِ، أن الله تعالَى لَمّا أراد أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ خلق جوهرةً خضراءَ مثلَ السماوات السبع والأرَضين السبع، فنظر إليها نظرةَ هَيْبة، فصارت ماءً، ثم نظر إلى ذلك الماء فَغَلَى، فارتفع منه زَبَدٌ ودخانٌ، فخلق من الزبد الأرض، فأول ما ظهر على وجه الأرض: مكةُ، فدَحا اللهُ الأرض طبقًا واحدًا، وفتقها وصيَّرها سبعًا، وخلق من الدخان السماءَ، وذلك قوله تعالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[1] ثم فتقها بعد أن كانت طبقةً واحدة، فصيَّرها سبع سماوات، وذلك قوله تعالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أفلا يؤمنون بعد هذا البيان؟

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ الخلد: اسمٌ من الخلود، وهو البقاء الدائم.

قوله: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: أفهُم الخالدونَ إن مِتَّ؟ كقول الشاعر:

٦ ـ رَفَوْنِي وَقالُوا: يا خُوَيْلِدُ لم تُرَعْ فَقُلْتُ وأَنْكَرْتُ[2] الوُجُوهَ: هُمُ هُمُ[3]

---

(١) فصلت ١١.

(٢) في الأصل: «وأنكرتني».

(٣) البيت من الطويل لأبي خِراشٍ الهذلِي، وهو مطلع قصيدة ذكر فيها تفلته من أعدائه حين كمنوا له في الطريق، ويروى: «لا تُرَعْ».
اللغة: رَفَوْنِي: سَكَّنُونِي من قولهم: رَفَوْتُ الرَّجُلَ: إذا سَكَّنْتَهُ من الرعب، خويلد: اسم أبي خِراشٍ وهو خويلد بن مرة أحد بني قِرْدِ بنِ عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل، لا تُرَعْ: لَا تَخَفْ. =

أي: أَهُم هُم، نزلت هذه الآية حين قال المشركون: نتربَّص بمحمد رَيْبَ المَنُون.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾؛ أي: من نفوسهم ﴿ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم﴾؛ أي: نختبركم؛ ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؛ أي: ابتلاءً، لننظر كيف شُكرُكم فيما تحبون، وكيف صبرُكم فيما تكرهون ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ تُردُّون للجزاء على أعمالكم حسنِها وسيِّئِها، ونصب «فِتْنَةً» على المصدر[1].

فصل

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: استأذن أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ وقد مات وسُجِّي عليه الثوب، فكشف عن وجهه، ووضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صُدغَيْه، وقال: واخليلاه! واصفياه! صدق الله ورسوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن / مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۞ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ثم خرج إلى الناس، فخطب[2]. [٣/ أ]

= **الشاهد** في قوله: «هم هم» فإن فيه استفهامًا مقدرًا؛ أي: أهم هم؟ واستشهاد المؤلف بِهذا البيت هنا في غَيْرِ محله؛ لأن الاستفهام في الآية مذكور، وفي البيت مقدر.

التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ١٢١٧، غريب الحديث للهروي ١/ ٧٦، أدب الكاتب ص ٤١، الزاهر ١/ ٢٩٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢، الخصائص ١/ ٢٤٧، ٣/ ٣٣٧، مقاييس اللغة ٢/ ٤٢٠، الكشف والبيان ٦/ ٢٧٥، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١١٦، عين المعاني ورقة ٨٣/ ب، شرح الكافية للرضي ١/ ٢٢٦، اللسان: رفأ، رفا، روع، ها.

(١) يعني أن «فتنة» مصدر من معنى العامل وهو «نبلوكم»، وفيه وجهان آخران، أحدهما: أن يكون مفعولًا له، والثاني: أن يكون مصدرًا في موضع الحال؛ أي: فاتِنِينَ، ينظر: التبيان ٩١٨، الدر المصون ٥/ ٨٤، ٨٥.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن عائشة في المسند ٦/ ٣١، ٢٢٠، وينظر: دلائل النبوة ٧/ ٢١٤، ٢١٥، الدر المنثور ٤/ ٣١٩، كنز العمال ٧/ ٢٣٨.

قولــه تعالى: ﴿أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ الميم: صلةٌ فيــه وفي أمثاله[١]، تقديره: ألهم آلهةٌ ﴿تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ وفي الآية تقديمٌ وتأخير، والتقدير: أم لهم آلهةٌ من دوننا تمنَعُهم؟

وتم الكــلام، ثم وَصَف آلهتهم بالضعــف، فقال: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ۝٤٣﴾؛ أي: يُحْفَظُونَ وَيُمْنَعُونَ، وقيل[٢]: يُجارُونَ؛ لأن المجيرَ صاحبٌ لجاره، والعرب تقول: صَحِبَكَ اللهُ، أي: حفظك الله وأجارك.

قولــه ـ عزّ وجــلّ ـ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ هو: جمــعُ الميزان، ووَحَّدَ «القِسْطَ» وهو نعتٌ للموازين؛ لأنه في مذهب: عَدْلٌ ورِضًا[٣]، قال الزَّجّاج[٤]: «قسط»: مصدرٌ يوصَف به، تقول: ميزانٌ قِسْطٌ وموازينُ قِسْطٌ، والمعنى: ذواتَيْ قِسط.

قوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: في يوم القيامة، اللام هنا بمعنى «في»، وتسمى: لامَ التوقيت[٥]، وقوله: ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾؛ أي: لا يُنْقَصُ من ثواب حسَناتِه، ولا يُزادُ على سيئاته، ونَصْبُ ﴿شَيۡـٔٗا﴾ على خبرِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٦].

---

(١) هــذا رأي الكوفيين، وأما البصريون فإنهم يجعلــون «أَمْ» في مثل هذا منقطعة بمعنى «بَلْ»، ينظر: معانِي القرآن للفراء ١/ ٧١، ٧٢، معانِي القرآن للأخفش ص ٣١، ٣٢، تأويل مشكل القــرآن ص ٥٤٦، ٥٤٧، الأزهية ص ١٣٠، ١٣١، الجنــى الدانِي ص ٢٠٥، ٢٠٦، مغني اللبيب ص ٦٥.

(٢) قاله ابن عباس، ينظر: شمس العلوم ٦/ ٣٦٨٠، ٣٦٨١.

(٣) قالــه الفــراء في معانــي القــرآن ٢/ ٢٠٥، وحكاه أبو عمــر الزاهد عن ثعلب فــي الياقوتة ص٣٦٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤.

(٥) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٥، شمس العلوم ٩/ ٦١٣٩، خزانة الأدب ٢/ ٣٨٥.

(٦) يعني: أنه مفعول ثانٍ للفعل المبني للمجهول، وهذا من مصطلحات الكوفيين.

فصل

عن أبي أُمامة[١]، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «يا بني هاشم، اشتروا أنفسَكم من الله -عزّ وجلّ- واسْعَوْا في فِكاكِ رقابكم، ولا تَغُرَّنَّكُمْ قَرابَتُكُمْ مِنِّي، فإني لا أملِكُ لكم من الله شيئًا»، فبَكَتْ عائشةُ -رضي الله عنها- وقالت: يا رسول الله: ويكونُ يومٌ لا تُغني عنّا من الله شيئًا؟! فقال: «نعم، في ثلاثة مواطن، يقول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ...﴾ الآية[٢]، [وعند][٣] النُّور والظلمة، من شاء اللهُ سَلَّمَهُ وأجاره، ومن شاء كَبْكَبَهُ في النار»[٤].

[رُوِيَ][٥] أن داودَ عليه السّلام سأل ربَّه أن يُرِيَهُ الميزانَ فأراه، فلما رآه غُشِيَ عليه، ثم أفاق، فقال: يا إلهي: من الذي يَقدِر أن يملأَ كِفَّتَهُ حسناتٍ؟ فقال: يا داود، إنِّي إذا رضيتُ عن عبدي ملأتُها بتَمْرةٍ»[٦].

---

(١) هو: صُدَيُّ بن عجلان بن وهب الباهلي، روى عن النبي ﷺ ٢٥٠ حديثًا، سكن الشام وهو آخر من مات بها من الصحابة سنة (٨١هـ)، وقيل: (٨٦هـ). [أسد الغابة ٣/ ١٦، الأعلام ٣/ ٢٠٣].

(٢) تتمتها: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾. الأعراف ٨، ٩.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هذا الذي أورده المؤلف جزء من حديث طويل رواه الطبرانيُّ في المعجم الكبير ٨/ ٢٢٥، ٢٢٦، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٧/ ٨٥، ٨٦، وينظر: فتح الباري ٨/ ٣٨٥، الدر المنثور ٥/ ٩٦، ٩٧.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) هذا الخبر ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٦/ ٢٧٧، وينظر: مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٧٦، تفسير البغوي ٣/ ٢٤٦، زاد المسير ٣/ ١٧١، تفسير الخازن ٣/ ٢٦١، روح البيان للبروسوي ٥/ ٤٨٦.

قوله: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾؛ أي: أحضرناها، قَرأَ أهلُ المدينة المثقالَ بالرَّفع[(١)]، بمعنى: وإنْ وَقَعَ، وحينئذٍ لا خَبَرَ لها[(٢)]، وقَرأَ الباقون بالنَّصب على معنى: وإن كان ذلك الشيءُ مِثْقالَ حبةٍ، يعني: العمل، وقيل: الظُّلاَمة، ومثله في سورة لقمان[(٣)].

قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: مُحاسِبين وكافِين ومُطالِبين ومُجازِين وشاهدين ومُحصِين، والحَسْبُ معناه: العَدُّ، وقال ابن عباس: عالِمينَ حافظين، وذلك أن من حَسَبَ شيئًا عَلِمَهُ وحَفِظَهُ، وهو منصوبٌ على الحال أو التمييز[(٤)].

فصل

[٣/ ب] عن حُذَيفةَ بن اليمان، قال: إنّ جِبريلَ - عليه السّلام - صاحبُ / الميزان يوم القيامة، يقول له ربُّه: زِنْ بينَهم، ورُدَّ من بعضهم على بعض - ولا ذَهَبُ يومئذٍ ولا فِضّةٌ - فيَرُدُّ على المظلوم من الظالم ما وَجَدَ له من حسناتٍ، فإن لم تكن له حسنةٌ أَخَذَ من سيئاتِ المظلوم فيَرُدُّ على الظالم، فيرجع وعليه مثلُ الجبال[(٥)].

---

(١) هذه قراءة نافع وأبي جعفر وزيد بن عَلِيٍّ وشيبةَ، ينظر: السبعة ص ٤٢٩، تفسير القرطبي ١١/ ٢٩٤، البحر المحيط ٦/ ٢٩٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٢٦٤، ٢٦٥.

(٢) لأنها تامة، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤، البحر المحيط ٦/ ٢٩٤.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾، لقمان١٦، فقد قرأ نافع وأبو جعفر والأعرج برفع المثقال، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة لابن مجاهد ص ٥١٣، البحر المحيط ٧/ ١٨٢، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٦٢. وانظر ما يأتي ص٢/ ٥٨ من هذا الكتاب.

(٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤، وقال أبو حيان: «والظاهر أن ﴿حَٰسِبِينَ﴾: تَمييزٌ لِقَبُولِهِ: «مِنْ»، ويجوز أن يكون حالًا»، البحر المحيط٦/ ٢٩٥.

(٥) رواه ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٧١، وينظر: القرطبي ٧/ ١٦٧، ١١/ ٢٩٣، فتح الباري ١١/ ٣٤٤، ١٣/ ٤٥٠، الدر المنثور ٣/ ٦٩.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني: التَّوراةَ التي تفرِّق بين الحلال والحرام ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾؛ أي: ضياءً، والواو هاهنا زائدة[١] لا موضعَ لها؛ لأنها دخلت حَشْوًا، ومنه قولُ امرئ القيس:

٧- فَلَمّا أَجَزْنا ساحةَ الحَيِّ وانْتَحَى بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[٢]

معناه: انتحى، فأُدخلت الواو حشوًا وإقحامًا، هكذا قاله الخليل[٣].

---

(١) الأَوْلَى أن يقول: «والواو صِلةٌ» تأدُّبًا مع القرآن الكريم، وقد قرأ ابن عباس وعكرمة والضحاك: ﴿ضياءً﴾ بغير واو، ينظر: المحتسب ٢/ ٦٤، عين المعاني ورقة ٨٤/ أ، تفسير القرطبي ١١/ ٢٩٥، البحر المحيط ٦/ ٢٩٥.

(٢) البيت من الطويل من معلقته، ورواية العَجُزِ في الديوان:

بِنا بَطْنُ حِقْفٍ ذِي رُكامٍ عَقَنْقَلِ

اللغة: أجزنا: سِرْنا وقطعنا، انتحى له الشيء: اعترض، الخبت: ما اطمأن من الأرض واتسع، والخبت: صحراء بين المدينة والحجاز، القفاف: جمع قُفٍّ وهو: ما غلظ من الأرض وارتفع، العقنقل: الكثيب العظيم المتداخل الرمل.

والشاهد فيه: زيادة الواو في جواب «لَمّا» على مذهب الكوفيين، وأما البصريون فإنهم يقولون: الواو غير زائدة، وإنما هي عاطفة وجواب «لَمّا» محذوف تقديره مثلًا: فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى.... خَلَوْنا وَنَعِمْنا.

التخريج: ديوانه ص ١٥، معاني القرآن للفراء ٢/ ٥٠، ٢١١، أدب الكاتب ص ٢٧٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٥٨، الأزهية ص ٢٣٤، البيان للأنباري ٢/ ٣٥، الإنصاف ص ٤٥٧، ٤٦٠، عين المعاني ٨٤/ ب، ١١٢/ أ، رصف المباني ص ٤٢٥، شرح الكافية ٤/ ٤١٦، اللسان: جوز، خزانة الأدب ١١/ ٤٣-٤٥، ٤٧.

(٣) ينظر: ما حكاه المؤلف هنا عن الخليل في كتاب الجمل المنسوب له ص ٢٨٨، والمؤلف هنا وافق الكوفيين وبعض البصريين كالأخفش وابن بَرْهانَ الذين أجازوا زيادة الواو، وأما جمهور البصريين فإنهم لا يجيزون زيادتها ويقولون: إنها حرف جاء لمعنى فلا يجوز الحكم بزيادته، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٠٥، ٢١١، معانِي القرآن للأخفش ص ١٢٥، ١٤١، ٤٥٧، تأويل مشكل القرآن ص ٢٥٢-٢٥٤، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤، =

وهو نصبٌ على الحال[(١)]، و﴿وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨﴾ عطفٌ عليه؛ أي: أنهم يذكرونه، ويعملون بما فيه، ويتَّعظون بمواعظه، وقيل[(٢)]: هو من صفة التوراة، مثلَ قوله: ﴿فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ﴾ [(٣)]، والمعنى: أنهم استضاءُوا بها حتى اهتدَوْا في دينهم، وقيل[(٤)]: معناه: وجَعَلناها ضياءً، وأراد بالفُرقان: فَرْق البحر أو النَّصر أو اليد أو التوراة.

قوله تعالى: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾ الكيد: المكر، يقال: كادَهُ يَكِيدُهُ كَيْدًا ومَكِيدةً، والمكرُ هو: الاحتيال والخديعة، ونصب «مُدْبِرِينَ» على الحال.

قوله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ﴾ يعني: الأصنام ﴿جُذَٰذًا﴾ الجَذُّ: القَطْعُ والكَسْرُ، والجُذاذُ: قِطَعُ ما كُسِّرَ، الواحدة: جُذاذةٌ، وهو مثل الحُطامِ والرُّفاتِ والدُّقاقِ، وقَرَأَ الكِسائيُّ بكسر الجيم[(٥)] على أنه جَمْعُ جَذِيذٍ، مثل: ثقيل وثِقالٍ، وخفيف

= إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٢، ٧٣، الإنصاف ص ٤٥٦، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤١٦، ٤١٧، خزانة الأدب ١١/ ٤٣-٤٥.

(١) هذا على أن الواو زائدة، وأما على مذهب البصريين فالواو عاطفة، و﴿ضياء﴾ معطوف على ﴿ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ الذي هو مفعول ثانٍ لـ﴿ءَاتَيۡنَا﴾، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٥، البيان للأنباري ٢/ ١٦٣، الدر المصون ٥/ ٩١.

(٢) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٢٤١، وهذا راجع إلى رأي البصريين في أن الواو عاطفة، ومعنى قوله: «هو من صفة التوراة» أنه من باب عطف الصفات، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥، وقال السمين الحلبي: «يجوز أن يكون من باب عطف الصفات، فالمراد به شيء واحد، أي: آتيناه الجامع بين هذه الأشياء». الدر المصون ٥/ ٩١.

(٣) المائدة ٤٤.

(٤) أي: أن ﴿ضياء﴾ مفعول بفعل محذوف، وهذا أيضًا يتوجه على رأي البصريين.

(٥) وبها قرأ أيضًا الأعمشُ في روايةٍ عنه، وابنُ محيصن وابنُ مقسم وأبو حيوة وحميدٌ وابنُ =

وخِفافٍ[١]، والجَذيذ بمعني المجذوذ، وهو المكسور[٢].

ثم اســتثنى كبيرَ الأصنام، فقال: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يعني: كَسَّرَ الأصنامَ إلا كبيرَها ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ الهاء عائدةٌ على إبراهيم عليه السّلام[٣] أي: يرجِعــون إلى دينه، وإلى ما يدعوهم إليه مــن عبادة ربه، لوجوب الحُجّة عليهم في عبادة ما لا يَدفَع عن نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ يعني: لإبراهيم عليه السّلام ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾؛ أي: زيــادةً، والنافلة: ما كان زيادةً على الفــرض، ويقال لولَد الولد: نافلةٌ لأنه زيادةٌ علي الولد؛ لأنّ إبراهيم عليه السّلام دعا بإسحاقَ فاستُجيب له وزِيدَ يعقوبَ عليه السّلام، و﴿نَافِلَةً﴾ نصبٌ على المصدر[٤].

قوله: ﴿وَكُلًّا﴾؛ يعني: إبراهيمَ ويعقوبَ ﴿جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ۝٧٢﴾ يريد:

= وثابٍ، ينظر: السبعة ص ٤٢٩، تفسير القرطبي ١١/ ٢٩٧، النشر ٢/ ٣٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣٠١، الإتحاف ٢/ ٢٦٥.

(١) ينظــر: معاني القــرآن للفراء ٢/ ٢٠٦، تفســير غريب القرآن لابن قتيبــة ص ٢٨٦، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٥، ٣٩٦، تهذيب اللغة ١٠/ ٤٦٩، تفسير غريب القرآن للسجستاني ص١٠٥، شمس العلوم ٢/ ٩٤٣.

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٦٣، الوسيط ٣/ ٢٤٢، عين المعاني ورقة ٨٤/ أ.

(٣) يعني الهاء في ﴿إِلَيْهِ﴾، وهذا قول الزجاج، وقيل: هي عائدة على ﴿كَبِيرُهُمْ﴾، ينظر: معاني القــرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٦، زاد المسير ٥/ ٣٥٨، البحر المحيــط ٦/ ٣٠١، عين المعاني ورقة ٨٤/ أ، الدر المصون ٥/ ٩٥.

(٤) الأرجــح أن ﴿نَافِلَةً﴾ منصوب على الحال؛ لأنه بمعنى الزيــادة وهي يعقوب، أما ما ذكره المؤلف مــن انتصابه على المصدر فيتجه على أن النافلة بمعنى العطية، فيكون مصدرًا من معنــى العامل ﴿وَهَبْنا﴾؛ لأن الهبة والعطية متقاربان، فهــو مصدر كالعاقبة والعافية، ينظر: التبيان للعكبري ص ٩٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٠٥، الدر المصون ٥/ ٩٩.

أنبياءً عاملينَ بطاعة الله عزّ وجلّ، ونصب «كُلًّا» بـ«جعلنا»[١].

قولـه: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾؛ أي: وآتينـا لوطًا، وقيـل: هو منصوبٌ بإضمـار فعـل، تقديـرُه: وأرسَلْنـا لـوطًا، وقيل: معناه: واذكـر لوطـًا[٢] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ يعني: النُّبوةَ، وقيل: الفصل بين الخصوم بالحق ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ﴾؛ أي: من أهل القرية ﴿ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ وهي سَـدُومُ، وكان أهلُها يأتُون الذُّكرانَ في أدبارهم، ويتضارَطون في أنديتِهم، معَ أشياءَ أُخَرَ كانوا يعملونهـا من المنكـرات ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ [٧٤]﴾ خارجين عن الطاعة مُصِرِّينَ على المعصية.

قولُه تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾؛ أي: واذكُرْ نوحًا[٣] ﴿إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يعني: من قبلِ إبراهيمَ ولوطٍ؛ لأنه كان قبلَهما، دعا على قومه بالهلاك / فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ [٤/ أ] أَنْهَٰرًا..﴾ الآيـةَ[٤]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ وأتباعَه، يعني: من كان معه في سفينته ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ⁽٧٦⁾﴾ يعني: الغرقَ يومَ الطُّوفان، والكربُ: أشدُّ الغمّ.

قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ

---

(١) ﴿كُلا﴾: مفعول أول لـ﴿جَعَلْنَا﴾، والمفعول الثاني ﴿صَٰلِحِينَ﴾، ينظر: التبيان للعكبري ص ٩٢٢، الدر المصون ٥/ ٩٩.

(٢) ينظر في هذه الأوجه: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٠٧، ٢٠٨، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٨، ٣٩٩، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥، البيان للأنباري ٢/ ١٦٣، عين المعاني ورقة ٨٤/ أ.

(٣) أي أنـه منصوب بفعل مضمر، ينظر: معاني القـرآن للفراء ٢/ ٢٠٨، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٩٩، ويجـوز أن يكـون معطوفًا علـى ﴿لوطا﴾ في قولـه: ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ﴾، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٥، الدر المصون ٥/ ١٠٠.

(٤) نوح ٢٦.

﴿أَجْمَعِينَ ۝٧٧﴾ قيل: مَنَعْناهُ من القوم الذين كذَّبوا بآياتنا[١]، وقيل: «مِن» هاهنا بمعنى «عَلَى»[٢] أي: ونصرناه على القوم، نَصْب «أجمعين» لأنه توكيدٌ للمضمر، وهو الهاء والميم، وهما في موضع نصب.

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمدُ داودَ وسليمانَ ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ قيل: كان الحرث زرعًا، وقيل: كان كَرْمًا قد نَبَتَتْ عناقيدُه وتَدَلَّتْ ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾؛ أي: رَعَتْهُ ليلًا فأفسدته، والنَّفَشُ: بالليل، والهَمَلُ: بالنهار، وهما الرَّعْيُ بلا راعٍ.

«ولم ينصرفْ داودُ لأنه اسمٌ أعجميٌّ لا يَحسُن فيه الألف واللام، ولم ينصرف سُليمانُ لأنّ في آخِره ألفًا ونونًا زائدتَيْن»[٣].

قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾ يعني: داودَ وسُليمانَ وأصحابَ الغنم وصاحبَ الكَرْم[٤]، وقال الفراء[٥]: إنما جَمَع اثنَيْنِ فقال: ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾

---

(١) هذا على رأي البصريين، وهو أن ﴿نَصَرْنا﴾ ضُمِّنَ معنى «مَنَعْنا»، لأنهم لا يجيزون نيابة حروف الخفض بعضها عن بعض، ينظر: الكشاف ١/ ٥٧٩، التبيان للعكبري ص ٩٢٣، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦، المساعد ٢/ ٢٤٨، الدر المصون ٥/ ١٠١.

(٢) هذا على رأي الكوفيين والأخفش وابن قتيبة وكثير من المتأخرين في أن حروف الخفض ينوب بعضها عن بعض، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٦، تأويل مشكل القرآن ص ٥٧٧، تفسير القرطبي ١١/ ٣٠٧، البحر المحيط ٦/ ٣٠٦، المساعد ٢/ ٢٤٨، وقد قرأ أُبَيٌّ: ﴿وَنَصَرْناهُ عَلَى الْقَوْمِ﴾، مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٩٤.

(٣) من أول قوله: «وَلَمْ ينصرف داود» إلى هنا قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٥.

(٤) أي: أن الضمير عائد إلى جمع، وهذا رأي الطبري والكرمانِي، ينظر: جامع البيان ١٧/ ٦٧، غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرمانِي ١/ ٧٤٤، وينظر أيضًا: الكشاف ١/ ٥٧٩، زاد المسير ٥/ ٣٧١.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٠٨.

وهـو يريـد داودَ وسُـليمان؛ لأنّ الاثنَيْنِ جمع، وهو مثـل قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾(١) وهو يريد أخوَيْنِ.

وقوله: ﴿شَٰهِدِينَ﴾؛ أي: لم يغب عنا من أمرهم شيء.

قوله: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ يعني: الحكومة، كُنِّي عنها لأنه سَبَق ما يدلُّ عليها من ذكر الحُكم. ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا﴾ يعني: داودَ وسليمان ﴿حُكْمًا﴾ نبوةً ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين، ونصب ﴿كلًّا﴾ بـ﴿ءَاتَيْنَا﴾.

قولـه: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ التقديـر: وسـخَّرنا الجبالَ يسـبِّحن مع داود، وهو أنه كان إذا وَجَد فترةً أَمَرَ الجبالَ فسبَّحت حتى يشتاق هو فيسبح، وقال وَهْب(٢): كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح، وكذلك الطير.

قولـه: ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ معطوفٌ على الجبال، ويجـوز أن يكون بمعنى: مع الطير، كما تقول: التقى الماءُ والخشبةَ(٣)، قال الزَّجّاج(٤): ويجوز: ﴿والطَّيْرُ﴾ بالرفع بمعنى: يسبِّحن هن والطيرُ.

---

(١) النساء ١١.

(٢) وهـب بن منبه بـن كامل الأبناوي الصنعاني الذماري أبو عبـد الله، مؤرخ كثير الإخبار عن الكتب القديمة، ويُعَدُّ في التابعين، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، ولد بصنعاء وَوَلَّاهُ عُمَرُ بن عبد العزيز قضاءها، وتوفِّي بها سنة (١١٤هـ). [سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٤٤-٥٥٧، الأعلام ٨/ ١٢٥].

(٣) من أول قوله: «معطوف على الجبال... » قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٧٥، ٧٦.

(٤) معانـي القـرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٠، ومعنى كـلام الزجاج أنه مرفـوع بالعطف على الضمير المرفوع المسـتتر في ﴿يُسَبِّحْنَ﴾، وهذا يجوز علـى رأي الكوفيين، وأما البصريون فإنهم يجيزونه على قبح في ضرورة الشـعر، ينظر: الإنصاف ص ٤٧٤-٤٧٨، وقد قرأ بعضهم: ﴿والطَّيْرُ﴾ بالرَّفع، البحر المحيط ٦/ ٣٠٧، الدر المصون ٥/ ١٠٢.

ثم قال: ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾؛ أي: نَقْدِرُ على ما نريد.

قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسخَّرنا لسليمان الريحَ ﴿عَاصِفَةً ۝٨١﴾ يعني: شديدةَ الهبوب، قال ابن عباس: إنْ أَمَرَ الرِّيحَ أَنْ تَعْصِفَ عَصَفَتْ، فإذا أراد أن تُرْخِيَ أَرْخَتْ، وذلك قوله: ﴿رُخاءً حَيْثُ أَصابَ﴾[1]. ونَصْب ﴿عَاصِفَةً﴾: على الحال[2].

والرِّيح: هواءٌ مُحَرِّكٌ، وهو جسمٌ لطيفٌ ممتنع بِلُطْفِهِ من القبض عليه، وتَظْهَرُ لِلْحِسِّ حَرَكَتُهُ، وهو يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ[3].

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ﴾؛ أي: واذكُرْ أيوب ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾؛ أي: دعا ربه ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: أصابني الجَهْد ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾ أكثرهم رحمةً ﴿فَٱسْتَجَبْنَا / لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ يريد: الأوجاع ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ نَصْبٌ علي المصدر، وقيل[4]: على المفعول من [٤/ ب]

---

(١) ص ٣٦.

(٢) والعامل فيها فعل مقدر؛ أي: سخرنا الريح حال كونها عاصفةً، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٠، التبيان للعكبري ص ٩٢٤.

(٣) ينظر: المذكر والمؤنث للفراء ص ٨٧، المذكر والمؤنث للسجستاني ص ٤١، ١٦٩، المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٥١، ٧٨، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٥٦، غير أن الفراء قال: «والرياح كلها إناث، قال: أنشدني بعض بني أسد:

كَمْ مِنْ جِرابٍ عَظِيمٍ جِئْتَ تَحْمِلُهُ ... ودُهْنَةٍ رِيحُها يَغْطِي عَلَى التَّفَلِ

قال: أنشدنيه عِدّةٌ من بني أسد كلهم يقول: «يَغْطِي» فَيُذَكِّرُونَهُ، وكأنهم اجترأوا على ذلك، إذْ كانت الريح ليس فيها هاء، وربما ذُهِبَ بالريح إلى الأَرَجِ والنشر»، المذكر والمؤنث ص ٨٧، وقال ابن التستري: «فإن ذَكَّرَها شاعر للضرورة فإنما يذهب بها إلى النَّشْرِ، وهو فَغًا لايجوز في تصاريف الكلام»، المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٧٩، والفَغا: الرديء من كل شيء.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٠٩، وينظر: التبيان للعكبري ص ٩٢٤، البحر المحيط ٦/ ٣١٠، الدر المصون ٥/ ١٠٤.

أجلـه، والمعنى: فعلنا ذلك به رحمةً من عندنا ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ يعني: موعظةً للمتقين.

واختلفـوا في ذلك، فقال قومٌ: إنّما ردَّ الله على أيوب عليه السّـلام مثلَ أهلِـه الذيـن هلَكوا، ولم يُرِدْهم بأعيانهم في الدنيـا، وإنما وعده الله تعالى أن يؤتيَـه إياهم في الآخرة، وقـال آخرون: بل ردَّهم الله عليـه بأعيانهم، وأعطاه مثلَهم معهم. وهذا القول أشبهُ بظاهر الآية.

فصلٌ

عن ابن عباس قال: سـألت نبيَّ الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾، قـال: «يا ابـن عباس، رَدَّ اللهُ امرأتَه إليه، وزاد في شـبابها، حتى ولدت له سـتةً وعشـرين[١] ذكرًا، وأَهْبَطَ اللهُ إليه مَلَكًا فقال له: يا أيوب: إنّ الله يُقرِئُك السلام لصَبْرِك على البلاء، فاخرُجْ إلى أَنْدَرِكَ[٢]، فبعث الله تعالى سحابةً حمراءَ، فهبطت عليه بجراد الذهب، والملك قائمٌ معه، فكانت الجرادة تذهب فيتَّبعهـا حتى يردَّها إلى أندره، فقال له الملك: يا أيوب، أما تَشْـبَعُ من الداخلِ حتى تتبع الخارج؟ قال: إن هذه بركةٌ من بركات ربِّي، وليس أَشبَعُ منها»[٣].

قولـه ـ عزّ وجـلّ ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾؛ أي: واذكُرْ يا محمد صاحبَ النون، يعني: الحوت[٤]، وهو يونس بن مَتَّى عليه السّـلام سُمِّيَ بذلك لابتلاع النون

---

(١) في الأصل: «وعشرون».

(٢) في حاشية الأصل: «الأندر: الجُرْنُ الذي يُداسُ به الحَبُّ».

(٣) رواه ابن عسـاكر في تاريخ دمشق ١٠/ ٧٧، وينظر: مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٨، الدر المنثور ٤/ ٣٣٠.

(٤) النون: الحوت، ينظر: كتاب الحروف للخليل ص ٤٥.

إياه في البحر، والنون: السمكة، وجمعها: نِينانٌ(١).

وقوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ قيل: لقومــه، وقيل(٢): لربه؛ أي: لأمر ربِّه، وقال آخــرون(٣): معناه: مُغاضبًا لبعض الملــوك. والمغاضَبة: مفاعلةٌ، وأكثر مــا تكون المفاعلةُ من اثنين كالمخاصَمة والمجادلة والمقاتلة، وقد تكون من واحدٍ كقولك: ســافرتُ وعاقبتُ الرجل، وطارَقتُ النَّعلَ(٤)، وشــارفت الأمرَ ونحوها، ومعنى قوله: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ يعني: غضبانَ أَنِفًا، والعرب تسمِّي الغضبانَ أَنِفًا، والأَنِفَ غضبانٌ لقرب أحدهما من الآخر(٥)، وهو منصوب على الحال.

وقولــه: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾؛ أي: لــن نقضيَ عليه مــن العقوبة ما قضيناه، يقال: قَدَرَ اللهُ الشــيءَ وقَدَّره؛ أي: قضاه، وهذا القول اختيارُ الفراء(٦) والزَّجّاج(٧).

وقــال عطاء(٨): معناه: فظن أَنْ لَــنْ نُضَيِّقَ عليه الحبسَ، من قوله تعالى:

---

(١) قال سيبويه: «ونينانٌ: جماعة النون». الكتاب ٣/ ٥٩٣.

(٢) ذكــره ابن قتيبة والنحاس بغير عزو، والــلام هنا هي لام العلة أي: من أجل ربه، كما تقول: غضبت لك؛ أي: من أجلك، وليســت هي اللام الموصلة للمفعول به، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٥: ٤٠٨، إعراب القرآن ٣/ ٧٧، البحر المحيط ٦/ ٣١١.

(٣) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤١٢، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٧٨.

(٤) طارَقَ الرجلُ نعليهِ: أطبق نعلًا على نعل، اللسان: طرق.

(٥) من أول قوله: «والمغاضبة: مفاعلة... » قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٤٠٦، ٤٠٧.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢٠٩.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٢.

(٨) في الأصل: «ابن عطاء»، والصواب: «عطاء»، ينظر قوله في: زاد المســير ٥/ ٣٨٣، تفسير القرطبي ١١/ ٣٣١، وهو عطاء بن أبي مسلم الخراسانِي واسم أبيه عبد الله وقيل: ميسرة، نزيــل بيت المقدس، مفســر أرســل عن جماعة مــن الصحابة وروى عــن الزهري وابن =

﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾[١]؛ أي: يضيق، وقولِهِ تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾[٢]؛ أي: ضُيِّقَ.

وقال ابنُ زيد[٣]: هو استفهامٌ معناه: أَفَظَنَّ أن لن نقدِرَ عليه؟

قال أبو عُمر محمدُ بنُ عبد الواحد البِيوَرْدِيُّ[٤]: «هو من التقدير ليس من القدرة، يقال: قَدَرَ الله لك الخيرَ يَقْدُرُهُ قَدْرًا، المعنى: قَدَّرَهُ، ومنه: الخبر في هلال رمضان: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فاقْدُرُوا لَهُ»؛ أي: قَدِّرُوا له[٥] / ، فهذا كلُّه من التقدير، وتقول من القدرة: قَدَرْتُ على الشيء أَقْدِرُ عليه قُدْرةً، وفي لغة أخرى: قَدِرْتُ عليه أَقْدَرُ قُدْرةً»[٦]. [٥/ أ]

= المسيب ونافع، وروى عنه أبو حنيفة ومالك وشعبة، كان ثقة، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ، توفي سنة ١٣٥هـ. [طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٨٥، سير أعلام النبلاء ٦/ ١٤٠: ١٤٣]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٦/ ٣٠٢، الوسيط ٣/ ٢٤٩.

(١) الرعد ٢٦.

(٢) الطلاق ٧.

(٣) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، فقيه مفسر مُحَدِّثٌ، حدث عن أبيه وابن المنكدر وروى عنه قتيبة وهشام بن عمار وغيرهما، ضَعَّفَهُ بعضُهُمْ، توفِّيَ سنة (١٨٢هـ)، من كتبه: التفسير، الناسخ والمنسوخ. [الضعفاء الكبير للعقيلي ٢/ ٢٣١، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٢٧١، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٤٩]، وينظر قوله في جامع البيان ١٧/ ١٠٥، تهذيب اللغة ٩/ ٢٠، زاد المسير ٥/ ٣٨٣، القرطبي ١١/ ٣٣٢.

(٤) أبو عمر الزاهد المُطَرِّزُ الباوَرْدِيُّ أو البِيوَرْدِيُّ، منسوب إلى أَبِيَوَرْدَ بخراسان، أحد أئمة اللغة، صحب أبا العباس ثعلبًا زمانًا فلُقِّبَ بغلام ثعلب، ولد سنة (٢٦١هـ)، وتوفِّي سنة (٣٤٥هـ)، من كتبه: شرح الفصيح فائت الفصيح ياقوتة الصراط. [إنباه الرواة ٣/ ١٧١-١٧٧، بغية الوعاة ١/ ١٦٤-١٦٦، الأعلام ٦/ ٢٥٤].

(٥) هذا جزء من حديث رواه البخاري بسنده عن ابن عمر في صحيحه ٢/ ٢٢٧، ٢٢٩ كتاب الصوم/ باب وجوب صوم رمضان، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٢٢، ١٢٣ كتاب الصيام/ باب وجوب صوم رمضان.

(٦) انتهى كلام أبي عمر بنصه، وهو في ياقوتة الصراط ص ٣٦٣، ٣٦٤.

وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ أراد [بقوله]: ﴿فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظُلمة الليل وظُلمةَ البحر وظُلمةَ بطن الحوت، وهذا قولُ أكثر المفسِّرين، وقال سالم بن أبي الجَعْد[1]: حوتٌ في حوتٍ وظُلمةِ البحر، قال: ابتلعه حوتٌ، ثم ابتلعه حوتٌ آخَر.

فصلٌ

رَوَى سعيدُ بن المسيِّب[2]، عن سعد بن مالك[3]، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اسمُ الله الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى: دعوةُ يونُسَ بن مَتَّى»، قال: قلت: يا رسولَ الله: هي ليونُسَ خاصةً أم لجماعة المسلمين؟ قال: «هي ليونُسَ خاصةً وللمسلمين عامةً، إذا دَعَوْا بها، ألم تسمعْ قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؟»[4]

---

(١) سالِمُ بن رافع الأشجعي بالولاء الكوفي أبو مسلم، تابعي ثقة، روى عن عَلِيٍّ وابن عباس وابن عمر وغيرهم، روى عنه الأعمش وقتادة، توفِّي سنة (٩٧هـ) أو (٩٨هـ). [سيَر أعلام النبلاء ٥/ ١٠٨-١١٠، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٧٣، ٣٧٤]، وقوله في الكشف والبيان ٦/ ٣٠٣.

(٢) سعيد بن المسيب بن حَزْن المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع الحديث والفقه والزهد، وكان يعيش من تجارة الزيت، كان أحفظ الناس لأحكام عمر، حتى سمي راوية عمر، توفِّي سنة (٩٤هـ). [سير أعلام النبلاء ٤/ ٢١٧: ٢٤٦، الأعلام ٣/ ١٠٢]

(٣) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الله أبو سعيد الخُدْري، رَدَّهُ النبيُّ يوم أُحُدٍ لِصِغَرِهِ، وغزا بعد ذلك اثنتي عَشْرة غزوةً، روى عن النبي ﷺ وأبيه وأخيه لأمه قتادة بن النعمان وعن أبي بكر وعمر، كان من أعيان الصحابة وفقهائهم، توفِّي سنة (٧٤هـ). [أسد الغابة ٢/ ٢٨٩، ٢٩٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ١٦٨-١٧٢].

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٦ كتاب الدعاء/ باب «أيما مسلم دعا بدعوة يونس...»، وينظر: الدر المنثور ٤/ ٣٣٤، الجامع الصغير ١/ ١٥٦، كنز العمال ١/ ٤٥١، ٤٥٢.

وعن سعد بن أبي وَقّاص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنّي لَأعلمُ كلمةً لا يقولها مكروبٌ إلّا فَرَّجَ اللهُ عنه، كلمة أخي يونُسَ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1].

قوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾؛ أي: أجبنا دعاءه ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني: من تلك الظلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما نجيَّناه ﴿نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ وقَرأَ ابنُ عامر[2] وأبو بكرٍ[3] عن عاصم[4]: ﴿نُجّي﴾[5] بنونٍ واحدة وتشديد الجيم، وجَميع النَّحويِّين حَكَموا على هذه القراءة بالغَلَط وأنها لحنٌ[6]،

---

(١) ينظر: الأذكار النووية ص ١٢٢، زاد المسير ٥/ ٣٨٣، الدر المنثور ٤/ ٣٣٤، كنز العمال ٢/ ١٢٠.

(٢) عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران اليحصبي الشامي، أحد القراء السبعة، كان إمام أهل الشام في القراءة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، تولى قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوفِّي بها سنة (١١٨هـ). [غاية النهاية ١/ ٤٢٣-٤٢٥، تهذيب التهذيب ٥/ ٢٤٠، الأعلام ٤/ ٩٥].

(٣) شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الأزدي النهشلي الكوفي، راوية عاصم، عرض القرآن على عاصم ثلاث مرات، كان إمامًا كبيرًا عالمًا عاملًا من أئمة السنة، توفي بالكوفة سنة (١٩٣هـ)، أو (١٩٤هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٢٥-٣٢٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٩٥-٥٠٨، الأعلام ٣/ ١٦٥].

(٤) عاصم بن بهدلة أبي النَّجُودِ أبو بكر الأسدي بالولاء الكوفي، أحد القراء السبعة شيخ الإقراء بالكوفة، انتهت إليه رياسة الإقراء بها بعد أبي عبد الرحمن السلمي، تابعي ثقة في القراءات صدوق في الحديث، توفي بالكوفة سنة ١٢٧هـ. [غاية النهاية ١/ ٣٤٦-٣٤٩، سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٦-٢٦١، الأعلام ٣/ ٢٤٨].

(٥) ينظر: السبعة لابن مجاهد ص٤٣٠، التيسير للداني ص١٥٥، النشر لابن الجزري ٢/ ٣٢٤.

(٦) لم يحكم النحويون جميعًا على هذه القراءة بأنها لحن، بدليل ما أورده المؤلف نفسه من آراء في تخريجها، ثم إن هذه القراءة قراءة سبعية، فكيف يحكم عليها بأنها لحن؟ قال السمين: «وهذه القراءة متواترة، ولا الْتِفاتَ على من طَعَنَ على قارئها»، الدر المصون ٥/ ١٠٦.

ثـم ذكر الفَرّاءُ لها وجهًا، فقال[١]: أضمَر المصدر في ﴿نُجِّي﴾ فنَوَى به الرَّفعَ، ونَصَـبَ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كقولك: ضُرِبَ الضربُ زيدًا، ثم تقول: ضُرِب زيدًا، على إضمار المصدر. وأنشد ابنُ قُتيبةَ حجةً لهذه القراءة[٢]:

٨ ـ ولَوْ وَلَدَتْ قُفَيْرةُ جَرْوَ كَلْبٍ لَسُبَّ بِذَلِكَ الجَرْوِ الكِلاَبا[٣]

قال أبو عليٍّ الفارسيُّ[٤]: هـذا إنَّما يَجُوزُ في ضرورة الشعر، وراوِي هـذه القراءةِ عن عاصم غالطٌ في الرواية، فإنه قرأ: ﴿نُنْجِي﴾ بنونَيْن كما روى حفـصٌ عنـه، ولكن النونَ الثانية مـن ﴿نُنْجِي﴾ تخفى مـع الجيم، ولا يجوز تبيينها، فالتبس على السـامع الإخفاءُ بالإدغام فظَنَّ أنه إدغام، ويدلُّ على هذا إسـكانه الياءَ من ﴿نُجِّي﴾ ونَصْبُ قوله: ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولو كان على ما لم يُسَمَّ فاعله ما سكَّن الياء، ولَوَجَبَ أن ترفع ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) معاني القـرآن ٢/ ٢١٠، وهذا رأي الكوفيين والأخفش، أما البصريون فإنهم لا يرتضونه؛ لأنهـم لا يجيزون نيابة المصدر مـع وجود المفعول الصريح لما في ذلك من عدم الفائدة، ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٢٨، ١٢٩، المساعد ١/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٥٥، ٥٦، على أن إنشاد ابن قتيبة لهذا البيت لا يعني أنه يؤيد هذا الوجه كما يوهم كلام الجبلي هنا.

(٣) البيت من الوافر لجرير يهجو الفرزدق، وليس في ديوانه.
اللغة: قُفَيْرةُ: اسم أم الفرزدق، الجَرو مثلثة الجيم: ولد السباع ومنها الكلب.
التخريـج: إعـراب القـراءات السـبع ٢/ ٦٦، الخصائـص ١/ ٣٩٧، الكشـف والبيـان ٦/ ٣٠٤، أمالي ابن الشجري ٢/ ٥١٨، شرح الجمل لابن بابشاذ ١/ ١٥٥، شرح المفصل ٧/ ٧٥، عين المعاني ٨٤/ ب، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٢٨، شرح الكافية للرضي ١/ ١٩٣، خزانة الأدب ١/ ٣٣٧.

(٤) نقل المؤلف كلام الفارسـي مختصرًا من الحجة ٣/ ١٦٠، ١٦١، وينظر أيضًا: المسـائل البغداديات ص ٣٦٩.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني: زكريا وامرأته ويحيى ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وقيل: إنّ الكناية تعود إلى الأنبياء الذين ذَكَرهم الله في هذه السُّورة، ومعنى ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾؛ أي: يبادرون في طاعة الله وأداء فرائضه ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ يعني: خوفًا وطمعًا، رغبًا: في رحمة الله ورَهَبًا: من عذابِ الله، وقرأ الأعمش(١): ﴿رُغْبًا وَرُهْبًا﴾(٢) بضمِّ الراءَيْنِ وجزم الغين والهاء، وهما لغتان، مثل: السُّقْم والسَّقَمِ والبُخْل والبَخَلِ والعُدْمِ والعَدَمِ(٣)/ . [٥/ ب]

وهما منصوبانِ على المصدر، وقيل: على المفعول له؛ أي: للرَّغبة والرهبة(٤)، رغبةً في الجنة ورهبةً من النار ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)﴾ يعني: ذُلُلًا متواضِعِينَ خاضِعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني: مريمَ عليها السلام؛ أي: حَفِظت فرجَها عمّا لا يَحِلُّ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أمَرْنا جِبريلَ حتى نفَخ في دِرْعِها، وأضاف الرُّوحَ إليه إضافةَ المِلْكِ لِلتشريف والتفضيل والتخصيص، وهو يريد رُوحَ عيسى عليه السّلام، ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً

---

(١) سليمان بن مهران الأسدي بالولاء أبو محمد الكوفي، تابعي مشهور أصله من بلاد الرِّيِّ، ومنشؤه ووفاته بالكوفة، كان عالمًا بالقرآن والحديث والفرائض، روى أكثر من ١٣٠٠ حديث، توفِّي سنة (١٤٨هـ). [غاية النهاية ١/ ٣١٥، ٣١٦، سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦-٢٤٨، الأعلام ٣/ ١٣٥].

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو بن العلاء، ينظر: القرطبي ١١/ ٣٣٦، البحر ٦/ ٣١٢، الإتحاف ٢/ ٢٦٧.

(٣) قاله ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٨٦، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٣.

(٤) ويجوز انتصابهما على الحال على تأويلهما براغبينَ وراهبينَ، ينظر في هذه الأوجه: التبيان للعكبري ص ٩٢٥، البحر المحيط ٦/ ٣١٢، الدر المصون ٥/ ١٠٦.

﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝٩١﴾؛ أي: دِلالةً على قدرتنا، ولم يقل: آيتَيْنِ - وقد ذكرهما جميعًا - قيل[١]: لأنه مصدر، فلم يُثَنَّ، وقيل[٢]: لأنّ الآية لهما واحدةٌ وهي الولادة من غير فَحْل، وقيل[٣]: معناه: جعلناها آيـةً وابنَها آية، فاكتفى بذكر إحداهما عن الأخرى، وقيل[٤]: هو على التقديم؛ أي: جعلناها آيةً وابنَها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ يعني: دينكم واحدٌ، فجعل الشريعة أُمّةً لاجتماع أهلها على مقصِدٍ واحد، والأُمّة: الدِّين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[٥]؛ أي: على دِين، وقيل: معناه: مِلَّتكم. ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً ۝٩٢﴾ أي: ملةً واحدة، وهي الإسلام، وأصلُ الأُمّة: الجماعة التي على مقصدٍ واحدٍ، وانتَصب ﴿أُمَّةً﴾: على الحال[٦]، وقيل[٧]: على القطع.

وقرأ ابنُ أبي إسـحاق[٨]: ﴿أُمّةٌ واحِدةٌ﴾ بالرَّفع على التكرير، وقيل: خبرٌ

---

(١) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ٨٤/ ب، وعليه تكون الآية بمعنى الدلالة.

(٢) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٠، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٤.

(٣) قالـه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٧٨، والمحذوف هنا هو الأول، وهو مذهب سـيبويه، ينظـر: الكتاب ١/ ٧٥، ٧٦، وأجاز المبرد الحذف مـن الثانِي، ينظر: المقتضب ٤/ ٧٢-٧٤، والراجح رأي سيبويه لما فيه من إعمال الأقرب وعدم الفصل بين المتلازمين، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٦، البيان للأنباري ٢/ ١٦٤، ١٦٥، التبيان للعكبري ص ٩٢٦.

(٤) حـكاه النحـاس عن المبرد في إعراب القرآن ٣/ ٧٨، وينظر أيضًا: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٨٦.

(٥) الزخرف ٢٢، ٢٣.

(٦) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٤، إعراب القرآن ٣/ ٧٩.

(٧) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢١٠.

(٨) عبد الله بن أبِي إسحاق زيد بن الحارث الحضرمي الزيادي البصري من الموالي، أخذ عنه كبار النحاة كأبي عمرو وعيسى بن عمر، فَرَّعَ النحو وقاسه، روى عن أنس بن مالك، وأخذ =

بعدَ خبر، وإن شئت على إضمارِ مبتدأٍ، وإن شئتَ على بدلِ النكرة من المعرفة[١].

قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾؛ أي: على أهل قرية، يريد: لا يرجِعون إلى الدنيا، وفي هذا تخويفٌ لأهل مكةَ أنهم إذا عذِّبوا وأُهلكوا لم يرجِعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلَكة.

وذهب جماعةٌ إلى أنّ «لا» في قوله: ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾: زائدةٌ[٢]، وقالوا: المعنى: حرامٌ على قريةٍ مهَلكةٍ رجوعُهم إلى الدنيا، كما قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣].

وقرأ الكوفيُّون سوى حفص: «وحِرْمٌ» بكسرِ الحاء وإسكان الراء[٤]، وهو بمعنى «حَرامٌ»، كما يقال: حِلٌّ وَحَلالٌ.

= القراءة عن يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، توفِّي سنة (١١٧هـ). [إنباه الرواة ٢/ ١٠٤: ١٠٨، بغية الوعاة ٢/ ٤٢، الأعلام ٤/ ٧١].

(١) ينظر في هذه الأوجه: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢١٠، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٤، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٧٩.

(٢) ممن قال بزيادتها أبو عمرو والفراء وأبو عبيد وابن قتيبة وابن الأنباري، ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٥٠، تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٥، إيضاح الوقف والابتداء ص ١٤١، ١٤٢ التهذيب: «لا» ٥/ ٤١٦، ٤١٧، وقد أنكر الزَّجّاجُ والنَّحّاسُ كونَ «لا» زائدة هنا، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٥، إعراب القرآن ٣/ ٧٩، ٨٠، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ١٦١، الوسيط ٣/ ٢٥١.

(٣) يس ٥٠، وفي الأصل: «لا يستطيعون».

(٤) هذه قراءة ابن عباس وعَلِيٍّ وابن مسعود وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه، وقراءة أبي عمرو في رواية عنه، وقراءة الأعمش وطلحة وابن وثاب والنخعي وعكرمة وسعيد ابن جبير وأبي حنيفة، ينظر: السبعة ص ٤٣١، القرطبي ١١/ ٣٤٠، التيسير ص ١٥٥، البحر ٦/ ٣١٣، الإتحاف ٢/ ٢٦٧.

قولـه تعالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾ معنـى فتحِهمـا: إخراجُهما من السـدِّ الذي جعلا وراءه، قرأ ابن عامر: ﴿فُتِّحَتْ﴾(١) بالتشديد على التكثير، وقرأ الباقون ـ يعقوبُ(٢) وأبو جعفرٍ(٣) ـ: بالتخفيف.

وجوابُ «إذا» محذوفٌ(٤)، قال ابنُ الأنباري(٥): ﴿واقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ هـو الجواب، كأنه قال: حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ اقتربَ الوعدُ الحق، والواو مُقْحَمةٌ بمعنى التعجُّب، كما تقول في الكلام: «وأَيُّ رَجُلٍ زَيْدٌ»(٦). وقرأ

(١) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وشيبة ورويس وروح: ﴿فُتِّحَتْ﴾ بالتشديد، ينظر: السبعة ص ٤٣١، الكشف لمكي ٢/ ١١٤، التيسير ١٠٢، ١٤٥، ١٤٦، البحر ٦/ ٣١٤، الإتحاف ٢/ ٢٦٧.

(٢) يعقوب بن إسـحاق بن زيد الحضرمي البصري أبو محمد، أحد القراء العشَرة، ولد ومات بالبصـرة، كان إمامها ومقرئها، له في القراءة رواية مشـهورة، له كتب منها: الجامع، وجوه القراءات وقف التمام، توفِّي سنة (٢٠٥هـ). [غاية النهاية ٢/ ٣٨٦: ٣٨٩، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٦٩-١٧٤، الأعلام ٨/ ١٩٥].

(٣) يزيد بن القعقاع المخزومي بالولاء، أبو جعفر المدني، أحد القراء العشرة من التابعين، كان إمـام المدينة في القراءة ومن المفتين المجتهدين، ثقة روى عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة، توفِّي سـنة (١٣٢هـ). [غاية النهاية ٢/ ٣٨٢: ٣٨٤، سـير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٧، ٢٨٨، الأعلام ٨/ ١٨٦].

(٤) هذا قول البصريين، وتقدير هذا الجواب عندهم: حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج واقترب الوعـد الحق قالوا: يا ويلنا، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٥، إعراب القرآن ٣/ ٨١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٨.

(٥) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري المقرئ النحوي، من أعلم أهل زمانه باللغة والأدب والأخبار، أخذ عن أبيه وعن ثعلب، ولد سـنة (٢٧٢هـ)، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هــ، من كتبه: الزاهر، إيضاح الوقف والابتداء، الأضداد. [إنباه الرواة ٣/ ٢٠١، غاية النهاية ٢/ ٢٣٠، الأعلام ٦/ ٣٣٤].

(٦) إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٧٩، وهذا قول الكوفيين وابن قتيبة؛ لأن الواو عندهم صلة، =

عاصم: ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز فيهما، وقرأهما الباقون من غيرِ همز[(١)].

قولـه: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قال ثعلـبٌ[(٢)]: الحَدَب: التـلال والآكام، واحِـدُهُ: حَدَبةٌ، ومعنى ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسـرعون، مأخوذٌ من النَّسَـلاَنِ، وهو: مقاربةُ الخَطْوِ مع الإسـراع كمشي الذئب إذا أسرع، يقال: مَرَّ الذئبُ يَنْسِلُ ويَعْسِلُ[(٣)]، والمعنى: وهم من كل نَشَزٍ من الأرض يُسرِعون.

قوله تعالـى: ﴿إِنَّكُمْ﴾ يعنـي: المشـركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعنـي: الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قرأه العامّـةُ بالصاد المهمَلة، وقرأ عليٌّ وعائشـةُ وإسـحاقُ بن حميد[(٤)]: ﴿حَطَـبُ﴾[(٥)] بالطاء، نظيرُه قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[(٦)]، قيل[(٧)]: إنّ الحَصَبَ في لغة أهل اليمن: الحَطَبُ.

= وفيها أوجه أخرى، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢١١، تأويل مشـكل القرآن ٢/ ٢٥٣، إعراب القرآن ٣/ ٨١.

(١) ينظر: السـبعة ص ٤٣١، التيسـير ص ١٤٥، ١٤٦، البحـر ٦/ ١٥٤، الإتحاف ٢/ ٢٢٥، ٢٦٧.

(٢) ينظر قوله في ياقوتة الصراط ص ٣٦٥.

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٢٨٨، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٦.

(٤) إسـحاق بن حميد بن نعيم، مَـرُوزِيُّ الأصلِ، حدث عن عفان بن مسـلم، وروى عنه عبد الصمد ابن علي الطستي وأبو بكر الشافعي. [تاريخ بغداد ٦/ ٣٧٧].

(٥) وهي أيضًا قراءة أُبَيٍّ وابنِ الزبير وزيدِ بن عَلِيٍّ وعكرمةَ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٢، المحتسب ٢/ ٦٦، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٣، البحر المحيط ٦/ ٣١٦.

(٦) التحريم ٦.

(٧) قالـه الفراء في معانِي القرآن ٢/ ٢١٢، وينظر: الكشـف والبيـان ٦/ ٣٠٩، غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٦.

وقرأ / ابنُ عباس: ﴿حَضَبُ﴾(١) بالضاد المعجَمة، وهو: كلُّ ما هُيِّجَتْ [٦/ أ]
وأُوقِدَتْ به النارُ، ومنه قيل لِدقاقِ الناس: حَضَبٌ(٢)، قال أبو ذُؤيب الهُذَلي(٣):

٩ ـ فَأَطْفِئْ وَلا تُوقِدْ وَلاتَكُ مِحْضَبًا   لِنارِ العُداةِ أَنْ تَطِيرَ شَكاتُها(٤)

وأصلُ الحَضْبِ: الرَّمْيُ، قال الضحّاك(٥): يُرْمَوْنَ في النار كما تُرْمَى الحصباءُ. ثعلبٌ عن ابن الأعرابِيِّ(٦) أنه قال: العرب تقول: هذا حَصَبُ النارِ

---

(١) وهي أيضًا قراءة اليماني، ورُوِيَ عن ابن عباس وعن اليمانِيِّ وكُثَيِّرِ عَزّةَ: «حَضْبُ» بالضاد الساكنة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٥، المحتسب ٢/ ٦٦، القرطبي ١١/ ٣٤٣، البحر ٦/ ٣١٥.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٢/ ٢١٢، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٦.

(٣) خويلد بن خالد بن مُحَرِّث، شاعر فحل مخضرم، أدرك الإسلام، سكن المدينة وغزا وشارك في فتح إفريقية، وفد على النبي ﷺ ليلة وفاته وشهد دفنه، رثى خمسة من أبنائه أصيبوا بالطاعون في عام واحد، توفِّي سنة (٢٧هـ). [الشعر والشعراء ٦٥٣- ٦٥٨، الإصابة ٢/ ٣٥٨، الأعلام ٢/ ٣٢٥].

(٤) البيت من الطويل، لأبي ذؤيب، ورواية ديوانه:

............، وَلاَ تَكُ مِحْضَأً   لِنارِ الأَعادِي أَنْ تَطِيرَ شَذاتُها

اللغة: حَضَبَ النّارَ: أَلْقَى عليها الحطبَ لِتَتَّقِدَ، وكذلك: حَضَأَها، المِحْضَبُ والمِحْضَأُ والمِحْضَجُ: الْمِسْعَرُ، وهو عود تُحَرَّكُ به النارُ عند الإيقاد، شَكاةُ النارِ وشَذاتُها: جَمْرُها.

التخريج: ديوان الهذليين ١/ ١٦٣، شرح أشعار الهذليين ص ٢٢٣، سيرة ابن هشام ١/ ٢٤٠، معجم الشعراء ٢٧٦، اللسان: حضأ، التاج: حضأ.

(٥) الضحاك بن مزاحم البلخي الخراسانِي، أبو القاسم الهلالي، مفسر كان يؤدب الأطفال، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وأنس، ثقة مأمون، وضعفه بعضهم، له كتاب في التفسير، توفِّي سنة (١٠٥هـ). [التاريخ الكبير ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٩٨- ٦٠٠، الأعلام ٣/ ٢١٥]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٦/ ٣٠٩.

(٦) محمد بن زياد، أبو عبد الله الكوفي، راويةٌ نسابة عَلاَّمةٌ باللغة، وهو ربيب المفضل الضبي، =

وحَضَبُهـا وحَطَبُها، كلُّه بمعنًى واحـدٍ، وهو ما تأكلُه النار. وقوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾؛ أي: فيها داخلون.

قولـه: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعنـي: الأصنـامَ ﴿آلِهَةً﴾ كمـا يزعُـم الكفار ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ يعنـي: العابدينَ والمعبودين ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا﴾ يعنـي: فـي جهنَّـم ﴿زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ قـال ابن مسعود(١): إذا بقي في النار من يُخَلَّدُ فيها جُعِلُوا في توابيتَ من نار، ثم جُعِلَتْ تلك التوابيتُ في توابيتَ أخرى، فلا يسـمعون شـيئًا، ولا يَرَى أحـدٌ منهم أنّ في النار أحدًا يُعَـذَّبُ غيره.

قوله ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ قال قومٌ من العلماء(٢): «إنَّ» هاهنا: استثناءٌ بمعنى «إلّا»، وليس في القرآن سواه. والسَّبْقُ: تقدُّمُ الشيءِ على غيره، والحُسنى: السعادة والعِدةُ الجميلة بالجنة.

قولـه: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ يعني: الذين سـبقت لهم من الله الحسـنى ﴿عَنْهَا﴾ يعني: عن النار ﴿مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ والإبعاد: طولُ المسافة.

= توفِّي بسـامراء سـنة (٢٣١هـ)، من كتبه: النوادر: معاني الشعر، تاريخ القبائل. [إنباه الرواة ٣/ ١٢٨، الأعلام ٦/ ١٣١]. وينظر قوله في ياقوتة الصراط ص ٣٦٥.

(١) هذا الخبر رواه مجاهد في تفسيره ١/ ٤١٦، وينظر: جامع البيان ١٧/ ١٢٦، الكشف والبيان ٦/ ٣٠٩، زاد المسير ٥/ ٣٩١، ٣٩٢، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٥، الدر المنثور ٤/ ٣٣٩.

(٢) لم أقف على صاحب هذا القول، وقد ذكره الطبري بغير عزو، فقال: «فأما الذين قالوا: ذلك اسـتثناء من قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾، فقَوْلٌ لا معنى له؛ لأن الاستثناء إنما هو إخراج المستثنى من المستثنى منه، ولا شك أن الذين سبقت لهم منا الحسنى إنما هم إما ملائكة وإما إنس أو جان، وكل هؤلاء إذا ذكرتْها العربُ فإن أكثر ما تذكرهـا بـ«مَـنْ» لا بـ«ما»، والله ـ تعالَى ذِكْرُهُ ـ إنما ذَكَرَ المعبودِينَ الذين أخبر أنهم حصب جهنم بـ«ما». جامع البيان ١٧/ ١٢٩، وينظر: الكشف والبيان ٦/ ٣٠٩، ٣١٠.

قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾؛ أي: حِسَّها وحركةَ تلهُّبها، والحِسُّ والحَسِيسُ: الصوتُ تسمَعُه من الشيء يَمُرُّ منك قريبًا[1]، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النَّعيم والكرامة ﴿خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ يعني: إطباقَ جهنَّم على أهلها ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ يعني: تستقبلُهم ملائكةُ الرحمة عند خروجهم من قبورهم ويقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾ في الدنيا.

فصل

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثةٌ على كُثْبانٍ من مِسكٍ لا يَحزُنُهم الفَزَعُ الأكبر، ولا يكترثونَ للحساب: رجلٌ قَرأَ القرآنَ محتسِبًا ثم أَمَّ به قومًا محتسِبًا، ورجلٌ أَذَّنَ محتسِبًا، ومملوكٌ أَدَّى حَقَّ الله ـ عزّ وجلّ ـ وحقَّ مواليه»[2].

قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ قرأَ أبو جعفرٍ[3]: ﴿تُطْوَى﴾ بالتاء مضمومةً: على الفعل المَجهول، وقرأ الباقونَ بالنون والنصب، وقَرأَ أهلُ الكوفة إلّا أبا بكر: ﴿لِلْكُتُبِ﴾: على الجَمْع، وقرأ الباقون: «لِلْكِتابِ»[4]: على الواحد.

---

(١) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٣/ ٤٠٨، وينظر: الوسيط ٣/ ٢٥٣.

(٢) حديث ضعيف، رواه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ١١٨، وينظر: مجمع البيان ٧/ ١١٦، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٦.

(٣) وهي أيضًا قراءة شيبة بن نِصاحٍ والأعرج والزهري، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٥، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٦، البحر المحيط ٦/ ٣١٧، الإتحاف ٢/ ٢٦٨.

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه، ويعقوبُ وأبو جعفر: ﴿للكتاب﴾ بالإفراد، ينظر: التيسير ص ١٥٥، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧، ٣٤٨، البحر المحيط ٦/ ٣١٧، الإتحاف ٢/ ٢٦٨.

والسِّجِلُّ: مَلَكٌ يَكتُب أعمالَ العباد، فإذا صَعِدَ بالاستغفار قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: / «اكتُبْها نُورًا»(١)، وقيل(٢): السِّجِلُّ: هو الصحيفة، واللام في قوله: «لِلْكِتابِ» بمعنى «عَلَى»، تأويلها: كَطَيِّ الصحيفةِ على مكتوبها. [٦/ ب]

والمراد بالكتابِ والكتُب على القراءتَيْن: الصحائف، كما تقول: كطَيِّ زيدٍ الكُتُبَ، ويجوزُ أن تكون اللام زائدةً كقوله: ﴿رَدِفَ لَكُم﴾(٣) أي: رَدِفَكُمْ.

وقيل(٤): السِّجلُّ: كاتبٌ كان يَكتُب للنبيِّ ﷺ. وهو مشتقٌّ من السِّجالِ وهي المكاتبة، وأصلها من السَّجْلِ وهو الدَّلْوُ، تقول: ساجلتُ الرجلَ: إذا نَزَعْتَ دلوًا ونَزَعَ دلوًا، ثم استُعيرت فسُمِّيت المكاتَبةُ والمراجعةُ مساجلةً(٥)، قال الشاعر:

١٠ ـ مَنْ يُساجِلْنِي يُساجِلْ ماجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الكَرَبْ(٦)

---

(١) قاله ابن عمر، ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٣١، الكشف والبيان ٦/ ٣١١، الوسيط ٣/ ٢٥٣، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد والطبري، ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٣٢، ١٣٣، الكشف والبيان ٦/ ٣١١، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧.

(٣) النمل ٧٢، وهذا ما قاله الفارسي في الحجة ٣/ ١٦٣، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٢٥٣، التبيان للعكبري ص ٩٢٩.

(٤) قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٣١، ١٣٢، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٦، الكشف والبيان ٦/ ٣١١، غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٦، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧، عين المعاني ورقة ٨٤/ ب.

(٥) من أول قوله: «وهي المكاتبة» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٦/ ٣١١، وينظر: تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٧.

(٦) البيت من الرمل لِلَّهَبِيِّ، واسمه الفضل بن العباس بن عتبة بن أَبِي لَهَبٍ.

اللغة: ساجَلَ الرَّجُلَ: باراهُ، والمساجلة: المفاخرة، الكَرَبُ: الحَبْلُ الذي يُشَدُّ على الدلو بعد المَنِينِ وهو الحبل الأول، فإذا انقطع المَنِينُ بقي الكَرَبُ. =

والطَّيُّ في هذه الآية يحتمل معنيَيْن، أحدُهما: الـدَّرْجُ الذي هو ضدُّ النشر، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[1]، والثاني: الإخفاء والتعمية والمَحْو والطَّمس؛ لأنّ الله تعالى يمحو رسومَها، ويُكدِّر نجومها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[2]، وتقول العرب: اطْوِ عن فلان هذا الحديثَ؛ أي: اسْتُرْهُ وأَخْفِهِ.

ثم ابتَدأَ واستأنف الكلامَ، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يريد: كما بدَأْناهم في بطون أُمّهاتِهم حُفاةً عُراةً غُرْلًا، كذلك نُعيدهم يومَ القيامة، نظيرُه قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾[4]، وهذا قول أكثر العلماء[5].

وقيل: معناه: كما بدَأْناه من الماء نُعيدُه من التراب، وقال الزَّجّاج[6]:

= **التخريج**: مجاز القرآن ٢/ ٢٢٩، جمهرة اللغة ص ٤٧٥، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٧١، تهذيب اللغة ١٠/ ٥٨٦، الكشف والبيان ٥/ ١٨٤، ٦/ ٣١٢، التذكرة الحمدونية ٣/ ٤٤٣، مجمع الأمثال ٢/ ٤٢٢، شمس العلوم ٥/ ٢٩٨٩، ٩/ ٥٧٩٩، عين المعاني ورقة ٨٤/ ب، تفسير القرطبي ٩/ ٨٢، ٣٤٧، اللسان: سجل، شرح شواهد الشافية ص ٦٥، التاج: كرب، خضر، سجل.

(١) الزمر ٦٧.

(٢) التكوير ١، ٢، وهذان المعنيان ذكرهما الثعلبي في الكشف والبيان ٦/ ٣١٢، والقرطبي في تفسيره ١١/ ٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) الأنعام ٩٤.

(٤) الكهف ٤٨.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد ١/ ٤١٧، جامع البيان ١٧/ ١٣٣، ١٣٤، تفسير القرطبي ١١/ ٣٤٨.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٠٦.

المعنى: نبعَثُ الخلقَ كما بدأناه؛ أي: قُدرتُنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء، والخلق هاهنا: مصدرٌ، لا بمعنى المخلوق.

قوله: ﴿وَعۡدًا عَلَيۡنَآ﴾ نصبٌ على المصدر؛ أي: وَعَدناكم ذلك وعدًا علينا[1] ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ الإعادةَ والبعثَ.

فصلٌ

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: دَخَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وعندي عجوزٌ من بني عامر، فقال: «مَنْ هذه العجوزُ يا عائشةُ؟»، فقلتُ: إحدى خالاتِي، فقالت العجوزُ: ادْعُ اللهَ أن يُدخلَني الجنةَ، فقال لها: «إنّ الجنةَ لا يَدْخُلُها العُجُزُ»، فأخذ العجوزَ ما أخذَها، فقال ـ عليه السّلام ـ: «إنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غيرَ خَلْقِهِنَّ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ...﴾ الآيةَ[2]، قال: «إنكم تُحشَرون يومَ القيامة عُراةً حُفاةً غُرْلًا غُلْفًا، فأولُ من يُكْسَى إبراهيمُ عليه السّلام خليلُ اللهِ ـ عزّ وجلّ ـ[3]»، فقالت عائشةُ ـ رضي الله عنها ـ: وا سَوْأَتاه! أفلا يَحتشمُ الناسُ بعضهم بعضًا؟! فقال: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾[4]، ثم قَرأَ رسول الله ﷺ: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ كيومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[5].

---

(١) يعني أنه مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة الخبرية قبله، ينظر: التبيان ص ٩٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣١٨.

(٢) الطور ٣٥، والحديث رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٣٥٧، وينظر: الشمائل المحمدية ص ٢٠٠، الكشف والبيان ٦/ ٣١٢.

(٣) في الأصل: «إبراهيم خليل الله عزّ وجلّ».

(٤) عبس ٣٧.

(٥) هذا حديث آخرُ، رواه الإمام أحمد بسنده عن السيدة عائشة في المسند ٦/ ٥٣، ٩٠، والبخاري في صحيحه ٧/ ١٩٥ كتاب الرقاق/ باب الحشر، ومسلمٌ في صحيحه ٨/ ١٥٦ كتاب الجنة وصفة نعيمها/ باب فناء الدنيا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ / مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا [٧/ أ]
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥)﴾ يعني: أمةَ محمد ﷺ والمؤمنين العاملينَ بطاعة الله يرِثون الجنة، كقوله: ﴿يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾(١).

قرأ الأعمشُ وحمزةُ(٢) وخَلَفٌ(٣): ﴿الزُّبُورِ﴾ بضمِّ الزاي(٤)، وقرأ الباقون بالنصب(٥)، وهي بمعنى المَزْبور، كالحَلُوب والرَّكوب، يقال: زَبَرْتُ الكتابَ: إذا كَتَبْتَهُ(٦).

واختلفوا في معنى الزَّبور والذِّكر، فقال سعيدُ بن جُبَير(٧) ومجاهدٌ(٨)

(١) المؤمنون ١١.

(٢) حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي بالولاء، أبو عمارة الزيات، أحد القراء السبعة، كان يجلب الزيت إلى حلوان، والجوز والجبن إلى الكوفة، توفِّي سنة (١٥٦هـ). [غاية النهاية ١/ ٢٦١-٢٦٣، الأعلام٢/ ٢٧٧].

(٣) خلف بن هشام البَزّارُ، أبو محمد الأسديُّ، أحد القراء العشَرة، كان عالمًا عابدًا ثقة، اشتهر ببغداد، سمع مالك بن أنس وحماد بن زيد وتصدر للإقراء والرواية، توفي سنة (٢٢٩هـ). [غاية النهاية ١/ ٢٧٢-٢٧٤، سير أعلام النبلاء ١٠/ ٥٧٦-٥٨٠، الأعلام ٢/ ٣١١].

(٤) بضم الزاي، جمع: زِبْرٍ: كقِدْرٍ وقُدُورٍ، ينظر: السبعة ص ٤٣١، حجة القراءات ص ٤٧١، التيسير ص ٩٨، الإتحاف ١/ ٥٢٦، ٢/ ٢٦٨.

(٥) يعني: بفتح الزاي.

(٦) قال الأزهري: قال أبو عبيدة: زَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُهُ: إذا كتبتَهُ. قال: وقال الأصمعيُّ: زَبَرْتُ الكتابَ: كتبتُهُ، وذَبَرْتُهُ: قَرَأْتُهُ»، تهذيب اللغة: زبر ١٣/ ١٩٦، وينظر: الصحاح: زبر ١/ ٣٠٨.

(٧) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، أبو عبد الله الكوفي، كان أعلم التابعين، حبشي الأصل، أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر، قتله الحجاج بواسط سنة (٩٥هـ)، قال ابن حنبل: قتل الحجاج سعيدًا وما على وجه الأرض أحد إلّا وهو مفتقر إلى علمه. [سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢١-٣٤٣، الأعلام ٣/ ٩٣].

(٨) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المخزومي بالولاء، تابعي من أهل مكة، شيخ القراء =

وابنُ زيد: عنَى بالزَّبور: الكتُبَ المُنْزَلةَ، وبالذِّكر: أُمَّ الكتاب الذي عنده، وقال ابنُ عباس والضحّاك: الذِّكر: التَّوراة، والزَّبور: الكتُبُ المنزَلة من بعد التوراة، وقال الشَّعبي[1]: الزَّبور: كتابُ داود، والذِّكر: التَّوراة، وقال بعضهم: الزَّبور: زبورُ داود، والذِّكر: الفرقان.

و﴿بَعۡدِ﴾ بمعنى «قبل»[2] كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[3] أي: أمامَهم، وقوله: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[4]؛ أي: قبلَ ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ يعني القرآنَ ﴿لَبَلَٰغٗا﴾؛ أي: لَكفايةً ﴿لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ۝١٠٦ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ للبرِّ والفاجر، وهو نصَبٌ على المصدر أو الحال.

فصلٌ

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسولَ الله: ادْعُ على

= والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، وتنقل في الأسفار، واستقر بالكوفة وبها توفِّي سنة (١٠٤هـ). [سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٤٩: ٤٥٧، الأعلام ٥/ ٢٧٨].

(١) عامر بن شراحيل، أو عبد الله بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري أبو عمرو، تابعي محدث راوية فقيه شاعر، ولد ونشأ بالكوفة، واتصل بعبد الملك بن مروان، واستقضاه عمر بن عبد العزيز، توفِّي فجأة بالكوفة سنة (١٠٣هـ)، من كتبه: الكفاية في العبادة والطاعة. [سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٩٤-٣١٩، الأعلام ٣/ ٢٥١].

(٢) قال قطرب: «ومنه [يعني من الأضداد] أيضًا «بَعْدُ» في معنى «قَبْلُ»، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾، الأضداد لقطرب ص ١٠٠، وينظر: إعراب القرآن ٢/ ٤٦٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٦٩، الكشف والبيان ٦/ ٣١٣.

(٣) الكهف ٧٩.

(٤) النازعات ٣٠.

المشركين، قال: «إِنِّي لم أُبْعَثْ لَعّانًا، وَإِنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً»[١].

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿قَلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: افْصِلْ بيني وبين مَنْ كَذَّبَنِي بالحق، والله لا يَحكم إلّا بالحقّ، وفيه وجهانِ من التأويل، قال أهلُ التفسير: الحقُّ هاهنا بمعنى: العذاب، كأنه استَعجل العذابَ لقومه، فعذِّبوا يومَ بدر، نظيرُه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾[٢]، وقال قَتادة[٣]: كان النبيُّ ﷺ إذا شهد قتالًا قال: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾، وقال أهل المعاني[٤]: معناه: ربِّ احكُمْ بحُكمك الحقِّ، فحُذِفَ الحكم وأُقِيمَ الحقُّ مقامَه.

واختلف القُرّاء في هذه الآية[٥]، فقَرأَ حفص: ﴿قالَ رَبِّ﴾ بالألف على الخبر، وقرأ الباقون: ﴿قُلْ﴾ على الأمر، وقرأ أبو جعفرٍ: ﴿رَبُّ احْكُمْ﴾ برفع الباء على نداءِ المفرَد[٦]، وقَرأ الضحّاك ويعقوبُ في بعض رواياته: ﴿رَبِّي

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٧٦، ورواه مسلم في صحيحه ٨/ ٢٤/ كتاب البر والصلة والآداب/ باب من لعنه النبيُّ ﷺ أو سَبَّهُ، وينظر: المعجم الكبير ١٩/ ١٨٩، الدر المنثور ٤/ ٣٤٢.

(٢) الأعراف ٨٩.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز أبو الخطاب السدوسي البصري، تابعي مفسر حافظ ضريرٌ، صاحبُ أنس بن مالك، كان أحفظ أهل البصرة رأسًا في العربية واللغة وأيام العرب والنسب، كان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث، توفِّي بواسطٍ سنة (١١٨هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٩-٢٨٣، الأعلام ٥/ ١٨٩].

(٤) قاله ابن خالويه في إعراب القراءات السبع ٢/ ٦٩، وينظر: الكشف والبيان ٦/ ٣١٤.

(٥) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٤٣١، ٤٣٢، مختصر ابن خالويه ص ٩٥،٩٦، المحتسب ٢/ ٦٩، تفسير القرطبي ١١/ ٣٥١، البحر المحيط ٦/ ٣١٩، الإتحاف ٢/ ٢٦٨.

(٦) قال النحاس: «وهذا عند النحويين لحن، لا يجوز عندهم: رَجُلُ أَقْبِلْ، حتى تقول: يا رَجُلُ»، إعراب القرآن ٣/ ٨٤، ووجه ضعفه أن فيه حذف حرف النداء من المنادى المفرد،=

أَحْكَـمُ﴾ بإثبات الياء على وجه الخبر بأنّ الله سـبحانه أحكـمُ بالحقِّ من كلِّ حاكم، وهـذه قراءةٌ غير مَرْضيّـة لمخالفة المصحَف والقُـرّاء، وقرأ الباقون: ﴿رَبِّ ٱحْكُم﴾ على وجهِ الدعاء.

من قرأ: ﴿رَبِّ ٱحْكُمْ﴾ جَزَمَهُ على الأمر، ومن قَرأَ: ﴿رَبِّي أَحْكَمُ﴾ فمحل ﴿رَبِّي﴾ رفعٌ بالابتداء، و﴿أَحْكَمُ﴾: خبرُه، و﴿رَبُّنا﴾: ابتداءٌ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾: خبره و﴿ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: خبرٌ ثانٍ، وقيل: نعتُه ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ من الكذب والباطل، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

= وينظر: المحتسـب ٢/ ٦٩، ٧٠، البحر المحيط ٦/ ٣١٩. ويمكن أن يقال: هذا ليس من نداء المفرد كما زعم الجبلي، بل هو من نداء المضاف إلى ياء المتكلم، واكتفي من الإضافة بِنِيَّتِها، وضُمَّ كما تُضَمُّ المفرداتُ، وهذه لغة حكاها سيبويه، ينظر: الكتاب ٢/ ٢٠٩.

سورةُ الحجِّ

مكِّيّة[١] غَيْرَ سِتِّ آياتٍ نزلت في المدينة في الذين تبارَزوا يومَ بدر، وهم ثلاثـةٌ مؤمنون: علـيٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ بـن الحارث[٢] رضـي الله عنهم، وثلاثةٌ كافرون، وهم: عُتبةُ وشَيْبةُ والوليدُ بن عُتبة، وهي قوله: «هَذانِ خَصْمانِ»[٣] إلى قوله: «وَهُدُوا إِلى صِراطِ الْحَمِيدِ»[٤].

وعددُ حروفها خمسةُ آلاف ومائةٌ وخمسةٌ وسبعونَ حرفًا، وألفٌ ومائتان وإحدى وتسعونَ كلمةً، وثمانٍ وسبعونَ آيةً.

بابُ ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال/ رسـول الله ﷺ: «من قـرأ سُـورةَ الحجِّ أُعْطِيَ من الأجر كحَجّـةٍ حَجَّها وعُمْرةٍ اعْتَمَرَهـا بِعَدَدِ مَنْ حَجَّ

---

(١) المعروف أنها مدنية، وقال السـجاوندي: «مُخْتَلَفٌ فيه في المَكِّيِّ والمَدَنِيِّ». عين المعاني ورقة ٨٤/ ب.

(٢) عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي ﷺ، أحد السابقين الأولين، عقد له النبي ﷺ ثانيَ لواءٍ بعد الهجرة، وبعثه في ستين مهاجرًا، فالتقى بالمشركين في ثنية المرة، وكان أول قتال في الإسلام، ثم شهد بدرًا، وقتل فيها. [الطبقات الكبرى ٣/ ٥٠-٥٢، أسد الغابة ٣/ ٣٥٦، ٣٥٧، الأعلام ٤/ ١٩٨].

(٣) الحج ١٩.

(٤) الحج ٢٤.

واعْتَمَرَ فِيما مَضَى وَفِيما بَقِيَ»(١).

وهـي من أعاجيبِ السُّـور، نَزَلت ليلًا ونهارًا، وسَفَرًا وحَضَرًا، مَكِّيًّا وَمَدَنِيًّا، سِلْمِيًّا وحَرْبِيًّا، ناسِخًا ومَنْسُوخًا، مُحْكَمًا وَمُتَشابِهًا مُخْتَلِفَ العَدَدِ(٢).

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُـورةَ الحَجِّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِعَدَدِ مَنْ يَدْخُلُ البَيْتَ بِكُلِّ واحِدٍ وَحْدَهُ أَلْفَ حَسَنةٍ»(٣).

بابُ ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولـه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يريـدُ أهلَ مكةَ ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ احذَروا عقابَه بطاعته، و«يا»: نداء و«أَيُّ» منادى، و«ها»: تنبيه، «النّاسُ»: مرفوع على البدل من «أَيُّها»، وقيل: على النعت لـ«أَيُّ»، والمعنى: يا ناسُ اتقوا ربَّكم ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ١﴾ يعنـي: أنه لا يُوصَفُ لِعِظَمِهِ. والزَّلْزَلةُ والزِّلْزالُ: شـدةُ الحركة على الحال الهائلـة، من قولهم: زَلَّتْ قَدَمُهُ، إذا زالت عن الجهة بسرعة(٤).

قوله: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: تلك الزَّلزَلة ﴿تَذْهَلُ﴾ في ذلك اليوم ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾؛ أي: تنسـى وتتـرُك كلُّ والـدةٍ ولدَها، يقـال: ذَهَلَ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٥، الوسيط ٣/ ٢٤، الكشاف ٣/ ٢٤، مجمع البيان ٧/ ١٢٣.
(٢) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ٨٤/ ب.
(٣) لم أعثر له على تخريج.
(٤) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٦.

عن كذا يَذْهَلُ ذُهُولًا: إذا تَرَكه أو شَـغَلَهُ عنه شـاغلٌ، قال الحسَـن[١]: تَذهَلُ المُرضِعـةُ عـن ولدِها لغيـر فِطام وتضَعُ الحامـلُ ما في بطنِهـا لغير تمام من هول ذلك اليوم ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ يعني: تراهم سُـكارى من الغمِّ والهم ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب، وقرأ بعضُهم: ﴿وتُرَى﴾[٢] بضم التاء؛ أي: تَظُنُّهُم، قال الفَرّاء[٣]: ولهذه القراءةِ وجهٌ جيِّد.

و﴿سُكَٰرَىٰ﴾: جمعُ سـكران، وهو نَصْبٌ على الحـال[٤]، وقَرأَ حمزةُ والكسائي[٥]: ﴿سَكْرَى وَما هُمْ بِسَكْرَى﴾ بفتح السِّين من غير ألفٍ وبالإمالة، قـال الفَرّاء[٦]: وهو وجـهٌ جيِّد في العربيـة؛ لأنه بمنزلة: الهَلْكَـى والجَرْحَى

---

(١) الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري تابعي، حبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة سنة (٢١هـ)، وشـب في كنف عَلِيٍّ بن أبي طالب، سـكن البصـرة وعظمت هيبته فـي القلوب، وله مع الحجاج مواقف وقد سـلم من أذاه، مات بالبصرة سـنة (١١٠هـ). [غاية النهاية ٢/ ٢٢٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٦٣-٥٨٨، الأعلام ٢/ ٢٢٦].

(٢) قـرأ عكرمة والضحاك وابن يعمـر والزعفراني وعباس بن منصور وأبـو زرعة: ﴿وتُرَى﴾ بالبناء للمجهول ﴿النّاسُ﴾ بالرَّفع على نائب الفاعل، ينظر: زاد المسـير ٥/ ٤٠٤، تفسـير القرطبي ١٢/ ٥، البحر المحيط ٦/ ٣٢٥.

(٣) قـال الفراء: «وقد ذُكِـرَ أن بعض القراء قـرأ: ﴿وَتُرَى النّاسَ﴾، وهو وجـه جيد، يريد مثل قولـك: رُئِيـتُ أَنَّـكَ قائِـمٌ، وَرُئِيتُكَ قائِمًـا، فتجعل ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ في موضـع نصب؛ لأن ﴿تُرَى﴾ تحتاج إلى شيئين تنصبهما كما يحتاج الظن». معاني القرآن ٢/ ٢١٥.

(٤) إلا على قراءة ﴿وَتُرَى النّاسَ﴾، فإن ﴿سُكَٰرَىٰ﴾ على هذه القراءة مفعول ثالث لـ﴿تُرَى﴾، فالأول هو الضمير المستتر النائب عن الفاعل، والثاني هو ﴿ٱلنَّاسَ﴾، ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٢٥، الدر المصون ٥/ ١٢٢.

(٥) وهـي أيضًا قـراءة خلف والأعمش، ينظر: السـبعة ص ٤٣٤، حجة القـراءات ص ٤٧٢، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١١٦، التيسير ص ١٥٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢١٤، ٢١٥.

والمَرْضَى والزَّمْنَى، والعرب تجعَل «فَعْلَى» علامةً لجمع كلِّ ذي زَمانةٍ وضَرَرٍ وهَلاَكٍ، ولا يُبالُونَ أكان واحدُهُ «فاعلًا» أو «فعيلًا» أو «فَعْلانَ». وقرأ أبو عَمْرو[1]: ﴿سُكارِي﴾ بالإمالة[2]، وقرأ وَرْشٌ[3] بين اللَّفظَيْن، وَفَتحَ الباقون.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾، وهذا يدلُّ على أنّ سُكْرَهُمْ من خوف العذاب.

فصلٌ

عن أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ يومَ القيامة: يا آدَمُ، قُمْ فابعَثْ بَعْثَ النارِ، فيقول: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ، وما بَعْثُ النارِ؟ فيقول: مِنْ كلِّ ألفٍ تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعون»، قال: «فحينئذٍ يَشِيبُ الولدُ، وتضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها، وَتَرَى النّاسَ سُكارَى وَما هُمْ بِسُكارَى، وَلَكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ»، فقالوا: وأيُّنا ذلك الواحدُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «تسعُمائةٍ وتسعةٌ وتسعونَ من يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، ومنكم واحدٌ»،

---

(١) أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي المازني البصري المقرئ، وقيل: اسمه زَبّانُ، وقيل: اسمه كنيته، أحد القراء السبعة، كان أعلم الناس بالقرآن والعربية وأيام العرب، توفِّي سنة (١٥٤هـ). [إنباه الرواة ٤/ ١٣١: ١٣٩، غاية النهاية ١/ ٢٨٨: ٢٩٢، بغية الوعاة ٢/ ٢٣١، ٢٣٢، الأعلام ٣/ ٤١].

(٢) قرأ بالإمالة أيضًا: ابن ذكوان من طريق الصوري، وقرأ الأزرق وورش بين الإمالة والفتح، ينظر: السبعة ص ٤٣٤، النشر ٢/ ٣٢٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.

(٣) هو عثمان بن سعيد بن عدي أبو سعيد المصري، راوية نافع، لقب بوَرْشٍ لشدة بياضه، أصله من القيروان، ولد بمصر، وتوفِّي بها سنة (١٩٧هـ)، كان ماهرًا بالعربية ثقة في الحروف، انتهت إليه رياسة الإقراء. [غاية النهاية ١/ ٥٠٢، ٥٠٣، سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٩٥، ٢٩٦، الأعلام ٤/ ٢٠٥].

فقال الناس: اللهُ أكبر، فقال رسول الله ﷺ / : «والله، إنّي لأَرْجُو أن تكونوا [٨/ أ]
رُبعَ أهلِ الجنة، والله إنّي لَأرجو أن تكونوا ثلثَ أهلِ الجنة، والله إنّي لَأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنة»، قال: فَكَبَّرَ الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «ما أنتم يومَئذٍ في الناس إلّا كالشعرةِ البيضاءِ في الثَّور الأسود، أو كالشَّعرة السَّوداء في الثّور الأبيض». رواه البخاري عن عُمَرَ بن حَفْصٍ[١] عن أبيه، ورواه مسلمٌ عن أبي بكر بن أَبِي شَيْبَةَ[٢] عن وَكِيعٍ[٣]، كلاهما عن الأعمش[٤].

قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ محلُّ «أَنَّ» رفعٌ: اسمُ ما لم يُسَمَّ فاعلُه[٥]، والمعنى: قَضَى اللهُ أنه من أطاع إبليسَ ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ ولم يرشده

---

(١) عمر بن حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي، أبو حفص الكوفي، شيخ البخاري ومسلم ثقة صدوق، وتوفِّي سنة (٢٢٢هـ). [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨١].

(٢) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أبو بكر الكوفي، ثقة حافظ، روى عن عبد الله بن المبارك وشعبة ابن عياش، روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه، توفِّي سنة (٢٣٤هـ)، من كتبه: المسند، المصنف في الأحاديث والآثار. [تهذيب التهذيب ٦/ ٣، ٤، طبقات الحفاظ ص ١٨٩، الأعلام ٤/ ١١٧، ١١٨].

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان، حافظ ثبت فقيه، كان محدث العراق في عصره، أراد الرشيد أن يوليه القضاء فامتنع ورعًا، توفي سنة (١٩٧هـ). من كتبه: تفسير القرآن، السنن، الزهد. [تهذيب الكمال ٣٠/ ٤٦٢: ٤٨٤، الأعلام ٨/ ١١٧].

(٤) هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٠٩ كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قصة يأجوج ومأجوج، ٥/ ٢٤١ كتاب تفسير القرآن/ سورة الحج، ٧/ ١٩٦ كتاب الرقاق/ باب قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، ورواه مسلم في صحيحه ١/ ١٣٩ كتاب الإيمان/ باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة.

(٥) يعني أنه نائب عن الفاعل للفعل «كُتِبَ»، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٨٦، البيان للأنباري ٢/ ١٦٨.

﴿وَيَهْدِيهِ﴾؛ أي: يصيِّره ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ ومعنى قوله: ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾؛ أي: فشأنه أنه يضلُّه، على جعل «مَنْ» للشرط، أو على جعله موصولًا، أو على أن الثاني تأكيدٌ[1]، أو على معنى: فشأنه أنه يضلُّه[2]، والفاء كقولهم: زيدٌ فاعلَمْ في الدار، هكذا ذكره صاحبُ إنسانِ العَيْن[3].

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾؛ أي: في شكٍّ ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ يعني: أباكم آدمَ الذي هو أصلُ النَّسل ووالد البشر ﴿ثُمَّ﴾ ذرِّيتَه ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو المَنِيُّ، وأصلها: الماءُ القليل، وجَمْعها: نِطافٌ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدَّم الغليظُ الجامد، وجمعها: عَلَق. ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ وهي: لَحمةٌ قليلة قَدْرَ ما يُمْضَغُ ﴿مُّخَلَّقَةٍ﴾ قَدْ بَدا فِيها الخَلْقُ[4] ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ لم تُصَوَّرْ بَعْدُ[5]، يعني: تامةً وغيرَ تامّة وأراد السِّقْطَ، ومخلَّقةٌ ومخلوقةٌ سواء، غير أن «مُخَلَّقة» فيها علامة التكثير، كما تقول: ضَرَب وضَرَّب: إذا كَثُرَ الفعلُ.

---

(١) هذه الأوجه الثلاثة في «مَنْ» قالها الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١١، وقال النحاس: «مذهب سيبويه أن «أَنَّ» الثانية مكررة للتوكيد، وأن المعنى: كتب عليه أنه من تولاه يضله». إعراب القرآن ٣/ ٨٦، وينظر ردُّ الفارسي على الزجاج في إعرابه لهذه الآية في الإغفال ٢/ ٤٢٠-٤٢٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٩١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٦.

(٢) في الأصل: «فلأنه يضله خبره».

(٣) كتاب إنسان العين لمحمد بن طيفور الغزنوي السَّجاوَنْدِيُّ، وهو اختصار لكتابه «عين المعاني في تفسير السبع المثاني»، وكتاب إنسان العين لم أعثر عليه فيما رجعت إليه من فهارس المخطوطات، ولذلك سأُخَرِّجُ أقوالَ السجاونديِّ من كتابه الأصلي «عين المعاني»، قال السجاوندي: «وموضع ﴿أَنَّهُۥ﴾ مرفوع، و﴿فَأَنَّهُۥ﴾ تأكيد له، فالفاء على مذهب الجزاء، تقديره: كتب عليه إظهار متوليه وهدايته». عين المعاني ورقة ٨٥/ أ.

(٤) قاله ثعلب، ينظر: ياقوتة الصراط ص ٣٦٧، وينظر: تفسير غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٧.

(٥) قاله ابن الأعرابي. ينظر: ياقوتة الصراط ص ٣٦٨، التهذيب ٧/ ٢٨، اللسان: خلق.

فصلٌ

رَوَى عامرٌ عن علقمةَ[١] عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ النُّطفةَ إذا استقرَّت في الرَّحِم أخَذَها مَلَكٌ بكفِّه، فقال: أيْ ربِّ: مُخَلَّقةٌ أو غيرُ مُخَلَّقةٍ؟ فإن قيل: غيرُ مخلَّقة قَذَفَتْها الأرحامُ دَمًا ولم تكن نسمةً، وإن قيل: مُخَلَّقةٌ، قال: رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ ما الأَجَلُ؟ وما الأَثَرُ؟ وبِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ؟، فيقال: اذهَبْ إلى أُمِّ الكتابِ فإنك تجدُ فيها صفةَ هذه النطفةِ، فيَذْهَبُ فيجدُها في أُمِّ الكتاب، فتُخْلَقُ فتعيشُ في أَجَلِها، وتأكلُ رزقَها، وتَطَأُ أَثَرَها، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدُفِنَتْ في المكان الذي كُتِبَ لها، ثم تلا عامر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ [إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ] فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[٢].

وقوله: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يعني: كمالَ قُدرتنا وحِكمتنا في تصريفِنا أطوارَ الخلق ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ رَوَى المفضَّلُ[٣] عن عاصم أنه قَرأَ[٤]:

---

(١) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل، تابعي كان يشبه ابن مسعود في هديه وسَمْتِهِ وفضله، كان فقيه العراق، ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عن الصحابة، شهد صفين، وغزا خراسان، وأقام بالكوفة، وتوفِّي بها سنة (٦٢هـ). [سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣: ٦١، الأعلام ٤/ ٢٤٨].

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١٧/ ١٥٤، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٨، الوسيط ٣/ ٢٥٩، تفسير القرطبي ٦/ ٣٨٧، ٣٨٨، فتح الباري ١/ ٣٥٥، ٤٢١، الدر المنثور ٤/ ٣٤٥.

(٣) المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، أبو العباس، راوية عالِمٌ بالشعر والأدب، مقرئ ثقة، من أهل الكوفة، وهو صاحب عاصم وراويته، كان يكتب المصاحف ويقفها في المساجد، توفِّي سنة (١٦٨هـ)، من كتبه: المفضليات، الأمثال، معاني الشعر. [إنباه الرواة ٣/ ٢٩٨-٣٠٥، بغية الوعاة ٢/ ٢٩٧، الأعلام ٧/ ٢٨٠].

(٤) وهي قراءة يعقوب أيضًا، ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ١١، البحر المحيط ٦/ ٣٢٧، قال =

﴿ونُقِـرَّ﴾ بفتح الراء على النَّسَـق، وقَرأَ غيره بالرَّفع علـى معنى: ونحن نقرُّ في الأرحام ما نشاء، فلا نَمَجُّهُ ولا نُسقطُه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ يعني: وقت خروجها مـن الرَّحِم تامةَ الخلـق والمدة ﴿ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ﴾ من بطـون أُمّهاتكـم ﴿طِفۡلٗا﴾ يعنـي: صغـارًا، ولم يقل: أطفالًا؛ لأن العربَ تسـمي الجمعَ باسـم الواحد[1]، قال الشاعر:

١١ ـ إِنَّ العَواذِلَ لَيسَ لِي بِأَمِيرِ[2]

ولم يقل: بأُمَراءَ، وقيل[3]: هو مُشَـبَّهٌ باسـم المصدر، مثل: عَدْلٍ وَزَوْرٍ، وقيـل[4]: هو مشـبَّه بالخَصْمِ والضَّيْـفِ، قال الزَّجّـاجُ[5]: ﴿طِفۡلٗا﴾ بمعنى: أطفال، ودَلَّ عليه ذِكْرُ الجماعة. وهو منصوبٌ على الحال.

قوله تعالـى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ﴾ يعني: مَيْتةً يابسـةً لا نبات فيها،

= العكبـري: «الجمهور على الضم على الاسـتئناف، إذ ليس المعنـى: خلقناكم لنقرَّ، وقرئ بالنصـب علـى أن يكون معطوفًـا في اللفـظ والمعنى مختلف؛ لأن الـلام في ﴿لِّنُبَيِّنَ﴾ للتعليل، واللام المقدرة مع ﴿نُقِرُّ﴾ للصيرورة»، التبيان ص ٩٣٣.

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٤، وينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٣٤٨، الكشف والبيان ٧/ ٨.

(٢) هذا عجز بيت من الكامل، لم أقف على قائله، وسيأتي كاملاً ص١/ ٤٠٠، وصدره:

* يا عاذِلاَتِـي لاَ تُـرِدْنَ مَلاَمَتِي *

والشاهد فيه قوله: «بأمير» فإنـه أراد: «ليس لِي بِـأُمَراءَ»، فاستغنى بالمفرد عن الجمع.

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٤٥، ٢٦١، معاني القرآن للأخفش ص ٤٢٣، الخصائص ٣/ ١٧٤، عين المعاني ٨٥/ أ، ٩٣/ ب، تفسـير القرطبي ١٢/ ١١، ١٣/ ٨٣، مغني اللبيب ص ٢٧٩، شرح شواهد المغني ص ٥٦١.

(٣) قالـه المبرد والطبري، ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٥٦، البحر المحيط ٦/ ٣٢٧، ٣٢٨، الدر المصون ٥/ ١٢٦.

(٤) يعني: أنه اسم جنس، ينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٢٨، الدر المصون ٥/ ١٢٦.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١٢.

وقيل: متغيِّرة. وأصل الهَمْدِ: الدُّرُوسُ، والهامد: الساكن الدارس، ونصب ﴿هَامِدَةً﴾ على الحال؛ لأنها من رؤية العين. وقوله: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾؛ أي: تحركت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾؛ أي: ارتفعت وزادت، وقال المبرّد[1]: أراد: اهتزَّ وربا نباتُها، فحذف المضافَ، والاهتزازُ في النبات أظهَر، يقال: اهتزَّ النبات: إذا طال ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥﴾ يعني: من كلِّ صنفٍ حَسَن، والبهجة / : حُسْنُ الشيءِ ونضارته، والبهيج: الحَسَنُ، وقد بَهُجَ بَهْجةً، ومنه قوله: ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[2]؛ أي: ذاتَ منظرٍ حسن. [٨/ ب]

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾؛ أي: في دين الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ ليس معه من ربِّه رشادٌ ولا بيان ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾. نزلت هذه الآيةُ في النَّضر بن الحارث، كان كثيرَ الجدل، وهذا قول أكثر المفسِّرين، وقيل: نزلت في الوليد بن المُغيرة وعُتبةَ بن ربيعةَ، وهو قول ابن عبّاس رضي الله عنه، والمعنى: أنه يجادلُ في قدرة الله.

قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ ۝٩﴾ يعني: النَّضرَ بن الحارث، يعني: مستكبِرًا نَفْسَهُ، تقول العرب: جاء فلانٌ ثانِيَ عِطْفِهِ؛ أي: متبخترًا لتَكَبُّرِهِ وعِزِّهِ[3]. والعِطْفُ: الجانب، وجَمْعه: أعطافٌ. ويقال[4]: ثَنَى عِطْفَهُ، ونَأَى بجانبه: إذا تكَبَّرَ. وقيل: شامِخًا بأنفه، وقيل: لاويًا عنُقَه، وقيل: مُعْرِضًا عما يُدْعَى إليه من الكِبْرِ، وقيل: هو أن يُعرِض عن الحق، نظيرُها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ...﴾ الآية[5]، وقولُه ـ تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) ينظر قول المبرد في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٦٠.

(٢) النمل ٦٠.

(٣) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٥.

(٤) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٣٦٨.

(٥) لقمان ٧.

﴿رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾[1]، قال الزَّجّاج[2]: وهذا يوصَفُ به المتكبرُ، والمعنى: ومنَ الناس من يجادلُ في الله متكبرًا. وهو منصوبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾ الآيةَ، يعني: على شكٍّ، وأصلُه: من حرفِ الشيء، وهو طَرَفُه، نحوَ حَرْفِ الجبل والحائط الذي القائمُ عليه غيرُ مستقرٍّ، فالذي يَعبُد الله على حرفٍ كالذي هو على حرفِ جبل أو نحوه يضطربُ اضطرابًا، ويَضْعُفُ قيامُهُ خوفًا من السقوط[3].

وقوله: ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ﴾؛ أي: إن أصابه رخاءٌ وعافيةٌ وخِصْبٌ وكثرةُ مالٍ ﴿ٱطۡمَأَنَّ﴾ على عبادة الله بذلك الخير، ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾؛ أي: اختبارٌ بجَدْبٍ وقلةِ مالٍ ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ أي: رَجَع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان، وقولُه: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾ يعني: هذا الشاكُّ خسرَ دنياه، حيث لم يظفَرْ بما طلب من المال، وخسر آخِرته بارتداده عن الدين، ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الذي فَعَل ﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١١﴾ يعني: الضَّرَر الظاهر.

قوله: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: هذا المرتدُّ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبُدْه ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن أطاعَه، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي فَعَل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٢﴾ يريد: عن الحقِّ والرُّشد.

قولُه: ﴿يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ قيل[4]: اللام: صِلةٌ، مجازُها:

(١) المنافقون ٥، وينظر في هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف: جامع البيان ١٧/ ١٥٩، ١٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٩، عين المعاني ورقة ٨٥/ أ، البحر المحيط ٦/ ٣٢٩.
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١٤.
(٣) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٢٦١.
(٤) قاله الفراء في المعاني ٢/ ٢١٧، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٠، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢، مغني اللبيب ص ٣٠٨.

«يدعو من ضُرُّه أقربُ من نفعه»، وهكذا قَرأَها ابنُ مسعود[١]، وقال طاهرُ بن أحمد[٢]: من قال: اللام هاهنا زائدةٌ ففاسدٌ؛ لأنّها لا تقَعُ أولًا في أقوى مراتبها وتكون زائدةً، وإنّما زيدت وسطًا في قول بعضهم:

١٢ ـ أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ
تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ[٣]... [٤]

---

(١) ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٦، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠، البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.

(٢) طاهر بن أحمد بن بابشاذ، أبو الحسن المصري الجوهري، إمام عصره في النحو، كان تاجرًا في الجوهر، تعلم بالعراق وتولى إصلاح ما يصدر عن ديوان الإنشاء بمصر، ثم لزم بيته حتى توفِّي سنة (٤٦٩هـ)، من كتبه: شرح جمل الزجاجي، شرح الأصول. [إنباه الرواة ٢/ ٩٥-٩٧، بغية الوعاة ٢/ ١٧، الأعلام ٣/ ٢٢٠].

(٣) البيتان من الرجز المشطور لرؤبة بن العجاج، ونُسِبا لعنترة بن عروس، وليزيد بن ضبة.
اللغة: الحليس: تصغير حِلْسٍ، وهو كساء رقيق يوضع تحت البرذعة، وهذه الكنية في الأصل للأتان، الشهربة والشهبرة: العجوز الكبيرة.
والشاهد فيه قوله: «أم الحليس لعجوز»، حيث دخلت لام الابتداء على الخبر المؤخر، وخرج على أن اللام زائدة، أو أن «عجوز» خبر ابتداء محذوف وهذه اللام كانت داخلة عليه، والتقدير: لَهِيَ عَجُوزٌ.
التخريج: ملحقات ديوان رؤبة ص ١٧٠، مجاز القرآن ١/ ٢٢٣، ٢/ ٢٢، ١١٧، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٦٣، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٦، البيان للأنباري ٢/ ١٤٥، شرح المفصل ٣/ ١٣٠، ٧/ ٥٧، ٨/ ٢٣، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٧٤، ٣٨٢، رصف المباني ص ٣٣٦، الجنى الداني ص ١٢٨، اللسان: شهرب، ارتشاف الضرب ص ١٢٦٩، ٢٣٩٧، ٢٣٩٨، مغني اللبيب ص ٣٠٤، ٣٠٧، المقاصد النحوية ١/ ٥٣٥، ٢/ ٢٥١، خزانة الأدب ١٠/ ٣٢٢ـ٣٢٦.

(٤) انتهى كلام طاهر بن أحمد، وقد ذكره في معرض حديثه عن إجراء القول مجرى الظن، وأن «يَدْعُو» في الآية بمعنى «يَقُولُ»، فقال: «وقد أُجْرِيَتْ أفعالٌ مُجْرَى القول، من ذلك قراءة بعضهم: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾؛ لأن الدعاء قول في المعنى، ومن ذلك قوله سبحانه في أحد الوجوه: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾؛ أي: يقول، فأما قول من قال: إن اللام زائدة في قوله: ﴿لَمَن﴾ ففاسد؛ لأنها لا تقع... إلخ»، شرح جمل الزجاجي لطاهر بن أحمد ١/ ١٣٦.

وقال بعضهم(١): هذا على التأكيد، معناه: يدعو لَمن ضُرُّه أقربُ من نفعِه يدعو، ثم حذف «يَدْعُو» الأخيرةُ اكتفاءً بالأولى، ولو قلت: يَضرِبُ لَمَنْ خَيْرُهُ أَكْثَرُ مِنْ شَرِّهِ يَضْرِبُ، ثم حذفتَ الأخيرةَ: جاز، وحُكِيَ عن العرب سماعًا: أَعْطَيْتُكَ لَما غَيْرُهُ خَيْرٌ منه(٢).

وقيل(٣): «يَدْعُو» تكرارٌ للأول، و﴿لَمَن﴾ لام الابتداء، و«بِئْسَ»: خبرُه، واللام فيه جوابُ قسم محذوفٍ تقديره: يدعو لَلَّذِي ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ، واللهِ لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ، و«مَنْ»: منصوبُ المحلِّ في الأقاويل كلها.

وقيل(٤): «ذلك»: منصوبٌ بـ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى «الَّذِي»، ﴿وَلَبِئْسَ

---

(١) قاله أبو حاتم، ينظر: عين المعاني ورقة ٨٥/ أ.

(٢) قوله: «وحُكِيَ عن العرب سماعًا... إلخ» حكايةٌ حكاها الفراء مستشهدًا بها على رأيه هو والكسائيِّ، وخلاصته أن هذه اللام مقدمة عن موضعها وأن المعنى: مَنْ لَضَرُّهُ، قال الفراء: «وَذُكِرَ عن العرب أنهم قالوا: عندي لَما غَيْرُهُ خَيْرٌ منه، فحالوا باللام دون الرافع، وموقع اللام كان ينبغي أن يكون في ﴿ضَرُّهُۥ﴾»، معاني القرآن ٢/ ٢١٧.
وينظر رد النحاس والفارسي على الفراء ومَنْ تابَعَهُ في إعراب القرآن ٣/ ٨٩، الإغفال ٢/ ٤٣١-٤٣٧، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ١٣٧، أمالي ابن الحاجب ١/ ١٢٠.

(٣) قاله ابن جني، وهو بنصه تقريبًا في سر صناعة الإعراب ص ٤٠١، ٤٠٢، وحكاه السجاوندي عن الفارسي في عين المعاني ٨٥/ أ، ومعناه أنه توكيد لفظي، وقد رَدَّهُ ابنُ الحاجب بقوله: «وليس بشيء، فإن التأكيد اللفظي لا يُفصل بينه وبين مُؤَكَّدِهِ بالجُمَلِ». أمالي ابن الحاجب ١/ ١١٩.

(٤) هذا قول الزجاج وأبي علي الفارسي، وهو موافق لمذهب الكوفيين في أن أسماء الإشارة يجوز أن تكون موصولة، قال الزجاج: «ذلك: في موضع نصب بوقوع ﴿يَدْعُواْ﴾ عليه، ويكون في تأويل «الذي»، ويكون المعنى: الذي هو الضلال البعيد يدعو، ويكون ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ مستأنفًا، وهذا مثل قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ على معنى: وما التي بيمينك يا موسى؟، ومثله قول الشاعر:

عَدَسْ، ما لِعَبّادٍ عَلَيْكِ إِمارةٌ   أَمِنْتِ وَهَذا تَحْمِلِينَ طَلِيقُ».

معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١٦، ٤١٧، وأما قول الفارسي فقد حكاه ابن جني في سر =

﴿ٱلۡعَشِيرُ ۝١٣﴾؛ أي: الصاحب والمُخالِط، يعني: الصَّنم يخالطُ العابدَ له ويصاحبُه.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: أن لن ينصرَ اللهُ محمدًا ﷺ حتى يُظهرَه على الدِّين كلِّه ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أي: فَلْيَشْدُدْ حَبْلًا في سقفه ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾؛ أي: لِيَمُدَّ الحَبْلَ حتى ينقطع فيموتَ مختنقًا، والمعنى: فلْيختنِقْ غيظًا حتى يموتَ، فإنّ الله مُظْهِرُهُ ولا يَنْفَعُهُ غيظُهُ، وذلك قوله: ﴿فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾.

قرأ أبو عَمْرو وابنُ عامر ووَرْش: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾، ﴿ثُمَّ لِيَقْضُواْ﴾ بكسرِ اللام فيهما، وتابَعَهُمْ قُنْبُلٌ[(١)] على كسر اللام في ﴿لِيَقْضُواْ﴾ فقط، وقَرأَ الباقون بالإسكان فيهما[(٢)]، وقوله: ﴿هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ﴾ يعني: صَنِيعُهُ وحِيلَتُهُ ﴿مَا يَغِيظُ﴾، قيل[(٣)]: «ما»: بمعنى «الَّذِي»، مجازه: هل يُذهِبَنَّ كيدُه الذي يَغِيظُه؟ فحذف الهاءَ

= الصناعة ص٤٠٣، وينظر: التبيان ص ٩٣٥، أمالي ابن الحاجب ١/ ٢٠، عين المعاني ٨٥/ أ، البحر المحيط ٦/ ٣٣١، الدر المصون ٥/ ١٣٠.

(١) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو عمر المكي المخزومي بالولاء، كان إمامًا متقنًا انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز في عصره، ورحل الناس إليه، ووَلِيَ شرطة مكة، وكان لا يَلِيها إلا أهلُ العلم والفضل، وبها توفي سنة ٢٩١هـ. [غاية النهاية ٢/ ١٦٥، ١٦٦، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٨٤، الأعلام ٦/ ١٩٠].

(٢) قرأ: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ و﴿ثُمَّ لِيَقْضُواْ﴾ بكسر اللام فيهما ابنُ كثير في رواية القواس عنه، وأبو عمرو وابن عامر، ونافعٌ في رواية وَرْشٍ وابنِ أبي أويس عنه، وهي أيضًا قراءة رُوَيْسٍ واليزيديِّ، وقرأ قنبلٌ بكسر اللام في ﴿لِيَقْضُواْ﴾ فقط، ووافقه ابن محيصن ورَوْحٌ في رواية مهران عنه، وأبو جعفر في رواية ابن جماز عنه، ينظر: السبعة ص ٤٣٤، حجة القراءات ص ٤٧٣، التيسير ص ١٥٦، النشر ٢/ ٣٢٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٢.

(٣) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤١٤، وينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٣٣، الدر المصون ٥/ ١٣١، ١٣٢.

ليكون أخفَّ، وقيل[١]: إنها بمعنى المصدر، تقديره: هل يُذهِبَنَّ كيدُه غيظَه؟

قولُه: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ ابتداءٌ وخبرٌ، ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه وأمره، والخَصْمُ: اسمٌ شبيهٌ / بوصف المصدر، والمصدر لا يُثنّى ولا يُجمَع، [٩/ أ] يقال: رَجُلٌ خَصْمٌ، ورَجُلاَنِ خَصْمٌ، ورِجالٌ خَصْمٌ، وامرأةٌ خَصْمٌ، ونِساءٌ خَصْمٌ، يستوي فيه الواحدُ والتثنية والجَمْع والمذكَّر والمؤنَّث؛ لأنه وَصْفٌ بالمصدر، والمصدر لا يُثَنَّى ولا يُجمَع، فأمّا قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ فمعناه: فريقان، فلذلك قال: ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾، نظيرها قولُه تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾[٢]، ومثله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[٣]، وقرأ ابنُ كثيرٍ بتشديد النون[٤].

واختلفوا في هذَيْنِ الخصمَيْنِ، من هما؟ فقيل: نزلت هذه الآيةُ في ستةٍ من قريش تبارَزوا يومَ بدر، وهم: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ بن الحارث وعُتبةُ وشَيْبة ابنا ربيعةَ والوليدُ بن عُتبة، وقيل[٥]: هم أهل الكتاب والمؤمنون، وقيل[٦]: هم المؤمنون والكافرون كُلُّهُم من أيِّ مِلّةٍ كانوا، وقيل[٧]: هما الجنّة والنار اختصمتا

---

(١) هذا ما ذهب إليه الفراء والزجاج كما هو واضح من تأويلهما للآية، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٨، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤١٧، وينظر: جامع البيان ١٧/ ١٦٩، البحر المحيط ٦/ ٣٣٣، الدر المصون ٥/ ١٣٢.

(٢) ص ٢١.

(٣) الحجرات ٩، وينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٠.

(٤) بتشديد النون مع المد الطويل، ينظر: السبعة ص ٤٣٥، النشر ٢/ ٢٤٨، الإتحاف ٢/ ٢٧٢.

(٥) قاله ابن عباس وقتادة، انظر: الكشف والبيان ٧/ ١٣، عين المعاني ورقة ٨٥/ أ.

(٦) قاله مجاهد وعطاء وعاصم بن أبي النجود والكلبي، انظر: الكشف والبيان ٧/ ١٣.

(٧) قاله عكرمة، انظر: الكشف والبيان ٧/ ١٤، زاد المسير ٥/ ٤١٧، عين المعاني ورقة ٨٥/ أ، الدر المنثور ٤/ ٣٤٩.

فقالت النار: خَلَقَني الله تعالى لعقوبتِه، وقالت الجنّة: خَلَقَني الله تعالى لرحمته.

والصَّحيح هو القولُ الأول، وأنّ الآيَةَ نزلت في الستّة الذين تقدَّم ذكرُهم، رُوِيَ ذلك عن أبي ذرٍّ، أنه أقسم بالله لقد نَزَلت فيهم، رواه البخاري ومسلم(١).

قولُـه: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ﴾ قال الأزهَـريّ(٢): سُـوِّيَتْ وجُعِلَتْ لَبُوسًا لهم(٣) ﴿يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩﴾ وهو الماءُ الحارّ ﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ﴾؛ أي: يذابُ بالحميم ﴿مَا فِي بُطُونِهِمۡ﴾ من الشُّحوم ﴿وَٱلۡجُلُودُ ٢٠﴾ فتُشْوَى جُلُودُهم منه، فتَتَساقَطُ مِنْ حَرِّها، يقال: صَهَرْتُ الأَلْيةَ والشَّحْمَ بالنار: إذا أَذَبْتَهُما صَهْرًا(٤)، وقال الشاعر:

١٣ ـ فَظَـلَّ مُرْتَبِئًا لِلشَّمْسِ تَصْهَـرُهُ حَتَّى إذا الشَّمْسُ مالَتْ جانِبًا عَدَلا(٥)

و«ما» في موضع رَفْع بفعلِ ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ، والجلودُ: عطفٌ على «ما».

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٦، ٧ كتاب المغازي/ باب غزوة بدر، صحيح مسلم ٨/ ٢٤٥، ٢٤٦ كتاب التفسير/ سورة الحج.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة، أبو منصور الأزهري الهروي الشـافعي، ارتحل في طلب العلم، وكان رأسًا في اللغة والفقه ثبتًا دَيِّنًا ثقة، توفِّي ببلده هَراةَ سنة (٣٧٠هـ)، من كتبه: تهذيب اللغة، علل القراءات، تفسير إصلاح المنطق. [إنباه الرواة ٤/ ١٧٧-١٨١ بغية الوعاة ١/ ١٩، ٢٠، الأعلام ٥/ ٣١١].

(٣) تهذيب اللغة ١/ ١٨٨.

(٤) قاله الليث والأصمعي، ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ١٠٩، وينظر: اللسان: صهر. وأَلْيةُ الشّاةِ: ما رَكِبَ ظَهْرَها من الشحم واللحم.

(٥) البيت من البسيط، للأخطل يصف الحرباء الذي يرقب الشمس، والضمير في قوله: «فظل» للحرباء، ورواية ديوانه: «**يَظَلُّ مُرْتَبِئًا.. إذا رَأَى الشَّمْسَ مالَتْ**»، وينسب لذي الرمة، وهو في ملحقات ديوانه.

اللغة: رَبَأَ للقوم: كان لهم رَبِيئةً أي: عَيْنًا يَرْقُبُ لهم، قال الزمخشري: ومن المجاز: ارتبأ =

فصلٌ

رَوَى أبو هريرةَ، عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فيَنْفُذُ الجُمْجُمةَ، حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَنْبِهِ، فيَسِيلُ ما في جَوْفِهِ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَهُوَ الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعادُ كَما كانَ»[1].

قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: سِياطٌ من حديد، واحدتُها: مِقْمَعةٌ، سُمِّيَتْ بذلك لأنه يُقْمَعُ بها المضروبُ؛ أي: يُذَلَّلُ، وأصلها من قولهم: قَمَعْتُ رَأْسَهُ: إذا ضربتَه ضَرْبًا عنيفًا.

فصلٌ

عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: «لَوْ وُضِعَ مِقْمَعٌ مِنْ حَدِيدٍ عَلَى الأَرْضِ، ثُمَّ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الثَّقَلاَنِ ما أَقَلُّوهُ مِنَ الأَرْضِ»[2].

قال الحسن: إنّ النار تَرميهم بِلَهَبِها، حتى إذا كانوا في أعلاها ضُرِبُوا

= الشمسَ متى تغرب: إذا ارتقب غروبَها، اصْطَهَر الحرباءُ وصَهَرَتْهُ الشمسُ: إذا تَلأْلأَ ظَهْرُهُ من شدة حَرِّ الشمس، عَدَلَ: مال عنها.

التخريج: ديوان الأخطل ص ٢٦٥، ديوان ذي الرمة ص ١٨٩٨، أساس البلاغة: ربأ، التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٩٢.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٧٤، والترمذي في سننه ٤/ ١٠ أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٨٨ كتاب صفة النار، وينظر: الجامع الصغير ٢/ ٤٢٧، الدر المنثور ٤/ ٣٥٠، كنز العمال ١٤/ ٥٢٣.

بمقامعَ فهَوَوْا فيها سبعين خريفًا، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضَرَبهم زَفيرُ لهبها، فلا يستقرُّون ساعةً، فذلك قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ / فِيهَا﴾ يعني: كلما حاوَلوا الخروجَ من النار، لِما يَلْحَقُهُمْ من الغمِّ [٩/ ب] والكَرْب الذي يأخُذ بأنفاسِهم، رُدُّوا إليها بالمقامع، ويقول لهم خَزَنة النار: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ والحريق: اسمٌ من الاحتراق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ يعني: في الجِنان ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ وهي: جمعُ سِوار. ﴿وَلُؤۡلُؤٖ﴾: قرأ أهلُ المدينة وعاصمٌ الجَحْدري[1] هاهنا وفي سورة الملائكة: ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾[2] بالنَّصب على معنى: ويُحَلَّوْنَ لؤلؤًا، واستدَلُّوا بأنها مكتوبةٌ في جميع المصاحف بالألف هاهنا، وقرأ الباقون بالخفض: عطفًا على الذهب، ثم اختلفوا في وجهِ إثبات الألف، فقال أبو عَمْرو[3]: أُثبِتت فيه كما أُثبِتت في: قالوا وكالوا. وقال الكِسائي[4]: أثبتوها فيه للهمزة؛ لأنّ الهمزةَ حرفٌ من الحروف، وأمّا يعقوبُ فإنه قَرأها هاهنا بالنصب، وفي «فاطر»: بالخفض رجوعًا إلى المصحف؛ لأنه كُتِبَ في جميع المصاحف هاهنا بالألف وهناك بغير ألف، وأبو بكرٍ يترُك الهمزةَ الأولى من

(١) عاصم بن العجاج الجحدري أبو المجشر البصري، قرأ على يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، وروى عن أبي بكرة وعمر بن عبد العزيز، روى عنه هارون النحوي وغيره، وكان ثقة من عباد البصرة وقرائهم، توفِّي سنة (١٢٩هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٤٩، لسان الميزان ٣/ ٢٢٠، إكمال الكمال ٧/ ٢١٢، ٢١٣].

(٢) فاطر ٣٣.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ١٧/ ١٧٨، الكشف والبيان ٧/ ١٥، البرهان للزركشي ١/ ٣٨٤.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ١٧/ ١٧٨، الكشف والبيان ٧/ ١٥، البرهان للزركشي ١/ ٣٨٤.

اللُّؤلؤ، ويحقِّقُ الثانية في جميع القرآن[١].

قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا﴾ يعني: في الجنان ﴿حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ وهو الإِبْرِيسَمُ الذي حُرِّمَ لُبْسُهُ في الدنيا على الرجال، رُوِيَ عن عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدنيا لم يلبَسْه في الآخرة، ومن لم يلبَسْه في الآخرة لم يدخُل الجنة؛ لأنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾»[٢].

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ يريد: لا إلَه إلا الله، والحمدُ لله، والله أكبر، وقيل: إلى القرآن ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾: أُرْشِدُوا إلى الإسلام، وهو دِينُ الله وطريقُه، والحميدُ: هو المحمودُ في أفعاله.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: عطفٌ بالمستقبل على الماضي؛ لأنّ الصَّدَّ بمعنى: دوام الصِّفة لهم، ومعنى الآية: وهم يصُدُّون ومِن شأنهم الصَّدُّ، نظيرها قولُه تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾[٣].

وقيل[٤]: لفظُه مستقبَلٌ ومعناه المُضِيُّ، أي: وصَدُّوا عن سبيل الله. وقال

---

(١) ينظر: السبعة ص ٤٣٥، ٥٣٤، ٥٣٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١١٧، ١١٨، النشر ٢/ ٣٢٦، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩، البحر المحيط ٦/ ٣٣٥، الإتحاف ٢/ ٢٧٣، ٣٩٣.

(٢) رُوِيَ هذا الحديثُ عن أكثر من صحابي، فقد رُوِيَ عن عُمَرَ وأبي سعيد الخدري وأنس وعقبة بن عامر وابن الزبير وأبي أمامة، ينظر: المسند ١/ ٣٧، ٣٩، ٣/ ٢٣، ١٠١، ٢٨١، البخاري ٧/ ٤٤، ٤٥ كتاب اللباس، صحيح مسلم ٦/ ١٤٢ كتاب اللباس والزينة/ باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجل.

(٣) الرعد ٢٨، وهذا القول قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٢١، وينظر: جامع البيان ١٧/ ١٨١، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦، الدر المصون ٥/ ١٣٩.

(٤) قاله الفارسي في الإغفال ١/ ٣٥٤، والخبر على هذا الرأي والرأي السابق محذوف تقديره: «معذبون»، وينظر: التبيان ص ٩٣٨، ٩٣٩، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦، الدر المصون ٥/ ١٣.

الخليل[1]: الواو إقحامٌ، ومعناه: يصُدُّون.

ويجـوزُ أن يكونَ المعنى: إنَّ الذين كفَروا فيما مضَى وهم الآن يصُدُّون مـعَ ما تقدَّم مـن كفرهم، والمعنـى: يمنَعون الناسَ عـن طاعة الله ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ أي: وعن المسـجد الحـرام ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ﴾ المُقيم ﴿وَٱلْبَادِ﴾ الطارئُ المُنْتابُ إليه من غيره. قَرأَ حفصٌ والأعمش: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصـب بإيقاع الجَعْل عليه؛ لأنَّ الجَعْلَ يتعدَّى إلى مفعولَيْن، وقَرأَ الآخَرون: ﴿سَواءٌ﴾ بالرَّفع[2] على الابتداء، وما بعدَه: خبرُه، وتمامُ الكلام عندَ قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ قال ابنُ الأنبـاري[3]: ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ وتُرفَعُ ﴿ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ بمعنى: ﴿سَوَآءً﴾ كما تقول: رأيتُ زيدًا قائمًا أبوه.

ورُوِيَ عـن بعض القُـــرّاء أنه قـرأ: ﴿سَوَآءً﴾ بالنصـب ﴿الْعاكِفِ فِيهِ والْبـادِ﴾ بالخَفْض[4] على معنى: جَعَلْناه للناسِ: العاكـفِ فيه والبادِ[5]، وقَرأَ أبـو عَمْرٍو ووَرْش: ﴿والْبادِي﴾ بياءٍ في الوصل فقـط، وقَرأَ ابنُ كثيرٍ: بياءٍ في

---

(١) الجمل المنسـوب للخليل ص ٢٨٨، وهو بغير نسـبة في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٣، وذكر الأنباري أنه قول الكوفيين في البيان ٢/ ١٧٣، وينظر: البحر المحيط ٦/ ٣٣٦، الدر المصون ٥/ ١٣٩.

(٢) ورَوَى أبو بكر عن عاصم: ﴿سَـواءٌ﴾ بالرَّفع، ينظر: السـبعة ص ٤٣٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١١٨، القرطبي ١٢/ ٣٤، التيسـير ص ١٥٧، البحر ٦/ ٣٣٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٣.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٨٤.

(٤) هـذه قراءة الأعمش فـي رواية القُطَعِيِّ، ينظـر: إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٩٧، تفسـير القرطبي ١٢/ ٣٤، البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.

(٥) يعنـي أن ﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ نعـت للناس أو بدل منـه، ينظر: إيضاح الوقـف ص ٧٨٤، إعراب القرآن ٣/ ٩٣، ٩٤، الحجة للفارسي ٣/ ١٦٨.

الحالتَيْن، وقَرأَ الباقونَ بغير ياءٍ في الحالتَيْن[١].

قولـه: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ يعني: المسجدَ الحرام، نزلت هـذه الآيةُ في عبد الله بن/ أَنيس بن خَطَـل[٢]، قَتَلَ رجلاً من الأنصار، وارتدَّ عن الإسلام، وهرب إلى مكةَ كافرًا، فنزلت فيه[٣]: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ شرطٌ وجزاء، يعني: لَجأَ إلى الحرم ﴿بِإِلْحَادٍ﴾؛ أي: بمَيْلٍ عن الإسلام وبظُلْمٍ، فيدخل إلى الحرم من أجل القِصاص منه مشـركًا ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ جوابُ الشـرط، والمعنى: أنه يريد إلحادًا بظلم، وهو الميل إلى الظلم، والباءُ فيـه زائدةٌ، كقوله تعالـى: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾[٤]؛ أي: أنبتت الدهن[٥]، وقيل[٦]: معنى ﴿يُرِدْ﴾ أراد به: بأن يُلْحِدَ بظلم، كما قال الشاعر: [١٠/ أ]

(١) قرأ: ﴿الْبادِي﴾ بياء في الوصل فقط أبو عمرو وأبو جعفر ونافع في رواية ابن جماز وورش وإسـماعيل بن جعفر عنه، وقرأ بإثبات الياء وصلًا ووقفًـا ابن كثير ويعقوب، وقرأ الباقون ونافع في رواية المسيبي وابن أبي أويس بغير ياء لا في الوصل ولا في الوقف، ينظر: السبعة ص ٤٣٦، حجة القراءات ص ٤٧٥، التيسير ص ١٥٨، الإتحاف ٢/ ٢٧٤.

(٢) هـو عبد العزى بن خطل وقيل: هلال بن خطل، أسـلم وسـماه الرسـول عبـد الله وهاجر للمدينـة، وبعثه الرسـول سـاعيًا ومعه رجل من خزاعـة فَقَتَلَ الخُزاعِـيَّ وهرب إلى مكة، وقال الشعر يهجو به النبي ﷺ، فلما كان فتح مكة تعلق بأستار الكعبة، فأمر الرسول بقتله. [الأنساب ٥/ ٢٩، سبل الهدى والرشاد ٥/ ٢٢٤].

(٣) ينظر في سبب نزولها: عين المعاني ورقة ٨٥/ ب، الدر المنثور ٤/ ٣٥١.

(٤) المؤمنون ٢٠.

(٥) قال بزيادة الباء: الأخفشُ في معاني القرآن ص ٤١٤، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٤٨، ٥٦، وابن قتيبة في تأويل مشـكل القرآن ص ٢٥٠، قـال النحاس: «وهذا عند أبي العباس خطأ؛ لأنه لا يزاد شيء لغير معنى». معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٩٥.

(٦) قاله الفراء والزَّجّاج، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٢، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢١.

١٤ ـ أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَها فَكَأَنَّما تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ[1]

أراد: بأنْ أنسى، ومعنى الإلحادِ في اللُّغة: العدولُ عن القصد.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴿٢٦﴾﴾ الآيةَ، ومعنى ﴿بَوَّأْنَا﴾ هاهنا: بَيَّنّا له مكانَ البيت، قال الكَلْبي[2]: بَعَث الله سحابةً على قَدْر البيت فيها رأسٌ يتكلَّم، فقامت بحِيال البيت وقالت: يا إبراهيم: ابْنِ البيتَ على قَدْرِي[3].

قولُه: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾؛ أي: أَعْلِمْ ونادِ في الناس: ﴿بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ

---

(١) البيت من الطويل لجميل بثينة، وقد ورد في ديوانه بهذه الرواية في صفحة ١٨٥، وورد برواية:

تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبِ

في ديوانه ص ٣٤، ونُسِبَ أيضًا لكثير عزة، ونسب للمتوكل الليثي، والشاهد فيه: مَجِيءُ اللام بِمعنى الباء.

التخريج: ديوان جميل ص ٣٤، ١٨٥، ديوان كثير ص ١٠٨، معاني القرآن للأخفش ص ١٦٠، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٥٥، ٣/ ٤٢١، المحتسب ٢/ ٣٢، البيان ٢/ ٤٢٥، عين المعاني ورقة ٨٥/ ب، تفسير القرطبي ٢/ ٣٠٥، ٥/ ١٤٨، رصف المباني ص ٢٤٦، الجنى الداني ص ١٢١، اللسان: رود، مغني اللبيب ص ٢٨٥، المقاصد النحوية ٢/ ٢٤٩، ٣/ ٤٠٣، شرح شواهد المغني ص ٦٥، ٥٨٠، خزانة الأدب ١٠/ ٣٢٩.

(٢) هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو أبو النضر الكلبي، نَسّابةٌ راوية مفسر إخباري، شهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث، وهو ضعيف الحديث، ولد بالكوفة وتوفِّي بها سنة (١٤٦هـ)، من كتبه: أخبار ربيعة وأنسابها، الأصنام. [سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٨، وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٩-٣١١، الأعلام ٦/ ١٣٣].

(٣) رواه الحاكم عن عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ في المستدرك ٢/ ٥٥١ كتاب تواريخ المتقدمين، باب ذكر إبراهيم عليه السّلام، وينظر: الوسيط ٣/ ٢٦٦، فتح الباري ٦/ ٢٨٩، الدر المنثور ٤/ ٣٥٢، كنز العمال ٢/ ٤٧١.

﴿رِجَالًا﴾؛ أي: رَجّالةً مُشاةً على أرجُلِهم، وهو جَمْع راجِلٍ، مثل: قائِمٍ وقِيامٍ وصائِمٍ وصِيامٍ، وقيل: هو جَمْعُ رَجْلٍ كعَبْدٍ وعِبادٍ، ورَجْلٌ: جَمْعُ راجِلٍ كراكِبٍ ورَكْبٍ[١]، وهو منصوبٌ على الحال.

قوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أي: ورُكبانًا[٢]، والضامر: البعير المهزول، والمعنى: يأتوك مُشاةً ورُكْبانًا على كل ضامر ﴿يَأْتِينَ﴾ أراد النُّوق ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: طريقٍ بعيد، وإنما جَمَعَهُ لمكان ﴿كُلِّ﴾[٣]، وفي بعض القراءات: ﴿يَأْتُونَ﴾[٤] يكونُ للناس، وقال الفَرّاء[٥]: ويجوز: ﴿وَتَأْتِي﴾ على اللفظ، وفي قراءة عبدِ الله بن مسعود[٦]: ﴿يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ على معنى: يأتوك رَجّالةً يَأْتُونَ[٧]. قال ابنُ الأنباري[٨]: ويجوز في العربية: يَأْتُوا من كلِّ فجٍّ عميق، بالجَزْم على أنْ تجعلَه تابعًا لـ﴿يأتوكَ﴾.

---

(١) قال النحاس: «يقال في جمع راجِلٍ خمسةُ أوجه: راجِلٌ ورُجّالٌ، مثل: راكِبٍ ورُكّابٍ...، وراجِلٌ ورِجالٌ، مثل: قائِمٍ وقِيامٍ، ويقال: راجِلٌ ورَجْلةٌ ورَجْلٌ ورَجّالةٌ، فهذه خمسة». معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٩٨، وقال الأزهري: «الرَّجْلُ: جماعة الرّاجِلِ، وهم الرَّجّالةُ والرُّجّالُ». التهذيب ١١/ ٢٩، وينظر: الصحاح ص ١٧٠٥، اللسان: رجل.

(٢) يعني: أن الجار والمجرور ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ في موضع نصب على الحال، ينظر: البيان ٢/ ١٧٤.

(٣) يعني: جمع الفاعل في ﴿يَأْتِينَ﴾ لدلالة ﴿كُلِّ﴾ على العموم، قاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٩٧، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ١٧٤، التبيان للعكبري ص ٩٤٠.

(٤) في الأصل: «يأتونه»، والصواب ما أُثْبِتَ.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٢٤، وهو معنى كلام الفراء، وليس نصه.

(٦) وهي أيضًا قراءة الضحاك وابن أبي عبلة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٧، تفسير القرطبي ١٢/ ٣٩، البحر المحيط ٦/ ٢٣٨.

(٧) من أول قوله: «وفي قراءة عبد الله» إلى هنا قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٨٥.

(٨) إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٨٥.

فصلٌ

قال جماعةُ المفسِّرين: «لَمّا فَرَغَ إبراهيمُ - عليه السّلام - من بناء البيت جاءه جِبريل - عليه السّلام - فأمرَه أن يؤذِّن في الناس بالحج، فقال إبراهيم: يا ربِّ، وما يَبْلُغُ صوتي؟ فقال الله تعالى: أَذِّنْ وعَلَيَّ البلاغُ، فَعَلاَ على المقام، فأشرف به حتى صار كأطولِ الجبال، فأدخَل إصبعَيْه في أُذُنَيْه، وأَقْبل بوجهه يمينًا وشمالًا وشرقًا وغربًا، فقال: يا أيُّها الناس، كُتِبَ عليكمُ الحجُّ إلى البيت العتيق فأَجِيبوا ربَّكم، فأجابَه مَن كان في أصلابِ الرجال وأرحام النِّساء: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ»[١].

ورُوِيَ عن ابن عبّاس، أنه قال: «لما أَمَرَ اللهُ إبراهيمَ - عليه السّلام - أن ينادِيَ في الناس بالحجِّ صَعِد أبا قُبَيْسٍ، ووضَع إصبعَيْه في أُذُنيه وقال: يا أيُّها الناس: أَجِيبوا ربَّكم، فأجابوا بالتلبية من أصلابِ الرجال وأرحام النِّساء، وأولُ من أجابه أهلُ اليمن، فليس أحدٌ يحُجُّ البيتَ إلى أن تقومَ الساعة إلّا من أجاب إبراهيمَ ذلك اليوم، فإنّ ذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجالا﴾، فمن أتى الكعبة حاجًّا فكأنه أتى إبراهيم؛ لأنه مجيبٌ نداءَه[٢]» / .

ورُوِيَ عن ابن عبّاس أنه قال لِبَنِيهِ: يا بَنِيَّ، حُجُّوا من مكةَ مُشاةً حتى ترجِعوا إليها، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «للحاجِّ الراكبِ بكل خطوةٍ تخطوها

(١) رواه البيهقي بسنده عن ابن عباس في السنن الكبرى ٥/ ١٧٦ كتاب الحج/ باب دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٨، الوسيط ٣/ ٢٦٦، زاد المسير ٥/ ٤٢٣، تفسير القرطبي ١٢/ ٣٨.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٧٦ كتاب الحج/ باب دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩ كتاب التفسير/ تفسير سورة الحج، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٢٦٧.

راحلتُه سبعونَ حسنة، وللحاجِّ الماشي بكل خطوةٍ يخطوها سبعُمائة حسَنةٌ من حسَناتِ الحرم»، قيل: وما حسناتُ الحرم؟ قال: «الحسنة بمائة ألف»[(١)].

وعن أنس، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يباهي بأهل عَرَفاتٍ الملائكةَ، يقول: يا ملائكتي، انظُروا إلى عبادي شُعْثًا غُبْرًا، أَقْبَلوا يضربون إلَيَّ من كلِّ فجٍّ عميق، فأُشهدُكم أني قد أَجَبتُ دعاءهم، وشفعت رغبتَهم، ووهبتُ مسيئَهم لمحسنِهم، وأعطَيْت محسنَهم ما سألوني غيرَ التبِعات التي بينَهم»، فإذا أفاض القومُ إلى جمع، ووقَفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله، يقول: «يا ملائكتي: عبادي وَقَفوا فعادوا في الرغبة والطلب، فأُشهِدُكم أنّي قد أجبتُ دعاءهم، وشفعت رغبتَهم، ووهبت مسيئَهم لمحسنِهم، وأعطيت محسنَهم جميعَ ما سألوني، وكفَلت عنهم التَبِعاتِ التي بينَهم»[(٢)].

ورُوِيَ في المَغْنَى، عن أبي القاسم بِشْرِ بن محمد بن بِشْرٍ القاضي، أنه قال: رأيتُ في الطواف كهلًا وقد أجهَدتْه العبادة، واصفرَّ لونه، وبيدِه عصًا، وهو يطوفُ معتمدًا عليها، فتقدَّمتُ إليه، وجعلتُ أُسائِلُهُ، فقال: من أين أنتَ؟ فقلتُ: من خُراسانَ، قال لي: من أيِّ ناحيةٍ تكون خراسان؟ ـ كأنه جَهِلها ـ فقلتُ: ناحيةٌ من نواحي المشرق، فقال لي: في كم تقطَعون هذه الطريق؟ قلتُ: في شهرَيْنِ وثلاثة أشهر، قال: أفلا تحُجُّون في كل عام وأنتم من جيرانِ هذا البيت؟ فقلتُ: وكم بينَكم وبينَ هذا البيت؟ فقال: مسيرةُ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٥٩، وينظر: الوسيط ٣/ ٢٦٧، مجمع البيان ٧/ ١٤٥، الدر المنثور ٤/ ٣٥٥، الجامع الصغير ١/ ٣٦٤، كنز العمال ٥/ ٥.

(٢) ينظر: مسند أبي يعلى ٧/ ١٤٠، ١٤١، الوسيط ٣/ ٢٦٧، مجمع الزوائد ٣/ ٢٥٧ كتاب الحج/ باب فضيلة الوقوف بعرفة، وقال ابن حجر: «وفيه صالح المري، وهو ضعيف»، وينظر: الدر المنثور للسيوطي ١/ ٢٣٠.

خمسِ سنين، خرجتُ من بيتي ولم يكن في رأسي ولحيتي شيب، فقلتُ: هذا ـ والله ـ الجَهْدُ البيِّن والطاعةُ الجميلة والمحبّةُ الصادقة، فضحك في وجهي، وأنشأ يقول:

١٥ـ زُرْ مَنْ هَوِيتَ وإنْ شَطَّتْ بك الدارُ وحالَ مِنْ دُونِها حُجْبٌ وأستارُ
لا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيارَتِهِ إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يَهْواهُ زَوّارُ[١]

قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ يعني: من الأنعام التي تُنْحَرُ، وهو أمرُ إباحة، وليس بواجب، وإنّما قال ذلك لأنّ أهلَ الجاهلية كانوا ينحَرون ويذبحون ولا يأكلون من لحوم هداياهم شيئًا، فأَعْلَمَ اللهُ تعالى أن ذلك جائزٌ[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ يعني: الزَّمِنَ الفقيرَ الذي لا شيءَ له، يقال: بَئِسَ الرجلُ/ يَبْأَسُ بُؤْسًا: إذا اشتدت حاجتُه فهو بائس. [١١/ أ]

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾ اختلف القُرّاءُ في هذه اللام[٣]، فكسَرَها بعضُهم، وفرَّقوا بين ﴿ثُمَّ﴾ والواو والفاء؛ لأن ﴿ثُمَّ﴾ مفصولٌ من الكلام، والواو والفاء كأنّهما من نفس الكلمة، وجزَمَهما الآخَرون لأنها كلمةٌ لإثبات الأمر.

---

(١) هذه القصة وردت في الكشف والبيان ٧/ ١٩، ورواها النسفي في تفسيره ببعض الاختلاف، فقد قال: «قال محمد بن ياسين: قال لي شيخ في الطواف: من أين أنت؟.... إلخ»، ورواية البيت الأول فيه:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ........... وَحالَ مِنْ دُونِهِ تُرْبٌ وَأَحْجارُ

التخريج: تفسير النسفي ٢/ ٤٣٥، عين المعاني ٨٥/ ب، المستطرف ١/ ١٩٠.

(٢) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢٣، معاني القرآن ٤/ ٤٠١، ٤٠٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٤٦.

(٣) سبق التعرض لهذه القراءة عند تخريج قراءة ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ ١/ ٢٣٣.

والتَّفَثُ: مناسكُ الحجِّ كلُّها من: الحَلْق والتنظيف وأخْذ الشارب ونَتْف الإبط وحَلْق العانة وقصِّ الأظفار ولُبْس الثياب ونحوها(١)، وأصل التَّفَثِ في اللغة: الوَسَخُ، تقول للرجل تَسْتَقْذِرُهُ: ما أَتْفَثَكَ! أي: ما أَوْسَخَكَ وأَقْذَرَكَ(٢)، قال أُميةُ بن أبي الصَّلت(٣):

١٦ ـ شاحِينَ آباطَهُمْ لم يَقْلَعُوا تَفَثًا وَيَنْزِعُوا عَنْهُمُ قَمْلًا وصِئْبانا(٤)

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ يعني: عبادتَها؛ لأن الأوثانَ كلَّها رجسٌ، قال الزَّجّاجُ(٥): ﴿مِنَ﴾ هاهنا: تخليص جنس من أجناس،

(١) ينظر: جامع البيان ١٧/ ١٩٦، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢٤، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٠٢، تهذيب اللغة ١٤/ ٢٦٦، الكشف والبيان ٤/ ٤٠٢، شمس العلوم ٢/ ٧٥٣.

(٢) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٢٠، وينظر: عين المعاني ٨٦/ أ، تفسير القرطبي ١٢/ ٥٠، البحر المحيط ٦/ ٣٢٣.

(٣) أمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف، أبو الحكم الثقفي، نظر في الكتب، ولبس المسوح، وطمع في النبوة لَمّا عَلِمَ أن نَبِيًّا يُبْعَثُ بالحجاز، فلما بُعِثَ النبي ﷺ حسده فلم يُسلم، ومات بعد بدر، وقيل: سنة (٩هـ)، قال النبي ﷺ عنه: «قد كاد أمية أن يسلم». [الشعر والشعراء ص ٤٦٦-٤٦٩، الأعلام ٢/ ٢٣].

(٤) البيت من البسيط، ورواية ديوانه:

حَفُّوا رُءُوسَهُمُ، لم يَحْلِقُوا تَفَثًا وَلَمْ يَسُلُّوا لَهُمْ قَمْلًا وَصِئْبانا

ويُرْوَى: «لَمْ يَقْذِفُوا تَفَثًا»، ويُرْوَى: «لَمْ يَقْرَبُوا تَفَثًا».

اللغة: شاحِينَ: شَحا الرَّجُلُ فاهُ شَحْوًا: إذا فتحه، التَّفَثُ: التَّشَعُّثُ وهو ما يفعله المُحْرِمُ في الحج إذا حَلَّ كقَصِّ الشارب والأظفار، الصِّئْبانُ جمع صُؤابٍ، وهو بَيْضُ البُرْغُوثِ والقَمْلِ.

التخريج: ديوانه ص ١٣٦، الحيوان ٥/ ٣٧٦، شمس العلوم ٢/ ٧٥٣، عين المعاني ٨٦/ أ، تفسير القرطبي ١٢/ ٥٠.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢٥.

المعنى: فاجتنبوا الرِّجسَ الذي هو وَثَنٌ ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ﴾ ثم ضَرَب لمن أشرك به مَثَلًا، فقال: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾؛ أي: سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾؛ أي: تأخذه بسرعة، من قولهم: خَطِفَ يَخْطَفُ خَطْفًا: إذا سَلَبه، ومنه قوله: ﴿يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾[(١)]، قال ابن عباس: يريد: تخطَفُ لحمَه. ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾؛ أي: تُسقِطه ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ بعيد، يقال: سَحُقَ يَسْحُقُ سُحْقًا، فهو سَحِيقٌ. قرأ نافع[(٢)]: ﴿فَتَخَطَّفُهُ﴾ بالتشديد[(٣)]، وقرأ الباقون بالتخفيف.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ يريد: استعظامَ البُدُن واستسمانُها واستحسانَها، والشعائر: جمع الشَّعيرة، وهي: البُدْنُ إذا أُشْعِرَتْ؛ أي: أُعْلِمَتْ بحديدةٍ في صَفْحةِ سَنامِها الأيمنِ ليُعْلَمَ أنها هَدْيٌ ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢﴾ يعني: فإنّ تعظيمها، ثم حذَفَ المضاف لدلالة «يُعَظِّمْ» على التعظيم[(٤)]، وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقةَ التقوى تَقْوَى القلوبِ.

قوله: ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾؛ أي: في الشعائر ﴿مَنَٰفِعُ﴾ بركوبها وشرب لبنها

---

(١) البقرة ٢٠.

(٢) هو: نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء، أبو رويم المدني، أحد القراء السبعة، كان شديد السواد صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة، أصله من أصبهان، اشتهر بالمدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها، وأقرأ الناس نَيِّفًا وسبعين سنة وتوفِّي بها سنة (١٦٩هـ). [غاية النهاية ٢/ ٣٣٠: ٣٣٤، الأعلام ٨/ ٥، ٦].

(٣) وهذه قراءة أبي جعفر المدني أيضًا، ينظر: السبعة ص ٤٣٦، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠، الإتحاف ٢/ ٢٧٤.

(٤) ويرى الزمخشري أن التقدير: فإن تعظيمها من أفعال ذوي تقوى القلوب، فحذفت هذه المضافات، الكشاف ٣/ ١٣، ١٤، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ٩٤١، البحر المحيط ٦/ ٣٤٠، الدر المصون ٥/ ١٤٧، همع الهوامع ٢/ ٤٢٩.

إن احتيج[(١)] إليه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني: إلى أن تُنحَر ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾؛ أي: مَنْحَرُها عند البيت العتيق، يعنِي: أرضَ الحرم كلَّها، نظيره قوله تعالى: «فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هَذا»[(٢)] يريد: الحرمَ كلَّه.

[١١/ ب] وسُمِّيَ البيتَ العتيقَ لأنّ الله تعالى أعتَقَه من الجبابرة فلم / يَظْهَرْ عليه جَبّارٌ قَطُّ، رَوَى ذلك عبدُ الله بن الزُّبير، عن النبيِّ ﷺ[(٣)].

وقيل[(٤)]: سُمِّيَ عتيقًا لقِدَمِهِ، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلناسِ لَلَّذِي بِبَكّةَ مُبارَكًا[(٥)]، وقيل[(٦)]: لِكَرَمِهِ، وقيل[(٧)]: لأنه أُعْتِقَ يوم الطُّوفان من الغرق.

قولُه تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي: جماعةٍ مؤمنة سَلَفت قبلَكم ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ قَرَأَ أهلُ الكوفة إلّا عاصمًا بكسرِ السين في الموضعَيْن: على معنى الاسم[(٨)] مثلَ: المجلِس والمطلِع، أي: مَذْبَحًا، وهو موضعُ القربان، وقَرَأَ

(١) في الأصل: «احتاج».

(٢) التوبة ٢٨.

(٣) روى الترمذي بسنده عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّما سُمِّيَ البَيْتُ العَتِيقُ لأَنَّهُ لم يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبّارٌ»، ورُوِيَ عن الزهري مرسلًا. سنن الترمذي ٥/ ٦، ٧ أبواب التفسير/ سورة الحج، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٣٨٩ كتاب التفسير/ تفسير سورة الحج، وينظر: الدر المنثور ٤/ ٣٥٧.

(٤) ذكره ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٧٨.

(٥) آل عمران ٩٦.

(٦) ذكره ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٧٨.

(٧) المصدر السابق ٢/ ١٧٨.

(٨) بكسر السين في الموضعين قرأ الأعمش وحمزة والكسائي وخلفٌ، وأبو عمرو في روايةٍ، وقرأ الباقون وأبو عمرو بالفتح، ينظر: السبعة ص ٤٣٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١١٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤١، الإتحاف ٢/ ٢٧٥.

الباقـونَ بالفتح فيهمـا على المصدر، مثلَ: المَدْخَلِ والمَخْـرَجِ، وهو: إِهْراقُ الدماء وذَبْحُ القرابين.

والفتـح أَوْلى؛ لأنّ المصدر من هـذا الباب بفتح العين[1]، يقال: نَسَـكَ يَنْسُـكُ: إذا ذَبَحَ القُرْبانَ، وأصل المَنْسَكِ ـ في كلام العرب ـ: الموضعُ المعتاد لعملِ خيرٍ أو شرّ، يقال: إنّ لفلانٍ[2] منسَكًا؛ أي: مكانًا يغشاه ويألَفُه للعبادة، ومنه مناسكُ الحجِّ لِتَرَدُّدِ الناس إلى الأماكن التي تُعمَلُ فيها أعمال الحج والعمرة[3].

قوله تعالى: ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾؛ أي: على نَحْر ما رَزَقَهم ﴿مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـٰمِ ۗ فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم إلّا الله وحـدَه ﴿فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾؛ أي: انقـادوا وأطيعوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ يعنـي: المتواضعينَ المطمئنِّين إلى الله، ثـم وَصَفَهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾؛ أي: إذا خُوِّفـوا بالله خافوا ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ من البلاءِ والمصائبِ في طاعة الله.

ومحَلُّ «الَّذِيـنَ»: نصبٌ، نعتٌ للمُخْبِتين، ويجـوزُ أن يكون نصبًا على المدح، ويجوز أن يكونَ رفعًا على أنه خبرُ ابتداءٍ محذوف تقديرُه: هم الذين[4]،

---

(١) يعنـي باب «فَعَلَ يَفْعُلُ» فقياس أسـماء المكان منها «مَفْعَلٌ» بفتح العين، إلّا ما سـمع عن العرب على «مَفْعِلٍ» بكسرها، قال الفراء: «والمَنْسِكُ لأهل الحجاز، والمَنْسَكُ لبني أسد». معاني القرآن ٢/ ٢٣٠، وينظر في هذه المسـألة: معانـي القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢٦، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٧، ٩٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٧٧، ٧٨، تهذيب اللغة ١٠/ ٧٤، معاني القراءات ٢/ ١٨٠، ١٨١، شرح الشافية للرضي ٢/ ١٨١، ١٨٢.

(٢) في الأصل: «لفلانا».

(٣) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٣٠، إعراب القرآن ٣/ ٩٨.

(٤) ينظر في هذه الأوجه الإعرابية: التبيان للعكبري ص ٩٤٢، الدر المصون ٥/ ١٤٨.

و﴿الصّابريـنَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ ﴿٣٥﴾﴾ يعنـي: في أوقاتها، وهو عطفٌ على مـا قبلَه في الإعراب، وفيه أيضًـا ثلاثةُ أوجه: بالخَفْض على الإضافة وتُحذَفُ النُّونُ لها، ويجوزُ النَّصبُ مـعَ حـذفِ النـون؛ لأنَّ الألـفَ والـلام بِمَعْنَى ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والوجــهُ الثالث: ﴿والْمُقِيمِيـنَ الصَّـلاةَ﴾ على الأصل[1].

قوله تعالـى: ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾: نصبٌ بإضمارِ فعل تقديره: وجَعَلْنا البُدنَ ﴿جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من أعلام دينِه، وهي جمعُ: بَدَنة، ويجوز ضـمُّ الـدال مثلَ: ثَمَـرةٍ وثُمُر[2]، وهي: الناقـة والبقرة مما يجـوز في الهَدْي والأضاحـي ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ يعنـي: النَّفـعُ في الدنيـا والأجرُ فـي الآخرة. ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ يعنـي: عندَ نحرِها، قال ابـنُ عباس[3]: هو أن يقول: اللهُ أكبر لا إلَه إلّا الله، واللهُ أكبر، اللهمَّ منكَ/ ولك. [١٢/ أ]

وقولـه: ﴿صَوَآفَّ﴾ يعني: قيامًا علـى ثلاثِ قوائم، قد صَفَّـتْ رِجْلَيْها وإحدى يدَيْها، ويدُها اليسـرى معقولةٌ[4]، وقيل[5]: الصَّوافُّ: أن يَعْقِلَ رِجْلَها

(١) الوجـه الثانـي ـ وهو النصـب مع حذف النون ـ قرأ بـه أبو عمرو في روايةٍ عنـه، وابنُ أَبي إسحاق والحسنُ، وأما الوجه الثالث ـ وهو إثبات النون ـ فهو قراءة لابن مسعود والأعمش وابـن محيصن، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٧، المحتسـب ٢/ ٨٠، تفسـير القرطبي ١٢/ ٥٩، البحر المحيط ٦/ ٣٤٢، الإتحاف ٢/ ٢٧٥.

(٢) قرأ الحسـن وابن أبي إسحاق وشيبة وعيسى بن عمر: ﴿والبُدُنَ﴾ بضم الدال، ورويت عن أبي جعفر ونافع، وقرأ ابن أبي إسـحاق أيضًا: ﴿والبُدُنَّ﴾ بضم الدال وتشديد النون، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٧، تفسير القرطبي ١٢/ ٦٠، البحر المحيط ٦/ ٣٤٢، الإتحاف ٢/ ٢٧٥.

(٣) ينظر: قوله في جامع البيان ١٧/ ٢١٦، الكشف والبيان ٧/ ٢٣.

(٤) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٢٣.

(٥) قاله مجاهد، ينظر: جامع البيان ١٧/ ٢١٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٣.

اليسرى، وتقوم على ثلاث فيَنْحَرُها كذلك، وهو منصوبٌ على الحال.

وتُقْـرَأُ: ﴿صَوافِـنَ﴾(١)، وأصلُ هـذا الوَصْف في الخَيْـل، يقال: صَفَنَ الفرسُ فهو صافنٌ: إذا قام على ثلاثِ قوائم وثَنَى سُـنْبُكَ الرابعةِ، والسُّـنْبُكُ: طَـرَفُ الحافـر، والبعيرُ إذا أرادوا نَحْـرَهُ تُعْقَلُ إحدى يدَيْـه فيقوم على ثلاث قوائم، وتُقرَأ أيضًا: ﴿صَوافِيَ﴾(٢)؛ أي: خَوالِصَ لله، لا تُشركوا به في التسمية على نحرها أحدًا(٣).

قوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾؛ أي: سَـقَطت بعد النحـر، فوَقَعت جُنوبُها على الأرض، وأصل الوجوب: الوقوع، يقال: وَجَبت الشـمس: إذا سـقطت للمغيـب، وقولـه: ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ أمرُ إباحةٍ ورخصة مثـلَ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾(٤) وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِـرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾(٥).

قوله: ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ ﴿٣٦﴾﴾ قيل: القانعُ: الذي يقنَع بما أُعْطِيَ، ويَرْضَى بما عندَه ولا يَسْأَلُ، وقيل: القانع: المتعفِّف الجالس في بيته، والمعترُّ:

---

(١) هـذه قراءة ابن مسـعود وابن عمر وابن عباس وقتادة ومجاهـد وعطاء والضحاك والكلبي والأعمش وأبي جعفر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٧، ٩٨، المحتسب ٢/ ٨١، تفسير القرطبي ١٢/ ٦١، البحر المحيط ٦/ ٢٤٢.

(٢) في الأصل: «صَوافِينَ» وهو خطأ، و«صَوافِيَ» قراءة الحسن وأبي موسى الأشعري ومجاهد وزيد بن أسـلم والأعرج، ينظـر: مختصر ابن خالويه ص ٩٧، تفسـير القرطبي ١٢/ ٦١، المحتسب ٢/ ٨١.

(٣) مـن أول قوله: «وأصـل هذا الوصف في الخيل» إلى هنا قاله أبو بكر السجسـتانِي بنصه في تفسير غريب القرآن ص ١٠٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٦١، عين المعاني ورقة ٨٦/ ب.

(٤) المائدة ٢.

(٥) الجمعة ١٠.

السائلُ الذي يسألُك ويعتريك، فعلى هذَيْن التأويلَيْنِ هو مأخوذٌ من القناعة، وهي الرضا والتعفُّف وتركُ السؤال.

وقيل(١): القانع: الذي يسألك، والمعترُّ: الذي يتعرَّض لك وترتاب نفسُه ولا يسألك، وعلى هذا القول يكونُ القانعُ من القنوع وهو السؤال، يقال: قَنَعَ ـ بالفتح ـ يَقْنَعُ بالفتح(٢) قُنُوعًا: إذا سأل، ويقال من القناعة: قَنِعَ ـ بالكسر ـ يَقْنَعُ بالفتح قناعةً: إذا رضي، قال الشَّمّاخ(٣):

١٧ ـ لَمالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فيُغْنِي مَفاقِرَهُ أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ(٤)

---

(١) قاله المبرد في كتاب الروضة ص ١٧٧.

(٢) في الأصل: «يَقْنِعُ بالكسر»، وضبطه المؤلف بالحروف هكذا «بالكسر»، وهو خطأ، وقد أَثْبَتُّ ما ذكرتْهُ كتبُ اللغة، ينظر: العين ١/ ١٧٠، إصلاح المنطق ص ١٨٩، الروضة للمبرد ص ١٧٧، الزاهر ٢/ ٤١، تهذيب اللغة ١/ ٢٥٨، ٢٥٩، تصحيح الفصيح وشرحه ص ١١٥.

(٣) الشماخ بن ضرار بن حرملة المازِنِيُّ الذبيانِيُّ، شاعر مخضرم من طبقة لبيد والنابغة، أسلم وشهد القادسية، وتوفِّي في غزوة موقان سنة (٢٢هـ). [الشعر والشعراء ٣٢٢: ٣٢٥، الإصابة ٣/ ٢٨٦-٢٨٨، الأعلام ٣/ ١٧٥].

(٤) البيت من الوافر للشماخ يخاطب امرأته، ويُرْوَى:
لَحِفْظُ المالِ تُصْلِحُهُ فَيَنْفِي
ويروى: «من الكُنُوع»، ويُنْسَبُ البيت لِمُعاوِية بن أبي سفيان أيضًا.
اللغة: المفاقر: وجوه الفقر لا واحد لها من لفظها، الكُنُوع: التَّقَبُّضُ والتصاغر.
التخريج: ديوان الشماخ ص ٢٢١، ديوان معاوية ص ١٣٢، مجاز القرآن ٢/ ٥١، البخلاء ص ١٨١، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢٨، تهذيب اللغة ١/ ٢٥٩، ٣/ ٧١، المخصص ١٢/ ٢٨٧، الحلل في شرح أبيات الجمل ص ٢٣٦، زاد المسير ٥/ ٤٣٤، عين المعاني ورقة ٨٦/ ب، تفسير القرطبي ٢/ ٦٤، اللسان: ضيع، فقر، قنع، البحر المحيط ٦/ ٣٢٣.

يعني: من السؤال، وقال آخر:

١٨ ـ وَلا أَحْرِمُ المُضْطَرَّ إِنْ جاءَ قانِعا[١]

يعني: سائلًا، وقيل[٢]: هو من الأضداد، يقال: قَنع: إذا رضي، وقنع: إذا سأل، وقيل: القانعُ: هو المسكين الذي يطوف فيسأل، والمُعْتَرُّ: الصّديق الزائر الذي يَعْتَرُّ بالبُدْنِ، يقال: عَرَّهُ واعْتَرَّهُ وعَراهُ واعْتَراهُ: إذا أتاه طالبًا منه معروفًا[٣].

وقيل[٤]: القانع: الذي يَسْأَلُ وتَرُدُّهُ التمرةُ واللُّقْمةُ، والمُعْتَرُّ: الذي لا يَسأل فيُبدَأُ بالصدقة.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أي: بسبب ما ظُلِمُوا واعتُدِيَ عليهم بإيذائهم وإخراجهم من ديارهم، قرأ ابنُ كثيرٍ وابنُ عامر وحمزةُ والكِسائي[٥]: ﴿أَذِنَ﴾ بفتح الألف على إسناد الفعل إلى الله تعالى لتقدُّم ذكرِه، وقَرأَ الباقونَ بضمِّ الألف على المجهول.

---

(١) هذا عجز بيت من الطويل وصدره:

وَما خُنْتُ ذا عَهْدٍ وَأَيْتُ بِعَهْدِهِ

وهو لِعَدِيِّ بن زيد العِبادِيِّ، ورواية ديوانه:

وَلَمْ أَحْرِمِ المُضْطَرَّ إِذْ جاءَ...

اللغة: الوَأْيُ: الوعد، يقال: وَأَى يَئِي وَأْيًا. القانع ـ هنا ـ السائل من قولهم: قَنَعَ ـ بالفتح ـ يَقْنَعُ قُنُوعًا، وأما «قَنِعَ» ـ بالكسر ـ قناعة فمعناه: رَضِيَ.

التخريج: ديوانه ص ١٤٥، الزاهر ٢/ ٤١، تهذيب اللغة ١٥/ ٦٥٢، غريب الحديث للهروي ٢/ ١٥٦، اللسان: قنع، وأى.

(٢) قاله أبو حاتمٍ وابنُ الأنباريِّ، ينظر: الأضداد لأبي حاتم ص ١٩٣، الأضداد لابن الأنباري ص ٦٦.

(٣) قاله النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٤.

(٤) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٣٧٠.

(٥) وقرأ بها خلف أيضًا، ينظر: السبعة ص ٤٣٧، البحر المحيط ٦/ ٣٤٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٦.

وقَرأَ ابنُ عامر ونافعٌ وحفص: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء، وقَرأَ الباقون بكسرِها[١]، وفي الآية محذوفٌ والتقدير: / أُذِن لهم أن يقاتِلوا أو: بالقتال. [١٢/ ب]

ثم وَعَدَهم بالنَّصر، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾ يعني: المؤمنين.

ثم وَصَفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ محلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: خفضٌ على البدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الأول، وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: لم يُخرَجوا من ديارهم إلّا بقولهم: ربُّنا اللهُ وحدَه، فيكون ﴿أَن﴾: أَنْ« في موضع الخفض ردًّا على الباء في قوله: ﴿بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾[٢]، ويجوزُ أن يكون في موضع نصبٍ على وَجْه الاستثناء[٣].

قال سيبوَيْه[٤]: هذا من الاستثناء المنقطع، المعنى: لكنْ بأنْ يقولوا: ربُّنا الله[٥]؛ أي: أَخرجَوهم بتوحيدهم.

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر وخلفٌ ويعقوب: ﴿يُقاتِلُونَ﴾ بكسر التاء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٧، السبعة ص ٤٣٧، البحر المحيط ٦/ ٣٤٦، الإتحاف ٢/ ٢٧٦.

(٢) قاله الفراء والزَّجّاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٢٧، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٠، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٠.

(٣) يعني: على الاستثناء المتصل، وهو قولٌ آخَرُ للفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٢٧، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٠، وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ١٧٧.

(٤) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر الحارثي بالولاء، إمام النحاة، وأول من بسط النحو، ولد في شيراز، وقَدِمَ البصرة، فلزم الخليل بن أحمد، ورحل إلى بغداد، فَناظَرَ الكسائيَّ، وأَجازَهُ الرشيدُ بعشرة آلاف درهم، وعاد إلى الأهواز فمات بها شاباً سنة (١٨٠هـ). [إنباه الرواة ٢/ ٣٤٦-٣٦٠، بغية الوعاة ٢/ ٢٢٩، ٢٣٠، الأعلام ٥/ ٨١].

(٥) الكتاب ٢/ ٣٢٥.

﴿وَلَوْلا دِفاعُ اللهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ يُقرَأُ بإثبات الألف وحذفِها[١]، وقد تقدَّم ذكره في سورة البقرة[٢]، وقوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ يقال: هَدَمتُ البناءَ: إذا نَقَضتَه وانهدم، قَرَأَ نافعٌ وابنُ كثير بتخفيفِ الدال[٣]، وقَرَأَ الباقونَ بالتشديد، وأظهرَ التاءَ نافعٌ وابنُ كثير وعاصم، وأدغَمَها الباقون، والتخفيفُ يكون للقليل والكثير[٤]، والتشديدُ يختص به الكثير.

وقوله: ﴿صَوَٰمِعُ﴾ هي: منازلُ الرُّهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ جَمْع: بَيْعةِ النصارى، ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ يعني: كنائسَ اليهود، وهي بالعبرانيّة صُلُوثا، ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝٤٠﴾ يعني: مساجدَ المسلمين من أُمّة محمدٍ ﷺ، ونَصْبُ ﴿كَثِيرًا﴾ على النَّعت لمصدرٍ محذوف، أراد: ذِكْرًا كثيرًا، ويقال: ومعنى الآية يقولُ: لولا دفاعُ الله الناسَ عن الفساد ببعضِ الناس لهُدِم في شريعةِ كلِّ نبيٍّ المكانُ الذي يُصلَّى فيه، فلولا الدَّفْعُ لَهُدِّمَ في زمن موسى الكنائسُ، وفي زمن عيسى الصَّوامعُ والبِيَعُ، وفي زمن محمدٍ ﷺ المساجدُ.

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب والحسن: «دفاع الله» بالألف، وقرأ الباقون بغير ألف، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٢٧، السبعة ص ٤٣٧، النشر ٢/ ٢٣٠، التيسير ص ٨٢، الإتحاف ٢/ ٢٧٦.

(٢) يشير إلى قوله، تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ البقرة ٢٥١، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٣) قرأ بالتخفيف أيضًا أبو جعفر وابن محيصن وأيوب وقتادة وطلحة، والأعمش في رواية زائدة عنه، والشنبوذيُّ والزعفرانيُّ، وأدغم التاء من ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ في الصاد من ﴿صَوَٰمِعُ﴾ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وابن عامر، ينظر: السبعة ص ٤٣٧، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٢١، حجة القراءات ص ٤٧٩، التيسير ص ١٥٧، البحر المحيط ٦/ ٣٤٧، الإتحاف ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧.

(٤) في الأصل: «والتشديد والتخفيف يكون للقليل الكثير»، والصواب ما أُثْبِتَ، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٧٨، الحجة للفارسي ٣/ ١٧٢.

قوله تعالى: ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ﴾؛ أي: أمهلْتُ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ وأخَّرْتُ عقوبتَهم، يقال: أَمْلَى اللهُ لفلان في العمُر: إذا أخَّر عنه أجَلَه، وقوله: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ يريد: بالعذاب، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: إنكاري بالعذابِ والهلاك؟ وهذا استفهامٌ معناه التقرير، والنكير: اسمٌ من الإنكار، ومحَلُّه رفعٌ؛ لأنه اسم ﴿كَانَ﴾، قَرأَ ورشٌ: ﴿نَكِيرِي﴾ بياءٍ في الوصل فقط، وقَرأَ الباقونَ بالحذف[1].

قوله: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: فكم من قرية ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ يعني: وأهلُها ظالمون، فنَسَب الظلمَ إلى القرية لقُرب الجِوار. قَرأَ ابنُ كثير[2]: ﴿وَكائِنْ﴾ بالمدِّ، وقد ذَكَر في آل عمران[3]، وقرأ أبو عَمْرو[4]: ﴿أَهْلَكْتُها﴾ بالتاء، على الفعل الواحد، وهو الاختيارُ، لقوله: ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾، وقرأ الباقون: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ على التعظيم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ ﴿٤٥﴾﴾ عطفٌ على قوله: ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾[5]؛ لأن المعنى: وكم من

---

(١) قرأ ورش عن نافع: ﴿نكيري﴾ بياء في الوصل فقط، وأثبتها يعقوب في الحالين، ينظر: السبعة ص ٤٤١، مختصر ابن خالويه ص ٩٨، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٢٤، التيسير ص ١٥٨، الإتحاف ٢/ ٢٧٧.

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي جعفر، ينظر: النشر ٢/ ٢٤٢، الإتحاف ٢/ ٢٧٧.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ الآية: ١٤٦، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٤) وهذه أيضًا قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه، وقراءة يعقوب واليزيدي والحسن، ينظر: السبعة ص ٤٣٨، حجة القراءات ص ٤٧٩، الكشف عن وجوه القراءات٢/ ١٢١، التيسير ص ١٥٧، الإتحاف ٢/ ٢٧٧.

(٥) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٠٢، ويرى الفراء أن قوله: ﴿وَبِئْرٍ﴾ معطوف على ﴿عُرُوشِهَا﴾، معاني القرآن ٢/ ٢٢٨، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٠٠، البيان للأنباري ٢/ ١٧٨.

بئرٍ معطَّلةٍ وقصرٍ مَشِـيد تَرَكوا بعد إهلاكهـم، والمُعَطَّلةُ: المتروكةُ من العمل والاستسـقاء، ومعنى التعطيل: التركُ من العمل، والمَشِيدُ: المُطَوَّلُ المرفوع، مأخوذٌ من قولهم: شادَ بناءَهُ: إذا رَفَعه[١]، وقد ذكرنا ذلك في سورة النِّساء في قوله تعالى: ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٢].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يريد: في أرضِ اليمن والشام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ مـا يرَوْن من العِبَـر ممّا نزل بمن كذَّب قبلَهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارَ الأُمم المكذِّبة، قال ابنُ قُتيبة[٣]: وهل شَيْءٌ أَبْلَغُ في العِظَةِ والعِبْرةِ من هذه الآية؟ ونَصْبُ ﴿فَتَكُونَ﴾ على جواب الجحد بالفاء.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ قـال الفَـرّاء[٤] والزَّجّـاج[٥]: هذا مـن التوكيد الذي تزيـده العربُ في الكـلام، كقوله تعالـى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٦]، وقوله تعالـى: ﴿وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾[٨]/ .

قولـه تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ﴾ أي: عَمِلـوا في إبطال آياتنا مغالِبينَ مُشـاقِّينَ، وقيل: مسـابِقين، وقيل: معانِدين، وقيل: ظانِّينَ أنْ لا

(١) ينظـر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٤، غريب القرآن للسجسـتاني ص ١٠٩، الوسـيط ٣/ ٢٧٤.

(٢) النساء ٧٨، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب أيضًا.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٠.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٢٨.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٢.

(٦) البقرة ١٩٦.

(٧) الأنعام ٣٨.

(٨) آل عمران ١٦٧.

نقـدرَ عليهم[١]، وقرأ هاهنا وفي سـبأٍ مكيٌّ وأبو عَمْـرو[٢]: ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ أي: مُثَبِّطِينَ عن الإيمان، وقيل: مُبَطِّئِينَ، وقيل: فائتين، وهو منصوبٌ على الحال، ثم أَخْبر عن هؤلاءِ أنهم أصحابُ النار بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١﴾.

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾، المُرْسَـلُ: الذي يُنزَلُ عليه كتابٌ، وغيرُ المرسَل: الذي يُبعَثُ بغيرِ كتاب.

الفَرْقُ بينَ النبيِّ المرسَـل وغيرِ المرسَـل: أن المرسَـل هو: الذي يأتيه جِبريلُ عليه السّلام بالوحي عِيانًا وشِفاهًا، وغيرُ المرسَل هو: الذي تكون نبوّتُه إلهامًا أو منامًا، فكلُّ رسولٍ نبيّ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولًا.

قولـه: ﴿نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾؛ أي: إذا تلا القرآنَ ﴿أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ۝٥٢﴾؛ أي: تلاوتـه، وذلـك أنّ رسـولَ الله ﷺ كان حريصًا على إيمان قومه، فجلـس يومًا في مجلسٍ لهم، وقرأ عليهم سُـورةَ النَّجـم، فلمّا أتَى على قوله: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[٣]، ألقى الشّيطانُ في أمنيّتِه حتى وَصَـل به: تِلكَ الغَرانيقَ[٤] العُلَى، وإنّ شـفاعتَهنَّ لَتُرْتَجَى، ففرح المشـركونَ

---

(١) ينظـر في هذه الأقوال: جامع البيـان ١٧/ ٢٤٣، ٢٤٤، معاني القـرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٨٢، ٨٣، معاني القراءات ٢/ ١٨٤، ١٨٥، عين المعاني ورقة ٨٧/ أ.

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن كثير واليزيدي وابن محيصن والجحدري وأبي السمال والزعفراني، ينظر: السـبعة ص ٤٣٩، حجة القراءات ص ٤٨٠، التيسـير ص ١٥٨، تفسـير القرطبي ١٢/ ٧٩، البحر المحيط ٦/ ٣٥١، الإتحاف ٢/ ٢٧٨.

(٣) النجم ١٩، ٢٠.

(٤) الغرانيـق: الأصنام، جمع غُرْنُوقٍ وغِرْنِيقٍ، وهي في الأصل: طائر أبيض أو أسـود من طير الماء طويل العنق، اللسان: غرنق.

بذلك، وقالوا: قد ذَكَرَ محمدٌ آلِهَتَنا بأحسنِ الذِّكْرِ، فأتاه جبريلُ فأَخْبره بما جرى من الغَلَط على لسانه، فاشتدَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآيةَ(١).

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾؛ أي: مِحنةً، واللام في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلِّقة بقوله: ﴿أَلْقَى الشَّيْطانُ﴾؛ أي: لِيجعلَ اللهُ(٢) ﴿مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ أي: شكٌّ ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴿٥٣﴾﴾ وهم الذين لا تَلينُ قلوبُهم بتوحيد الله، ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ﴾: خفضٌ بالعطف على قوله: ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، و﴿قُلُوبِهِم﴾: رَفْعٌ؛ لأنها فاعلٌ، تقديرُه: للذين قَسَت قلوبهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: في شَكٍّ مِمّا أَلْقَى الشيطانُ على لسان رسول الله ﷺ ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾؛ أي: فَجْأةً، وهو نَصبٌ على الحال(٣)، ويجوزُ أن يكون نصبًا على المصدر.

وقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ يريد: يومَ بدر، وسُمِّيَ

---

(١) رواه الطبراني بسنده عن عثمان بن مظعون وابنِ عباس في المعجم الكبير ٩/ ٣٤، ١٢/ ٤٢، وينظر: شفاء الصدور ٧٠/ ب، ٧١/ أ، مجمع الزوائد ٧/ ١١٥ كتاب التفسير/ سورة النجم، أسباب النزول للسيوطي ص ٢٠٨، ٢٠٩. وهو حديث موضوع، لا يجوز في حق النبي ﷺ؛ لأنه معصوم، وقد تكلم العلماء في عدم جواز ذلك في حقه ﷺ، ينظر: الشفا للقاضي عياض ٢/ ١٢٤: ١٣٣، زاد المسير ٥/ ٤٤١: ٤٤٣، القرطبي ١٢/ ٨١: ٨٦، تذكرة الموضوعات ص ٨٢.

(٢) وقال ابن عطية: «اللام في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ متعلقة بقوله: «فَيَنْسَخُ»»، المحرر الوجيز ٤/ ١٢٩، وقال أبو حيان: «والظاهر أنها للتعليل»، البحر المحيط ٦/ ٣٥٣، وينظر: الدر المصون ٥/ ١٦٠.

(٣) قاله المبرد فيما حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٠٤.

عَقِيمًا لأنه لم يَكُنْ للكفار فيه بركةٌ ولا خَيْرٌ، فهو كالرِّيح العقيم التِي لا تأتي بِخَيْرٍ (١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني: المطرَ ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴿٦٣﴾﴾ يعني: بالنبات.

ورَفَع ﴿فَتُصْبِحُ﴾ لأنّ ظاهرَ الآية استفهامٌ ومعناه الخبر، مجازها: اعلَمْ يا محمد أنّ الله يُنزِلُ من السماء ماءً فتصبحُ الأرض مخضَرّةً(٢)، وإن شئت قلت: قد رأيتَ أنّ الله أنزل من السماء ماءً، كقول الشاعر:

١٩ ـ أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبْعَ القَواءَ فَيَنْطِقُ وهلْ تُخْبِرَنْكَ اليَوْمَ بَيْداءُ سَمْلَقُ؟ (٣)

---

(١) ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٨.

(٢) قال سيبويه: «وسألته [يعني الخليل] عن ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾، فقال: هذا واجب، وهو تنبيه كأنك قلت: «أتسمع أن الله أنزل من السماء ماءً فكان كذا وكذا؟ »، الكتاب ٣/ ٤٠، وينظر: المقتضب ٢/ ١٩، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٦، الإغفال ١/ ٣٧٨، المسائل المنثورة ص ١٤٧.

(٣) البيت من الطويل لجميل بثينة، ويُرْوَى: «**الربع الخلاء**»، ويُرْوَى «**الربع الخواء**»، ويُرْوَى «**الربع القديم**»، ويُرْوَى «**صملق**» بالصاد.

اللغة: القَواءُ: المُقْفِرُ الخالي، البيداء: المفازة لا شيء فيها، السملق والصملق بالسين والصاد: القاع الأملس لا شجر فيه، والشاهد فيه: رفع «ينطق» الواقع بعد الفاء على الاستئناف والقطع.

التخريج: ديوانه ص ١٤٥، الكتاب ٣/ ٣٧، معاني القرآن للفراء ١/ ٢٧، ٢/ ٢٢٩، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٦، شرح أبيات سيبويه ٢/ ١٨٧، الحلل ص ٢٦٣، ٣٥٠، ٣٦٤، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ٣٣٥، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٣١٠، شرح المفصل ٧/ ٣٦، ٣٧، عين المعاني ورقة ٨٧/ أ، رصف المباني ص ٣٧٨، ٣٨٥، اللسان: حدب، سملق، الجنى الداني ص ٧٦، مغني اللبيب ص ٢٢٢، شرح شواهد المغني ص ٤٧٤، همع الهوامع ٢/ ٣٠٨، ٣/ ١٦٣، خزانة الأدب ٨/ ٥٢٤، ٥٢٥.

معناه: قد سألته فنَطَق[١].

قولـه تعالـى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قـال ابـن عباس: يريدُ: قد علمتَ وأيقنتَ ذلك، وهذا استفهامٌ يُراد به التقريرُ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ يعنـي: ما يجري في السـماء والأرض كلُّ ذلك مكتوبٌ في اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني: عِلمَه بجميع ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ سهلٌ لا يتعذَّر عليه العلمُ به.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ يعني: القرآنَ الذي يُتلى عليهم فيكرهون سماعَه، ثم قال: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: يُصيِّرُهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾، وفي رَفْـع النار وجهان، أحدُهما: بالابتداء، والثاني: أن تكونَ خبرَ ابتداءٍ محـذوف تقديرُه: هو النار[٢]، ومن قرأ: ﴿ٱلنَّارِ﴾ بالخفض، فعلـى: البدل من قولـه: ﴿بِشَرٍّ﴾، ومن قرأَ بالنَّصـب[٣] نَصبَها بإضمار فعلٍ تقديره: وُعِدَ النارَ وعدها.

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المشـركين يَدْعُـونَ الأصنـام، وكانـت ثلاثَمائة وسـتينَ صنمًا حـول الكعبة ﴿لَن يَخْلُقُوا۟

---

(١) قالــه الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٢٩، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٥، مشـكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ١٠٠.

(٢) فـي الأصل: «هي النار»، وإذا جعل لفظ «النار»: مبتدأ فخبره جملة «وَعَدَها اللهُ»، وإذا كان خبر مبتدأ محذوف فجملة «وَعَدَها اللهُ» خبرٌ ثانٍ أو مسـتأنفة، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٤٣٨، إعراب القرآن ٣/ ١٠٥، الكشاف ٣/ ٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٥٩.

(٣) قرأ بالخفض ابنُ أبي إسـحاق وإبراهيمُ بنُ نوح عن قتيبة، وقرأ بالنصب ابنُ أبي عبلة وزيدُ ابنُ عَلِيٍّ وإبراهيمُ بنُ يوسـف عن الأعشى، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ١٠٥، تفسير القرطبي ١٢/ ٩٦، البحر المحيط ٦/ ٣٥٩.

ذُبَابًا﴾ مع صِغَره وقلّته ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم، وذلك أنّهم كانوا يَطْلُونَ أصنامَهم بالزَّعفران فتَجِفُّ، فتأتي الذُّباب فتختلسه.

وقيل: كانوا يجعَلون للأصنام طعامًا فيقعُ عليه الذُّباب، فيأكل منه فلا يقدِرون أن يستردُّوه من الذباب، فذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾، وفي الآية معنى الشَّرط والجزاء.

ثم قال تعالى: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ قيل: الطالب: الصَّنم، وقيل: المطلوب: الذُّباب، وقيل: الطالبُ: الكافرُ؛ لأنه طَلَب إلى هذا الصنم التقرُّبَ إليه، والمطلوب: الصَّنم؛ أي: ضَعُف العابدُ والمعبود.

ثم قال: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظَّموه حقَّ عظَمته حيث جعلوا هؤلاءِ الأصنامَ شُركاءَ له ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خَلْقِه ﴿عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ في مُلكِه.

وقوله ـ تعالى عزّ وجلّ ـ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ يريدُ: جميعَ أعمال الطاعة، وهو منصوبٌ على المصدر، وحقُّ الجهاد أن يكون بنيّةٍ صادقة خالصة لله، ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾؛ أي: اختاركم واصطفاكم لديه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾؛ أي: ضِيقٍ، قيل: أراد الرُّخصَ عند الضرورات كالقَصْرِ والتَّيمُّمِ وأكل المَيْتة والإفطار عندَ المرض والسفر، وهذا قولُ مُقاتلٍ[(١)]

---

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء أبو الحسن البلخي من أعلام المفسرين، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، وتوفِّي بالبصرة سنة (١٥٠هـ)، كان متروك الحديث، من كتبه: التفسير الكبير، نوادر التفسير، الناسخ والمنسوخ. [سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠١، الأعلام ٧/ ٢٨١].

والكلبيِّ، واختيارُ الزَّجّاجِ(١)، وقال ابنُ عباس(٢): الحَرَج: ما جُعِل على بني إسرائيلَ/ من الإصرِ والشدائد التي كانت عليهم، وَضَعَها الله عن هذه الأُمةِ [١٣/ ب] رحمةً منه وتفضيلًا عليهم ليزدادوا شكرًا.

قوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قيل: هو نصبٌ على الإغراءِ والأمر؛ أي: الْزَمُوا واتَّبِعُوا مِلّةَ أبيكم إبراهيم، وهذا قولُ الأخفش والمبرّد(٣) والزَّجّاج(٤).

وقال الفَرّاء(٥): هو نصبٌ بنَزْع حرفِ الصِّفة؛ أي: كمِلّةِ أبيكم، ومعناه حُرمةُ إبراهيمَ على المسلمين كحُرمة الوالد، كما قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾(٦)، وقال النبيُّ ﷺ: «أنا لكم مِثْلُ الوالد»(٧)، والخطابُ إن كان للعرب خاصةً فإبراهيمُ عليه السّلام أبو العرب قاطبةً، وإن كان الخطابُ عامًّا فهو أبو المسلمين كافةً؛ لأنّ حُرمتَه وحقَّه عليهم كحقِّ الوالد، وأُمِرنا باتّباع مِلّته؛ لأنها داخلةٌ في مِلّةِ محمد ﷺ.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أنّ اللهَ سمّاكم بهذا الاسم من قبلِ إنزال القرآن في الكتُب التي أُنزِلت قبلَه، وقيل: معنى قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٤٠.

(٢) ينظر قوله في معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٥.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٣٦، الوسيط ٣/ ٢٨٢.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٤٠.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٣١، وحرف الصفة مصطلح كوفي يراد به حرف الجر.

(٦) الأحزاب ٦.

(٧) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٢٥٠، والدارمي في سننه ١/ ١٧٢، ١٧٣ كتاب الصلاة والطهارة/ باب الاستنجاء بالأحجار، وابن ماجه في سننه ١/ ١١٤ كتاب الطهارة/ باب الاستنجاء بالحجارة.

يريد: في أُمِّ الكتاب، وقال الحَسَن[١]: معناه: إبراهيمُ سماكم المسلمينَ بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[٢]، فإبراهيمُ سأل اللهَ هذا الاسم. ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ بالتبليغ ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أنّ الرُّسُلَ بَلَّغَتْهُم، نظيرُها قولُه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ الآيةَ[٣].

قوله: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: سَلُوا رَبَّكُم أن يعصِمَكم من كلِّ ما يَسْخَطُ ويَكْرَهُ، وقيل: تمسَّكوا بدِين الله، وقيل: اتقوا الله، ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصرُكم والذي يتولَّى أمورَكم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾؛ أي: نعم المولى لكم ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ هو لكم يَنصُرُكم على أعدائكم، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) ينظر قوله في عين المعاني ورقة ٨٧/ ب، وحكاه القرطبي عن ابن زيد في تفسيره ١٢/ ١٠١.
(٢) البقرة ١٢٨.
(٣) البقرة ١٤٣.

سورةُ المؤمنين
مكِّيّةٌ

وهي أربعةُ آلافٍ وثمانِمائة حـرفٍ وحرفان، وألفٌ وثمانِمائة وأربعونَ كلمةً، ومائةٌ وثمانِي عَشْرةَ آيةً.

بابُ ما جاء في فَضْل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ المُؤْمِنِينَ بَشَّـرَتْهُ المَلائِكةُ بالرَّوْحِ والرَّيْحان، وما تَقَرُّ به عَيْنُهُ عند نزول مَلَكِ الموتِ بِهِ»(١).

وعـن عُمَرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ مِنْ أَوَّلِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عَشْرَ آياتٍ، بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ في الجَنّةِ»(٢)، ورُوِيَ عنه عليه السّلام أنه قال: «مَنْ قَرَأَها كُتِبَ مؤمنًا مَهْدِيًّا صادقًا عابدًا من: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾»(٣).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٣٧، الوسيط ٣/ ٢٨٣، الكشاف ٣/ ٤٥، مجمع البيان ٧/ ١٧٥.

(٢) رواه الهندي في كنز العمال ٢/ ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) لم أعثر له على تخريج.

بابُ ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولُه عليه السّلام: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١﴾، «قَدْ» حَرْفُ تأكيدٍ[1]، وقال المحقِّقون[2]: معنى/ «قَدْ»: تقريبُ الماضي من الحال، فدَلَّ على أن فلاحَهم [١٤/ أ] قـد حصل وهم عليه في الحال، وهذا أبلغُ في الصفـة من تجريد ذِكْرِ الفِعْلِ، والمعنى: قد سَـعِدَ المُصَدِّقُونَ وَبَقُوا في الجنة، والفلاح: البقاءُ والنجاح، قال عَبِيدٌ[3]:

٢٠ـ أَفْلِحْ بِما شِئْتَ، فقَدْ يُرْزَقُ ذُو الْـ ـحُمْـقِ، وقـدْ يُحْـرَمُ الأَرِيـبُ[4]

---

(١) قال سـيبويه: «وأما «قَدْ» فجوابٌ لقوله: لَمّا يَفْعَلْ، فتقـول: قَدْ فَعَلَ، وزعم الخليل أن هذا الكـلام لقـوم ينتظرون الخبر». الكتاب ٤/ ٢٢٣، فمعنى كلام سـيبويه أنهـا تفيد التأكيد، وينظر أيضًا: حروف المعاني ص ١٣.

(٢) قال الزجاجي: «قَدْ: معناه التأكيد، وقيل: التقريب إذا دخل على الماضي». حروف المعاني ص ١٣، وهو قول الفراء كما ذكر الواحدي في الوسيط ٣/ ٢٨٤، ولم أقف عليه في معانِي القـرآن، وينظر: الكشـف والبيان ٧/ ٣٧، المفصل للزمخشـري ص ٣١٦، الجنى الدانِي ص ٢٥٤، مغني اللبيب ص ٢٢٨-٢٣٠.

(٣) فـي الأصل: «أبو عبيـد»، وهو خطأ، وهو عَبِيـدُ بن الأبرص بن عوف أبو زياد الأسـديُّ، شاعر من دهاة الجاهلية وحكمائها وأحد أصحاب المجمهرات، عاصر امرأ القيس وله معه معارضات ومناقضات، وعُمِّرَ طويلًا، وقتله النعمان بن المنذر في يوم بؤسه سنة (٦٠٠م). [الشعر والشعراء ٢٧٣-٢٧٥، الأعلام ٤/ ١٨٨].

(٤) البيت من مجزوء البسيط، ووزنه مضطرب على رواية الديوان، وهي:

أَفْلِـحْ بِما شِـئْتَ فَقَدْ يُـدْرَكُ بِالْـ ـضَّعْـفِ، وَقَـدْ يُخْـدَعُ الأَرِيـبُ

اللغـة: أفلـحْ: فُزْ واظفرْ، ومعناه: عِشْ بما شئتَ من عقل وحمق، فقد يُرْزَقُ الأحمق ويُحْرَمُ العاقلُ.

=

فصل

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: قال رســولُ الله ﷺ: «لَمّا خَلَقَ اللهُ جنةَّ عَدْنٍ، وخَلَق فيها ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَـمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَـرٍ، قال لها: تكَلَّمِي، فقالتْ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ ثلاثًا، ثم قالتْ: أنا حَرامٌ على كُلِّ بَخِيلٍ ومُراءٍ»(١).

وعــن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ جَنّةَ عَـدْنٍ بيده، فخلقها من دُرّةٍ من لَبِنةٍ بَيْضاءَ وياقُوتـةٍ حَمْراءَ وزَبَرْجَدةٍ خَضْراءَ، مِلاَطُها المِسْكُ الأَذْفَرُ، وحَشِيشُها الزَّعْفرانُ، وحَصْباؤُها اللُّؤْلُؤُ، وتُرابُها العَنْبَرُ، فقال لها: انْطِقِي، فقالت: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾، فقال: وَعِزَّتي لا يُجاوِرُني فِيكِ بَخِيـلٌ»، ثم تلا: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(٢).

وعن عُمر - رضي الله عنه - قال: كان إذا نَزَلَ الوحيُ على رسول الله ﷺ يُسْـمَعُ له عند وَجْهِهِ كَدَوِّيِّ النَّحْلِ، فمكث سـاعةً فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ورفع يديه، فقال: «اللَّهُــمَّ زِدْنا وَلاَ تَنْقُصْنا، وَأَكْرِمْنا وَلاَ تُهِنّـا، وَأَعْطِنا وَلا تَحْرِمْنا، وَآثِرْنا ولا تُؤْثِرْ عَلَيْنا، وارْضَ عَنّا»، ثم قال: «لقد أُنْزِلَتْ عَليَّ عَشْرُ آياتٍ، مَنْ أَقامَهُنَّ

= **التخريج:** ديوانه ص ١٤، مجاز القرآن ١/ ٣٠، الشـعر والشـعراء ص ٢٦٩، معاني القرآن وإعرابـه ١/ ٧٦، الزاهـر لابن الأنباري ١/ ٣٨، إعراب ثلاثين سـورة ص ١٠٠، تهذيب اللغة ٥/ ٧٢، المخصص ١٣/ ١٥٢، منتهى الطلب ٢/ ٢٠٠، اللسان: فلح.

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٢٢٤، والمعجم الكبير ١١/ ١٤٨، وينظر: الكشف والبيـان ٧/ ٣٨، عين المعاني ورقة ٨٧/ ب، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٧ كتاب أهل الجنة، باب في بناء الجنة.

(٢) الحشر ٩، التغابن ١٦، والحديث ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٤٨، وينظر: الدر المنثور ٦/ ١٩٦، فيض القدير للمناوي ٣/ ٤٦١.

دَخَلَ الجَنّةَ»، ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى عَشْرِ آياتٍ[١].

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ محَلُّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: رفعٌ على النَّعت للمؤمنين، وإن شئتَ قلت: هو رفعٌ على الابتداء، وإن شئت قلت: محَلُّه نصبٌ على المدح، وما بعدَه ظاهرُ التفسير.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ قال اللَّيث[٢]: الفَرْجُ: اسمٌ يَجْمَعُ سَوْآتِ الرجال والنساء، فالقُبُلانِ وما حَوالَيْهِما كُلُّهُ فَرْجٌ[٣]. والمراد بالفَرْجِ هاهنا: فُرُوجُ الرجال خاصةً، قال الكلبيُّ: يعني: يَعَفُّونَ عما لا يَحِلُّ لهم.

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ «عَلَى» هاهنا: بمعنى «مِنْ» في قول الفَرّاء[٤]؛ أي: إلّا من أزواجهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ و«ما»: في مَحَلِّ الخفض، يعني: أو مِنْ ما مَلَكت أَيْمانهم ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦﴾ على إتيانِ نسائهم وإمائهم.

وقوله: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فمن طلب سوى ذلك ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٤، والترمذيُّ في سننه ٥/ ٨ أبواب التفسير/ سورة المؤمنين، والحاكمُ في المستدرك ١/ ٥٣٥ كتاب الدعاء/ باب رفع اليدين عند الدعاء، ٢/ ٣٩٢ كتاب التفسير/ سورة المؤمنون.

(٢) الليث بن المظفر بن نصر بن يسار الخراساني اللغوي، صاحِبُ الخليل، كان فقيهًا زاهدًا، اجتهد المأمون أن يوليه القضاء فَأَبَى، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة في ذِكْرِ أَقْوام تَسَمَّعُوا بمعرفة اللغة وأَلَّفُوا كُتُبًا أو ادَّعَوْها، وقال: إنه نحل الخليلَ تأليف كتاب العين. [فهرست ابن النديم ص ٤٨، ٤٩، لسان الميزان ٤/ ٤٩٤].

(٣) قول الليث في تهذيب اللغة ١١/ ٤٤، الوسيط للواحدي ٣/ ٢٨٤، اللسان: فرج.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٣١.

﴿هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧﴾؛ أي: العاصُونَ الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحلُّ لهم، ومحل «مَنْ»: رفعٌ بالابتداء، وكذلك: «أُوْلَئِكَ»: رفعٌ بالابتداء، و«هُم»: ابتداءٌ ثانٍ[١]، و«العادُونَ»: خبرُ ابتداءِ الثاني، وهذه الجملة خبرُ ابتداءِ الأول.

قولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾؛ أي: حافظون، وقرأ ابن كثيـر[٢]: ﴿لِأَمَٰنَتِهِمۡ﴾ علـى التوحيد، وذلـك أنه: مصدرٌ واسـمُ جِنْسٍ فيقـعُ علـى الكثيـر وإن كان مفـردًا فـي اللفـظ[٣]. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾ وقرئ: ﴿عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ﴾[٤]، فمن أَفْرَدَ فَلأَنَّ الصلاةَ في الأصل عَمَلٌ مخصوص، ومَنْ جَمَعَ فلأنه قد صار اسـمًا شـرعيًّا لانضمام ما لم يكن فـي أصل اللغة إليهـا[٥]، ومعنى الآية: والذين هم يحافظـون على الصلوات المكتوبة، ويقيمونَها في أوقاتها.

قوله تعالـى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ يعني: الموصوفينَ الذين تَقدَّم ذِكرُهـم يَرِثُونَ منازلَ أهل النار من الجنـة، ثم ذكر ما يَرِثون فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ مقيمون.

---

(١) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأٌ أول، و﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له على مذهب البصريين، وأما على مذهـب الكوفييـن، وهو ما اختـاره الجِبْلِيُّ هنا، فهو مبتدأ ثانٍ، و﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿هُمُ﴾: خَبَر المبتدأ الأول ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو في رواية عنه وابن محيصن، ينظر: السـبعة ص ٤٤٤، الكشـف ٢/ ١٢٥، حجة القراءات ص ٤٨٣، الإتحاف ٢/ ٢٨١.

(٣) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ١٧٧.

(٤) هـذه قراءة حمزة والكسـائي وخلف والأعمش، ينظر: السـبعة ص ٤٤٤، حجة القراءات ص ٤٨٣، الإتحاف ٢/ ٢٨٢.

(٥) من أول قوله: «فَلأَنَّ الصلاة في الأصل» إلى هنا قاله الفارسي في الحجة ٣/ ١٧٧.

فصل

[١٤/ ب] عن أبي هريرة/ قال: قال رسول الله ﷺ «ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وله / مَنْزِلاَنِ: مَنْزِلٌ في الجنة ومَنْزِلٌ في النار، فإن مات ودَخَلَ النّارَ وَرِثَ أَهْلُ الجنةِ مَنْزِلَهُ، وذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾»(١).

وَرُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَلَقَ اللهُ ثلاثةَ أَشْياءَ بيده: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وكَتَبَ التَّوْراةَ بِيَدِهِ، وغَرَسَ الفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ، ثُمَّ قالَ: وَعِزَّتِي، لاَ يَدْخُلُها مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلاَ دَيُّوثٌ»، قالوا: يا رسول الله: قد عرفنا مُدْمِنَ الخَمْرِ، فما الدَّيُّوثُ؟ قال: «الذي يُقِرُّ السُّوءَ لأَهْلِهِ»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ يعني: آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ من الأرض، قيل(٣): إنه سُلَّ من كلِّ تُرْبةٍ، وقيل(٤): أراد بالإنسان: ابن آدم، وهو اسمُ الجنس يقَعُ على الجميع، وقوله: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ أراد: من صَفْوةِ ماءِ آدَمَ الذي هو من الطين ومَنِيِّهِ، والعربُ تُسَمِّي نُطْفَةَ الرجلِ وَوَلَدَهُ سُلاَلَةً

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٤٥٣ كتاب الزهد: باب صفة أهل الجنة، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٤٠، الوسيط ٣/ ٢٨٥.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٠٣، وقال: «هذا مرسل، وفيه ـ إن ثبت ـ دلالة على أن الكَتْبَ هاهنا بمعنى الخلق، وإنما أراد: خلق رسوم التوراة، وهي حروفها»، وينظر: جامع البيان ١٨/ ٣، الوسيط ٣/ ٢٨٥.

(٣) حكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب: «سلل» ١٢/ ٢٩٢، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٦، معانِي القرآن للنحاس ٤/ ٤٤٦.

(٤) حكاه النحاس عن مجاهد في معانِي القرآن ٤/ ٤٤٧، وبه قال الأزهري في التهذيب ١٢/ ٢٩٢.

وَسَلِيلةً؛ لأنهما مسلولان منه[١]، قال الشاعر:

٢١ـفجاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأَدِيمِ غَضَنْفَرًا ... سُلالةَ فَرْجٍ كانَ غَيْرَ حَصِينِ[٢]

وقال آخر:

٢٢ـ وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرةً عربيّةً ... سَلِيلةَ أَفْراسٍ تَجَلَّلَها نَغْلُ[٣]

والسُّلالة: كلُّ لطيفٍ يُستخرَجُ من غليظٍ، كالخمرِ من العنب.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني: الإنسان ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣)﴾ يعني: الرَّحِم مَكَّن فيه الماءَ بأن هيَّأ الاستقرارَ فيه إلى بلوغ أمدِه الذي جُعل له، ﴿ثُمَّ

(١) من أول قوله: «أراد: من صفوة ماء آدم... » إلى هنا قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٤٢.

(٢) البيت من الطويل لحسان بن ثابت، وهو بيت مفرد في ملحقات ديوانه.

اللغة: العَضْبُ: القَطْعُ، والأَعْضَبُ من الرجال: الذي ليس له أَحَدٌ، وقيل: الذي مات أخوه، والمَعْضُوبُ: الضعيف، الأديم: القرابة والوسيلة إلى الشيء، الغَضَنْفَرُ: غليظ الخَلْقِ.

التخريج: ديوان حسان ص ٣٩٦، مجاز القرآن ٢/ ٥٦، ١٣١، الكشف والبيان ٧/ ٤٢، عين المعاني ورقة ٨٧/ ب، ١٠٢/ أ، تفسير القرطبي ١٢/ ١٠٩، البحر المحيط ٦/ ٣٦٤، اللسان: سلل.

(٣) البيت من الطويل، لهند بنت النعمان بن بشير تهجو رَوْحَ بنَ زِنْباع من رجال الدولة الأموية، ونسب لأختها حُمَيْدةَ بنت النعمان بن بشير، ويروى: «**وَهَلْ أَنا إِلّا مُهْرةٌ**»، ويُرْوَى: «**بَغْلُ**» بالباء.

اللغة: السليلة: بنت الرجل من صلبه، تجلل الفحل الناقة: علاها، النغل: الخسيس من الناس والدواب، وأصله «نَغِل» بكسر الغين ثم خفف بتسكينها.

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٥٥، المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٣٦، أدب الكاتب ص ٣٥، تهذيب اللغة ٦/ ٦٠، الكشف والبيان ٧/ ٤٢، الاقتضاب ٢/ ٢٨، ١٩٤، ٣/ ٤٩، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١١١، شرح شواهد الإيضاح ص ٣٩٨، عين المعاني ٨٧/ ب، محاضرات الأدباء ٢/ ٢١٠، التذكرة الحمدونية ٥/ ١٦٩، القرطبي ١٢/ ١٠٩، اللسان: سلل، هجن، التاج: كفأ، سلل.

خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ قَرأَ ابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ كلاهما: ﴿عَظْمًا﴾ على الواحد، وقرأها الباقونَ على الجَمْـع[١]، قال الزَّجّاج[٢]: التوحيـدُ والجَمعُ جائزان، والواحد يدُلُّ على الجمع، كما قال الشاعر:

٢٣ ـ فـي حَلْـقِكُمْ عَظْـمٌ وقد شَـجِينا[٣]

يريد: في حُلوقِكم عظامٌ، والشَّجا: عَظْمٌ يعترض في الحلق.

وقولـه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: خلقناه خلقًا آخر، يعني: لَمّا نَفَخَ فيه الرُّوحَ صار خلقًا آخَر، وهو منصوبٌ على المصدر[٤]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ المُصَوِّرِينَ والمُقَدِّرِينَ، والخَلْق في اللغة: التقدير، يقال: خَلَقْتُ الأَدِيمَ: إذا قِسْتَهُ لِتَقْطَعَ منه شيئًا[٥].

---

(١) قرأ «عَظْمًا» بالإفراد ابنُ عامر وأبو بكر عن عاصم وقتادةُ وأبان والمفضل والحسن والأعمش ومجاهد وابن محيصن، وقرأ الباقون وحفصٌ عن عاصم ﴿عِظَٰمًا﴾ بالجمع، ينظر: السبعة ص ٤٤٤، الكشف ٢/ ١٢٦، النشر ٢/ ٣٢٨، البحر ٦/ ٣٦٨، الإتحاف ٢/ ٢٨٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٨، ٩.

(٣) الرجز للمُسَيَّبِ بنِ زَيْدِ مَناةَ الغَنَوِيِّ، ونسب لطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ، وليس في ديوانه.
التخريج: الكتاب ١/ ٢٠٩، مجاز القرآن ١/ ٧٩، ٢/ ٤٤، ١٩٥، معاني القرآن للأخفش ص ٢٣٠، المقتضـب ٢/ ١٧٠، معانـي القرآن وإعرابه ١/ ٨٣، ٢/ ٧٤، ٤/ ٩، ٥/ ٩٣، جمهرة اللغة ص ١٠٤١، شـرح أبيات سـيبويه ١/ ١٤٥، المحتسـب ١/ ٢٤٦، ٢/ ٨٧، البيان للأنباري ١/ ٥٢، ٢/ ٤٤٧، زاد المسير ٢/ ١٢٨، ٥/ ٤٠٨، ٨/ ١٠٣، عين المعاني ورقة ٨٧/ ب، تفسير القرطبي ١/ ١٩٠، اللسان: أمم سمع، شجا، عظم، مأى، نهر.

(٤) هـو مفعول مطلق مـن معنى العامل، قال النحـاس: «لأن معنى أَنْشَـأْناهُ: خلقناه». إعراب القرآن ٣/ ١١٢.

(٥) قاله الأزهري في التهذيب ٧/ ٢٦، وينظر: اللسان: خلق.

فصلٌ

رَوَى محمدُ بن كعب القُرَظِيُّ[1]، أنه قال: قرأتُ في التوراة - أو قال: في صُحفِ إبراهيمَ الخليلِ - فوجدتُ فيها: يقولُ الله تعالى: «يا ابن آدم: ما أَنْصَفْتَنِي، خَلَقْتُكَ ولم تَكُ شيئًا، خَلَقْتُكَ بَشَرًا سَوِيًّا، خلقتُك من سُلالةٍ من طين، فجعلتُكَ نُطفةً في قرارٍ مَكِين، ثم خلقتُ النُّطفةَ عَلَقةً، فخَلقتُ العَلَقةَ مُضغةً، فخَلَقتُ المُضغةَ عظامًا، فكَسَوْتُ العظامَ لحمًا، ثم أنشأتُكَ خلقًا آخرَ، يا ابنَ آدم: هل يَقدِرُ على ذلك غيري؟ ثم خَفَّفْتُ ثِقْلَكَ على أُمِّكَ حتى لا تَتبَرَّمَ بكَ ولا تتأذَّى، ثم أوحَيْتُ إلى الأمعاءِ أنِ اتَّسِعِي، وإلى الجوارح أن تَفَرَّقِي، فاتَّسَعَت الأمعاءُ من بعدِ ضيقها، وتفرَّقت الجوارحُ من بعد تَشْبِيكِها، ثم أوحيتُ إلى المَلَكِ المُوَكَّلِ بالأرحام أن يُخرِجَكَ من بطن أُمِّكَ، فاسْتَخْلَصْتُكَ على ريشةٍ من جناحِه، فاطَّلَعْتُ عليكَ فإذا أنتَ خَلْقٌ ضعيف، ليس لك سِنٌّ تَقْطَعُ، ولا ضِرْسٌ يَطحَن، فاستخلصَتُ لك في صدر أُمِّك عِرْقًا يُدِرُّ لَبَنًا باردًا في الصَّيف حارًّا في الشّتاء، واستَخلصتُه لك من بين لحم وجلدٍ ودم وعروق، ثم قذفتُ لك في قلبِ والدتكَ الرحمةَ وفي قلبِ أبيك التَّحَنُّنَ، فهما يَكِدّانِ ويَجْهَدانِ ويُرَبِّيانِكَ ويُغَذِّيانِكَ، ولا يَنامانِ حَتَّى يُنَوِّماكَ[2]، ابنَ آدمَ! أنا فعلتُ ذلك بك، لا لشيءٍ استأهلتَهُ به منِّي، أو لحاجةٍ استعَنْتُ بكَ على قضائها، ابنَ آدم: فلمّا قَطَعَ سِنُّكَ، وطَحَنَ ضِرْسُكَ أطعمتُكَ فاكهةَ الصيف في أوانها

(١) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدنِي من حلفاء الأوس، تابعي صالح، كان أبوه من سبي قريظة، سكن الكوفة ثم المدينة، روى عن عَلِيٍّ والعباس وغيرهما، كان ثقة عالمًا كثير الحديث ورعًا، توفِّي بالمدينة سنة (١١٨هـ). [تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٣، ٣٧٤، سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٥-٦٨].

(٢) في الأصل: «ينومانك».

وفاكهةَ الشتاء في أوانها، فلمّا عرفتَ أني ربُّك عصيتَني، فالآنَ إذْ عصيتَنِي فادْعُنِي، فإنّي قريبٌ مجيب، وادعُني فإنّي غفور رحيم»(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ يعني: بعدَ ما ذَكر من تمام الخلق ﴿لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ عندَ آجالِكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ للجزاء والحساب، والثواب والعقاب.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ يعني: سبعَ سماوات، غِلَظُ كلِّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائة عام، بينَ كلِّ سماءَيْن(٢) مسيرةُ خمسمائة عام. وسمِّيت [١٥/ أ] طرائقَ لتَطارُقِ بعضها فوق بعض(٣)،/ وواحدُ الطرائق: طريقة. ﴿وَمَا كُنَّا﴾ مع هذه المسافة ﴿عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ بل نسمع أقوالهم، ونرى أفعالهم.

قوله تعالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يعلَمُه الله، وقيل: بِقَدْرِ ما يكفيهم للمعيشة، ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

فصلٌ في معنى الآية

عن ابن عَبّاس: عن النبيِّ ﷺ قال: «إنّ الله تبارك وتعالى أنزَلَ من الجنة خمسةَ أنهار: سَيْحُونَ، وهو نهرُ الهند، وجَيْحُونَ، وهو نهرُ بَلْخٍ، ودجلةَ والفراتَ، وهما نهرا العراقِ، والنِّيلَ، وهو نهرُ مِصرَ، أنزَلَها الله من عَيْنٍ واحدة من عيونِ الجنة، من أسفلِ درجةٍ من درجاتها، على جناحَيْ جِبريل، استَودَعَها الجبالَ، وأجراها في الأرض، فجَعَل فيها منافعَ للناس في أصناف معايشهم،

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣١٦.

(٢) في الأصل: «بين كل سماء».

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٢٩٦، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٠٩.

فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فإذا كان عندَ خروج يأجوجَ ومأجوجَ أرسَل الله جِبريل، فرَفَعَ من الأرض القرآنَ، والعِلْمَ كُلَّهُ، والحَجَرَ الأسودَ من ركن البيت، ومَقامَ إبراهيمَ، وتابوتَ موسى بما فيه، وهذه الأنهارَ الخمسةَ، فيرفع كلَّ ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾، فإذا رُفِعَتْ هذه الأشياء فَقَدَ أهلُها خيرَ الدِّين والدنيا»[1].

ثم ذكر الله تعالى ما أنبت بما أنزل من السماء، فقال: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾ يعني: وأنشأنا لكم أيضًا شجرةً، وهي الزيتون، ويقال[2]: إن الزيتونَ أولُ شجرةٍ نبتت في الدنيا بعد الطُّوفان.

و«سَيْناءُ» كان حقُّه أن ينصرفَ كما ينصرفُ عِلْباءٌ وحِرْباءٌ، لكنه اسمٌ لبقعةٍ أو لأرض، وهو معرفةٌ فلم ينصرفْ للمعرفة والتأنيث[3]، وقال

---

(١) رواه ابن حبان في كتاب المجروحين ٣/ ٣٤، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ٦/ ٣١٥ وقال: «إنه منكر المتن»، وينظر: القرطبي ١٢/ ١١٣، الدر المنثور ٥/ ٨، كشف الخفاء ١/ ٤٦٥، ٤٦٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٤٤.

(٣) قوله: «كانَ حَقُّهُ أَنْ يَنْصَرِفَ» إنما يكون صحيحًا لو قال: «سِيناءُ» بكسر السين؛ لأن «سَيْناءَ» بفتح السين ممنوعٌ من الصرف مطلقًا معرفةً كان أو نكرة؛ لأنه على وزن «فَعْلاَء»، فهو كحَمْراءَ، مُنِعَ من الصرف لأَلِفِ التأنيث الممدودة، ولكن تمثيل المؤلف بعِلْباءٍ وحِرْباءٍ يدل على أنه يريد «سِيناءَ» بكسر السين، ووزنه «فِعْلاَلٌ»، ويكون اسمًا ملحقًا بسِرْداحٍ كعِلْباءٍ وحِرْباءٍ، ولكنه في هذه الحالة مُنِعَ الصَّرْفَ أيضًا للعلمية والتأنيث أو للعلمية والعجمة، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠، إعراب القرآن ٣/ ١١٢، ١١٣، الحجة للفارسي ٣/ ١٧٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٠٤، ١٠٥، الكشاف ٣/ ٢٩، البيان للأنباري ٢/ ١٨٢، التبيان للعكبري ص ٩٥٢.

الأخفش[١]: هو اسمٌ أعجميٌّ معرفة، فهو كامرأةٍ سمَّيتَها بجَعْفَرَ، ومِثْلُه «طُورُ سِينِينَ».

و«سَيْناءُ» يُقْرَأُ بفتح السِّين وكسرها، قَرَأَ نافعٌ وابنُ كثير وأبو عَمْرو بالكسر[٢]، وقَرَأَ الباقونَ بالفتح.

وقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ۝٢٠﴾ يعني: الزيت، قَرَأَ أكثرُهم بفَتْح التاء الأولى وضمِّ الباء، وقَرَأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمْرو ورُوَيْسٌ[٣] بضمِّ التاء وكسر الباء[٤]، ولها وجهان، أحدُهما: أن الباء في ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ زائدة، كما يقال: أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ، وأَخَذْتُ ثَوْبَهُ[٥]، وكقول الراجز:

٢٤ ـ نَحْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبابُ الفَلَجْ
نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالفَرَجْ[٦]

---

(١) ينظر قول الأخفش في إعراب القرآن ٣/ ١١٣، الحجة للفارسي ٣/ ١٧٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٠٥.

(٢) وكسر السين قراءة أبي جعفر وابن محيصن والحسن واليزيدي أيضًا، ينظر: السبعة ص ٤٤٤، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٢٦، تفسير القرطبي ١٢/ ١١٥، البحر المحيط ٦/ ٣٧١، الإتحاف ٢/ ٢٨٢.

(٣) في الأصل: «وورش».

(٤) وقد قرأ بضم التاء وكسر الباء أيضًا ابنُ محيصن واليزيديُّ وسلامٌ وسهل والجحدري، ينظر: السبعة ص ٤٤٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٢٧، تفسير القرطبي ١٢/ ١١٥، البحر المحيط ٦/ ٣٧١، الإتحاف ٢/ ٢٨٢.

(٥) ممن قال بزيادة الباء: أبو عبيدة والأخفش وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٥٦، معاني القرآن للأخفش ص ١٦٢، ٤٠٢، ٤١٤، ٤٧٨، تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٨، وينظر أيضًا: الحجة للفارسي ٣/ ١٨٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٨٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٠٥.

(٦) البيتان من الرجز المشطور للنابغة الجعدي، ويروى الثاني: «نَضْرِبُ بالبِيضِ».

أي: ونرجو الفَرَج، والوجهُ الآخَر: أنَّهُما بِمعْنًى واحدٍ، يقال: نَبَتَ وأَنْبَتَ[1]، قال زُهَيْرٌ[2]:

٢٥ ـ رأَيْتُ ذَوِي الحاجاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا لهُمْ حتَّى إِذا أَنْبَتَ البَقْلُ[3]

اللغة: بنو جَعْدَةَ: حي من قيس، وهو جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، الفَلَجُ: النهر الصغير أو الماء الجاري من العين.

والشاهد فيه قوله: «ونرجو بالفرج»، حيث جاءت الباء زائدة في المفعول، والمراد: ونرجو الفَرَجَ.

التخريج: ديوانه ص ٤٨، مجاز القرآن ٢/ ٥، ٥٦، ٢٦٤، أدب الكاتب ص ٤١٨، تأويل مشكل القرآن ص ٢٤٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٨، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٤، الكشف والبيان ٧/ ٤٤، المخصص ١٤/ ٧٠، الإنصاف ص ٢٨٤، عين المعاني ورقة ٨٨/ أ، غريب القرآن للسجستاني ص ١٦٠، شرح الكافية للرضي ٤/ ٢٨٨، رصف المباني ص ١٤٣، اللسان: حرف الباء، الجنى الداني ص ٥٢، ارتشاف الضرب ص ١٧٠٤، ٢٣٩٤، مغني اللبيب ص ١٤٧، شرح شواهد المغني ص ٣٣٢، خزانة الأدب ٩/ ٥٢٠، ٥٢١.

(١) يعني أن «نبت» و«أنبت» لغتان بمعنى واحد، وعليه فالباء للتعدية، قال بهذا الرأي الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٣٢، ٢٣٣، والزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ١٠، وكان الأصمعي ينكر «أنبت»، ويزعم أن قصيدة زهير التي منها البيت متهمة، ينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٣٠٣، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٠.

(٢) زهير بن أبي سُلْمَى رَبِيعةَ بن رباح المزني المضري حكيم الشعراء في الجاهلية، ويفضله بعضهم على شعراء العرب كافة، كان أبوه وخاله وأخته وابناه شعراء، مات سنة (٦٠٩م). [الشعر والشعراء ص ١٤٣-١٥٩، الأعلام ٣/ ٥٢].

(٣) البيت من الطويل من قصيدة لزهير يمدح بها هَرِمَ بنَ سِنانٍ والحارثَ بنَ عوفٍ المُرِّيَّ، ورواية الديوان:

قَطِينًا بها حتى إذا نَبَتَ البقلُ

وعليها فلا شاهد في البيت، وعلى الرواية التي معنا **فالشاهد** فيه مجيء «أَنْبَتَ» بمعنى «نَبَتَ».

اللغة: القَطِينُ: أهل الدار، يكون للواحد والجمع، والمعنى: أن ذوي الحاجات يقيمون بين هؤلاء الناس زمن الجدب حتى ينبت البقل. =

وقيل[١]: المعنى: تُنْبِتُ ومعَها الدُّهنُ، كما يقال: جاء فلانٌ بالسيف؛ أي: ومعَه السيف، وقيل[٢]: الباءُ متعلِّقةٌ بالمصدر الذي دلَّ عليه الفعل؛ أي: نَباتَها بِالدُّهْنِ. قاله صاحبُ الضِّياء[٣].

فصلٌ

عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: كان يُسْرَجُ في بيت المقدس كُلَّ ليلةٍ ألفُ قنديل، وكان يَخرُج من طُور سَيْناءَ زيتٌ مثلُ عنُق البعير صافٍ يجري حتى يُصبَّ في القناديل من غير أن تمسَّه الأيدي، وكانت تنحدر نارٌ من السماء بيضاءُ حتى تُسْرِجَ القَنادِيلَ، وكان القُربان والسُّرُجُ بين ابنَيْ هارونَ: شَبَّرَ وشُبَيْرٍ[٤]؛ لأن

= التخريج: شرح ديوان زهير ص ١١١، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠، جمهرة اللغة ص ٢٥٧، ١٢٦٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ٨٧، المحتسب ٢/ ٨٩، الكشف والبيان ٧/ ٤٤، زاد المسير ٥/ ٤٦٧، شَمس العلوم ١٠/ ٦٤٧٢، عين المعاني ورقة ٨٨/ أ، تفسير القرطبي ١٠/ ٨٣، ١٢/ ١١٥، ١١٦، اللسان: قطن، نبت، مغني اللبيب ص ١٣٩، شرح شواهد المغني ص ٣١٤، خزانة الأدب ١/ ٥٠.

(١) وعلى هذا فالمفعول محذوف؛ أي: تُنْبِتُ ما تُنْبِتُ ومعه الدهن، والجار والمجرور في موضع الحال، وهذا قول الزَّجّاج والفارسي وابن جني، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٠، المحتسب ٢/ ٨٩، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٤/ ١٤٠، البيان للأنباري ٢/ ١٨٢، غريب القرآن للسجستاني ص١٠٩.

(٢) قاله المبرد، ينظر: شمس العلوم ١٠/ ٦٤٧٢.

(٣) يعني: ضياء الحلوم لمحمد بن نَشْوانَ بن سعيد الحميري المتوفى سنة (٦١٠هـ)، وهو اختصار لكتاب والده نَشْوانَ بن سعيد بن نشوان الحميري المتوفى سنة (٥٧٣هـ)، والمسمى شمس العلوم وشفاء كلام العرب من الكُلُوم. [كشف الظنون ٢/ ١٠٦١، هدية العارفين ١/ ١٠٩، الأعلام ٧/ ١٢٣]، ولكنني لم أعثر على المختصر، فخرجت أقوال محمد بن نشوان من كتاب والده، ينظر: شمس العلوم ٢/ ٦٨١، ١٠/ ٦٤٧٢.

(٤) ورد بهذا الضبط في إكمال الكمال لابن ماكولا ٥/ ١١، وتاج العروس: شبر.

الحُبُـورةَ(١) كانت لهـارونَ في الأصل، وقد أُمِرا ألّا يُسْـرِجا القَنادِيلَ بنار أهل الدنيا، فأبطأت النارُ ذاتَ ليلةٍ على ابنَيْ هارون، فاسـتعجلا فأَسْـرَجا القناديلَ بنار أهل الدنيا، فلمّا جاءت النار أكلت ابْنَيْ هارُونَ، فصرخ الصّارخُ إلى موسى عليه السّلام، فجاء موسى يدعو ربَّه ويقول: يا رَبِّ! ابنا هارونَ أخي، قد عرفتَ مكانَهمـا مِنِّي، فأوحى الله تعالى إليه: «يا ابنَ عِمـران: هكذا أفعل بأوليائي إذا عصَوْني، فكيف بأعدائي؟ »(٢).

قولـه: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ... ﴿٢٨﴾﴾ الآيةَ. ومحَلُّ «مَنْ»: رفْـعٌ بالعطف على «أنت»(٣)، ومحَلُّ «أنت»: رفعٌ؛ لأنه بدلٌ من التاء في قوله: ﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾، ومحَلُّ التاء: رفعٌ لأنه فاعل.

[١٥/ ب] قولـه تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾/ قـرأه العامّةُ بضمِّ الميم وفتح الزاي على المصدر؛ أي: إنزالًا مباركًا، وقَرأ أبو بكرٍ(٤) بفتح الميم وكسرِ الزاي يريـد: مَوضِعًا. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قـال ابن عباس: يريد: من السـفينة، ولذلك قيل له: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ﴾(٥)، وهذا جوابُ دعائه.

---

(١) الحُبُورةُ: العلم والحكمة، والحبورة أيضًا: رئاسة المذبح وبيت القربان.

(٢) ينظر: فيض القدير للمناوي ٤/ ١٤٦، ١٤٧.

(٣) «مَنْ»: معطوف على تاء الفاعل في «اسْـتَوَيْتَ»، وليس معطوفًا على «أَنْتَ»؛ لأنه لا موضع لـه؛ فإنه ضميـر منفصل جيء به لتوكيد الضمير المتصل، وهو تاء الفاعل في «اسْـتَوَيْتَ»، ليصح العطف على هذا الضمير المتصل.

(٤) قرأ أبو بكر عن عاصم والمفضلُ وزر بن حبيش وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبانٌ: ﴿مَنْزِلا﴾ بفتـح الميم وكسـر الزاي، وقرأ الباقـون وحفص عن عاصم: ﴿مُنزَلًا﴾ بضـم الميم وفتح الزاي، ينظر: السـبعة ص ٤٤٥، الحجة للفارسـي ٣/ ١٨١، تفسـير القرطبي ١٢/ ١٢٠، التيسير ص ١٥٩، البحر المحيط ٦/ ٢٧٢، الإتحاف ٢/ ٢٨٣.

(٥) هود ٤٨.

قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ... (٣٥)﴾ الآيةَ. قال الزَّجّاج[١]: «أَنَّكُمْ»: موضعُها نصبٌ على معنى: أيعِدُكم أنَّكم مُخرَجون إذا مِتُّمْ، فلمّا طال الكلام أُعيد ذِكر «أنّكم»، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾[٢] المعنى: فله نارُ جهنم.

وقولـه: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦)﴾؛ أي: بعيدٌ بعيـدٌ لِما توعَدون، واختلفَ القُرّاءُ فيه، فقَرأَ أبو جعفرٍ[٣] بكسرِ التاءِ فيهما، وقَرأَ نصرُ بنُ عاصم[٤] بالضَّمِّ[٥]، وقَرأَ أبو حَيْوةَ الشـامي[٦] بالضمِّ والتنوين[٧]، وقَرأَ الباقونَ بالنَّصبِ من غير تنوين، وكلُّها لغاتٌ صحيحة، فمَن نَصب جَعَله مثلَ «أَيْنَ» و«كَيْفَ»[٨].

---

(١) معانـي القرآن وإعرابه ٤/ ١١، وينظر رَدُّ الفارسـي عليه في الإغفال ١/ ٤٤٨ وما بعدها، والمسائل البصريات ١/ ٦٨٨ وما بعدها، والمسائل المنثورة ص ١٨١، ١٨٢.

(٢) التوبة ٦٣.

(٣) وهي أيضًا قراءة شيبة وعيسى بن عمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٩، ١٠٠، المحتسب ٢/ ٩٠، تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٧٤، الإتحاف ٢/ ٢٨٤.

(٤) نصر بن عاصم بن سـعيد الليثي، من فقهاء التابعيـن وأول من نقط المصاحف ومن أوائل واضعي النحو، أخذ عنه أبو عمرو بن العلاء، توفِّي بالبصرة سنة (٨٩هـ). [إنباه الرواة ٣/ ٣٤٣، غاية النهاية ٢/ ٣٣٦، الأعلام ٨/ ٢٤].

(٥) وهي أيضًا قراءة أبي حيوة وأبي العالية، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٩، تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٧٤.

(٦) هو شـريح بن يزيـد الحضرمي من أهل حمص مقرئ أهل الشـام محـدث ثقة، روى عنه البخاري وأبو داود، روى عن الكسـائي قراءته، له قراءة شـاذة، توفِّي سنة (٢٠٣هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٢٥، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩١].

(٧) وهي قراءة الأحمر أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ٩٩، المحتسـب ٢/ ٩٠، تفسـير القرطبي ١٢/ ١٢٢، البحر المحيط ٦/ ٣٤٧.

(٨) يعني أن فتح التاء في «هيهاتَ» سـببه التقاء الساكنين، قال سيبويه: «وسألت الخليل عن =

وقيل[١]: لأنّهما أداتانِ جُمِعَتا، فصارتا مثلَ: خمسةَ عشَرَ وبَعْلَبَكَّ ونحوِهما، وقال الفَرّاء[٢]: نصبُهما كنَصْب قولك: ثُمَّتَ ورُبَّتَ.

ومَن رَفَع جعله مثلَ «مُنْذُ» و«قَطُّ» و«حَيْثُ»[٣]، ومَن كَسَرَ جعله مثلَ «أَمْسِ» و«هَؤُلاءِ»[٤]، قال الشاعر:

٢٦ ـ تَذَكَّرْتُ أَيّامًا مَضَيْنَ مِنَ الصِّبا وَهَيْهاتِ هَيْهاتٌ إِلَيْكَ رُجُوعُها[٥]

وقال آخر:

٢٧ ـ لقَدْ باعَدَتْ أُمُّ الحُمارِسِ دارَها وهَيْهاتِ مِنْ أُمِّ الحُمارِسِ هَيْهاتا[٦]

= شَتّانَ، فقال: فتحتها كفتحة هَيْهاةَ، وقصتها في غير المتمكن قصتها». الكتاب ٣/ ٢٩٣، وقال الزَّجّاج: «وتفسير قوله [يعني سيبويه] في شَتّانَ أن فتحة شَتّانَ بناء وقع لالتقاء الساكنين». ما ينصرف وما لا ينصرف ص ١٢٥، وينظر: المسائل العضديات ص ١٢٥، الصحاح ٦/ ٢٢٥٨.

(١) قاله الفراء والنحاس والفارسي، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٣٥، إعراب القرآن ٣/ ١١٤، المسائل الحلبيات ص ٣٠٩.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٣٥، ٢٣٦.

(٣) قاله الكسائي، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٤٧، تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٣.

(٤) قال الأزهري: «ومن قال: هيهاتِ شَبَّهَهُ بِحَذامِ وقَطامِ». التهذيب ٦/ ٤٨٥.

(٥) البيت من الطويل، للأحوص الأنصاري، ورواية الديوان: «**وهيهاتَ هيهاتًا**».

التخريج: ديوانه ص ١٣٠، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ١٨٧، الكشف والبيان ٧/ ٤٧، زاد المسير ٥/ ٤٧٢، عين المعاني ورقة ٨٨/ أ، تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٢، ١٢٣، اللسان: هيه.

(٦) البيت من الطويل، لم أقف على قائله.

اللغة: أم الحُمارِسِ: اسم امرأة، والحُمارِسُ: الشديد وهو اسم للأسد أو صفة غالبة له.

التخريج: الكشف والبيان ٧/ ٤٧، عين المعاني ورقة ٨٨/ أ.

وفي «هَيْهات» سبعُ لغات: هيهاتَ لك: بفتح التاء، وهيهاتِ لك: بخفض التاء، وهيهاتٍ لك: بالخَفْض والتنوين، وهيهاتُ لك: برفع التاء، وهيهاتٌ: بالرفع والتنوين، وهيهاتًا لك: بالنصب والتنوين، واللغة السابعة: أَيْهاتَ، وأنشَد الفَرّاء[(١)]:

٢٨ - فأَيْهاتَ أَيْهاتَ العَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وأَيْهاتَ وَصْلٌ بِالعَقِيقِ نُواصِلُهْ[(٢)]

بالنصب[(٣)].

و«هَيْهاتَ» من الأصوات بمنزِلة اسم الفعل، كشتّانَ، ولا محلَّ لها من الإعراب، ومعناه: بَعُدَ الأمرُ جدًّا[(٤)]، وفاعله ضميرٌ فيه راجعٌ إلى قوله:

---

(١) معانِي القرآن ٢/ ٢٣٥.

(٢) البيت من الطويل لجرير يرد على الفرزدق، والعقيق: وادٍ بالمدينة.
التخريج: ديوانه ص ٩٦٥، شرح نقائض جرير والفرزدق ص ٩٣٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣، المسائل الحلبيات ص ٢٤١، الخصائص ٣/ ٤٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٤٣، شرح المفصل ٤/ ٣٥، عين المعانِي ٨٨/ أ، اللسان: هيه، ارتشاف الضرب ص ٢١٣٩، ٢٣٠٢، المقاصد النحوية ٣/ ٧، ٤/ ٣١١، همع الهوامع ٣/ ٩٩.

(٣) من أول قوله: «وفي هيهات سبع لغات» إلى هنا قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٩٩، وقد ذكر الصاغاني لـ«هيهات» سِتًّا وثلاثين لغة، ذكرها في التكملة والذيل والصلة ٦/ ٣٦١.

(٤) ذهب المبرد والفارسي إلى أن «هيهات» ظرف، قال المبرد: «فأما «هيهات» فتأويلها: «في البُعْدِ»، وهي ظرف غير متمكن؛ لإبهامها، ولأنها بمنزلة الأصوات». المقتضب ٣/ ١٨٢، وقال ابن جني: «وكان أبو علي رحمه الله يقول في «هيهات»: أنا أُفتي مَرّةً بكونها اسمًا سُمِّيَ به الفعلُ كصَهْ ومَهْ، وأفتي مرة بكونها ظرفًا، على قدر ما يحضرني في الحال». الخصائص ١/ ٢٠٦، وذهب الزَّجّاج والنحاس إلى أن «هيهات»: اسمٌ ظاهرٌ بمعنى البعد، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢، إعراب القرآن٣/ ١١٤، وذهب الأنباري إلى أنه فعل ماض، =

﴿أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ﴾؛ أي: بَعْدَ إِخْراجُكُمْ للوعد الذي توعَدون، وهو بعدَ الموت، والأصواتُ بمنزلة الفعل دون المصدر، لا حَظَّ لها من الإعراب كالفعل الماضي المُقْسَمِ به، وهو اسمٌ سُمِّيَ به الفعلُ وهو «بَعُدَ»، كما قالوا: «صَهْ» بمعنى: اسكُتْ، و«مَهْ» بمعنى: لا تفعَلْ، وليس له اشتقاق.

واختلفوا في الوقفِ عليها، فكان ابنُ كثيرٍ والكسائيُّ يقفان على «هَيْهاتَ» الثانِي بالهاء[(١)]، ووَقَف الباقونَ عليها بالتاء، وكذلك الفَرّاء[(٢)]، ورُوِيَ عن أبِي عَمْرٍو بن العلاء أنه قال[(٣)]: إذا وَقَفتَ فقُلْ: هَيْهاهْ بهاء، ويدلُّ على هذا ما رُوِيَ عن سيبوَيْه أنه قال: هي بمنزلة عَلْقاةَ[(٤)]، يعني: في التأنيث، وإذا كان كذلك كان الوقفُ بالهاء.

قال الفَرّاء[(٥)]: كان الكِسائيُّ يختارُ الوقفَ بالهاء، وأنا أختار التاءَ / . [١٦/ أ]
وعندَه أنّ هذه التاءَ ليست بهاءِ التأنيث، ولا خلافَ في الأول أنه بالتاء.

= ينظر: البيان ٢/ ١٨٤، وينظر تفصيل ذلك في كتاب: اسم الفعل في كلام العرب والقرآن الكريم للدكتور/ السيد محمد عبد المقصود ص ٣٦٣.

(١) ووقف على الثانِي بالهاء أيضا البَزِّيُّ وقُنْبُلٌ ومجاهد وعيسى بن عمر، ووقف عليها الباقون بالتاء، وروي عن أبي عمرو أيضًا أنه كان يقف بالتاء، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٦، الكشف عن وجوه القراءات ١/ ١٣١، غيث النفع ص ١٩٥، القرطبي ١٢/ ١٢٣، التيسير ص ٦٠.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٣٦.

(٣) ينظر قوله في إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٩٨، تهذيب اللغة ٦/ ٤٨٤، الوسيط ٣/ ٢٨٩.

(٤) قال سيبويه: «وسألته [يعني يونس] عن هيهاتِ اسم رجل وهيهاةَ، فقال: أما من قال: هيهاةَ فهي عنده بمنزلة عَلْقاةَ، والدليل على ذلك أنهم يقولون في السكوت: هيهاهْ، ومن قال: هيهاتِ فهي عنده كَبَيْضاتٍ». الكتاب ٣/ ٢٩١.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٣٦.

و«هَيْهاتَ»: كنايةٌ عن البعد، يقال: هَيْهاتَ ما قلتَ؛ أي: البعيدُ ما قلتَ، وهيهاتَ لِما قلت، أي: البُعْدُ لِما قلت[١]، وإنما أُدخلت اللام معَ هَيْهاتَ في الاسم لأنّها أداةٌ غير مشتقّةٍ من فعل، فأدخَلوا اللام معها في الاسم كما أدخلوها مع قولهم: هَلُمَّ لَكَ[٢].

قوله تعالى: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾؛ أي: عن قليلٍ، و«ما»: صلةٌ لتقليل الفعل، نحو: سَببٌ ما؛ أي: سَببٌ وإن قَلَّ، وقوله: ﴿لَّيُصْبِحُنَّ نَدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ يعني: على تكذيبهم وكفرِهم، واللام: لامُ جوابِ القسم المضمَر، تقديره: والله لَيُصبِحُنَّ نادمينَ، والنُّون: تأكيدٌ لفعل جماعة الرجال، ولهذا ضَمَمتَ ما قبل النون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ﴾ يعنِي: صيحةَ العذاب، صاح بهم جِبْرِيلُ صيحةً واحدة، فماتوا عن آخرِهِمْ، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: باستحقاقِهم العذابَ بكفرِهم، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ أي: هَلْكَى كالغُثاء، قال الشاعر:

٢٩ - وإِنَّما أَوْلادُنا بَيْنَنا أَكْبادُنا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ[٣]

---

(١) قال النحاس: «العرب تقول: هيهاتَ هيهاتَ لما قلت، وهيهات ما قلت، فمن قال: هيهات لما قلت فتقديره: البعد لما قلت، ومن قال: هيهات ما قلت فتقديره: البعيد ما قلت». معاني القرآن ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٣٥، وينظر: معاني القراءات ٢/ ١٩٤.

(٣) البيت من السريع، لِحِطّانَ بنِ المُعَلَّى، وفِي العقد الفريد: المُعَلَّى الطائي، وقال المرزوقي: «خَطّابُ بنُ المُعَلَّى».

التخريج: عيون الأخبار ٣/ ٩٥، العقد الفريد ٢/ ٤٣٨، أمالي القالي ٢/ ١٨٩، شرح الحماسة للتبريزي ١/ ١٥٣، شرح الحماسة للمرزوقي ص ٢٨٨ المحاسن والمساوئ ص ٥٤٦، المناقب والمثالب ص ٣٥٢، بهجة المجالس ١/ ٧٦٧، عين المعاني ورقة ٨٨/ أ، الحماسة البصرية ص ٧٦٩، محاضرات الأدباء ١/ ٣٢١، الدر المصون ٦/ ٢٩١، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٥٥٨.

أي: كأكبادِنا، والغُثاء: هو ما يَحْمِلُ السَّيْلُ من نباتٍ قد يَبِسَ، وكلُّ ما يحمله السيلُ على رأس الماء من قَصَبٍ وحشيشٍ وعِيدانِ شجر فهو غُثاء، والمعنى: صَيَّرْناهُمْ هَلْكَى فيَبِسُوا كما يَيْبَسُ الغُثاء من نبتِ الأرض فهُمِدوا، ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾﴾: نصبٌ على المصدر؛ أي: أبعدَهم الله بُعْدًا من الرحمة.

قولـه تعالى: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «مِـنْ» صلةٌ ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ يعني: مترادِفيـنَ يتبَعُ بعضُهم بعضًا. قَرأَ أبو جعفرٍ وابنُ كثير وأبـو عَمْرو[١]: ﴿تَتْرًى﴾ بالتنوين، على تَوَهُّمِ أنَّ الياءَ أصلية، كما قيل: مِعْزَى ـ باليـاء ـ ومِعْـزًى، فأُجريت أحيانًا، وتُـرِكَ إجراؤُها أحيانًـا[٢]، وقرأ الباقون بغير تنوين مثل: غَضْبَى وسَـكْرَى، وهو اسـم جمع مثل شَـتَّى، وأَمالَهُ حمزةُ والكسائيُّ، وقرِأَ وَرْشٌ بينِ اللَّفظين، وفَتَحه الباقون[٣].

ومـن نَوَّنَ وَقَـفَ عليها بالألف عِوَضًا من التنويـن، ومن لم يُنَوِّنْ وقف عليهـا بالياء[٤]، ويقال: ليسـت بيـاءٍ ولكنّها ألفٌ مُمالة، وأصلـه: وَتْرَى على

---

(١) وقـد قرأ بالتنويـن أيضًا اليزيديُّ وقتادةُ وشـيبةُ وابنُ محيصن والشـافعيُّ والأعرجُ، ينظر: السـبعة ص ٤٤٦، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٨٩، تفسـير القرطبـي ١٢/ ١٢٥، البحر المحيط ٦/ ٣٧٦، الإتحاف ٢/ ٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) والألف في «مِعْزًى» للإلحاق، وأجاز سيبويه في ﴿تَتْرَى﴾ أن تكون ألفها للإلحاق وأن تكون للتأنيـث، فقـال: «وكذلك ﴿تَتْرَى﴾ فيها لغتان، وأما مِعْزًى فليس فيهـا إلّا لغة واحدة: تُنَوَّنُ فـي النكرة». الكتاب ٣/ ٢١١، وينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٦، المقتضب ٣/ ٣٣٨، تهذيب اللغة ١٤/ ٣١١، الصحاح ٢/ ٨٤٣، المخصص ١٣/ ١٥٠.

(٣) قرأ خلف بالإمالة أيضًا، وقرأ الأزرق أيضًا بين اللفظين، ينظر: السـبعة ص ٤٤٦، تفسـير القرطبي ١٢/ ١٢٥.

(٤) ينظـر: إعراب القـراءات السـبع ٢/ ٨٩، ٩٠، معاني القـراءات ٢/ ١٩٠-١٩٢، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٢، ١٨٣.

«فَعْلَى»: من المواترة، فأُبدِلت الواو تاءً مثلَ: التقوى والشكوى، كما أُبْدِلَتْ في تُراثٍ وتُجاهٍ.

ويجوزُ في قول الفَرّاء[١] أن تقولَ في الرَّفع: تَتْرٌ، وفي الخَفْض: تَترٍ، وفي النصب: تَتْرًا / ، وتكون الألفُ بدلًا من التنوين، فمن نَوَّنَ جَعَله ملحَقًا بجعفر بوزن فَعْلَل، ومن لم يُنَوِّنْ جَعَلها للتأنيث مثلَ: سَكْرَى، فإذا سَمَّيْتَ بـ«تَتْرًى» على مَنْ نَوَّنَ لم تَصرِفْ في المعرفة وصَرَفْتَ في النكرة، وإن سَمَّيْتَ على الوجه الآخَر لم تَصرِفْ في معرفةٍ ولا نكرة[٢]، وهو في موضع نَصْب على الحال، أو على [صفةِ] المصدر. [١٦/ ب]

قال المبرّد[٣]: من قَرأ: ﴿تَتْرَى﴾ فهو مثلُ: شَكَوْتُ شكوى، ومن قَرأ: ﴿تترًى﴾ فهو مثلُ: شكَوْت شَكْوًى، وعلى القراءتَيْنِ جميعًا التاءُ الأولى بدلٌ من الواو. وأصلها: «وَتْرَى»، و«وَتْرًى»: مصدرٌ أو اسم أُقِيمَ مُقامَ الحال؛ لأنّ المعنى: متواترة.

وقوله: ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ يريد بالهلاك؛ أي: أهلكنا بعضَهم في إثْرِ بعض، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يعني: مَثَلًا يَتحدَّث به الناسُ، وهي جَمْع أُحْدُوثةٍ، ويجوز أن يكونَ جَمْعَ حَدِيثٍ[٤]، قال

---

(١) قال الفراء: «ومنهم من نَوَّنَ فيها، وجعلها أَلِفًا كأَلِفِ الإعراب، فصارت في تَغَيُّرِ واوِها بمنزلة: التُراثِ والتُجاهِ». معاني القرآن ٢/ ٢٣٦.

(٢) من أول قوله: «فمَنْ نَوَّنَ جعله ملحقًا بجعفر» إلى هنا قاله طاهر بن أحمد بنصه في شرح الجمل ١/ ٣٤٣.

(٣) ينظر قول المبرد في معاني القراءات للأزهري ٢/ ١٩٠، تهذيب اللغة ١٤/ ٣١١، الوسيط ٣/ ٢٩٠.

(٤) ذكره سيبويه في باب ما جاء بِناءُ جَمْعِهِ على غير ما يكون في مثله، فقال: «ومثل ذلك: =

الأخفَش[1]: إنّما يقال هذا في الشرِّ، وأمّا في الخير فلا يقال: جعلناهم أحاديثَ وأُحدوثــةً، وإنّما يقال: صار فلانٌ حديثًا. وقوله: ﴿فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: يُصدِّقون، ونَصْب ﴿فَبُعْدًا﴾: على المصدر، وقد تقدم نظيره[2].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾؛ أي: دِلالةً على قُدرتنا، وكان حقُّه أن يقول: آيتَيْــن، واختلف النُّحاة في ذلك، فقال بعضُهم: معناه: وجعَلْنا كلَّ واحدٍ منهما آيةً، كما قال تعالى: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾[3]؛ أي: آتتْ كُلُّ واحــدةٍ منهما أُكُلَها، وقال تعالــى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ﴾[4] ولــم يقُلْ: أَرْجاسٌ، وقال بعضُهم: معناه: جعَلْنا شــأنَهما واحدًا؛ لأنّ عيســى عليه السّــلام وُلِدَ من غير أَبٍ، وأُمُّهُ وَلَدَتْهُ من غير مَسِــيسِ ذَكَرٍ، وقيل: إنه لم يُثَنِّ ﴿ءَايَةً﴾ لأنها مصدر، وقيــل: إن الآيةَ لهما واحدةٌ، وقيل: معناه: جعلناه آيةً وأُمَّــهُ آيةً، فاكتفى بأحدهما، وقيل: هو على التقديم؛ أي: جعلناهُ آيةً وأُمَّه، وقد تقدَّم نظيرُها في سورة الأنبياء[5].

قوله: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ﴾؛ أي: جعلناهما يَأْويانِ: يَرجِعان ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ وهي

= حديث وأحاديث، وعَرُوض وأعاريض، وقَطِيع وأَقاطِيع؛ لأن هذا لو كَسَّرْتَهُ، إذْ كانت عِدّةُ حروفه أربعةَ أحرفٍ بالزيادة التي فيها، لكانت فَعائِلَ». الكتاب ٣/ ٦١٦، وقال الجوهري: «قال الفراء: نُرَى أن واحد الأحاديث أحدوثة، ثم جعلوه جمعًا للحديث». الصحاح ١/ ٢٧٨، وقال الأزهري: «قلتُ: واحد الأحاديث أحدوثة». التهذيب: «حدث» ٤/ ٤٠٥.

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٤٧، تفسير القرطبي ١٢/ ١٢٥، البحر المحيط ٦/ ٣٧٦، الدر المصون ٥/ ١٨٩.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. المؤمنون ٤١، وانظر ما سبق ١/ ٢٨٥.

(٣) الكهف ٥٠.

(٤) المائدة ٩٠.

(٥) ينظر ما سبق في الآية ٩١ من سورة الأنبياء ١/ ٢٠٧.

المكانُ المرتفع من الأرض، قيل: هي دمشقُ، وقيل: بيتُ المقدِس، وهو أقربُ الأرض إلى السماء بثمانيةَ عشَرَ ميلًا، وقيل: إنّها أرضُ فِلَسطين. وقَرأَ عاصمٌ وابنُ عامر[1]: ﴿رَبْوَةٍ﴾ بفتح الراء، والباقون بضمِّها، وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستويةٍ يَسْتَقِرُّ عليها ساكنوها، والمعنى: ذاتِ موضعٍ قَرارٍ ﴿وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾ يعني: الماءَ الجاريَ / الظاهرَ الذي تراه العيون. [١٧/ أ]

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾ يعني محمدًا ﷺ وحده، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبةَ الجمع[2]، ويتضمن هذا أن الرسل جميعًا كذا أُمِرُوا[3]، وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني: من الحلال الطيب ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾؛ أي: كما أمَرَكم الله به، أطيعوه في أمرِه ونَهْيه ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ لا يَخْفَى عَلَيَّ شيءٌ من أعمالكم.

قوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: مِلَّتُكُمْ مِلّةً واحدةً، وهي دِينُ الإسلام، قَرأَ أهل الكوفة: ﴿وَإِنَّ﴾ بكسر الألف: على الابتداء، وقَرأَ ابنُ عامر بفتح الألف وتخفيف النون، جعل ﴿أنْ﴾ صلة، مجازه: وهذه أمتكم[4]، وقرأ

---

(١) وهي أيضًا قراءة الحسن والسلمي، وفيها قراءات أخرى، ينظر: السبعة ص ٤٤٦، مختصر ابن خالويه ص ١٠٠، إعراب القراءات السبع ١/ ٩٨، ٩٩، ٢/ ٩١، التيسير ص ٨٣، البحر المحيط ٦/ ٣٧٧.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٣٧، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٢٩٧.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥.

(٤) ويجوز أن تكون «أنْ» المخففة عاملة، و«هذه» اسمها، قال الأزهري: «وأما قراءة ابن عامر: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ بفتح الألف ساكنة النون، فإنه خَفَّفَ النونَ وَأَعْمَلَها، فجُعِلَ «هَذِهِ» في موضع النصب، وجائز أن يُجْعَلَ «هَذِهِ» في موضع الرفع إذا خُفِّفَ «أَنْ»، معاني القراءات ٢/ ١٩١، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ١٨٣.

الباقون بفتح الألف وتشديد النون[١] على معنى: وبأنَّ هذه أمتكم، ويجوز أن يكون نصبًا بإضمار فعل، أي: واعلموا أن هذه أمتكم أمة واحدة[٢].

قال الواحدي[٣]: ﴿أَنَّ﴾ في قراءة مَن فَتَح الألفَ: محمولةٌ على الجارِّ في قول الخليل وسيبوَيْه[٤]، التقديرُ: ولأنّ هذه أمّتكم أمةً واحدةً، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾، ومَن قرأَ بالتخفيف، فـ﴿أَنْ﴾ هي: المخفَّفة من المشدَّدة كقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]، ومَن كسر مع التشديد فهو على الاستئناف[٦].

ونَصْب ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحال والقطع، ويجوزُ الرَّفعُ[٧] من ثلاثة

(١) ينظر: السبعة ص ٤٤٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٢، حجة القراءات لأبي زرعة ص ٤٨٨، التيسير للدانِي ص ١٥٩، البحر المحيط ٦/ ٣٧٧، الإتحاف ٢/ ٢٨٥.

(٢) ينظر في هذين الوجهين: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧، إعراب القرآن ٣/ ١١٦، إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٩١، ٩٢، معاني القراءات ٢/ ١٩١، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٣.

(٣) هو: علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن النيسابوري الواحدي، مفسر نحوي لغوي فقيه إخباري، أصله من ساوةَ، مولده بنيسابور، وتوفِّي بها سنة (٤٦٨هـ)، من كتبه: الوجيز والوسيط والبسيط في التفسير، أسباب النزول، شرح ديوان المتنبي. [غاية النهاية ١/ ٥٢٣، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٤، الأعلام ٤/ ٢٥٥].

(٤) قال سيبويه: «وسألت الخليل عن قوله ـ جَلَّ ذِكْرُهُ ـ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ فقال: إنما هو على حذف اللام، كأنه قال: وَلأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمّةً واحِدةً وَأَنا رَبُّكُمْ فاتَّقُونِ، وقال: ونظيرها: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾؛ لأنه إنما هو: لِذَلِكَ فَلْيَعْبُدُوا، فإن حذفت اللام من «أَنْ» فهو نصب». الكتاب ٣/ ١٢٦، ١٢٧.

(٥) يونس ١٠.

(٦) انتهى كلام الواحدي، وهو في الوسيط ٣/ ٢٩٢.

(٧) وبالرفع قرأ الحسنُ وابنُ أبي إسحاق وأبو حيوة وابنُ أَبِي عبلة والجعفيُّ، وأبو عمرو في رواية هارون عنه، والزعفرانِيُّ والأشهبُ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢١٠، إعراب =

أوجه: على إضمارِ مبتدأٍ، وعلى البدَل، وعلى خبرٍ بعدَ خبر.

قولـه تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗا ﴾ قَرأَ العامّـةُ بضمِّ الباء، يعني: كُتُبًا، جمع زَبُورٍ، يعني: أنّ كلَّ فريق منهم دانَ بكتابٍ غيرِ الكتاب الذي دانَ به الآخرُ، وقيل: معناه: فتفرَّقوا دِينَهُمْ بينَهم كُتُبًا أحدثوها يحتجُّون بها لمذاهبهم، وهو قولُ مجاهدٍ وقَتادة وابنِ زيد.

وقَرأَ بعض أهل الشـام بفتح الباء[1]؛ أي: قِطَعًـا كقِطَعِ الحديد، قال الله تعالـى: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾ [2] واحدتُها: زُبْرةٌ[3]، وقـال المبرّد[4]: يعني: فِرَقًا وقِطَعًا مختلفةً، واحدتها: زَبُورٌ، وهي الفِرقة والطائفة، ومثلُه: الزُّبْرةُ وجمعها: زُبَرٌ.

وهـو نصبٌ على الحـال، وقيل: على التفسـير، والمعنى: مِثْـلَ زُبُرٍ[5]، و﴿أَمۡرَهُم﴾: نصبٌ على المفعول، وقيل: بنَزْع حرفِ الصِّفة تقديرُه: في أمرِهم.

قال الكلبي: يعني بالآية مشـركي العرب واليهودَ والنصارى تفَرَّقوا أحزابًا،

= القرآن للنحاس ٣/ ٧٩، المحتسـب ٢/ ٦٥، وينظر في توجيه الرفع ما سـبق في الآية ٩٢ من سورة الأنبياء ١/ ٢٠٧.

(١) قـرأ بفتـح الباء ابنُ عامر، وأبو عمرو في روايةٍ عنـه، والأعمشُ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠١، مفاتيح الغيب ٢٣/ ١٠٥، تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٠.

(٢) الكهف ٩٦.

(٣) قالـه الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٧، ٢٣٨، مجاز القرآن ٢/ ٦٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٩٨.

(٤) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٣/ ٢٩٢، فتح القدير للشوكانِي ٣/ ٤٨٦.

(٥) قـال النحاس: «نصب على الحال، والمعنى: مثل زُبُرٍ». إعـراب القرآن ٣/ ١١٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١١١.

﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾؛ أي: عندَهم ﴿فَرِحُونَ ۝٥٣﴾؛ أي: راضون يرَوْنَ أنهم على الحق.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: الذين هم من خَشْية ربِّهم مُشفِقون، وما بعدها من الآيات ﴿يُسَٰرِعُونَ / فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؛ أي: يبادرون في الأعمال الصالحة [١٧/ ب] ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ يعني: وهم إليها سابقون، قاله الفَرّاءُ[١] والزَّجّاج[٢] كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾[٣] و﴿لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾[٤] ونحوهما.

قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦﴾ تتأخَّرون عن الإيمان ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ الكنايةُ تعود إلى البيتِ أو الحَرَمِ أو البلدِ مكةَ في قول الجميع، وهو كنايةٌ عن غيرِ مذكور، والمعنى: مستكبِرينَ بالبيتِ والحَرَمِ؛ لأَمْنِهِمْ فيه معَ خوفِ سائرِ الناس في مواطِنِهم، يقولون: نحن أهلُ الحرم فلا نخاف.

وقوله: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ يجوز أن يكونَ من الهِجْرانِ، والمعنى: تَهْجُرُونَ القرآنَ وترفضونه ولا تلتفتون إليه ولا تنقادون له، ويجوزُ أن يكونَ من الهُجْرِ، وهو: القولُ القبيح[٥]، يقال: هَجَرَ يَهْجُرُ هُجْرًا[٦]: إذا قال غيرَ

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٣٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٧.

(٣) المجادلة ٣.

(٤) المجادلة ٨.

(٥) ينظر في هذا المعنى: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩، معاني القراءات ٢/ ١٩٢، ١٩٣، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٤.

(٦) الذي ورد في المعاجم في هذا المعنى: أَهْجَرَ يُهْجِرُ إِهْجارًا وهُجْرًا، فالإِهْجارُ مصدر، والهُجْرُ: اسم مصدر، ينظر: التهذيب ٦/ ٤١، الصحاح ٢/ ٨٥١، اللسان: هجر، وهذا ما سيذكره المؤلف نفسه بعد قليل.

الحق، والمعنى: أنهم كانوا يَسْمُرُونَ في مجالسهم حولَ البيت.

والسّامِرُ: هو الذي يَسْمُرُ بالليل، وجَمْعُه: سُمّارٌ وسُمَّرٌ، ووَحَّدَ ﴿سَٰمِرًا﴾ وهو بمعنى السُّمّارِ لأنه وقع موقعَ الوقت، أراد به: تَهْجُرُونَ لَيْلًا[١]، وقيل[٢]: وَحَّدَهُ ومعناه: الجَمْع، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا﴾[٣] ونحوه، ويقال[٤]: قَوْمٌ سامِرٌ ورَجُلٌ سامِرٌ مثل: قَوْمٌ زَوْرٌ، ونصب ﴿مُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ و﴿سَٰمِرٗا﴾: على الحال.

وقوله: ﴿تَهۡجُرُونَ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عباس ومجاهدٌ بضمِّ التاء وكسر الجيم[٥]؛ أي: تُفْحِشُونَ وتقولون الخَنا، يقال: أَهْجَرَ الرَّجُلُ في كلامه؛ أي: أَفْحَشَ، قيل: إنّ كفّارَ مكةَ كانوا يسُبُّونَ النبيَّ ﷺ والقرآنَ والإيمان.

ويقال أيضًا في هذا المعنى: أَهْجَر إهجارًا: إذا أفحَش في مَنْطِقِهِ، يقال: قد أَهْجَر الرجل في مَنْطِقِهِ، قال الكُمَيت[٦]:

---

(١) قاله الطبري والثعلبي، ينظر: جامع البيان ١٨/ ٥١، الكشف والبيان ٧/ ٥٢، وينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ١٣٧.

(٢) قاله أبو عبيدة والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٦٠، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٨، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ٧/ ٥٢.

(٣) غافر ٦٧.

(٤) يعني أن ﴿سَٰمِرًا﴾ مصدر، قاله ثعلب في مجالسه ص ٧٧، وينظر: التبيان للعكبري ص ٩٥٨.

(٥) وهي أيضًا قراءة ابن محيصن وحميد، وقرأ ابن مسعود وابن عباس أيضا وزيد بن عَلِيٍّ وغيرهم: ﴿تُهَجِّرُونَ﴾ بضم التاء وكسر الجيم المشددة، ينظر: السبعة ص٤٤٦، الكشف لمكي ٢/ ١٢٩، مختصر ابن خالويه ص ١٠٠، المحتسب ٢/ ٩٦، ٩٧، القرطبي ١٢/ ١٣٧، البحر٦/ ٣٨١، الإتحاف٢/ ٢٨٦.

(٦) الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي شاعر الهاشميين، كان عالمًا بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها، كثير المدح لبني هاشم، كان فقيه الشيعة، فارسًا شجاعًا، أشهر شعره =

٣٠ـ وَلا أَشْهَدُ الهُجْرَ والقائِلِيهِ   إِذا هُمْ بِهَيْنَمةٍ هَيْنَمُوا(١)

وقرأ الباقونَ بفتح التاء وضمِّ الجيم، أي: تقولون ما لا تعلمون، من قولهم: هَجَرَ الرَّجُلُ في منامه: إذا هَذَى(٢)، قال الشاعر:

٣١ـ أُحِبُّ الفَتَى يَنْفِي الفَواحِشَ سَمْعُهُ   كَأَنَّ بِهِ مِنْ كُلِّ فاحِشَةٍ وَقْرا
سَلِيمَ دَواعِي الصَّدْرِ لا باسِطًا أَذًى   وَلا مانِعًا خَيْرًا وَلا قائِلًا هُجْرا(٣)

فالهُجْرُ ـ بالضم ـ: الهَذَيان، والهَجْرُ ـ بالفتح ـ: التَّرْكُ والإعراض(٤)،

= الهاشميات، توفِّي سنة (١٢٦هـ). [الشعر والشعراء ص ٥٨٥، معجم الشعراء ص٢٣٨، الأعلام ٥/ ٢٣٣].

(١) البيت من المتقارب، ورواية الديوان: «هَتْمَلُوا» بدل «هينموا».
اللغة: الهَيْنَمةُ والْهَتْمَلةُ: الكلام الخفيُّ الذي لا يُفْهَمُ، وكذلك الْهَتْلَمةُ.
التخريج: ديوانه ٢/ ٣٤٥، الزاهر ١/ ٣٦٣، تهذيب اللغة ٦/ ٣٢٨، ٥٣٠، مقاييس اللغة ٦/ ٧٠، غريب الحديث للهروي ١/ ٢٦٠، اللسان: هتمل، هنم، التاج: هتمل، هنم.

(٢) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٣٩، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٧٦.

(٣) البيتان من الطويل لأبي العتاهية، ويُنْشَدانِ لسالِمِ بن وابصة برواية: «سليمُ... **لا باسطٌ**... **ولا مانعٌ... ولا قائلٌ**» بالرَّفع فيها، وأنشدهما الجاحظ لامرأة من باهلة.
اللغة: الوقر: ثقل في الأذن، وقيل: هو أن يذهب السمع كله، بَسَطَ أَذاهُ: مَدَّهُ، وهو مجاز، الهجر: الكلام القبيح.
التخريج: ديوان أبي العتاهية ص ١٨٥، الحيوان ٧/ ١٦٣، أدب الدنيا والدين ص ٢٢١، المختار من شعر بشار ص ١٩٢، شرح الحماسة للتبريزي ٣/ ٨٥، ٨٦، شرح الحماسة للمرزوقي ص ١١٤٢، أمالي القالي ٢/ ٢٢٤، التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٦٦، عين المعاني ورقة ٨٨/ ب، الحماسة البصرية ص ٩٨٤.

(٤) الهَجْرُ ـ بالفتح ـ يأتي بمعنى التَّرْكِ ويأتي بمعنى الهذيان، قال الأزهري: «ورُوِيَ عن أبي سعيد الخدري أنه كان يقول لِبَنِيهِ: إذا طُفْتُمْ باللَّيْلِ فَلاَ تَلْغُوا ولاَ تَهْجُرُوا. قال أبو عبيد: =

و﴿تُهَجِّرُونَ﴾ بالتشديد: تُعْرِضُونَ إعراضًا بعد إعراض، و﴿تُهْجِرُونَ﴾ بالتخفيف من الهُجْرِ، وهو الإفحاش في المنطق.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾؛ أي: أجرًا وجُعْلًا على ما جئتَهم به من الإيمان والقرآن ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾؛ أي: ما يعطيك اللهُ من أجر وثواب، ورِزْقُهُ خيرٌ لك ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)﴾ أفضلُ مَنْ أَعْطَى، قَرأَ ابنُ عامر: ﴿خَرْجًا فَخَرْجُ رَبِّكَ﴾ بغير ألفٍ فيهما، وقَرأَ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿خَراجًا﴾ بألفٍ فيهما، وقَرأ الباقون: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ ﴿فَخَرَاجُ﴾ بالألف[1].

وأصلُ الخَرْجِ والخَراجِ: الغَلّةُ والضّريبةُ والإتاوةُ، كخَراجِ العبد والأرض، قال النَّضر بن شُمَيْلٍ[2]: سألتُ / أبا عَمْرِو بن العلاء عن الفَرْق [١٨/ أ]
بين الخَراجِ والخَرْجِ، فقال: الخَراجُ: ما لَزِمَكَ ووَجَبَ عليك أداؤُهُ، والخَرْجُ:

= معناه: لا تَهْذُوا، وهو مِثْلُ كلامِ الْمُبَرْسَمِ والْمَحْمُومِ، يقال: هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا». التهذيب ٦/ ٤١، وأما الهُجْرُ فهو ـ كما سبق ـ اسم من: أَهْجَرَ يُهْجِرُ إهْجارًا: إذا أَفْحَشَ في مَنْطِقِهِ.

(١) قرأ ابن عامر والحسن وعيسى بن عمر وأبو حيوة: ﴿خَرْجًا فَخَرْجُ﴾ بغير ألف فيهما، وقرأ حمزة والكسائي وخلف والأعمش وابن وثاب: ﴿خَراجًا فَخَراجُ﴾ بألف فيهما، وقرأ الباقون: ﴿خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾، ينظر: السبعة ص ٤٤٧، الكشف لمكي ٢/ ١٣٠، تفسير القرطبي ١٢/ ١٤١، البحر المحيط ٦/ ٣٨٣، الإتحاف ٢/ ٢٨٦.

(٢) النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد التميمي المازني، أبو الحسن البصري، أديب نحوي لغوي محدث فقيه، ولد بِمَرْوَ ونشأ بالبصرة وأخذ عن الخليل، وأقام بالبادية طويلًا، ثم عاد إلى مرو، وتوفِّي بها سنة (٢٠٤هـ)، من كتبه: غريب الحديث، الصفات. [إنباه الرواة ٣/ ٣٤٨-٣٥٢، بغية الوعاة ٢/ ٣١٦، الأعلام ٨/ ٣٣].

مـا تَبَرَّعْتَ به من غير وجوب(١)، وقال البِيْـوَرْدِيُّ(٢): الخَرْجُ: على الرُّؤُوسِ، والخَراجُ: على الأَرَضِينَ.

قولـه تعالـى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي: قلْ يا محمدُ لأهـل مكة: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ ﴾ مـن الخَلْقِ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ خالقَها ومالكَها ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ أي: يُقِرُّونَ بأنهـا مخلوقةٌ له ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ أن مَنْ قَدَرَ على خلق الأرض ومن فيها قادرٌ على إحياء الموتى.

وقولـه: ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ لا خلافَ فـي الأول أنه ﴿لِلَّهِ ﴾؛ لأنه مكتوبٌ في جميع المصاحف بغير ألف، وهو جوابٌ مطابقٌ للسـؤال في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، واختلفـوا فيمـا بعده فـي الموضعَيْن، فقرأهمـا العامّة: ﴿لِلَّهِ ﴾، وجعلـوا الجوابَ على المعنى دون اللفـظ، كقول القائل للرجل: مَن مَولاك؟ فيقول: لفلانٍ، أي: أنا لفلان، وهو مَوْلاَيَ(٣)، وَأُنْشِدَ في المعنى:

٣٢ ـ وَأَعْلَمُ أَنَّنِي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذا سـارَ النَّواعِـجُ لا يَسِـيرُ
فَقالَ السّـائِلُونَ: لِمَنْ حَفَرْتُمْ؟ فَقـالَ المُخْبِرُونَ لَهُـمْ: وَزِيرُ(٤)

---

(١) ينظر قول النضر بن شـميل في الكشـف والبيان ٧/ ٥٢، تفسير القرطبي ١٢/ ١٤٢، فتح القدير ٣/ ٤٩٢.

(٢) يعني أبا عُمَرَ الزاهدَ، ياقوتة الصراط ص ٣٢٩.

(٣) قالـه النحاس في معاني القـرآن ٤/ ٤٨١، ٤٨٢، وينظر: حجة القراءات ص ٤٩٠، ٤٩١، تفسير القرطبي ١٢/ ١٤٥.

(٤) البيتـان من الوافر لبعض بني عامر واسـمه وزير، وأنشـدهما الجاحـظ للوزيري، ويروى الأول:

............سَـأَصِيـرُ رَسْمًا إذا انْتَجَعَ النَّواجِعُ لا أَسِيـرُ =

فأجاب عن المخفوض بالمرفوع لأنّ معنى الكلام: فقال السائلون: مَنِ الميتُ؟ فقال المخبِرون: الميِّتُ وزيرٌ، فأجاب عن المعنى، وقال آخَر:

٣٣-إذا قِيلَ: مَنْ رَبُّ المَزالِفِ والقُرَى وَرَبُّ الجِيـادِ الجُرْدِ؟ قِيلَ: لِخالِدِ(١)

وقال الأخفَش(٢): اللامُ زائدةٌ، يعني: اللهُ.

وقـرأ أهلُ البصرة كلَيْهمـا: ﴿اللهُ﴾ بالألف(٣)، وهو ظاهرٌ لا يحتاج إلى التأويل، فيُرْفَعُ على أنه خبرُ ابتداءٍ محذوف تقديره: سيقولون: هو اللهُ، وهو في مصاحفِ أهل الأمصار كلِّها: ﴿للهِ... للهِ﴾ إلّا في مصحفِ أهل البصرة، فإنه: ﴿اللهُ... اللهُ﴾، فجَرَى كُلٌّ على مصحفه.

= **اللغة**: رَمْسًا: مدفونًا، والرَّمْسُ: القبر إذا كان مستويًا مع الأرض، النواجع: جمع ناجعة وهم القوم يذهبون في طلب الكلأ في موضعه.
التخريـج: معاني القـرآن للفراء ١/ ١٧٠، ٢/ ٢٤٠، البيـان والتبيين ٣/ ١٨٤، أخبار أبي القاسـم الزجاجي ص ١٥٣، اللامات للزجاجي ص ٤٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٣، الكشـف والبيان ٧/ ٥٤، أسـاس البلاغـة: نجع، عين المعاني ٨٨/ ب، تفسـير القرطبي ١/ ١٣٦.

(١) البيت من الطويل، لم أقف على قائله أو مناسبته.
اللغـة: المزالف: القُرَى، وقيل: هي القرى التي بين البـر والبحر، واحدتها: مَزْلَفةٌ، الجُرْدُ: جمع الأَجْرَدِ من الخيل، وهو القصير الشعرِ، وهو من علامات العتق والكرم فيها.
التخريج: الكشف والبيان ٧/ ٥٤، عين المعانِي ٨٨/ ب، تفسير القرطبي ١٢/ ١٤٦، فتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٩٦.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٥٤.

(٣) قرأ: ﴿اللهُ... اللهُ﴾ بالرفع في الموضعين ابنُ مسعود والحسن وأبو عمرو والجحدري وابن وثاب ونصر بن عاصم وأبو الأشـهب ويعقوب واليزيدي، ينظر: السبعة ص ٤٤٧، معاني القـراءات ٢/ ١٩٤، إعـراب القراءات السـبع ٢/ ٩٣، حجة القراءات ص ٤٩٠، تفسـير القرطبي ١٢/ ١٤٥، ١٤٦، البحر المحيط ٦/ ٣٨٦، الإتحاف ٢/ ٢٨٧.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴿٩٢﴾﴾ قرأَ ابنُ كثير وابن عامر وأبو عَمْرو وحفصٌ: ﴿عَٰلِمِ﴾ بالجرِّ على نعت ﴿اللهِ﴾ في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، وقَرأَ غيرهم بالرَّفع[1]: على الابتداء، أو على خبرِ ابتداء، وإذا وَصَلَ خَفَضَ[2].

قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ﴾؛ أي: يا رَبِّ ﴿إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يعني: من العذاب والنِّقمة، أراد: القتلَ ببدر ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي: معَ القوم ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾؛ أي: فلا تُهلِكْني بهلاكِهم، والفاءُ في قوله: ﴿فَلَا﴾ جواب لـ﴿إِمَّا﴾؛ لأنه شرطٌ وجزاء[3].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ يعني: الكافر؛ أي: ارْدُدْني إلى الدنيا، ولم يقل: ارْجِعْني وهو خِطابُ الواحدِ، قيل[4]: ذلك/ على التعظيم؛ لأنَّ الله تعالى يخبرُ عن نفسِه بما يُخْبَر به عن الجماعة، [١٨/ ب]

---

(١) قرأ بالرَّفع: نافعٌ وحمزة والكسائي، وعاصمٌ في رواية أبِي بكر عنه، وخلفٌ وأبو جعفر والحسن وابنُ أبِي عبلة وأبو حيوة والمُطَّوِّعِيُّ وأبو بَحْرِيَّةَ، ينظر: السبعة ص ٤٤٧، البحر المحيط ٦/ ٣٨٦، الإتحاف ٢/ ٢٨٧.

(٢) قال الثعلبي: «ورَوَى رُوَيْسٌ عن يعقوب، أنه كان إذا ابتدأ رَفَعَ، وإذا وَصَلَ خَفَضَ». الكشف والبيان ٧/ ٥٥، وينظر: عين المعاني ورقة ٨٨/ ب.

(٣) «إِنْ»: شرطية، و«ما»: زائدة، و«تُرِيَنِّي»: فعل الشرط، و«رَبِّ»: نداء معترض بين الشرط وجوابه، وجواب الشرط: «فَلاَ تَجْعَلْنِي»، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٤١، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢١.

(٤) قاله الفراء وابن قتيبة والزَّجّاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣، تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢١، ٢٢، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٢، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٤٨٤.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ﴾[١] وأمثالِه، فخُوطِبَ على هذا كما ابْتُدِئَ بلفظِ التعظيم.

وقال بعضُهم[٢]: هذه المسألة إنّما كانت منه للملائكة الذين يقبضون روحَه، وإنما ابتدأ الكلامَ بخطاب الله ـ عليه السّلام ـ لأنه استغاث أولًا بالله تعالى، ثم رَجَع إلى مسألة الملائكة وطَلَب الرجوعَ إلى الدنيا.

قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾؛ أي: تَسْفَعُ، ويقال: تَنْفَحُ بمعناه، إلا أنَّ ﴿تَلْفَحُ﴾ أبلغ بأسًا[٣]، ومعنى ﴿تَلْفَحُ﴾ أي: يصيبهم حَرُّها، واللَّفْحُ: الإحراق، يقال: لَفَحَتْهُ النارُ والسَّمُومُ: إذا أحرقتْهُ[٤]، واللَّفْحُ أيضًا: الحرارة، والنَّفْحُ في الريح: الباردُ[٥].

وقوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾؛ أي: عابسون، وهو ابتداء وخبر، ويجوز النَّصبُ في غير القرآنِ على الحال، والكُلُوحُ: بُدُوُّ الأسنان عند العُبُوسِ، وقال الزَّجّاج[٦]: الكالحُ في كلام العرب: الذي قد تَشَمَّرَتْ شَفَتاهُ وبَدَتْ أسنانُهُ كما

---

(١) ق ٤٣.

(٢) قاله ابن جريج، واختاره الطبري، ينظر: جامع البيان ١٨/ ٦٨، الكشف والبيان ٧/ ٥٦، تفسير القرطبي ١٢/ ١٤٩.

(٣) قاله الزَّجّاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣، إعراب القرآن ٣/ ١٢٣، وينظر أيضًا: التهذيب ٥/ ٧٣.

(٤) قاله الجوهري في الصحاح ١/ ٤٠١.

(٥) قال الأزهري: «قال ابن الأعرابي: اللَّفْحُ: لكل حارٍّ، والنَّفْحُ: لكلِّ باردٍ». التهذيب ٥/ ٧٣، ١١٢، وقال الجوهري: «قال الأصمعي: ما كان من الرياح لَفْحٌ فهو حَرٌّ، وما كان من الرياح نَفْحٌ فهو بَرْدٌ». الصحاح ١/ ٤٠١.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٣ مع اختلاف كبير في الألفاظ، ولكن هذا الكلام بنصه للنحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٢٣، فيبدو أن المؤلف أخطأ في نسبة هذا النقل.

تُرَى رُؤُوسُ الغَنَمِ. وثَناياهُ خارجةٌ مِنْ فِيهِ، بين شفتَيْه أربعونَ[١] ذراعًا بذراع الرجل الطويل من الخَلْقِ الأول، كلُّ نابٍ له مثلُ جَبَلِ أُحُدٍ، وقد جاء في الحديث، عن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ بمعنى هذا، قال: «تَحْرِقُ أَحَدَهُمُ النّارُ، فتتقلَّص شفَتُه العليا، حتى تبلغَ وسَطَ رأسه، وتسترخيَ شفَتُه السُّفلى حتى تبلغَ سُرّتَه»[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى ﴿١٠٩﴾﴾ قال ابن عباس: يريد المهاجرين، والهاءُ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾: عمادٌ، وتُسمَّى المجهولةَ أيضًا[٣]، قال مجاهدٌ: هم: بلالٌ وخَبّابٌ وصُهَيْبٌ وعَمّارٌ وغيرهم من ضعفاءِ المسلمين، كان أبو جَهْل وأصحابه يَهْزَءُونَ بهم، فنزل قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴿١١٠﴾﴾.

قرأ أهلُ المدينة والكوفة إلّا عاصمًا بضمِّ السِّين، هاهنا وفي سورة ﴿صٓ﴾[٤]، وقرأ الباقونَ بكسرها[٥]، قال الخليل وسيبوَيْه[٦]: هما لغتانِ، مثل

---

(١) في الأصل: «أربعين».

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٨٨، والترمذي في سننه ٤/ ١٠٩ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، ٥/ ١٠ أبواب تفسير القرآن: سورة المؤمنين، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٥ كتاب التفسير: سورة المؤمنون.

(٣) الهاء ضمير الشأن كما يسميها البصريون، وهو ما يعرف عند الكوفيين بالعماد أو المجهولة، ينظر: مصطلحات النحو الكوفي ص ٤٧، ٤٨، ٦٦-٧١.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. ص ٦٣.

(٥) قرأ: ﴿سُخْرِيًّا﴾ بالضم هنا وفي ﴿صٓ﴾ ابنُ مسعود ونافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو جعفر وخلفٌ والأعمشُ وابنُ أبي إسحاق والأعرجُ، وقرأ بالضم في ﴿صٓ﴾ فقط الحسنُ ومجاهد وشيبة والضحاك وابنُ وثاب، وعاصمٌ في رواية المفضل عنه، وقرأ الباقون بالكسر هنا وفي ﴿صٓ﴾، ينظر: السبعة ص ٤٤٨، ٥٥٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣١، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٤، البحر المحيط ٦/ ٣٨٩، ٧/ ٣٨٩، الإتحاف ٢/ ٢٨٨، ٤٢٤.

(٦) قول الخليل وسيبويه لم أقف عليه في الكتاب، وإنما حكاه عنهما الزجاج في معاني القرآن =

قول العرب: بحرٌ لُجِّيٌّ ولِجِّيٌّ، ودُرِّيٌّ ودِرِّيٌّ، وكُرْسِيٌّ وكِرْسِيٌّ.

وقال الفَرّاء(١) والكسائي(٢): الكسرُ بمعنى: الاستهزاء بالقول، والضمُّ بمعنى: التسخير والاستعباد بالفعل. ولم يختلفوا في سورة الزُّخرف(٣) أنه بالضمِّ؛ لأنه بمعنى: التسخير والاستعباد، [إلّا ما رُوي عن ابن مُحيصِن، أنه كَسَرَهُ](٤) قياسًا على سائره، وهو غير قَوِيٍّ، وعلى القراءتَيْنِ جميعًا هو مصدرٌ وُصِفَ به، ولذلك أفرد.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ﴾ على استهزائكم وأذاكم في الدُّنيا، والجزاء: مقابلة العمل بما يستحقُّ به عليه من ثواب أو عقاب، وقوله: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾؛ أي: الناجون، وهو في موضع المفعول الثاني لـ«جَزَيْتُ»، والمعنى: جزَيتُهم اليومَ بِصَبْرِهِم الفوزَ.

[١٩/ أ] قَرأَ حمزةُ والكسائيُّ والأعمش(٥): ﴿إِنَّهُمْ﴾ / بكسر الألف: على

= وإعرابه ٤/ ٢٤، وينظر: معانِي القراءات للأزهري ٢/ ١٩٧، الكشف والبيان ٧/ ٥٨، عين المعانِي ورقة ٨٨/ ب، وهو قول الفراء والكسائي أيضًا كما في معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٢٤، ومعاني القراءات ٢/ ١٩٧، وشمس العلوم ٥/ ٣٠١٥، وتفسير القرطبي ١٢/ ١٥٤.

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٤٣، والفراء لم يقل به، وإنما حكاه عن بعضهم فقال: «وقوله: ﴿سِخْرِيًّا﴾ و﴿سُخْرِيًّا﴾، وقد قُرِئَ بهما جميعًا. قال الذين كسروا: ما كان من السُّخْرةِ فهو مرفوع، وما كان من الهُزُؤِ فهو مكسور».

(٢) نسبه الثعلبيُّ للكسائي في الكشف والبيان ٧/ ٥٨، وينظر: الكشاف ٣/ ٤٤، البحر المحيط ٦/ ٣٩٠.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. الزخرف ٣٢.

(٤) زيادة يقتضيها السياق من الكشف والبيان ٧/ ٥٨.

(٥) وقرأ بكسر الهمزة أيضًا زيدُ بن عَلِيٍّ ونافع في رواية خارِجَةَ، ينظر: السبعة ص ٤٤٩، =

الاستئناف، وقرأ الباقون بفتحه على معنى «لأَنَّهُمْ»، ويحتمل أن يكون نصبًا بوقوع الجزاء عليه كما ذكرنا أولًا، مجازه: إني جزيتهم اليوم الفوزَ بالجنة[1].

قولُه تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾ بفتح النون على أنه جَمْعٌ مُسَلَّمٌ، ومن العرب من يخفضها وينوِّنها[2]، وقَرَأَ ابن كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ[3]: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ على الأمر، وأظهر التاءَ: نافعٌ وابنُ كثير وعاصمٌ، وأدغَمَها الباقون[4]، وقَرأ الأعمش[5]: ﴿عَدَدًا سِنِينَ﴾، ونَصْبُ ﴿عَدَدَ﴾: على البيان في القراءتَيْن جميعًا[6]، و﴿كَمْ﴾: في موضع نصبٍ بـ﴿لَبِثْتُمْ﴾.

وقوله: ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ أنساهم اللهُ قَدْرَ لُبْثِهِمْ، فيرَوْنَ أنهم لم

= إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٥، ٩٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣١، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٥، البحر المحيط ٦/ ٣٩٠، الإتحاف ٢/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(١) ينظر في توجيه هاتين القراءتين: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٤، الحجة للفارسي ٣/ ١٨٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١١٤.

(٢) من أول قوله: «بفتح النون على أنه جمع» إلى هنا قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ١٢٤.

(٣) وهي أيضًا قراءة الأعمش وابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٤٤٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٦، البحر المحيط ٦/ ٣٩٠، الإتحاف ٢/ ٢٨٩.

(٤) قرأ بإدغام التاء في الثاء: أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وهشام وابن ذكوان بخلاف عنه، ينظر: السبعة ص ٤٤٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣٢.

(٥) وهي أيضًا قراءة عاصم في رواية المفضل عنه، ينظر: البحر المحيط ٢/ ٣٩٠.

(٦) قال السمين الحلبي: «وقرأ الأعمش والمفضل عن عاصم: ﴿عَدَدًا﴾ منونًا، وفيه أوجه، أحدها: أن يكون ﴿عَدَدًا﴾ مصدرًا أقيم مقام الاسم، فهو نعت مقدم على المنعوت. قاله صاحب اللوامح. يعني أن الأصل: سنين عددًا؛ أي: معدودةً، لكنه يلزم تقديم النعت على المنعوت، فصوابه أن يقول: فانتصب حالًا. هذا مذهب البصريين. والثاني: أن ﴿لَبِثْتُمْ﴾ بمعنى: عَدَدْتُمْ، فيكون نصب ﴿عَدَدًا﴾ على المصدر، و﴿سِنِينَ﴾ بدل منه. والثالث: أن ﴿عَدَدًا﴾ تمييز لـ﴿كَمْ﴾، و«سِنِينَ ﴿سِنِينَ﴾ بدل منه». الدر المصون ٥/ ٢٠٤-٢٠٥.

يلبثوا إلّا يومًا أو بعضَ يوم لِعِظَمِ ما هم بِصَدَدِهِ من العذاب، وقوله: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾ يعني: الملائكة، ﴿قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾: نعتٌ لمصدرٍ محذوف معناه: إلّا لُبْثًا قليلًا[١] ﴿لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ قَدْرَ لُبْثِكُمْ في الدنيا؛ لأن مُكْثَهُمْ في القبور ـ وإن طال ـ فهو مُتَناهٍ قليلٌ عند طول مُكْثِهِمْ في عذاب جهنَّم؛ لأنه خلودٌ لا نهاية له.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا﴾؛ أي: لعبًا وباطلًا، لا لِحِكْمةٍ، والعبث في اللغة: اللعب والعمل لا لغرضٍ، يقال: عَبَثَ يَعْبَثُ عَبَثًا فهو عابثٌ: لاعبٌ بما لا يعنيه[٢]، وهو منصوبٌ على الحال عند سيبوَيْه[٣] وقُطرُب[٤]، مَجازُهُ: عابِثِينَ، وقال أبو عُبيد[٥]: على المصدر[٦]، وبعضُ نُحاة الكوفة نَصَبَهُ على الظرف، أي: بالعبَث[٧]، وبعض نُحاة البصرة نَصبَه على المفعول له؛ أي: للعبث[٨].

---

(١) أو نعتٌ لظرف محذوف تقديره: زمنًا قليلًا، ينظر: التبيان ص ٩٦٢، الدر المصون ٥/ ٢٠٥.

(٢) قاله الأزهري في التهذيب ٢/ ٣٣٢.

(٣) لم يذكر سيبويه هذه الآية، وإنما تحدث عن وقوع المصدر حالًا في نحو: قَتَلْتُهُ صَبْرًا، ولَقِيتُهُ فُجاءةً ومُفاجَأةً وكِفاحًا ومُكافَحةً. الكتاب ١/ ٣٧٠.

(٤) ينظر قول قطرب في الكشف والبيان ٧/ ٥٩، الكشاف ٣/ ٤٥، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٦، الدر المصون ٥/ ٢٠٥.

(٥) هو: القاسم بن سلام الهَرَوِيُّ الأزدي بالولاء، إمامٌ في اللغة والنحو والأدب، من أهل هَراةَ، ولد وتعلم بها، رحل إلى بغداد ثم إلى مصر، ثم حج وتوفي بمكة سنة (٢٢٤هـ)، من كتبه: غريب الحديث، الغريب المصنف، الأمثال، المقصور والممدود. [إنباه الرواة ٣/ ١٢-٢٣، الأعلام ٥/ ١٧٦].

(٦) قول أبي عُبَيْدٍ في الكشف والبيان ٧/ ٥٩، وحكاه القرطبي عن أبي عبيدة في تفسيره ١٢/ ١٥٦، والسجاوندي في عين المعاني ورقة ٨٨/ ب.

(٧) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٥٩، عين المعاني ورقة ٨٨/ ب.

(٨) قاله الأزهري في التهذيب ٢/ ٣٣٢، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٥٩، الوسيط ٣/ ٣٠٠، الكشاف ٣/ ٤٥.

والمعنى: أفحسِبتُم أنكم خُلِقْتُمْ للعبث فتعبَثوا ولا تعمَلوا بطاعةِ الله؟ ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ في الآخِرة للجزاءِ والحساب. وقَرأَ حمزة والكسائي[١]: ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم.

رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود، أنه مَرَّ بمُصابٍ مُبْتَلًى، فقَرأَ في أذُنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ حتى خَتَمَ السورةَ فَبَرِئَ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «ماذا قرأتَ في أذُنه؟» فأخبره، فقال: «والذي بعثني نبيًّا، لو أن رجلًا مؤمنًا قرأها على جَبَلٍ لَزالَ»[٢].

فصلٌ في ذِكْرِ وجوهِ الحكمةِ في خَلْقِ الله تعالى الخَلْقَ على الاختصار

قال المحقِّقون[٣]: خَلَقَ الله تعالى الخلْقَ ليدلَّ على وجوده وكمال علمِه وقدرته، إذ لو لم يَخلُق الخلقَ لم يكن لوجودهم معنًى.

وسُئِلَ جَعْفَرُ بنُ محمدٍ الصادقُ[٤] ـ رضي الله عنه ـ: لِمَ خَلَقَ اللهُ تعالى

---

(١) وهي أيضًا قراءة خلف ويعقوب، ينظر: السبعة ص ٤٤٩، ٤٥٠، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣٢، حجة القراءات ص ٤٩٤، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٦، البحر المحيط ٦/ ٣٩١، الإتحاف ٢/ ٢٨٩.

(٢) رواه الطبراني في كتاب الدعاء ص ٣٣١، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ١٦٤ وقال: «قال أَبي: هذا الحديث موضوع، هذا حديث الكذابين»، وكذلك أورده ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٢٥٦، ٣/ ٢١١، وينظر: مجمع الزوائد ٥/ ١١٥ كتاب الطب/ باب رقية الجنون، الدر المنثور ٥/ ١٧، كنز العمال ١/ ٥٨٩.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦٠.

(٤) هو: جعفر بن محمدٍ الباقرِ بن عَلِيٍّ زينِ العابدين بن الحسين بن عَلِيٍّ رضي الله عنه، أبو =

الخَلْقَ؟ قال: لأن الله ـ عزّ وجَلّ ـ كان محسنًا بما لم يزَلْ فيما لم يَزَلْ على ما لم يَزَلْ، فأراد سبحانه وتعالى أن/ يفوِّض إحسانَه إلى خلقه، وكان غنيًّا عنهم، لم يخلُقْهم لِجَرِّ منفعة، ولا لدفع مَضَرّةٍ، ولكنْ خَلَقَهُمْ وأَحْسَنَ إليهم، وأرسل إليهم الرسُلَ حتى يفصِلوا بين الحقِّ والباطل، فمن أطاعه كافأه بالجنة، ومن عصاه كافأه بالنار(١). [١٩/ ب]

وقال محمد بن عَلِيٍّ الترمذيُّ(٢): إنّ اللهَ تعالى خَلَقَ الخلق عبيدًا ليعبدوه، فيُثِيبَهُمْ على العبادة، ويُعاقِبَهُم على تَرْكها، فإن عبدوه فهم اليومَ عبيدٌ أحرارٌ كرام، وغدًا أحرارٌ وملوكٌ في دار السلام، وإن رفَضوا العبادة فهم اليومَ عبيدٌ أُبّاقٌ سِفْلَةٌ لئامٌ، وغدًا أعداءٌ في السجون بين أطباقِ النيران.

وقيل(٣): خَلَقَ الله الملائكةَ للقُدرة، وخَلَقَ الأنبياءَ للعبرة، وخَلَقَ آدمَ للمحنة. وقيل: خَلَقهم لإظهار القدرة، ثم رَزَقهم لإظهار الكرم، ثم يميتهم لإظهار القهر والجَبَروت، ثم يُحييهم لإظهار العدل والفضل، والثواب

= عبد الله الصادقُ، سادس الأئمة الاثني عشر، من أجلاء التابعين، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك، ولد بالمدينة، وتوفِّي بها سنة (١٤٨هـ). [سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٥: ٢٧٠، الأعلام ٢/ ١٢٦].

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦٠.

(٢) محمد بن عَلِيٍّ بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، محدث حافظ صوفي، سمع الكثير بخراسان والعراق وقدم نيسابور وحَدَّثَ بها، وتُوُفِّيَ بعد سنة (٣١٨هـ). من كتبه: رياضة النفس، علل العبودية. [حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٣ ـ ٢٣٥، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٣٩ ـ ٤٤٢، الأعلام ٦/ ٢٧٢]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٦٠، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٦.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦١.

والعقاب، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ...﴾ الآية [١].

وقال الأَوْزاعي[٢]: بَلَغَنِي أنّ في السماء مَلَكًا ينادي كلَّ يوم: ألا ليت الخَلْقَ لم يُخْلَقُوا، وليتَهم إذْ خُلِقُوا عَلِمُوا لماذا خُلِقُوا، وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا.

وكان أبو عبد الرحمن الزاهد[٣] يقولُ في مناجاته: إلهي، غيَّبْتَ عَنِّي أَجَلِي، وأحصيتَ عَلَيَّ عملي، ولا أدري إلى أيِّ الدارَيْنِ يُصَيِّرُني القَدَرُ إنْ أوقفتَني موقفَ المحزونين أبدًا ما أبقيتَنِي.

وقال أبو القاسم الحكيم[٤]: إنّ اللهَ تعالى خَلَق ابنَ آدم بين الهوى

(١) الروم ٤٠، وفي الأصل: «وهو الذي خلقكم».

(٢) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، أبو عمرو الدمشقي، من فقهاء المُحَدِّثينَ، ولد ببغداد، وأقام بدمشق، ثم رابطَ ببيروت إلى أن توفِّي سنة (١٥٧هـ)، من كتبه: السنن في الفقه، المسائل في الفقه. [حلية الأولياء ٦/ ١٣٥-١٤٩، سير أعلام النبلاء ٧/ ١٠٧-١٣٤، الأعلام ٣/ ٣٢٠]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٦٠، وحكاه القرطبي عن وهب بن منبه في تفسيره ١٣/ ١٦٥، وينظر: البداية والنهاية ٩/ ٣٠٩، وحكاه الهندي عن ابن عمر في كنز العمال ١٦/ ٧٨.

(٣) هو: عبد الله بن مُنَيِّر أو ابن محمد، أبو عبد الرحمن الزاهد المروزي، ثقة عابد حجة حافظ، كان واسع الرحلة كثير الحديث، توفِّي سنة (٢٤١هـ). [التاريخ الكبير ٥/ ٢١٢، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣١٦، الأعلام ١/ ٥٣٨]، وينظر قوله في كتاب الهَمِّ والحَزَنِ لابن أبي الدنيا ص٧١.

(٤) هو: إسحاق بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو القاسم الحكيم السمرقندي، قاض حنفي، كان ممن يضرب به المثل في الحلم والحكمة وحسن العشرة، تولى قضاء سمرقند طويلًا، توفِّي سنة (٣٤٢هـ)، من كتبه: الصحائف الإلهية، السواد الأعظم. [الأنساب للسمعاني ٢/ ٢٤٣-٢٤٤، الأعلام ١/ ٢٩٦].

والبَلْوى، فما دام الرَّوح في جسده لا يخلو من البَلْوى، فإذا فارقَت الرُّوح جسدَه صار إلى البِلَى، فأين له السرورُ وهو بين البِلَى والبَلْوَى؟

ومنهم من قال: خَلَقَ اللهُ تعالى الخَلْقَ كُلَّهُمْ لأَجْل محمدٍ ﷺ، يدلُّ عليه ما رُوِيَ عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: أَوْحَى اللهُ - عزّ وجلّ - إلى عيسى - عليه السّلام -: «يا عيسى، آمِنْ بمحمدٍ، وأْمُرْ أُمَّتَكَ أن يؤمنوا به، فلولا محمدٌ ما خلقتُ آدمَ، ولولا محمدٌ ما خلقتُ الجنةَ والنار، ولقد خلقتُ العرشَ فاضطرب، فكتبتُ عليه: لا إلَه إلّا الله محمدٌ رسولُ الله، فسَكَنَ»(1)، والله أعلم.

[٢٠/ أ] ثم أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ/ أن يستغفرَ للمؤمنين، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾؛ أي: وأنت أفضلُ رَحْمةً من الذين يَرْحَمُونَ، والله أعلم.

* * *

(1) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٦١٥ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ باب دلائل النبوة، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦١.

سورةُ النُّور

مدَنيّة

وهي خمسةُ آلافٍ وستُّمائةٍ وثمانونَ حرفًا، وألفٌ وثلاثُمائةٍ وستَّ عشْرةَ كلمةً، وأربعٌ وستونَ آيةً.

بابُ ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبيٍّ بن كعبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من قرأ سُورةَ النُّور أُعْطِيَ في الآخرة عَشْرَ حَسَناتٍ بعددِ كلِّ مؤمنٍ فيما مضى وفيما بقي»(١).

وعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُنْزِلُوا النساءَ الغُرَفَ، ولا تُعَلِّمُوهُنَّ الكتابةَ، وعَلِّمُوهُنَّ المِغْزَلَ وسورةَ النور»(٢).

ورُويَ عنه ﷺ أنه قال: «مَن قَرأَ سُورةَ النُّور نُوِّرَ بفضل نورِه أَلْفُ رَجُلٍ من أهل رَحِمِهِ، فإن نَقَصُوا تُمِّمُوا من جيرانِه ومعارفه»(٣).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦٢، الوسيط ٣/ ٣٠٢، الكشاف ٣/ ٨٠، مجمع البيان ٧/ ٢١٦.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٣٩٦ كتاب التفسير: سورة النور، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، ولكن ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٢٦٩ ذكر أنه موضوع، وتَعَجَّبَ من خفاء أمره على الحاكم، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٦٢، الوسيط ٣/ ٣٠٢، الفوائد المجموعة في الأحاديث ص ١٢٦.

(٣) لم أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قولُه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ قَرأَه العامّةُ بالرَّفع، بمعنى: هذه سورةٌ؛ لأنّ العربَ لا تبتدئ بالنَّكرة، هذا قولُ الخليل(١) والزّجّاج(٢)، و﴿أَنزَلْنَاهَا﴾: صفةٌ لها، وقال الأخفش(٣): ﴿سُورَةٌ﴾ ابتداءٌ، وخبَرُه في ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾، وقَرأَ طلحةُ ابن مصرِّف(٤) والحَسن وعيسى بن عُمر(٥): ﴿سُورةً﴾ بالنَّصبِ(٦) على معنى: أَنْزَلْناها سُورةً، والكنايةُ صلةٌ زائدة(٧)، ....

---

(١) الجمل في النحو المنسوب للخليل ص ١٥٨.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٦٣، عين المعانِي ٨٨/ ب، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٨.

(٤) طلحة بن مصرف بن كعب بن عمرو الهمدانِي، أبو محمد اليامي الكوفِيُّ، أقرأُ أهلِ الكوفة في عصره، وكان يسمى سَيِّدَ القُرّاءِ، وهو من رجال الحديث الثقات ومن أهل الورع والنسك، توفِّي سنة (١١٢هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٤٣، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٩١-١٩٣، الأعلام ٣/ ٢٣٠].

(٥) عيسى بن عمر الثقفي بالولاء، أبو سليمان أو أبو عمرو، من أئمة اللغة، شيخ الخليل وسيبويه وأبي عمرو، وهو أول من هَذَّبَ النحو ورَتَّبَهُ، كان صاحبَ تَقَعُّرٍ في كلامه، مكثرًا من استعمال الغريب، من كتبه: الجامع، الإكمال، توفي سنة (١٤٩هـ). [غاية النهاية ١/ ٦١٣، إنباه الرواة ٢/ ٣٧٤ ـ ٣٧٧، الأعلام ٥/ ١٠٦].

(٦) وقرأ بالنصب أيضًا: أبو عمرو وابن محيصن ومجاهد وعمر بن عبد العزيز وابن أبي عبلة وأبو حيوة ومحبوب وأم الدرداء وعيسى الهمدانيُّ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٤، مختصر ابن خالويه ص ١٠١، المحتسب ٢/ ٩٩، القرطبي ١٢/ ١٥٨، البحر ٦/ ٣٩٢، الإتحاف ٢/ ٢٩١.

(٧) يعني أن ﴿سورة﴾ منصوب على الحال من الهاء في ﴿أَنزَلْنَاهَا﴾، إلّا أن الحال تقدمت على صاحبها، وهو قول الفراء في المعاني ٢/ ٢٤٤، ولكن الهاء في ﴿أَنْزَلْناها﴾ ليست زائدة =

وقيل[١]: على الإغراء؛ أي: اتَّبِعوا سورةً أنزلناها.

والسُّــورة مشــتقّةٌ من السُّــورِ الذي يُحِيطُ بالبَلَدِ؛ لأنها تحيطُ بآياتٍ من القرآن[٢]، وقيل[٣]: هي مشــتقّةٌ من السُّــؤْرِ، وهو البَقِيّةُ، وقيل[٤]: من الشَّرف والفخر، قال النابغة:

٣٤ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطاكَ سُوْرةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ[٥]

= كمــا زعم الجبلي هنا، بل هي مفعول به، وينظر: الكشــف والبيان ٧/ ٦٣، البحر المحيط ٦/ ٣٩٣، الدر المصون ٥/ ٢٠٨.

(١) قاله السجاوندي في عين المعانِي ٨٨/ ب، وعلى هذا فجملة ﴿أَنزَلْنَهَا﴾ نعت لـ﴿سُورَةٌ﴾. وفي الآية وجه آخر، وهو أن يكون ﴿سُــورةً﴾ منصوبًا على الاشتغال، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧، المحتســب ٢/ ٩٩، ١٠٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١١٥، ١١٦، البحر المحيط ٦/ ٣٩٢، ٣٩٣، الدر المصون ٥/ ٢٠٧، ٢٠٨.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٣، ٢٠، وينظر: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٧٥.

(٣) قالــه أبــو عبيدة أيضًا في مجاز القــرآن ١/ ٥، وابن الأنباري في الزاهــر ١/ ٧٦، وقال ابن الأعرابِي: «ومن همز السُّــؤْرةَ من سُــؤَرِ القُرآن جعلها بمعنى بَقِيّةٍ من القرآن وقِطْعةٍ»، ينظر قوله في التهذيب ١٣/ ٤٧.

(٤) قالــه ابن الأنباري فــي الزاهر ١/ ٧٥، وحــكاه الأزهري عن أبِي الهيثم فــي تهذيب اللغة ١٣/ ٤٩-٥٠.

(٥) البيــت مــن الطويل، من قصيدة له في مدح النعمان بن المنذر، ومنها الشــاهد رقم ٤٢ ص ١٤٨، ويُرْوَى:

وذلــك أن الله أعطـــاك سورة

اللغة: السُّــورة: الشرف والمنزلة وجمعها سُورٌ بســكون الواو، وأما سُورةُ القرآن فجمعها سُوَرٌ بالفتح، يتذبذب: يضطرب، والمعنى: أن منازل الملوك دون منزلته.

التخريــج: ديوانــه ص ٧٣، مجاز القــرآن ١/ ٤، ٢٠، ١٩٦، جمهرة اللغــة ص ١٧٤، ٧٢٣، الزاهر ١/ ٧٥، تهذيب اللغة ١٣/ ٤٩، الصاحبي ص ٣٢٣، زاد المسير ١/ ٥٠، عين المعاني ورقة ٨٨/ ب، تفسير القرطبي ٥/ ٤٢٤، ١٢/ ١٥٨، ١٥/ ١٦٥، اللسان والتاج: سور.

يريد: شرفًا وفخرًا ومَنْزِلةً، والجمع: سُوَرٌ بفتح الواو، ويجوزُ أن تُجمَع على سُوراتٍ.

قوله: ﴿وَفَرَضۡنَٰهَا﴾؛ أي: أوجَبْنا فيها الأحكامَ، وقَرأَ الحسنُ ومجاهدٌ وابنُ كثير وأبو عَمْرو[١]: ﴿وَفَرَّضۡنَٰهَا﴾ بالتشديد؛ أي: فَصَّلْناها وبَيَّنّاها، وقيل: هو من الفَرْض، والتشديد على التكثير؛ أي: جعلناها فرائضَ مختلفةً، وأوجبناها عليكم/ وعلى مَنْ بَعْدَكُمْ إلى قيام الساعة، وتصديقُ التخفيف قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٢]؛ أي: أنزله، وأرادوا أحكام القرآن وفرائض القرآن. [٢٠/ ب]

قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ﴾ من الأمر بالحلال والنَّهي عن الحرام ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ①﴾؛ أي: لكي تَتَّعِظوا وتعمَلوا بما أمركم الله به، وتنتهوا عما نهاكم الله عنه.

وما بعدَه ظاهرُ الإعراب، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ أي: بالزِّنا ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ﴾ يشهدون على صحة ما قالوا ﴿إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ﴾، رفعُ ﴿شُهَدَآءُ﴾ على معنى اسم ﴿يَكُن﴾، ورَفْعُ ﴿أَنفُسُهُمۡ﴾ على التحقيق؛ لأنهم هم الشهداءُ، ومثله: لا رَجُلَ إلا زَيْدٌ، فما كان جحدًا لم يكن بعد «إلّا» إلّا مرفوعًا، مثلَ: لا إله إلّا الله وما أشبَه ذلك، هكذا قاله الخليل[٣].

(١) قرأ بالتشديد أيضًا ابنُ مسعود وَعُمَرُ بن عبد العزيز وابن محيصن واليزيدي وقتادة، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٤٤، السبعة ص ٤٥٢، معاني القراءات ٢/ ٢٠١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٩٨، الحجة للفارسي ٣/ ١٩١، تفسير القرطبي ١٢/ ١٥٨، البحر المحيط ٦/ ٣٩٣.
(٢) القصص ٨٥.
(٣) الجمل المنسوب للخليل ص ٢٩٧-٢٩٨.

وقولـه: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ ﴿٦﴾﴾ قَـرأَ أهل الكوفـة إلّا أبا بكر: ﴿أَرْبَعُ﴾ بالرَّفـع على خبـرِ الابتداء، المعنى: فشـهادةُ أحدهم التي تَـدْرَأُ حَدَّ القاذف أربعُ شـهاداتٍ بالله[1]، وقَرأَ الباقون بالنَّصب[2] على معنى: أن يشـهَد أربعَ شهادات.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴿٧﴾﴾ قَرأَ نافعٌ[3]: ﴿أَنْ﴾ مخفَّفةً ﴿لَعْنَةُ اللهِ﴾ بالرَّفع، قال سيبوَيْه[4]: لا تُخفِّف «أَنَّ» في الكلام وبعدها الأسماءُ إلّا وأنـت تريد الثقيلةَ، وقال الأخفش[5]: لا أعلمُ الثقيلةَ إلا أجودَ في العربية؛

---

(١) قالـه الفراء والزجاج وغيرهما، وأجاز الفراء أن يكون ﴿شَهَٰدَةً﴾: مبتدأً محذوف الخبر؛ أي: فعليه أن يشهد، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٤٦، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢، ويجوز وجه آخر، وهو أن يكون ﴿شَهَٰدَةً﴾ خبر ابتداء محذوف، أي: فالواجب شهادةُ أحدِهم، ينظر: البيـان للأنباري ٢/ ١٩٢، الفريد في إعراب القـرآن المجيد للمنتجب الهمدانِي ٣/ ٥٨٩، الدر المصون ٥/ ٢١٠، ٢١١.

(٢) قـرأ بالنصب ابنُ كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر، وعاصمٌ في رواية أبي بكر عنه، وقرأ الباقون، وعاصمٌ في رواية حفص عنه بالرفع، ينظر: السـبعة ص ٤٥٢، ٤٥٣، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٠٠، ١٠١، حجة القراءات ص ٤٩٥، تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٢، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩، الإتحاف ٢/ ٢٩٢.

(٣) قـرأ: ﴿أَنْ لَعْنَـةُ اللهِ﴾: نافعٌ وقتادةُ وعيسـى بن عمر وسـلام والأعرج ويعقوب والحسـن وأبو رجاء وعمرو بن ميمون، ينظر: السـبعة ص ٤٥٣، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٠١، المحتسـب ٢/ ١٠، الكشـف عـن وجوه القـراءات ٢/ ١٣٤، التيسـير ص ١٦١، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩، الإتحاف ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٤) قال سيبويه: «... إلا وأنت تريد الثقيلة مُضْمَرًا فيها الاسمُ». الكتاب ٣/ ١٦٣، ١٦٤.

(٥) قـال الأخفش في معرض حديثه عن «أَنْ»: «وتكـون خفيفةً في معنى الثقيلة في مثل قوله: ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ و﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ علـى قولـك: أَنَّـهُ لَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِ، وأَنَّـهُ الحمدُ للهِ». معانـي القـرآن ص ١١٤، أما القول الذي أورده الجبلي هنا فقد حكاه الفارسـي بنصه عن الأخفش في الحجة ٣/ ١٩٤.

لأنك إذا خَفَّفْتَ والأصلُ التثقيلُ، فتُخَفِّفُ وتضمرُ الشأنَ، بأن تجيءَ بالأصل ولا تحذفَ شيئًا ولا تُضْمِرَ، أجودُ. وقرأ الباقونَ بتشديد «أَنَّ» ونصبِ اللعنة.

قوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا (٩)﴾ قَرأه العامّةُ بالرَّفع على الابتداء، وخبَرُه في «أَنَّ»، وكذلك حُكمُ الآية التي قبلَها حُكمُها، فتَرفَعُ «الْخامِسةُ» بـ«أَنَّ»، و«أَنَّ» بالخامسة، وقَرأَ حفصٌ وطلحةُ وأبو عبد الرحمن السُّلمي[١] بالنَّصب[٢]، على معنى: وتَشْهَدُ الشهادةَ الخامسةَ، ولا خلافَ في التي قبلَها[٣]، وقرأ نافعٌ[٤]: ﴿أَنْ﴾ بالتخفيف ﴿غَضِبَ اللَّهُ﴾ مثل: سَمِعَ اللهُ، على الفعل، وقرأ الباقونَ بتشديد «أَنَّ» ونَصْب الغضب على الاسم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾؛ أي: سَتْرُه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾ وجواب «لَوْلا» محذوفٌ، يعني: لَعاجَلَكُمْ بالعقوبة وفَضَحَكُم، ولكنه سَتَرَ عليكم ورَفَعَ عنكم الحَدَّ باللِّعانِ حِكْمةً منه ورَحْمةً، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ يعود على من رَجَع عن معاصي الله إلى ما يحب بالرحمة ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما فَرَضَ من الحدود.

---

(١) هو: عبد الله بن حبيب بن رُبَيِّعةَ الكوفي، من أولاد الصحابة ولد في حياة النبي ﷺ، قرأ القرآن ومهر فيه، وعرض على عثمان وعَلِيٍّ وابن مسعود رضي الله عنهما، وأقرأَ الناسَ في المسجد الأعظم أربعين سنة، وكان ثقة رفيع المحل، توفِّي سنة (٧٣هـ). [تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٠، غاية النهاية ١/ ٤١٣، سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٦٧-٢٧٢].

(٢) ينظر: السبعة ص ٤٥٣، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣٥، تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٣، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩، الإتحاف ٢/ ٢٩٣.

(٣) لا، بل هناك خلافٌ، فقد قرأ طلحة والسلمي والحسن والأعمش وخالد بن إلياس: ﴿والْخامِسةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ﴾ بالنصب، ينظر: حجة القراءات ص ٤٩٥، تفسير القرطبي ١٢/ ١٨٣، مفاتيح الغيب ٢٣/ ١٦٦، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩.

(٤) ينظر: السبعة ص ٤٥٣، حجة القراءات ص ٤٩٦، البحر المحيط ٦/ ٣٩٩، الإتحاف ٢/ ٢٩٢.

[٢١/ أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ يعني/ : بالكذب على عائشةَ رضي الله عنها. والإفك: أسوأُ الكذب وأقبَحُه، وهو مأخوذٌ من: أَفَكَ الشيءَ: إذا قَلَبَهُ عن وجهه، والإفكُ: هو الحديثُ المقلوبُ عن وجهه.

وقولـه: ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾؛ أي: جماعـةٌ منكـم، وهو خبـر «إِنَّ»، ويجوز النصبُ على الحال(١)، ويكون الخبر: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ قال الفراء(٢): العُصْبةُ: الجماعة من الواحد إلى الأربعين.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ يعنـي: الإفْك، أي: والذي تَحَمَّلَ مُعْظَمَـهُ فبدأَ بالخَوْض فيه منهـم ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾. قَرأَ العامة ﴿كِبْرَهُۥ﴾ بكسـر الكاف، وقرأ حُميدٌ الأعرج(٣) ويعقوبُ بضمِّ الكاف(٤)، قال أبو عَمْرو ابن العـلاء(٥): هو خَطَأٌ؛ لأنَّ الكُبْر بالضم في الوَلَاءِ والسِّـنِّ، ومنه الحديث:

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٣٠، وهذا إنما يجوز في غير القرآن.

(٢) قال الفراء: «والعُصْبةُ: عَشَرةٌ فما زادَ». معاني القرآن ٢/ ٣٦.

(٣) هو حميد بن قيس المكي الأعرجُ، أبو صفوان المروزي، مولى بني أسد بن عبد العزى، لم يكن بمكة أقرأ منه ومن ابن كثير، وهو ثقة، رَوَى عن مجاهد وعكرمة وغيرهما، وروى عنه أبو حنيفة ومالك وابن عيينة، توفِّي سنة (١٣٠هـ). [غاية النهاية ١/ ٢٦٥، تهذيب التهذيب ٣/ ٤١، ٤٢].

(٤) قـرأ بضم الكاف أيضًا الكسـائيُّ، وأبو عمرو في رواية محبوبٍ عنـه، وأبو رجاء والثوريُّ والحسـنُ ومجاهـدٌ والزهريُّ والأعمـشُ وابنُ أبي عبلـة وأبو جعفر وأبو البَرَهْسَـم وابنُ قطيب، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠٢، المحتسـب ٢/ ١٠٣، ١٠٤، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٠٠، مفاتيح الغيب ٢٣/ ١٤٧، البحر المحيط ٦/ ٤٠٢، الإتحاف ٢/ ٢٩٣.

(٥) قـال النحاس: «قِيلَ لأبي عمرو بن العلاء: أَتَقْرَأُ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾؟ فقال: لا، إنما الكُبْرُ في النسـب». معاني القرآن ٤/ ٥٠٩، وينظر قوله أيضًا في الكشـف والبيان ٧/ ٧٨، عين المعاني ٩١/ أ.

«الـولاءُ للكُبْر»[١] وهو أَقْعَدُ وَلَدِ الرَّجُلِ من الذكور وأقربُهم إليه نسبًا، وقال الكسائي[٢]: هما لغتان مثلَ: صِفْر وصُفْر.

والكِبْر بالكسر: المأثم، وبضمِّ الكاف: المُعْظَمُ، وقيل[٣]: الضمُّ في النَّسَب، والكسرُ في النَّفْسِ، ويقال[٤]: كِبْرٌ ـ بالكسر ـ: مصدرُ الكبير من الأشياء والأمور، وكُبْرٌ ـ بالضم ـ: مصدر الكبير من السن.

والذي تولى كِبْرَهُ قيل: هو عبدُ الله بن أُبَيٍّ بن سَلُولٍ وأصحابه وحَسّانُ ابن ثابت ومِسْطَحُ بن أُثاثة[٥] وحَمْنةُ بنتُ جحش[٦]، فهم الذين تولَّوا كِبرَه، ثم فشا ذلك في الناس حتى نزلت البراءةُ والوحي في شأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وصفوانَ بنِ المُعَطَّلِ[٧].

---

(١) رواه الدارمي في سننه ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٩٦ كتاب الفرائض: باب الولاء للكبر، وباب ما للنساء من الولاء، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٣٠٣-٣٠٥ كتاب الولاء: باب الولاء للكبر.

(٢) ينظر قوله في تهذيب اللغة ١٠/ ٢٠٩، الكشف والبيان ٧/ ٧٨.

(٣) قاله ابن السكيت والنحاس، ينظر: إصلاح المنطق ص ٣٣، إعراب القرآن ٣/ ١٣٠.

(٤) ذكره الرازي بدون نسبة في تفسير غريب القرآن ص ٢٣٩.

(٥) هو: عوف بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، غلب عليه لقب مسطح، كان شجاعًا شريفًا، وكان ممن خاضوا في حديث الإفك، شهد بدرًا والمشاهدَ كلها، وتوفِّي سنة (٣٤هـ). [الإصابة ٦/ ٧٤، الأعلام ٧/ ٢١٥].

(٦) حمنة بنت جحش بن رئاب الأسدية، أخت السيدة زينب، تزوجها مصعب بن عمير، وقُتِلَ يوم أُحُدٍ فتزوجها طلحة بن عبيد الله، وكانت ممن خاضوا في حديث الإفك. [أسد الغابة ٥/ ٤٢٨، الإصابة ٨/ ٨٨].

(٧) صفوان بن المعطل بن رحضة، أبو عمرو السلمي، صحابي، شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية سنة (١٩هـ)، روى عن النبي ﷺ حديثين. [أسد الغابة ٣/ ٢٦، الأعلام ٣/ ٢٠٦].

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[1]، وهو من الأَلِيَّةِ، والأَلِيَّةُ: اليَمِينُ، قال حسان:

٣٦ـ آلَيْتُ ما في جَمِيعِ النّاسِ مُجْتَهِدًا مِنّي أَلِيّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنادِ[2]

[٢١/ ب] وقوله/: ﴿أَن يُؤْتَوْا۟﴾ (٢٢) معناه: أَلّا يُؤْتَوا، فحذف «لا»، نظيره قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾[3]؛ أي: ألا تضلوا، وقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾[4] يريد: أَلّا تَقَعَ على الأرض[5]، قال يزيد بن مُفَرِّغٍ[6]:

= ولا يُقِرُّ على شيءٍ واحدٍ، رددته: يعني: عن نصيحتي، التَّعْذالُ: اللَّوْمُ، المُؤْتَلِي: المُقَصِّرُ، أي: لا يُقَصِّرُ في نُصْحِي.

التخريج: ديوانه ص ١٨، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٧٠، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥١١، شرح القصائد المشهورات للنحاس ١/ ٣٠، شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٣٤، أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١/ ٣٦.

(١) البقرة ٢٢٦.

(٢) البيت من البسيط، من قصيدة له في رثاء النبي ﷺ، ورواية ديوانه:

آلَيْتُ حَلْفَةَ بَرٍّ غَيْرِ ذِي دَخَلٍ

اللغة: الأَلِيّةُ على وزن فَعِيلةٍ: اليمين، والجمع: أَلَايَا، الإِفْنادُ: الكذب.

التخريج: ديوانه ص ٢٠٧، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٧١، نهاية الأرب للنويري ١٨/ ٤٠٢.

(٣) النساء ١٧٦.

(٤) الحج ٦٥.

(٥) ما قاله الجبلي هنا موافق لمذهب الكوفيين، وهو ما قاله الفراء في أكثر من موضع من معاني القرآن ١/ ٢٢٣، ٢٩٧، ٣٦٦ وغيرها، وأما البصريون فيقدرون مضافًا محذوفًا يكون مفعولًا لأجله، والتقدير: كراهةَ أن يؤتوا، ينظر: معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥١٢.

(٦) يزيد بن زياد بن ربيعة الملقب بِمُفَرِّغ، أبو عثمان الحِمْيَرِيُّ، شاعر غَزِلٌ هَجّاءُ مقذع، سكن البصرة، مدح عبد الملك بن مروان، ثم سكن الكوفة وتوفِّي بها سنة ٦٩ هـ. [الشعر والشعراء ص ٣٦٧-٣٧١، الأعلام ٨/ ١٨٣].

٣٧ـ لا ذَعَرْتُ السَّوامَ في وَضَحِ الصُّبْـ ـحِ مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدا
يَوْمَ أُعْطِي مَخافَةَ المَوْتِ ضَيْمًا والمَنايا يَرْصُدْنَنِي أَنْ أَحِيدا[1]

يريد: ألّا أَحِيدا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ أراد: أن الجوارحَ تتكلَّم وتنطق بما عَمِلت في الدنيا، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يريد: يوم القيامة ﴿يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾؛ أي: جزاءَهم وحسابهم الحق، يعني: الواجب.

قَرَأَه العامّةُ بنصبِ القاف، وقرأ مجاهدٌ: ﴿الْحَقُّ﴾ بالرَّفع: على نعت ﴿ٱللَّهُ﴾، وتصديقه قراءةُ أُبَيٍّ[2]: ﴿يُوَفِّيهِمُ اللهُ الْحَقُّ دِينَهُمْ﴾. ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ... الآية﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: الطَّيِّبين والطيبات ﴿مُبَرَّءُونَ﴾ أي: مُنَزَّهُونَ ﴿مِمَّا يَقُولُونَ﴾ يعني: مما

---

(١) البيتان من الخفيف، ويُرْوَيانِ:

.... في فَلَقِ الصُّبْحِ .... دُعِيتُ يَزِيدُ
يَوْمَ أُعْطِي مِنَ المَخافةِ ضَيْمًا ....

اللغة: ذَعَرَ السَّوامَ: أفزعها، والسَّوامُ: كل إبِلٍ تُرْسَلُ تَرْعَى ولا تُعْلَفُ، وَضَحُ الصبحِ وفَلَقُهُ: بياضه، لا دُعِيتُ يزيد؛ أي: لا دُعِيتُ الفاضلَ، يعني: هذا يزيد ولا يفتخر بأن اسمه يزيد، أن أحيد: يريد: لئلّا أحيد؛ أي: أميل عنها.

التخريج: ديوانه ص ٧٢، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٧١، الأغاني ١٧/ ٥١، الخصائص ٣/ ٢٧٣، المختار من شعر بشار ص ١٧٧، أمالي ابن الشجري ١/ ١٣١، خزانة الأدب ٨/ ٣٦٧.

(٢) قرأ ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأبو روق وأبو حيوة: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ برفع الحق، وقرأ النبي ﷺ وأُبَيٌّ: ﴿يُوَفِّيهِمُ اللهُ الحَقُّ دِينَهُمْ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠٣، المحتسب ٢/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١٠، البحر المحيط ٦/ ٤٠٥.

يقول الخبيثاتُ والخبيثون، ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، يعني عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ وصفوانَ، فذَكَرَهُما بلفظ الجمع كقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾[١]، والمراد: به أخَوانِ[٢].

فصلٌ

عن عائشـةَ ـ رضـي الله عنها ـ أنها قالت: لقد أُعْطِيتُ تسـعًا ما أُعْطِيَت امـرأةٌ: لقـد نَزَلَ جبريلُ ـ عليه السّـلام ـ بصورتي في راحته حين أُمِرَ رسـولُ الله ﷺ أن يتزوَّجنـي، ولقـد تزوَّجني بِكرًا وما تَزَوَّجَ بِكْـرًا غيري، ولقد تُوُفِّيَ وإنّ رأسَـه لَفـي حِجْرِي، ولقد قُبِـرَ في بيتي ولقد حَفَّـتْ الملائكةُ بيتي، وإنْ كان الوحـيُ لَيَنْزِلُ عليه فـي أهله فيتفرَّقون عنه وإنْ كان لَيَنْـزِلُ عليه وأنا معه في لحافه، وإني لابنةُ خليفتِه وصِدِّيقِـه، ولقـد نزل عُـذري من السـماء، ولقد خُلِقتُ طيِّبةً لعبدٍ طيِّبٍ، ولقد وُعِدْتُ مغفرةً ورزقًا كريمًا[٣].

قوله تعالـى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾: نعت «بُيُوتًا» ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾؛ أي: حتى تستأْذِنوا، قاله جماعةُ المفسِّرين، قال ابن عباس[٤]: أخطأ الكاتبُ في قوله: ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ إنما هي: حتى تستأْذِنوا.

---

(١) النساء ١١.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٤٩.

(٣) رواه الطبرانـي في المعجم الكبير ٢٣/ ٣٠، ٣١ بلفظ «أُعْطِيتُ سِـتًّا»، و«أُعْطِيتُ سَـبْعًا»، وذكره الثعلبي باللفظ الذي أورده المؤلف هنا في الكشف والبيان ٧/ ٨٣، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٣١٤، ٣١٥.

(٤) ينظـر: الوسـيط ٣/ ٣١٥، وهكذا قرأهـا ابن عباس وابن مسـعود وَأُبَيٌّ وسـعيد بن جبير والأعمش، ينظر: جامع البيان ١٨/ ١٤٥، ١٤٦، تفسير القرطبي ١٢/ ٢١٣، مفاتيح الغيب ٢٣/ ١٩٦، البحر المحيط ٦/ ٤١٠.

وقال أهل المعاني[1]: الاستئناس: الاستعلام، يقال: آنَسْتُ منه كذا؛ أي: عَلِمْتُ، والمعنى: حتى تستعلِموا وتنظروا وتتعرَّفوا، ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ وهو أن يقول: السلامُ عليكم، أأدْخُلُ؟ ولا يجوز دخولُ الإنسان بيتَ غيرِه إلا بالاستئذان لهذه الآية، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: الاستئذان ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾؛ أي: أفضلُ من أن تدخُلوا بغير إذْنٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: لكي تعلَموا أنّ الاستئذانَ خيرٌ لكم فتأْخذوا به.

قال عطاءٌ: قلتُ لابن عباس: أَستَأْذِنُ على أُمِّي وأُختي ونحن في بيتٍ واحد؟ قال: أَيَسُرُّكَ أن ترى منهنَّ عورةً؟ قلتُ: لا، قال: فاسْتَأْذِنْ[2] / . [٢٢/ أ]

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: يَكُفُّوا، وقيل: ينقصوا من أبصارهم عن النظر إلى ما لا يجوز، يقال: غَضَّ منه: إذا نَقَصَ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾[3]؛ أي: انقص منه، قال الشاعر:

٣٨ـ فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابا[4]

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٤٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٩، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥١٧.

(٢) ينظر: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ٢/ ٢٤٩، زاد المسير ٦/ ٢٨، فتح الباري ١١/ ٢١، وقد روى الإمام مالك عن عطاء، أن رسول الله ﷺ سأله رجل فقال: يا رسول الله: أَسْتَأْذِنُ على أُمِّي؟ فقال: «نعم»، قال الرجل: إني معها في البيت، فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عليها»، فقال الرجل: إني خادمها، فقال له رسول الله ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عليها، أَتُحِبُّ أن تراها عريانةً»؟، قال: لا، قال: «فاسْتَأْذِنْ إِذَنْ عَلَيْها». الموطأ ٢/ ٩٦٣ كتاب الاستئذان/ باب الاستئذان، وينظر: السنن الكبرى للبيهقي ٧/ ٩٧ كتاب النكاح/ باب «كيف الاستئذان».

(٣) لقمان ١٩.

(٤) البيت من الوافر، لجرير يهجو الراعي النميري.

التخريج: ديوانه ص ٨٢١، الكتاب ٣/ ٥٣٣، الكامل ١/ ٣٤٠، المقتضب ١/ ٣٢١، =

و«مِنْ» هاهنا: صلة[١]؛ أي: يَغُضُّوا أَبْصارَهُمْ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ وإنّما ظهر التضعيفُ في الثانِي لأنّ لام الفعل من الثانِي ساكنةٌ، ومن الأول متحرِّكة، وهما في موضع جزم على الجواب للأمر[٢].

فصلٌ

عن عُبادةَ بن الصّامت ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اضمَنوا لي ستًّا من أنفسِكم أَضْمَنْ لكم الجنةَ: اصْدُقُوا إذا حَدَّثْتُمْ، وأوفُوا إذا وعدتُم، وَأَدُّوا إذا اؤْتُمِنْتُمْ، واحفَظوا فروجَكم، وغضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديَكم، تدخلوا جنةَ ربِّكم»[٣].

= معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨١، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٠، ٤/ ٣٩١، إعراب القراءات السبع ١/ ٣٦٨، ٢/ ٤١، الاقتضاب ١/ ١٠٨، شمس العلوم ٨/ ٤٨٨٤، شرح المفصل ٩/ ١٢٨، شرح الشافية للرضي ٢/ ٢٤٤، اللسان: حدد، ارتشاف الضرب ص ٣٤٤، ٧٢٦، همع الهوامع ٣/ ٤٤٧، خزانة الأدب ١/ ٧٢، ٧٤، ٦/ ٥٣١، ٩/ ٣٠٦.

(١) قاله الكسائي والأخفش، ذكر ذلك الهروي في الأزهية ص ٢٢٩ والزمخشري في الكشاف ٣/ ٦٠، والأنباري في البيان ٢/ ١٩٤، وهو مذهب جمهور الكوفيين والأخفش في جواز زيادة «مِنْ» في الكلام الموجب، ووافقهم الفارسي في كتاب الشعر، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٩٨، ٩٩، ٢٥٤، ٢٧٤، ٢٩٠، ٤٦٤، كتاب الشعر ص ٤٤٤، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٣٨، ١٣٩، شرح الكافية الشافية ص ٧٩٨، ٧٩٩، شواهد التوضيح والتصحيح ص ١٢٥-١٢٨.

وأما جمهور البصريين فإنهم لا يجيزون زيادة «مِنْ» في الكلام الموجب، ويجعلونها في ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ للتبعيض؛ لأن المراد ترك النظر إلى ما يحل دون ما يحل، وقال النحاس ومكي والأنباري: هي لبيان الجنس، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ١٣٣، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٢٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٢٠، البيان للأنباري ٢/ ١٩٤.

(٢) من أول قوله: «وإنما أظهر التضعيف» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ١٣٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٢٣، وابن حبان في صحيحه ١/ ٥٠٦ كتاب البر والإحسان: باب الصدق والأمر بالمعروف.

وعن عَلِيِّ بن أَبي طالب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «النَّظرُ إلى محاسنِ المرأة سهمٌ من نِبال الشيطان مسمومٌ، فمن رَدَّ بَصَرَهُ ابتغاءَ ثواب الله - عزّ وجلّ - أبدَلَه الله - عزّ وجلّ - بذلك ما يَسُرُّهُ»(١).

وعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «بينما رجلٌ يصلِّي إذْ مَرَّتْ به امرأةٌ، فنظر إليها، فأَتْبَعَها بَصَرَهُ، فذهبت عيناه»(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وهم الذين يتْبعونكم؛ ليصيبوا من فَضْلِ طعامكم، ولا حاجةَ لهم في النِّساء ولا يشتهونَهنَّ، وقيل: هو: الشيخ الهَرِمُ، والعِنِّينُ، والخَصِيُّ، والمَجْبُوبُ، وقيل: هو المخنَّث الذي لا يقوم ذَكَرُهُ(٣).

والإِرْبةُ والأَرَبُ: الحاجةُ، يُقالُ: أَرِبْتُ إلى كَذا آرَبُ أَرَبًا: إذا احْتَجْتَ إلَيْهِ، والإِرْبةُ بِالكَسْرِ: الحاجةُ إلى النِّكاح، وفِيهِ لُغاتٌ: إِرْبٌ وإِرْبةٌ ومَأْرُبةٌ(٤)، قال المُطرِّزي: أصلها من الأُرْبة: وهي العُقدة. فكَأَنَّ قلب صاحبها معقودٌ بها.

واختلف القُرّاءُ في قوله: ﴿غَيْرِ﴾: فنَصَبه أبو جعفرٍ وابنُ عامر وعاصمٌ

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٧٣، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٤ كتاب الرقاق: باب «النظرة سهم من سهام إبليس»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٦٣ كتاب الأدب، باب غض البصر.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٨٧.

(٣) ينظر في هذه الأقوال: جامع البيان ١٨/ ١٦٢: ١٦٥، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٢٥، ٥٢٦، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٤، ٢٣٥.

(٤) ويقال: أَرَبٌ ومَأْرُبةٌ أيضًا، قاله الجوهري في الصحاح ١/ ٨٧.

برواية أبي بكر والمفضَّل[١]، وله وجهانِ، أحدُهما: الحال والقطع؛ لأن التابعينَ معرفةٌ و﴿غَيْرَ﴾ نكرة، والآخَر: أنه استثناءٌ، ويكون ﴿غَيْرَ﴾ بمعنى «إِلَّا»[٢]، وقرأ الباقونَ بالخَفْض على نعتِ التابعين.

[٢٢/ ب] وقوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ / لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ أي: لم يُكْشَفُوا على عَوْرات النساء فيَطَّلِعُوا عليها، وقيل: معناه: لم يَقْوُوا على الجِماع.

والطِّفل يكون واحدًا وجمعًا، وهو موضوعٌ للجنس، ولهذا وَصَفه بلفظ الجمع وعَقَّبَهُ بلفظ الجمع[٣]. وسُمِّيت عورةً لأنّ كشفَها يورث العُوارَ.

قوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ﴾ يعني: النساء ﴿بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ أي: ولا تضرب المرأةُ برِجْلِها إذا مَشَتْ لِيُسْمَعَ صوتُ خَلْخالِها. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾ يعني: عما كنتم تعملون في الجاهلية، والمعنى: راجِعوا طاعتَه فيما أَمَرَكم به ونهاكم عنه.

وقوله: ﴿أَيُّها الْمُؤْمِنُونَ﴾ قرأ ابنُ عامر[٤] بضمِّ الْهاء، ومثله: ﴿يا أَيُّها

---

(١) وقرأ بالنصب أيضًا يزيدُ بن القعقاع، وقرأ الباقون وعاصم في رواية حفص بالخفض، ينظر: السبعة ص ٤٥٤-٤٥٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٠٦، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٦، البحر المحيط ٦/ ٤١٣، الإتحاف ٢/ ٢٩٦.

(٢) ذكر الفراء هذين الوجهين عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ النساء ٩٥، ينظر: معاني القرآن ١/ ٢٨٣، ٢٨٤، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٤، الحجة للفارسي ٣/ ١٩٧، الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٥٩٤، ٥٩٥، الدر المصون ٥/ ٢١٧.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٣٤ ومعاني القرآن ٤/ ٥٢٦.

(٤) قرأ ابن عامر وحده: ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بضم الهاء هنا و﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن ٣١] وصلًا، وقرأ ابن عامر وابن وثاب وأبو حيوة: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ [الزخرف ٤٩] =

﴿السَّاحِرُ﴾[١] في الزخرف، و﴿أَيُّها الثَّقَلانِ﴾[٢] في الرحمن، قال أبو عليٍّ الفارسي[٣]: وهذا لا يتَّجه؛ لأن آخرَ الاسم هو الياء الثانية من «أَيٍّ»، فينبغي أن يكون المضموم آخرَ الاسم، ولو جاز أن يُضَمَّ الهاءُ ـ من حيث كان مقترنًا بالكلمة ـ لَجازَ أن يُضَمَّ الميمُ في «اللَّهُمَّ»؛ لأنه آخر الكلمة، وينبغي ألا يُقرأَ بهذا، ولا يؤخَذَ به.

وقرأ الباقون: «أَيُّها» بالألف في الثلاثة، ووقف أبو عَمْرٍو والكِسائيُّ بالألف فيهن، ووقف الباقونَ على الهاء من غير ألف[٤].

فصل

عن ابن عُمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يا أَيُّها الناس، توبوا إلى ربِّكم، فإنِّي أتوبُ إلى الله في كلِّ يوم مائةَ مَرّةً»، رواه مسلمٌ[٥]

= وصلًا، وقرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب: ﴿أَيُّها﴾ بالألف وقفًا، وقرأ ابن عامر ونافع وابن كثير وعاصم وحمزة وأبو جعفر وخلف: ﴿أَيُّهَ﴾ وقفا، ينظر: السبعة ص ٤٥٥، ٥٨٦، ٦٢٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٠٧، ٣٠٢، ٣٣٧، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٣٨، ١٦/ ٩٧، ١٧/ ١٦٩، التيسير ص ١٦١، ١٦٢، البحر المحيط ٦/ ٤١٤، الإتحاف ٢/ ٢٩٦، ٤٥٧، ٥١١.

(١) الزخرف ٤٩.

(٢) الرحمن ٣١.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٥) صحيح مسلم ٨/ ٧٣ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار: باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، وينظر: مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٦٠، ٢٦١، ٥/ ٤١١، المعجم الكبير ١/ ٣٠٢.

عن أَبِي بكر بن أَبِي شَيْبَة عن غُنْدَرٍ[١] عن شُعبة[٢].

قوله تعالـى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [٣٢] هو: جَمْع الأَيِّم، وهو: مَن لا زَوْجَ لـه مِن رَجُلٍ أو امرأةٍ، يقال: رجلٌ أَيِّـمٌ وامرأةٌ أَيِّمةٌ[٣]، والفعل منه: آمَتِ المرأةُ تئيمُ أَيْمًا وأَيْمة وأُيُومًا، وتأَيَّمت تأَيُّمًا، ويقال: فلانةٌ أَيِّمٌ: إذا لم يكن لها زوجٌ، بِكْرًا كانت أو ثَيِّبًا، والجمع: أَيامَى، والأصل: أَيائِمُ فقُلِبت، ورجلٌ أَيِّمٌ: لا امرأةَ له[٤].

قال السُّدِّيُّ[٥]: مَن لم يكن له زوجٌ من امرأةٍ أو رجل فهو أَيِّمٌ، وهذا قول

---

(١) هو: محمد بن جعفر بن داران، أبو عبد الله الهذلي بالولاء، المعروف بغُنْدَرٍ، محدِّث متعبد من أهل البصرة، كان أصح الناس كتابة للحديث، روى عنه أحمد بن حنبل وابن معين، ظل يصوم يومًا ويومًا خمسـين سنة، توفِّي سـنة (١٩٣هـ). [سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٨: ١٠٢، الأعلام ٦/ ٦٩].

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بسطام الأزدي العتكي بالولاء، أمير المؤمنين في الحديث، عالِمُ البصرة وشيخها، أول من فتش عن أمر المُحَدِّثينَ وجانَبَ الضعفاءَ والمتروكين، توفي سـنة (١٦٠هـ)، من كتبه: الغرائب فـي الحديث. [وفيات الأعيان ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠، سـير أعلام النبلاء ٧/ ٢٠٢-٢٢٨، الأعلام ٣/ ١٦٤].

(٣) قالـه أبـو عبيدة في مجاز القـرآن ٢/ ٦٥، وابن قتيبة في غريب القـرآن ص ٣٠٤، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٣٥.

(٤) من أول قوله: «آمت المرأة تئيم» قاله ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٣٤١.
وقول المؤلف: «والأصل: أيائم فقُلِبَتْ» تابَعَ فيه ابنَ السكيت والأزهريَّ والفارسيَّ في أن «أيامى» مقلوبُ موضعِ العين إلى اللام، وأن وزنه «فَعائِلُ»، ولكن سيبويه ذهب إلى أنه غير مقلوب، وأن وزنه «فَعـالَى»، ينظر: الكتـاب ٣/ ٦٥٠، تهذيب اللغة ١٥/ ٦٢٢، الكشاف ٣/ ٦٣، شـرح الشـافية للرضي ٢/ ١٤٦، اللسـان: «أيم»، البحر المحيط ٦/ ٤١٤، الدر المصون ٥/ ٢١٧.

(٥) هو: إسـماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُّـدِّيُّ، أبو محمد القرشي، تابعي سكن =

جماعة المفسِّرين، قال الشاعر:

٣٩ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَسَعْدٌ بِبابِ القادِسِيَّةِ مُعْصِمُ
فأُبْنا وَقَدْ آمَتْ نِساءٌ كَثِيرةٌ ونِسْوةُ سَعْدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيِّمُ(١)

وقال آخَر:

٤٠ ـ فإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحْ وَإِنْ تَتَأَيَّمِي وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمُ أَتَأَيَّمُ(٢)

= الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير، كان إمامًا عارفًا بالوقائع والأيام، كان يقعد في سُدّةِ باب الجامع بالكوفة فسمي السُّدِّيَّ، روى عن أنس وابن عباس، توفِّي سنة (١٢٨هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٤، ٢٦٥، الأعلام ١/ ٣١٧].

(١) البيتان من الطويل، لرجل من بَجِيلةَ يتهم سعدَ بنَ وَقّاصٍ بأنه لم يقاتل، وأن نساءه لم تتأيم، ويروى أن سعدًا ـ رضي الله عنه ـ دعا عليه وقال: اللهم إن كان كاذبًا فاقطع لسانه ويده، فجاءه سَهْمٌ وهو واقف بين الصَّفَّيْنِ، فوقع في لسانه، فبَطَلَ شِقُّهُ، فلم يتكلم حتى مات، ورواية صدر البيت الأول عند الطبري:

نُقاتِلُ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ

ويروى الثاني: «وَنِسْوانُ سَعْدٍ» مكان: «ونسوة سعد».

اللغة: مُعْصِمٌ: لازم مقيم، أَعْصَمَ الرَّجُلُ بصاحبه إعصامًا: لزمه خوفًا من السقوط.

التخريج: ديوان بني أسد ٢/ ٥٩٩، تاريخ الطبري ٣/ ٥٧٧، ٥٨٠، الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٧٩، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ١٤٠، الزاهر ١/ ١٦٧، الأضداد للأنباري ص ٣٣٢، الكشف والبيان ٧/ ٨٩، تاريخ مدينة دمشق ٢٠/ ٣٤٤، ٣٤٥، البداية والنهاية ٧/ ٤٥، الكامل في التاريخ ٢/ ٣١٥.

(٢) البيت من الطويل، لم أقف على قائله، ويروى عجزه:

يَدَ الدَّهْرِ ما لم تنكحي أتأيمُ

اللغة: تَأَيَّمَ الرَّجُلُ وتَأَيَّمَتِ المرأةُ: مَكَثا زمانًا لا يتزوجان، يَدَ الدهرِ يقال: لا أفعله يَدَ الدهر أي: لا أفعله أبدًا.

التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٦٥، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٣٢، الزاهر ١/ ١٦٦، =

والمعنى: زوِّجوا أيُّها المؤمنونَ مَن لا زوجَ له من أحرار رجالكم ونسائكم، وهو أَمْرُ نَدْبٍ واسْتِحْبابٍ، وهو الصحيح المشهور / والذي عليه الجمهور، وفَسَّرَ بعض الفقهاءِ الآيةَ على الحَتْمِ والإيجابِ، فأَوْجَبَ النكاحَ على من استطاعه. [٢٣/ أ]

فصلٌ

قال الشافعيُّ ـ رحمه الله ـ [١]: «واجِبٌ للمرأة والرجل أن يتزوَّجا إذا تاقتْ أنفسُهما إلى النكاح؛ لأنّ اللهَ ـ جل ثناه وتقدَّست أسماؤه ـ أَمَرَ به ورَضِيَهُ ونَدَبَ إليه، فبلَغَنا أنّ النبي ﷺ قال: «تَناكَحُوا تكْثُرُوا، فإنّي أُباهِي بكم الأُمَمَ، حتى بالسِّقْطِ»[٢].

وقال ـ عليه السّلام ـ: «مَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فلْيَسْتَنَّ بسُنَّتي، وهي النكاح»[٣].

ولأنه يَنتفعُ بدعاء وَلَدِهِ مِن بَعْدِهِ، ومَن لم تَتُقْ نَفْسُهُ إِلَى ذَلِكَ فأَحَبُّ إلَيَّ أَن يتخلَّى لعبادة الله تعالى، وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ القواعد من النساء وذَكَرَ عَبْدًا أكرمه، فقال ـ عزَّ من قائل ـ: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ

= الكشف والبيان ٧/ ٨٩، عين المعاني ورقة ٩١/ ب، مجمع البيان ٧/ ٢٤٤، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٤٠، اللسان: أيم.

(١) كتاب الأم ٥/ ١٥٤، ١٥٥ بتصرف من المؤلف.

(٢) ينظر: الجامع الصغير ١/ ٥١٧، الدر المنثور ٢/ ٣١٠، كنز العمال ١٦/ ٢٧٦، كشف الخفاء ١/ ٣١٨.

(٣) رواه البيهقي بسنده عن أبي هريرة في السنن الكبرى ٧/ ٧٨ كتاب النكاح: باب الرغبة في النكاح، وينظر: مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٢ كتاب النكاح: باب الحث على النكاح، كنز العمال ١٦/ ٢٧٢، ٢٧٩.

ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[1]، والحَصُورُ: الذي لا يأتي النساءَ، ولا يَحْتاجُ إلى النكاح، فدَلَّ على أن المندوب إليه من يَحْتاجُ إليه» ا هـ.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتَى على أُمَّتي مائةٌ وثمانون سنةً فقد حَلَّتْ لهُمُ العُزْبَةُ[2] والعُزْلةُ والتَّرَهُّبُ عَلَى رُءُوسِ الجِبالِ»[3].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال ﷺ: «يا معشرَ الشباب، منِ استطاع منكم الباءةَ فلْيتزوَّجْ، فإنه أغَضُّ للبصر وأحصَنُ للفَرْج، ومَن لم يستطع فعليه بالصَّوم، فإنه له وِجاءٌ»[4].

ويُسْتَحَبُّ له أن يتزوَّج الأبكارَ، ولا يتزوجَ عجوزًا ولا عاقرًا، لما رُوِيَ عن ابن عُمر ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسول الله ﷺ قال: «عليكم بالأبكار، فإنّهن أعذَبُ أفواهًا وأَنْتَقُ أرحامًا وأَسْمَنُ أَقْبالًا وأرضى باليسير من العمل»[5].

---

(١) آل عمران ٣٩.

(٢) العُزْبَةُ: ترك النكاح.

(٣) هذا الحديث موضوع، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٩٨ بلفظ: «ثلاثمائة وثمانون سنة»، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٩٢، كنز العمال ١١/ ١٤٥، الفوائد المجموعة ص ١٢١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩ كتاب الصوم: باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، ٦/ ١١٧ كتاب النكاح: باب قول النبي ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج»، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٢٨ كتاب النكاح.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه ١/ ٥٩٨ كتاب النكاح/ باب تزويج الأبكار، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٨١ كتاب النكاح/ باب استحباب التزويج بالأبكار، وينظر: المعجم الكبير للطبراني ١٠/ ١٤٠، ١٧/ ١٤١.

ومعنى قوله ـ عليه السّلام ـ: «أنتَقُ أرحامًا» يعني: كثيرةَ الولد، يقال: امرأةٌ ناتِقٌ؛ أي: كثيرةُ الأولاد، قال الشاعر:

٤١ ـ أَبَى لهُمُ أن يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو ناتِقٍ كانتْ كَثِيرًا عِيالُها[(١)]

وإذا أراد أن يتزوَّج امرأةً فلْيسأل عن شَعَرِها كما يسألُ عن وجهها، فإنّ الشَّعَرَ أَحَدُ الجمالَيْنِ، رُوِيَ ذلك عن النبي ـ عليه السّلام ـ[(٢)].

وعن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «أعظمُ نساءِ أُمَّتِي / بركةً أَصْبَحُهُنَّ وَجْهًا وأَقَلُّهُنَّ مَهْرًا»[(٣)]. [٢٣/ ب]

وعن أبِي الدَّرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالسَّرارِي، فإنّهنَّ مبارَكاتُ الأرحام»[(٤)].

وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالوجوه الحِسانِ والحَدَقِ

---

(١) البيت من الطويل، لأُنَيْفِ بنِ حَكَمٍ، أو ابن زَبّانَ النَّبْهانِيِّ الطائيِّ، يصف كتائب قومه.
التخريج: الكامل للمبرد ١/ ٩٤، شرح الحماسة للتبريزي ١/ ٨٨، ٢/ ٩٥، شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٧١، ٦٣٨، أساس البلاغة: «نتق»، غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٢٧٥، تاج العروس: «نتق».

(٢) هذا حديث موضوع، رُوِيَ عن أبي هريرة، ينظر: الموضوعات ٢/ ٢٦٢، الكشف والبيان ٧/ ٩٣، الجامع الصغير ١/ ٩٠، كنز العمال ١٦/ ٢٩١، تذكرة الموضوعات ص ١٢٧.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٦٤ وقال: «وهذا الحديث منكر المتن»، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٩٣، الجامع الصغير ١/ ٦٣٠، كنز العمال ١٦/ ٢٩٧، كشف الخفاء ١/ ٣٨٨.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٨/ ١٨٧، وهو حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٢٥٩، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٩ كتاب النكاح/ باب التسري.

السُّودِ، فإنّ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ يَستحيي أن يعذِّبَ وجهًا مليحًا بالنار»(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾ يعني: إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾؛ أي: الزِّنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴿٣٣﴾﴾ يعني: إِذْ أَرَدْنَ، وليس معناه الشرط(٢)؛ لأنه لا يجوزُ إكراهُهنَّ على الزنا إن لم يُردْنَ تحصنًا، نظيرُها قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٣) يعني: إِذْ كُنْتُمْ، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٤)؛ أي: إِذْ كُنْتُمْ، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(٥)؛ أي: إِذْ شاءَ اللهُ.

وقال الواحدي(٦): إنما شَرَطَ إرادةَ التحصُّن لأنّ الإكراه لا يُتَصَوَّرُ إلا عندَ إرادة التحصُّن، فإن لم تُرِدِ المرأةُ التحصنَ باغَتْ بالطبع.

والتحصُّن: التعفُّف والتزويج.

---

(١) هذا الحديث أيضًا موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٦١، وينظر: ميزان الاعتدال ١/ ٥٠٩، ٢/ ٢٣١، تذكرة الموضوعات ص ١٦٢.

(٢) هذا قول الكوفيين كما ذكر الرماني وابن فارس وغيرهما في مثل هذه الآية، قال الرماني: «وزعم الكوفيون أنها تأتي بمعنى «إِذْ»، قالوا ذلك في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، زعموا أن معناه: إذْ شاء الله، والبصريون يأبون ذلك ويقولون: «إِنْ» هاهنا شرط على بابها، وإنما جاء هذا على تقدير التأديب للعباد ليتأدبوا بذلك». حروف المعاني ص ٧٦، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٠، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٣٣، الصاحبي ص ١٧٧، الأزهية ص ٥٥، الجنى الداني ص ٢١٢، مغني اللبيب ص ٣٩، همع الهوامع ١/ ٣٩٦.

(٣) البقرة ٢٧٨.

(٤) آل عمران ١٣٩.

(٥) الفتح ٢٧.

(٦) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٣١٩.

نزلت هذه الآيةُ في مُعاذةَ ومُسَيْكةَ جارِيَتَيْ عبدِ الله بن أُبَيٍّ، كان يُكرِهُهما على الزنا بضريبةٍ يأخذُها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية، يؤاجِرون إماءَهم، فلمّا جاء الإسلام قالت مُعاذةُ لمُسَيْكة: إنّ هذا الأمرَ الذي نحن فيه لا يختلف من وجهَيْن، فإن يكُ خيرًا فقد استكثَرْنا منه، وإن يكُ شرًّا فقد آنَ لنا أن ندعَه، فأنزل الله هذه الآية[1].

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني: هادي أهلِ السماواتِ والأرض، لا هاديَ فيهما غيرُه، فهم ـ بنُوره ـ إلى الحقِّ يهتدون، وبُهداه من حَيْرة الضلالة يَنْجُون، وليس يهتدي مَلَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلا بِهُدًى منه.

وقيل: معناه: مُزَيِّنُ السماواتِ بالشمس والقمر والنجوم، ومُزَيِّنُ الأرض بالأنبياءِ والعلماء والمؤمنين.

ومعنى النُّور في اللغة: الضِّياء، وهو الذي يُبَيِّنُ الأشياءَ، ويُرِي الأبصارَ حقيقةَ ما تراه، قال بعضُ العلماء: النُّور على أربعة أوجه: نُورٌ مُتَلأْلِئٌ، ونورٌ مُتَوَلِّدٌ، ونورٌ من جهة صفاءِ اللون، ونورٌ من جهة المدح، فالنُّور المتلألئُ مثلُ قُرص الشمس والقمر والكواكب وشعلة السِّراج، والنور المتولِّد هو الذي يتولد من شُعاع الشمس والقمر والسراج فيقعُ على الأرض فتستنير به/ ، والذي هو [٢٤/ أ]
من صفاءِ اللون مثلُ نور اللآلئ واليواقيت وسائرِ الجواهر وكلِّ شيءٍ له نورٌ صافٍ، والذي هو من جهة المدح قولُ الناس: فلانٌ نُورُ البلد وشمسُ العصر، قال النابغة:

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٩٩، أسباب النزول ص ٢١٩، ٢٢٠، زاد المسير ٦/ ٣٨.

٤٢ ـ فَإِنَّكَ شَمْسٌ والمُلُوكُ كَواكِبُ   إِذا ما بَـدَتْ لم يَبْقَ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ[(١)]

وقال آخَر:

٤٣ ـ إِذا سـارَ عَبْـدُ اللهِ مِنْ مَرْوَ لَيْلَةً   فقدْ سـارَ مِنْهـا نُورُهـا وجَمالُها[(٢)]

ويجوز أن يقال: اللهُ تعالى نُورٌ من جهة المدح؛ لأنه أَوْجَدَ الأشياءَ، ونُورُ جميعِ الأشـياءِ منه دونَ سـائر الأوجه؛ لأنّ النُّورَ المحسوسَ ـ الذي هو ضدُّ الظُّلمَة ـ لا يخلو من شُـعاع وارتفاع وسطوع ولُمُوعٍ، وهذه كلها مَنْفيّةٌ عن الله تعالى؛ لأنها من أمارات الحَدَثِ[(٣)].

وقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ قيل: الهاء عائدة إلى المؤمن؛ أي: مثل نوره في قلب المؤمـن، حيث جعـل الإيمانَ والقرآنَ في صدره، وقيـل: أراد بالنور القرآن، وقيـل: أراد به محمدًا ﷺ، أضاف هذه الأنوارَ إلى نفسـه تفضيلًا، وقيل: أراد بالنُّور الطاعةَ، سَـمَّى طاعتَهُ نُورًا، ولا يجوز أن تكونَ الهاءُ عائدةً إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ لأنه لا حدَّ لنُوره[(٤)].

---

(١) البيت من الطويل من قصيدة يمدح بها النعمان بن المنذر، ومنها الشاهد رقم ٣٤، ١/ ٣٣١، ورواية ديوانه:

بِـأَنَّـكَ شَـمْـسٌ........   إِذا طَلَعَـتْ لم يَبْـدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ

التخريـج: ديوانـه ص ٧٤، الصناعتين ص ٩١، ٢٧٠، الصاحبـي ص ٣٢٣، عين المعاني ورقة ٩١/ ب، الحماسة البصرية ص ٣٦٩، القرطبي ١٢/ ٢٥٦، البحر المحيط ٦/ ٤١٨.

(٢) البيت من الطويل، لعمار بن الحسن، يمدح عبد الله بن المبارك، ويُرْوَى: «**فَقَدْ سارَ عَنْها**».
التخريج: تاريخ دمشـق ٣٢/ ٤٣٤، تاريخ بغداد ١٠/ ١٦٢، عين المعاني ٩٠/ أ، تفسـير القرطبي ١٢/ ٢٥٦، البحر المحيط ٦/ ٤١٨، تهذيب الكمال ١٦/ ١٩، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩١، فتح القدير ٤/ ٣٢.

(٣) من أول قوله: «هادي أهل السماوات» نقله المؤلف بتصرف عن الثعلبيِّ في الكشف والبيان ٧/ ١٠٠، ١٠١.

(٤) قوله: «ولا يجوز أن تكون الهاء» قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٩٧.

ثم ضَرَب لهم مثلًا، فقال: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، قال أهل المعانِي: هذا من المقلوب، أي: كمصباح في مشكاة، وهي: الكُوّةُ التي لا مَنْفَذَ لها، فهو أَجْمَعُ للضوء[1]، وأصلُها الوعاءُ يُجْعَلُ فيه الشيءُ، والمِشكاةُ: وعاءٌ من أَدَمٍ يُبَرَّدُ فيها الماءُ، وهي على وزن «مِفْعَلة» كالمِقْراةِ والمِصْفاةِ[2]، قال الشاعر:

٤٤ - كأَنَّ عَيْنَيْهِ مِشْكاتانِ مِنْ حَجَرٍ فاضا افْتِياضًا بِأَطْرافِ المَناقِيرِ[3]

وقرأ الدُّورِيُّ[4] عن الكسائي[5]: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ بالإمالة، والمِصباح: السِّراج، وأصلُه الضُّوء ومنه: الصُّبح، ورجلٌ صَبِيحُ الوجهِ ومُصْبِحٌ: إذا كان وضيئًا.

وفَرَّقوا بينَ المِصباح والسِّراج، فقال الخليل[6]: المصباح: السِّراجُ بالمِسْرَجةِ، وقيل: هو موضعُ الفتيلة، والسِّراج: نفسُ السراج.

---

(١) قوله: «وهي الكوة... إلخ» قاله ابن قتيبة وأبو عمر الزاهد، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٥، ياقوتة الصراط ص ٣٧٧.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٧.

(٣) من البسيط، لأبي زُبَيْدٍ الطائيِّ يصف عَيْنَيْ أسدٍ، ويُرْوَى:

كأن عينيه في وَقْبَيْنِ..... قِيضا اقْتِياضًا........

اللغة: المشكاة: الكُوّةُ غير النافذة قِيضا: حُفِرا، والقَيْضُ: قشرة البيضة العليا، وقاضَها الطائرُ: شَقَّها عن الفَرْخِ فانقاضت؛ أي: انشقت، الوَقْبُ في الحَجَرِ: نُقْرةٌ يجتمع فيها الماء.

التخريج: الشعر والشعراء ص ٦٨٥، الصناعتين ص ١٣٤، الكشف والبيان ٧/ ١٠٢، عين المعانِي ورقة ٩٠/ أ، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٥٨.

(٤) هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي، أبو عمر الدُّورِيُّ، إمام القراء في عصره، كان ثقة ضابطًا، ضريرًا، وهو أول من جمع القراءات، توفِّي بالرِّيِّ سنة (٢٤٦هـ)، من كتبه: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن قراءات النبي ﷺ. [غاية النهاية ١/ ٢٥٥: ٢٥٧، الأعلام ٢/ ٢٦٤].

(٥) ينظر: السبعة ص ٤٥٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٠٧، الإتحاف ٢/ ٢٩٧.

(٦) قال الخليل: «والمصباح: السراج بالمِسْرَجةِ، والمصباح: نفس السراج، وهو قُرْطُهُ الذي =

وقيل: السراج أعظمُ من المصباح؛ لأن الله تعالى سَمَّى الشمسَ سِراجًا فقال: ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾[١]، وقال: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[٢]، وقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾[٣]، وقال في غيرها من الكواكب: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[٤].

قوله: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ يعني: القِنديلَ، وهو رَفْعٌ بالابتداء، قال الزَّجّاجُ[٥]: النور/ في الزُّجاجِ وضوءِ النارِ أَبْيَنُ منه في كلِّ شيء، وضوؤه يزيد [٢٤/ ب] في الزُّجاجِ.

ثم وَصَفَ الزُّجاجةَ فقال: ﴿الزُّجَاجَةُ﴾: رفعٌ بالابتداء ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ وهو المضيء، منسوبٌ إلى أنه كالدُّرِّ في صفائه وضيائه وحُسنه، وإن كان الكوكبُ أكثرَ ضوءًا من الدُّرِّ، ولكنه يَفْضُلُ الكواكبَ بضيائه، كما يَفضُلُ الدُّرُّ سائرَ الحَبِّ[٦]. فشَبَّهَ الزَّجاجةَ بأحد النجوم الخمسة، وهي: الزُّهرة وعُطارِدٌ والمشتري وبَهْرامُ وزُحَلُ، كلُّها أنجُمٌ دُرِّيّةٌ؛ أي: مضيئة.

فإن أراد به لونَ الدُّرِّ فهو على قراءة مَن قرأ: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضمِّ الدال من غير

= تراه في القنديل وغيره». العين ٣/ ١٢٦، فجملة «وقيل: هو موضع الفتيلة» ليست من كلام الخليل، بل هي مقحمة عليه.

(١) النبأ ١٣.

(٢) نوح ١٦.

(٣) الفرقان ٦١.

(٤) الملك ٥.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٣، ٤٤.

(٦) من أول قوله: «منسوب إلى أنه كالدر» قاله أبو بكر السجستاني في تفسير غريب القرآن ص ١١٢، وينظر: تفسير غريب القرآن للرازي ص ٢٠٧.

همز، ومن قرأ: ﴿دِرِّيٌّ﴾ بكسر الدال، فهو مِنْ: دَرَأ الكوكبُ: إذا خرج من أُفقٍ إلى أُفق[(١)]، ولا يجوز أن تُضمَّ الدالُ وتهمز؛ لأنه ليس في الكلام «فُعِّيلٌ»[(٢)].

ومثال ﴿دُرِّيٌّ﴾: «فُعْلِيٌّ» منسوب إلى الدُّرِّ. ويجوز: ﴿دِرِّيٌّ﴾ بغير همز، يكون مخففًا من المهموز، وهو بمعنى ﴿دُرِّيٌّ﴾، وكُسِرَ أوله حملًا على وسطه وآخره؛ لأنه ثقل عليه ضمةٌ بعدها كسـرة وياء، كما قالوا: كِرْسِيٌّ للكُرْسِيِّ[(٣)]، ودِرِّيءٌ مهموز: «فِعِّيلٌ» من النجوم الدراري التي تَدْرَأُ أي: تَنْحَطُّ وتسير سيرًا متدافعًـا، يقال: دَرَأَ الكوكبُ: إذا تدافع مُنْقَضًّا فتضاعف ضوؤُه، ويقال: تَدارَأَ الرجلان: إذا تدافعا[(٤)].

قرأ أبو عَمْرٍو والكسـائيُّ[(٥)]: «دِرِّيءٌ» بكسـر الدال والمدِّ والهمز، وقَرأَ حمزةُ وأبو بكرٍ مثلَهما إلّا أنّهما ضَمّا الدالَ.

---

(١) وعلى هذا فوزنه «فِعِّيلٌ»، قاله ابن قتيبة وابن الأنباري والأزهري، ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٥، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٩٦، معاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٠٨.

(٢) قالـه الفراء والزجاج، وينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤، وفيه نظر، فإنه يوجد «فُعِّيلٌ» مهموزًا وإن كان قليلًا، قال سيبويه في باب «ما لحقته الزوائد من بنات الثلاثة»: «ويكون على «فُعِّيلٍ»، وهو قليل في الكلام، قالوا: المُرِّيقُ، حدثنا أبو الخطاب عن العرب، وقالوا: ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ وهو صفة». الكتاب ٤/ ٢٦٨، وينظر: رَدُّ ابن الأنباري على الفراء في الزاهر ١/ ١٩٦، وَرَدُّ الفارسيِّ على الزَّجّاجِ في الإغفال ٢/ ٤٨٨ وما بعدها، وينظر أيضًا: المسائل المشكلة ص ٤٩٧، معاني القراءات ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

(٣) قال الجوهري: «والكُرْسِـيُّ: واحد الكَراسِيِّ، وربما قالوا: كِرْسِيٌّ بكسر الكاف». الصحاح ٣/ ٩٧٠.

(٤) من أول قوله: «وهو بمعنى دري، وكسـر أوله» قاله أبو بكر السجسـتانِي في تفسـير غريب القرآن ص ١١٢.

(٥) قرأ أبو عمرو والكسائي واليزيدي: ﴿دِرِّيءٌ﴾، وقرأ حمزةُ، وأبو بكر عن عاصم، والأعمشُ =

وأنكر الفَرّاء[1] والزَّجّاجُ[2] وأبو العَبّاس المبرّدُ[3] هذه القراءةَ؛ لأنه ليس في كلام العرب شيءٌ على هذا الوزن، وقرأ الباقون: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضمِّ الدال وتشديد الياء من غير همزٍ ولا مدٍّ، وقد تقدَّم وجهُ ذلك.

ثم قال: ﴿تُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكةٍ زَيْتُونةٍ﴾ قرأ نافعٌ وشيبةُ[4] وأيوبُ وحفصٌ وابنُ عامر: ﴿يُوقَدُ﴾ بالياء مع الضم، وقَرأَ أبو عَمْرو وابنُ كثير والحسنُ وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ ومجاهدٌ وأبو جعفر: ﴿تَوَقَّدَ﴾ بالتاء وفتح حروف الكلمة كلِّها، وهما متقاربتان؛ لأنهما جميعًا للمصباح، فـ﴿يُوقَدُ﴾ فعلُ مستقبَلٍ من: أَوْقَدَ يُوقِدُ، و﴿تَوَقَّدَ﴾: فعلُ ماضٍ من: تَوَقَّدَ يتوقَّدُ.

وقرأ نَصْرُ بنُ عاصِمٍ أيضًا: ﴿تَوَقَّدُ﴾، والأصل على قراءته: تتوقَّدُ، حذَفَ إحدى التاءَيْن؛ لأنّ الأخرى تدلُّ عليها، وقَرأَ الكوفيون[5]: ﴿تُوقَدُ﴾ بالتاء وضمِّها، فهاتان القراءتان على تأنيث / الزُّجاجة. [٢٥/ أ]

= والمُطَّوِّعِيُّ: ﴿دُرِّيٌّ﴾، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر، وحفص وأبو جعفر ويعقوب وخلف والحسن وابن محيصن: ﴿دُرِّيٌّ﴾ بضم الدال من غير همز، ينظر: السبعة ص ٤٥٥، ٤٥٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٠٨، ١٠٩، حجة القراءات ص٤٩٩، التيسير ص١٦٢، تفسير القرطبي١٢/ ٢٦١، البحر المحيط ٦/ ٤١٩، الإتحاف٢/ ٢٩٧، ٢٩٨.

(١) ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٤.

(٣) ينظر إنكار المبرد في الوسيط للواحدي ٣/ ٣٢٠.

(٤) هو شيبة بن نِصاح بن سرجس بن يعقوب المخزومي المدنِيُّ، مولى أم سلمة، قاضي المدينة وإمام أهلها في القراءات، وكان من ثقات رجال الحديث، توفي سنة (١٣٠هـ). [غاية النهاية ١/ ٣٢٩، ٣٣٠، الأعلام ٣/ ١٨١].

(٥) قرأ «تَوَقَّدُ» بالتاء أيضًا: السُّلَمِيُّ وقتادةُ وابنُ محيصن وسلام وعاصمُ بن بهدلة ومجاهد وابن أبي إسحاق، وعاصمٌ في رواية المفضل عنه، والحسنُ وهارونُ، ينظر في هذه القراءات =

وقولـه: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾؛ أي: من زيتِ شـجرةٍ مباركة، فحَذَف المضاف، يَدُلُّكَ على ذلك قولُهُ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾.

وأراد بالشجرة المباركة: شجرةَ الزيتون، وهي كثيرةُ البركة، وفيها أنواع المنافع؛ لأنّ الزيتَ يُسْرَجُ منه، وهو إِدامٌ ودِهانٌ ودِباغ، ويُوقَدُ بِحَطَبِ الزَّيْتُونِ وثُفْلِهِ، ورَمادُهُ يُغْسَلُ بِهِ الإِبْرِيسَمُ، ولا يُحْتاجُ في استخراج دُهْنِهِ إلى عَصّارٍ[1].

فصلٌ

عن عُمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ائْتَدِموا بالزَّيت وادَّهِنُوا به، فإنه يَخرُج من شجرةٍ مباركة»[2].

ثم فسَّـرها فقال: ﴿زَيْتُونَةٍ﴾، وخَصَّها من بين سـائر الأشجار لأنّ دُهْنَها أَصْفَـى وأَضْوَأُ، وقولُه: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أي: لم تُصِبْها شـمسُ الشـرق ولا شـمسُ الغرب، قـال ثعلبٌ والمبرّد[3]: «معناه: لا شـرقيّةٌ كُلُّها ولا غربيّةٌ كُلُّها، هي شرقيّةٌ غربيّةٌ، وهو أحسَنُ ما يكونُ من الشجر، تَطلُعُ عليها الشمسُ،

= وتوجيهها: السبعة ص ٤٥٥، ٤٥٦، إعـراب القرآن للنحـاس ٣/ ١٣٨، حجة القراءات ص ٥٠٠، معاني القراءات ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٠٩، الكشـف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣٨، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٢، البحر المحيط ٦/ ٤١٩، ٤٢٠، الإتحاف ٢/ ٢٩٨.

(١) قاله السـجاوندي في عين المعاني ٩٠/ أ، وثُفْلُ الشـيءِ وثافِلُهُ: ما اسـتقرَّ تحته من كَدَرِهِ ورَسَبَ.

(٢) رواه الدارمي في سـننه ٢/ ١٠٢ كتاب الأطعمة: باب في فضل الزيت، ورواه الترمذي في سننه ٣/ ١٨٦، ١٨٧ أبواب الأطعمة: باب ما جاء في أكل الزيت، ورواه ابن ماجه في سننه ٢/ ١١٠٣ كتاب العقيقة/ باب الزيت.

(٣) قولهما حكاه عنهما أبو عمر الزاهد بنصه في ياقوتة الصراط ص ٣٧٨.

وتغرُب عليها الشمسُ». و﴿شَرْقِيَّةٍ﴾: نعتٌ لـ﴿زَيْتُونَةٍ﴾، و﴿لَّا﴾ ليست تَحُولُ بين النعت والمنعوت، ﴿وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: عطفٌ على ﴿شَرْقِيَّةٍ﴾.

وقوله: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ﴾ يعني: يكاد زيتُ الزَّيتونة يضيءُ المكانَ من صفائه ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ والمعنى: يكاد قلبُ المؤمن يعمَلُ بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاءه العلمُ ازداد هدًى على هدًى، وذلك قولُه تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ وهو رَفْعٌ على خبرِ ابتداءٍ محذوف، تقديره: هو نُورٌ على نور.

فصلٌ

في معنى المشكاةِ والمِصباح والزَّجاجة والشَّجرة

قيل(١): المِشكاة: إبراهيمُ، والزَّجاجةُ: إسماعيلُ، والمِصباح: محمدٌ صلى الله عليه وعليهم أجمعين، كما يُسَمَّى سِراجًا، والشجرة: آدمُ عليه السّلام، بُورِكَ في نَسْله، فكَثُرَ منه الأنبياءُ والأولياء.

وقيل(٢): المِشكاة: صدرُ محمدٍ ﷺ، والزُّجاجةُ: قلبُه، والمِصباح: نُورُ النُّبوّة على نُورِ الحِكمة، والشجرة: مِلّةُ الخليل عليه السّلام لا يهوديّةٌ ولا نصرانيّةٌ.

وقيل(٣): هو مَثَلُ الإيمان، فالمِشكاة: صدرُ المؤمن، والزُّجاجةُ: قلبُه،

---

(١) قاله محمد بن كعب القرظي، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٠٥، مجمع البيان ٧/ ٢٥١، زاد المسير ٦/ ٤٤، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٣.

(٢) قاله ابن عمر وكعب الأحبار، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٠٥، زاد المسير ٦/ ٤٤، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٣.

(٣) ذكره السجاوندي في عين المعانِي ورقة ٩٠/ أ.

والمصباح: نُورُ الاعتقاد على نورِ الإقرار، والشجرةُ: النبيُّ محمدٌ ـ عليه السّلام ـ لا غُلُوَّ في هَدْيِهِ ولا تَقْصِيرَ، فإنّ في أهل الشرقِ شدّةً، وفي أهل الغرب لِينًا.

ورُوِيَ عـن النبيِّ ﷺ أنه قال: «المؤمنُ نُـورٌ، وكلامُه نُور، وعمَلُه نور، ومدخَلُه في نور، فهو نُورٌ على نُور»[١].

﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني: لِدِينِهِ الإسلامِ، وإن شئتَ قلت: للقرآن، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: يبيِّـن الأشـياءَ للنـاس تقريبًا إلـى الأفهام، وتسهيلًا لسبل دار/ السلام، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ بأهل النُّور والظلام. [٢٥/ ب]

قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ يعني: المساجدَ، أَمَرَ اللهُ أن تُبْنَى، والمرادُ برَفْعها: بناؤها، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[٢]، وقيل: المعنى: أن تُعظَّمَ عن الكلام بالخَنا، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾؛ أي: يُوَحَّدَ اللهُ فيهـا ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا﴾؛ أي: يُصَلِّـي لله في تلك البيـوت، يعني: الصَّلواتِ المفروضة ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ يعني: بِالبُكَرِ والعَشايا.

وقرأ ابنُ عامر، وأبو بكرٍ في روايته عن عاصمٍ، والحَسَنُ[٣]: ﴿يُسَبَّحُ لَهُۥ﴾ بفتح الباء، على الفعل المَجهول، أي: يُصَلَّى للهِ فيها بالغدوِّ والآصال، ثم فَسَّرَ مَنْ يُصَلِّي فيها، فقال: ﴿رِجَالٌ﴾ كأنه قيل: مَنْ يُسَبِّحُ فيها؟ فقال: ﴿رِجَالٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري عن أُبَيِّ بن كعب في جامع البيان ١٨/ ١٨٤، وينظر: زاد المسير ٦/ ٤٥، عين المعانِي ورقة ٩٠/ أ.

(٢) البقرة ١٢٧.

(٣) وقـرأ بفتح البـاء أيضًا: حفصٌ في رواية البحتري عنه، وأبو عمـرو في رواية محبوب عنه، ويعقوبُ في رواية المنهال عنه، والمفضلُ، ينظر: السبعة ص ٤٥٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٠٩، ١١٠، حجـة القراءات ص ٥٠١، تفسـير القرطبـي ١٢/ ٢٧٥، البحر المحيط ٦/ ٤٢١، الإتحاف ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩.

فعلى هذه القـراءة: ﴿رِجَالٌ﴾: رَفْعٌ على خبرِ ابتـداءٍ محذوف، تقديرُه: المُسَبِّحُ: رِجالٌ[1]، وعلى القراءة الأخرى رَفعٌ بفعلِهم، ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾؛ أي: لا تشغَلُهم ﴿تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قـال الواقدي[2]: أراد بالتجارة: الشِّـراءَ، نظيرُها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾[3] يعني بالتجارة: الشِّـراء. وقال الفَرّاء[4]: التجارةُ لأهل الجَلَبِ، والبيعُ: ما باعَهُ الرجلُ على يَدَيْهِ.

قولـه: ﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ٣٧﴾؛ أي: إقامةِ الصَّـلاة، فحُذِفَ الهـاءُ الزائدةُ لأجل الإضافة؛ لأن الخافضَ وما خَفَض عندَهم كالحرف الواحد، فاستغنَوْا بالمضاف إليه عن الهاء؛ إذْ كانت الهاءُ عِوضًا عن الواو؛ ولأنّ أصلَ الكلمة:

---

(١) هـذا القول ذكره العكبري فـي التبيان ص ٩٧١، والمنتجب في الفريـد ٣/ ٦٠١، غير أن المشهور في توجيه هذه القراءة أنَّ «رِجالٌ»: فاعل بفعل محذوف، والتقدير: يُسَبِّحُهُ رِجالٌ، ومثله بيت الكتاب:

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضارِعٌ لِخُصُومةٍ ... وَمُخْتَبِطٌ مِمّا تُطِيحُ الطَّوائِحُ

أي: لِيَبْكِهِ ضـارِعٌ، ينظر: الكتاب ١/ ٢٨٨، معاني القرآن للفـراء ٢/ ٢٥٣، معاني القرآن وإعرابـه ٤/ ٤٥، ٤٦، إعـراب القـرآن ٣/ ١٣٩، ويجوز في «رِجالٌ» وجـهٌ آخَرُ، وهو أن يكـون فاعلًا بالجارِّ والمجـرور على مذهب الكوفيين والأخفش، قـال ابن الأنباري: «أن يرتفـع الرجـال بقولـه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ... رِجَالٌ﴾». فـي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ. «رِجالٌ». إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٩٨، وينظر: الفريد ٣/ ٦٠١.

(٢) هو: محمد بن عمر بن واقد السـهمي الأسـلمي بالولاء، أبو عبد الله المدني الواقدي، من أقدم المؤرخين ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، وانتقل للعراق سـنة (١٨٠هـ)، فقَرَّبَهُ الرشيدُ، وَلِي قضاء بغداد، وتوفِّي بها سنة (٢٠٧هـ)، من كتبه: المغازي النبوية، تفسير القرآن. [تاريـخ بغـداد ٣/ ٣-٢١، وفيات الأعيان ٤/ ٣٤٨، الأعـلام ٦/ ٣١١]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٠٩.

(٣) الجمعة ١١.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٥٣.

أَقْوَمْتُ إِقْوامًا، فاستثقَلوا الفتحةَ[(١)] على الواو فسكَّنوها فاجتمع حرفانِ ساكنان، فأسقَطوا الواوَ، ونقَلوا حركتَها إلى القاف، وأبدلوا من الواو المحذوفة هاءً في آخر الحرف، كما فعلوا في قولِهِمْ: عِدةٌ وزِنةٌ، وأصلهما[(٢)]: وِعْدةٌ ووِزْنةٌ، فلما أُضيفت حُذِفَ الهاءُ، وجُعِلَت الإضافةُ عِوَضًا منهما[(٣)]، كقول الشاعر:

٤٥ـ إِنَّ الخَلِيطَ أَجَدُّوا السَّيْرَ، وانْجَرَدُوا ... وَأَخْلَفُوكَ عِدَ الأَمْرِ الَّذِي وَعَدُوا[(٤)]

أراد: عِدةَ الأَمْرِ، فأسقط الهاءَ منها لمّا أضافها.

---

(١) في الأصل: «الضمة»، وهو سهو من الناسخ فيما يبدو.

(٢) في الأصل: «وأصلها».

(٣) قال سيبويه: «هذا باب ما لحقته هاء التأنيث عِوَضًا لِما ذَهَبَ، وذلك قولك: أَقَمْتُهُ إقامةً، واستعنتُه استعانةً وأَرَيْتُهُ إراءةً، وإن شئت لم تُعَوِّضْ وتركتَ الحروف على الأصل، قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، وقالوا: اخترت اختيارًا، فلم يلحقوه الهاء لأنهم أتموه، وقالوا: أريته إراءً مثل: أقمته إقامًا؛ لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا». الكتاب ٤/ ٨٣، وينظر أيضًا: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٦، إعراب القرآن ٣/ ١٣٩، ١٤٠.

(٤) البيت من البسيط، للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لَهَبٍ، والشطر الأول يُرْوَى بوجوهٍ كثيرةٍ لأكثر من شاعر، تنظر في المقاصد النحوية.

اللغة: الخليط: القوم الذين أمرهم واحد، أَجَدُّوا السيرَ: اجتهدوا فيه، انْجَرَدَ به السيرُ: امْتَدَّ وطالَ.

التخريج: معاني القرآن ٢/ ٢٥٤، إعراب القرآن ٣/ ١٤٠، الخصائص ٣/ ١٧١، عين المعاني ورقة ٩٠/ ب، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٢٤، شرح الشافية للرضي ١/ ١٥٨، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٠، اللسان: خلط، غلب، وعد، البحر المحيط ٦/ ٤٢٢، ارتشاف الضرب ص ٢٤٠، المقاصد النحوية ٤/ ٥٧٣، شرح شواهد الشافية ص ٦٤، ٦٥.

فصلٌ

عن أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ أهلَ المساجد أوتادُ الأرضِ، الملائكةُ جلساؤهم، [إن غابوا] يفتقدونَهم، وإن مَرِضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجةٍ أعانوهم»(١).

وقال ـ عليه السّلام ـ: «جليسُ المسجد على ثلاثِ خصال: أَخٍ مستفادٍ، أو كلمةٍ مُحكَمةٍ، أو رحمةٍ منتظَرةٍ»(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ السَّراب: الشُّعاع الذي تراه نصفَ النهار في البراري عند شدّة الحرِّ كالماء، فإنِ اقتربَ منه الإنسانُ أَيِسَ فلم يَرَ منه شيئًا، والآلُ: ما رأيتَه في أول النهار وآخِرِه، الذي يَرفَعُ كلَّ شيءٍ. قاله العَزيزيُّ(٣)، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: رفْعٌ بالابتداء، ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾: ابتداءٌ آخَر، ﴿كَسَرَابِۭ﴾: خبرُ ابتداءِ الثاني، وهما جملةٌ فيها خبرُ ابتداءِ الأول.

[٢٦/ أ] وسُمِّيَ السَّرابُ سَرابًا لأنه مسروبٌ / يجري كالماء، و﴿قِيعَةٖ﴾ جَمْعُ القاع، مثل: جارٍ وجِيرةٍ(٤)، وقيل(٥): قِيعةٌ وقاعٌ بمعنًى واحد. والقاعُ هو:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٤١٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٢ كتاب الصلاة: باب لزوم المسجد، وينظر: الدر المنثور٣/ ٢١٦.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٤١٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٢ كتاب الصلاة: باب لزوم المسجد، وينظر: الدر المنثور ٣/ ٢١٦، كنز العمال ٧/ ٥٨٠، ٥٨١.

(٣) تفسير غريب القرآن لأبي بكر العزيزي السجستاني ص ١١٣.

(٤) قاله الفراء وابن قتيبة والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٤٧، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٣/ ٣٣.

(٥) قاله أبو عبيدة وأبو عبيد والجوهري، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٦٦، غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٢٣٩، الصحاح ٣/ ١٢٧٤.

المنبسِط الواسع من الأرض، وفيه يكونُ السراب[١].

وهذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ للكافر، يحسَبُ أنّ عمَله مُغْنٍ عنه أو نافِعُهُ شيئًا، فإذا أتاه الموتُ احتاج إلى عمله، فلم يجد عملَه أغنى عنه شيئًا ولا نَفَعَهُ.

وقوله: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يعني: الشديدُ العطش، يقال: ظَمِئَ الرجلُ يَظْمَأُ ظَمَأً فهو ظَمْآنُ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ يعني: جاء إلى السَّرابِ ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ يعني: شيئًا مما حَسِبَ وقَدَّرَ، ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ قال الفَرّاء[٢]: يعني: وَجَد اللهَ عند عملِه. ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ جازاه بعمله، وهذا في الظاهر خَبَرٌ عن الظمآن، والمرادُ به الخبرُ عن الكفار، ولكنْ لمّا ضُرِب الظَّمآنُ مثلًا للكفّار جُعِل الخبرُ عنه كالخبر عنهم ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ سريعُ المجازاة.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾ هذا مَثَلٌ آخرُ ضَرَبَهُ الله تعالى لأعمال الكافر أيضًا، يقول: مَثَلُ أعمالهم في خطئها وفسادِها وضلالتهم في جهالتهم وحَيْرتهم ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ وهو: العميقُ الكثيرُ الماء، وذلك أَشَدُّ ظُلْمةً، ولُجّةُ البحرِ: مُعْظَمُهُ.

وقوله: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾؛ أي: يعلوه موج ﴿مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ﴾ متراكمٌ ﴿مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ﴾: قَرأَ ابنُ كثير برواية قُنْبُلٍ والفُلَيْحِيِّ[٣]: ﴿سَحَابٌ﴾ بالرَّفع والتنوين، ﴿ظُلُماتٍ﴾ بالجرِّ: على البدَل من قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾.

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٥٤، وينظر: معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٤٠.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٥٤.

(٣) هو: عبد الوهاب بن عطاء بن فُلَيْحٍ بن رياح، أبو إسحاق المكي، إمام أهل مكة في القراءة، صدوق، أخذ القراءة عن داود بن شبل، مات سنة (٢٥٠هـ). [غاية النهاية ١/ ٤٨٠، ٤٨١].

وقرأ البَزِّيُّ[(١)]: ﴿سَحابُ﴾: بالرَّفع من غير تنوين ﴿ظُلُماتٍ﴾: بالجرِّ على الإضافة، وقرأ الباقون[(٢)]: ﴿سَحَابٌ﴾. ﴿ظُلُمَٰتٌۢ﴾: خبرُ ابتداءٍ محذوف، تقديره: هذه ظلماتٌ. ﴿بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ يعني: ظلمةُ البحر وظلمةُ الموج فوقَ الموج وظلمةِ السحاب، والسحابُ: جمعُ سحابة، والتذكير على اللفظ، يقال: طُفْتُ بين الكوفة؛ لاشتماله على سِكَكٍ، فكذا السَّحاب.

وقوله: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يَقْرُبْ من أن يراها من شدّة الظُّلمات، قال الفَرّاء[(٣)]: «كاد»: صِلةٌ، أي: لم يَرَها، كما تقول: ما كِدْتُ أَعْرِفُهُ. وقال المبرِّد[(٤)]: لم يَرَها إلا بعدَ الجُهد، كما يقول القائل: ما كدتُ أراكَ من الظلمة، وقد رآه، ولكنْ بعدَ بأسٍ وشدّة. وقيل[(٥)]: معناه: قَرُبَ من الرؤية ولم

(١) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن أَبِي بَزّةَ، أبو الحسن المخزومي بالولاء، الفارسي الأصل، مقرئ مكة ومؤذنها، صاحبُ قراءةِ ابنِ كثير، ضعيف في الحديث، توفِّي سنة (٢٥٠هـ). [غاية النهاية ١/ ١١٩، ١٢٠، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٥٠، ٥١، الأعلام ١/ ٢٠٤].

(٢) ينظر في هذه القراءات وتوجيهها: إيضاح الوقف والابتداء ص ٧٩٩، ٨٠٠، السبعة ص ٤٥٧، إعراب القرآن ٣/ ١٤٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٣، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٣٩، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٤، ٢٨٥، البحر المحيط ٦/ ٤٢٤، الإتحاف ٢/ ٢٩٩.

(٣) قال الفراء: «فقال بعضُ المفسرين: لا يَراها، وهو المعنى؛ لأن أَقَلَّ الظلمات التي وصفها الله لا يَرَى فيها الناظرُ كَفَّهُ». معاني القرآن ٢/ ٢٥٥، فالجبلي هنا نقل معنى كلام الفراء، ولم ينقل نصه، وقال طاهر بن أحمد: «وقول الكوفيين: إنها زائدة، ليس مما يُعَوَّلُ عليه؛ لأن الأفعال التي تُزادُ محصورةٌ، فلا يُقاسُ عليها؛ لأن الزيادة لا يُقْدَمُ عليها إلا بدليل» شرح الجمل ١/ ٣١٥.

(٤) الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٩٥، ولكنه قال في المقتضب ٣/ ٧٥: «فأما قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَا﴾ فمعناه: لم يَرَها ولم يَكَدْ؛ أي: لم يَدْنُ من رؤيتها».

(٥) هذا قول الأخفش في معانِي القرآن ص ٣٠٤-٣٠٥، وحكاه الأزهري عن ابن الأنباري في التهذيب ١٠/ ٣٢٩، وينظر: الفريد للهمداني ٣/ ٦٠٥: ٦٠٩، شرح الكافية للرضي ٤/ ٢٢٣-٢٢٥.

يَرَ، كما يقال: كاد العروسُ يكونُ أميرًا[١]، وكاد النِّعام يطير[٢].

[٢٦/ ب] قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ / ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠﴾ يعني: من لم يَهْدِهِ اللهُ للإسلام فلا أمانَ له ولا دين، قال مُقاتل: نزلت هذه الآيةُ في عُتبةَ بن ربيعةَ ابن أُميّة، كان يلتمسُ الدِّين في الجاهلية، ولُبسِ المُسُوحَ[٣]، ثم كَفَر في الإسلام.

فصلٌ

عن أنسٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ الله تعالى خَلَقني من نُوره، وخَلَق أبا بكرٍ من نُوري، وخَلَق عُمرَ وعائشةَ من نُور أبي بكر، وخَلَق المؤمنينَ من أُمّتي من نُور عُمر، وخَلَق المؤمناتِ من أُمّتي من نُورِ عائشة، فمن لم يُحْبِّنِي ويُحِبَّ أبا بكرٍ وعُمرَ وعائشةَ فما له من نُور»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٤].

وعن عَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «خَلَق اللهُ الأرواحَ قبلَ الأجساد بألفَيْ عام، فأُمِرَتْ بالطاعة لِي والسلامِ عَلَيَّ، فأول رُوحٍ آمَنَ بِي وصَدَّقَنِي من الرجال رُوحُ أَبِي بكر، وأَوَّلُ رُوحٍ آمَنَ بِي وَسَلَّمَ عَلَيَّ من النساء رُوحُ عائشة»[٥].

---

(١) العرب تقول للرجل: عَرُوسٌ، وللمرأة أيضًا: عَرُوسٌ، والمراد هنا الرجل؛ أي: كاد يكون أميرًا لِعِزَّتِهِ في نفسه وأهله، ينظر: مجمع الأمثال ٢/ ١٥٨، المستقصى ٢/ ٢٠٣، المستطرف ١/ ٦٩.
(٢) يُضْرَبُ لقرب الشيء مما يُتَوَقَّعُ منه لظهور بعض أماراته، ينظر: مجمع الأمثال ٢/ ١٦٢.
(٣) جمع مِسْحٍ، وهو الكساء من الشَّعَرِ. اللسان: مسح.
(٤) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١١١، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٦.
(٥) هذا حديثٌ موضوعٌ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٤٠١، وينظر: لسان الميزان ٣/ ٢٦٢.

قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ أي: ويُسبِّح له الطيرُ صافاتٍ، أي: باسطاتٍ أجنحتَهُنَّ في الهواء، وهو في موضع نَصْبٍ على الحال، وإنما خَصَّ الطيرَ بالذِّكر من جملة الحيَوان؛ لأنها تكونُ بينَ السّماءِ والأرض، فهي خارجةٌ عن جُمْلةِ مَن في السماوات والأرض[1].

وقولـه: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴿٤١﴾﴾ قال المفسِّـرون: الصّلاةُ لبني آدم، والتسبيحُ عامٌّ لغيرهم من الخلق.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي: يَسُـوقُ سحابًا إلى حيث يريد ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي: يَجمَـع بين قِطَع السـحاب المتفرِّقـة بعضِها إلى بعض، والسّحابُ جَمْعٌ، وإنما ذَكَّرَ الكنايةَ على اللفظ[2].

فـإن قيـل: «بَيْـنَ» لا يقَـعُ إلّا لاثنَيْـنِ فصاعدًا، فكيف جـاء ﴿بَيْنَهُ﴾؟ فالجوابُ أنّ ﴿بَيْنَهُ﴾ هاهنا لجماعة السـحاب، كما تقول: الشَّجرُ حَسَنٌ وقد جلستُ بينَه. وفيه جوابٌ آخَر، وهو أن يكونَ السحابُ واحدًا، فجاز أن يقال: ﴿بَيْنَهُ﴾؛ لأنه مشتملٌ على قِطَعٍ كثيرةٍ، كما قال الشاعر:

٤٦ ـ...... بَيْـنَ الـدَّخُولِ فَحَوْمَـلِ[3]

---

(١) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٢٣.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ١٠٥.

(٣) هذه قطعة من بيت من الطويل، لامرئ القيس، وهو مطلع معلقته، وهو بتمامه:

قِفـا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ويُرْوَى في بعض المصادر: «وَحَوْمَلِ» بالواو كرواية الأصمعي الآتيةِ بَعْدُ.

اللغة: اللِّوَى: ما الْتَوَى من الرمل أو هو منقطع الرمل، الدَّخُولُ وحَوْمَلُ: أماكن بعينها.

التخريـج: ديوانـه ص ٨، الكتـاب ٤/ ٢٠٥، الكامـل للمبـرد ١/ ٢٥٠، مجالس ثعلب ص ١٠٤، مجالس العلماء ص ١٥٧، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤١، ٤/ ٣٧، المحتسب =

فأوقع بَيْنًا على الدَّخُولِ وهو واحد؛ لاشتماله على مواضعَ، هذا قولُ النَّحْويِّين إلّا الأصمعيَّ، فإنه زعم أنّ هذا لا يجوز(١)، وكان يرويه:

...... بيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلِ(٢)

وقوله: ﴿بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ أي: يَجعَلُ بعضَه على بعضٍ لِيَثْخُنَ ويَغْلُظَ(٣) ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ يعني: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾؛ أي: وسَطِه، وهو [٢٧/ أ] الفُرَجُ بين السحاب / ، هذه قراءة العامة، وقرأَ ابن عباس(٤): ﴿مِن خَلَلِهِ﴾، والخَلَلُ: الفُرْجةُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾؛ أي: بَرَدٌ، و﴿مِنۢ﴾: صلةٌ(٥)، وقيل(٦): معناه: ويُنزِّلُ من السماء قَدْرَ جبالٍ أو أمثالِ جبال وبَرَدٍ إلى الأرض،

= ٢/ ٤٩، المنصف ١/ ٢٢٤، الأزهية ص٢٤٤، ٢٤٥، الإنصاف ص ٦٥٦، البيان للأنباري ٢/ ٤٨١، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ١٦١، شرح المفصل ٢/ ١٢٨، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٠٨، شرح الشافية للرضي ٢/ ٣١٦، الجنى الداني ص ٦٣، ٦٤، مغني اللبيب ص ٢١٤، ٤٦٦، الخزانة ١/ ٣٣٢، ٣/ ٢٢٤.

(١) قال ابن الأنباري: «ورواه الأصمعي: «بين الدخول وحومل»، وقال: لا يقال: رأيتك بين زيد فعمرو»، شرح القصائد السبع الطوال ص ١٩، وينظر: شرح القصائد المشهورات للنحاس ١/ ٤.

(٢) من أول قوله: «لا يقع إلا لاثنين فصاعدًا... » قاله النحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٤١، ١٤٢.

(٣) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٣٧٨.

(٤) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود والأعمش والضحاك وأبي العالية والزعفرانِيِّ ومعاذ العنبري عن أبي عمرو، ينظر: جامع البيان ١٨/ ٢٠٥، مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٣، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٩، البحر المحيط ٦/ ٤٢٦.

(٥) قاله الأخفش والكوفيون، ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧، معاني القرآن للأخفش ص ٢٥٤.

(٦) ذكره النحاس بغير عزو في معاني القرآن٤/ ٥٤٤، وبه قال السجاوندي في عين المعاني٩٠/ ب.

ومفعـولُ الإنزال محذوفٌ، التقدير: ويُنَزِّلُ من السـماء من جبالِ بَرَدٍ فيها بَرَدًا، فاسـتغنَى عن ذكرِ المفعول للدِّلالة عليه، فـ﴿مِنْ﴾ الأولـى: للغاية؛ لأنّ ابتداءَ الإنزال من السماء، والثانيةُ: للتبعيض؛ لأن البَرَدَ بَعْضُ الجِبالِ التِي في السماء، والثالثةُ: لتبيين الجِنس؛ لأنّ جنسَ تلك الجبال جنسُ البَرَد، فالأُولَيانِ متعلِّقتان بـ﴿يُنزِّلُ﴾، والثالثة متعلِّقةٌ باستقرارٍ محذوف(١).

وقولـه تعالـى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ أي: ضـوء بـرق السـحاب ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ من شـدة ضوئه وبرقه، والسـنا: الضوء وهو مقصور، والسَّناءُ ممدودًا: الرِّفْعةُ(٢).

وقوله: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يعنـي: اختلافَهما بالمجيء والذهاب، يأتـي بالليل، ويذهب بالنهـار، ويأتي بالنهـار، ويذهب بالليل، سـحابًا مرةً، وصَحْوًا مرةً، وأحيانًا مطرًا، وأحيانًا شمسًا، وحرًّا مرةً، وبردًا مرةً، وضوءًا مرةً، وظُلمـةً مرةً، كلُّ ذلك في يـوم واحدٍ وفي ليلةٍ واحدة، يقلِّبُ الله الليلَ والنهار ضروبًـا. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكره من صُنعِـه ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ يعني: لَدِلالةً لأهل العقول والبصائر في أمر الله تعالى، وفي قدرته وتوحيده.

فصل

عن أبي هريرةَ، قال: قال الله تعالى: «يؤْذِيني ابنُ آدم، يَسُـبُّ الدهرَ وأنا

---

(١) من أول قوله: «فـ«مِن» الأولى للغاية... إلخ» قاله طاهر بن أحمد في شرح الجمل ١/ ١٣٩، وينظـر في هذه المسـألة: إعراب القرآن ٣/ ١٤٢، المسـائل المشـكلة ص ٢٤١-٢٤٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٢٤، الكشاف ٣/ ٧٠، ٧١، التبيان ص ٩٧٤، الفريد للهمداني ٣/ ٦١٠، البحر المحيط ٦/ ٤٢٦، الدر المصون ٥/ ٢٢٥.

(٢) ينظر: المقصور والممدود للفراء ص ٣٧، المقصور والممدود لابن ولاد ص ٥٣، ٥٤.

الدهرُ، بِيَدِي الأمرُ، أقلِّبُ الليلَ والنهار»[١]. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يعني: كلَّ حيَوانٍ يُشاهَدُ في الدنيا، ولا يدخُل الملائكةُ والجنُّ في هذا؛ لأنا لا نشاهدُهم. وهذه قراءةُ العامة، وقَرأَ حمزةُ والكسائي[٢]: ﴿واللهُ خالِقُ﴾ على وزن فاعِل ﴿كُلِّ دَابَّةٍ﴾ بخَفْض ﴿كُلِّ﴾ على الإضافة.

وقوله: ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ أي: من نُطفةٍ ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيّات والهوامِّ والحيتان ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطَّير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ﴿٤٥﴾﴾ كالبهائم والأنعام، قال المبرّد[٣]: قوله: ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾ يريدُ: الناسَ وغيرَهم، وإذا اختَلطَ النوعانِ حُمِلَ الكلامُ على الأغلب/ ، ولذلك قال: [٢٧/ ب] ﴿مَنْ﴾ لغيرِ ما يَعقِل.

وقال طاهر بن أحمدَ في شرح الجُمَل[٤]: فإنه لمّا وقَع في الآية عمومٌ تَناوَلَ مَنْ يَعْقِلُ وما لا يعقل [غُلِّبَ من يعقل][٥].

وقال موسى بن أحمدَ[٦] في شرح اللُّمَع: ﴿مَنْ﴾ بفتح الميم: اسمٌ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٤١ كتاب التفسير: سورة الجاثية، ٨/ ١٩٧ كتاب التوحيد، ورواه مسلم في صحيحه ٧/ ٤٥ كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها: باب النهي عن سب الدهر.

(٢) وهذه أيضًا قراءة ابن مسعود والأعمش وابن وثاب وخلف، ينظر: السبعة ص ٤٥٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٠، ١١١، حجة القراءات ص ٥٠٢، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩١، البحر المحيط ٦/ ٤٢٧، الإتحاف ٢/ ٣٠٠.

(٣) المقتضب ٢/ ٤٩، ٥٠، الكامل في اللغة والأدب ٢/ ٢٧٦.

(٤) شرح جمل الزجاجي ١/ ٣٨.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) هو: موسى بن أحمد بن يوسف التباعي اليمني الفقيه الشافعي، أبو عمران الوُصابِيُّ، =

ناقصٌ مبنيٌّ على فتح الميم وسكونِ النُّون، يُستعمَلُ فيمن يَعقِل خاصةً، وقد يُستعمَلُ نادرًا فيما لا يَعقِل، كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾.

ومحَلُّ ﴿مَنْ﴾: رفعٌ في الجميع على خبرِ الصِّفة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني: المنافقين ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ أي: مسرِعينَ مطيعينَ مقرِّينَ خاضِعين منقادين لحُكمِه، يعني: النبيَّ ﷺ، وهو منصوبٌ على الحال، قال الزَّجّاج[1]: الإذعان: الإسراعُ مع الطاعة، يقال: أَذْعَنَ لِي بِحَقِّي: أي: طاوَعَنِي لِما كُنْتُ ألتمسُ منه، فأسرع إليه.

أَخْبَرَ اللهُ تعالى أنّ المنافقينَ يُعْرِضُونَ عن حُكْمِ الرسولِ ﷺ لِما يعلمون أنه حُكْمٌ بالحق، فإذا كان لهم على غيرهم أسرَعوا إلى حُكمِه لثقتِهم بأنه كما يَحكُم عليهم بالحقِّ يَحكُم لهم أيضًا بالحق.

ثم أَخْبر الله تعالى بما في قلوبهم من الشكِّ، فقال: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شكٌّ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ يعني: شَكُّوا في القرآن، وهذا استفهام ذَمٍّ وتوبيخ ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ الحَيْفُ: الميل في الحكم، يقال: حافَ الحاكمُ في قَضِيَّتِهِ؛ أي: جارَ ومالَ فيما حَكَمَ ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾؛ أي: لا يَظْلِمُ اللهُ ورسولُهُ في الحكم، بل هم الظالمون أنفُسَهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول.

= صَنَّفَ شرح اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، وأقبل عليه الناس في أيامه، توفِّي سنة (٦٢٠هـ). [هدية العارفين ٢/ ٤٧٩، الأعلام ٧/ ٣١٩، معجم المؤلفين ١٣/ ٣٥].

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥٠.

ثـم نَعَت اللهُ الصادقينَ في إيمانهـم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿٥١﴾﴾ يقولون: سَمِعنا قولَ النبي ﷺ، وأطَعْنا أمرَه، وإن كان ذلك فيما يكرهونَه ويَضُرُّهُم، ونَصْبُ القول على خبر ﴿كَانَ﴾، واسمُها في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾، ومن قَرأَ بالرَّفع[١] جَعَله اسمَ ﴿كَانَ﴾، و﴿أَن يَقُولُواْ﴾ خبَره[٢].

ثـم أَثْنى على مـن أطاعهمـا، فقـال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ قال ابن عباس: يريد: فيما ساءَهُ وسَرَّهُ ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ﴾ في ذنوبه التي عملها ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ فيما بَعْدُ، فلم يَعصِه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ شرطٌ وجزاء.

وعدَمُ الإشـباع في هاءِ ﴿يَتَّقْهِ﴾ على نيّةِ ثبوتِ الياءِ، فإنّ الأصل: يتَّقيهِ، والجَـزْم لأنّ الحركةَ والإشـباع زائدتان، تقول العـرب: هَذِهْ أَمـةُ / اللهِ: في الوصل[٣]، وجَزْمُ القافِ تَخْفِيفٌ، نحو: فَخْذٍ وفَخِذٍ[٤]. [٢٨/ أ]

---

(١) قرأ برفع القول عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب والحسـنُ بخلاف عنه وابن أبي إسحاق، ينظر: مختصر ابـن خالويه ص ١٠٤، المحتسـب ٢/ ١١٥، ١١٦، تفسـير القرطبـي ١٢/ ٢٩٥، البحر المحيط ٦/ ٤٢٩، الإتحاف ٢/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٢) ذكر سـيبويه أن اسـم «كان» وخبرها إذا كانا معرفتين ـ كما هو هنا ـ فأنت بالخيار في جعل أحدهما اسـمها والآخر خبرهـا، ينظر: الكتاب ١/ ٤٩، ٥٠، ولكـن ابن جني قال: «أقوى القراءتين ما عليه الجماعة من نصب القول، وذلك أن في شرطِ اسم «كان» وخبرها أن يكون اسمها أعرف من خبرها، وقوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أَعْرَفُ من: ﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. المحتسب ٢/ ١١٥، ١١٦، وينظر: الكشاف ٣/ ٧٢، البحر المحيط ٦/ ٤٢٩.

(٣) قال سـيبويه: «إلا أن من العرب من يسـكن هـذه الهاء في الوصل، تشـبيها بميم «عليهم» و«عليكم»...، سـمعت مـن يوثق بعربيته يقول: هَذِهْ أَمَةُ الله، فيُسَـكِّنُ». الكتاب ٤/ ١٩٨، وينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٢٠٣.

(٤) ذكر سيبويه ذلك في باب ما يُسَكَّنُ استخفافًا، وهو في الأصل متحرك، وذكر أنه لغة بكر ابن وائل وأناس كثير من تميم. الكتاب ٤/ ١١٣، ١١٤، وينظر الحجة للفارسي ٣/ ٢٠٣.

وقـرأه العامة: ﴿ويَـتَّـقْهِي﴾ موصولةً بياء، وهو الوجهُ؛ لأنّ ما قبلَ الهاء متحرِّك، وحُكمُها إذا تحرَّك ما قبلَها أن تتبعَها الياءُ في الوصل.

وَرَوَى قالُونُ[1] عن نافع بكسـر الهاء مختلَسـةً، ولا يَبْلُغُ بها الياءَ؛ لأنّ حركةَ ما قبلَ الهاء ليسـت تلزم، ألا تـرى أنّ الفعلَ إذا رُفِع فقيل: يتقيه، اختير حذفُ الياء بعد الهاءِ مثلَ: عَلَيْهِ[2]؟

وقَرأَ أبو عَمْرٍو وأبو بكرٍ عن عاصم: ﴿ويَتَّقِهْ﴾ جزمًا، وذلك أنّ ما يلحَقُ هذه الهـاءَ من الواو واليـاء زائـدٌ، فرُدَّ إلى الأصل، وحُذِفت الزيادة، وقَرأَ حفصٌ ساكنةَ القاف مكسورةَ الهاءِ مختلَسةً[3].

قـال ابنُ الأنبـاري[4]: وهو على لغة مَن يقـول: لم أَرْ زيدًا، ولم أَشْـتَـرْ طعامًا، ولم يُبِقْ زَيْدٌ، فيُسقطونَ الياءَ للجزم، ثم يُسكِّنـون الحـرفَ الذي قبلَها، ومنه قول الشاعر:

---

(١) هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدنِي، أبو موسى، راوية نافع المدنِي، وأحد القراء المشهورين، انتهت إليه الرياسة في القراءة والعربية في زمانه بالحجاز، كان أَصَمَّ يُقرأ عليه القرآنُ وهو ينظر إلى شـفتي القارئ، فيرد عليه اللحن والخطأ، توفي سنة (٢٢٠هـ). [غاية النهاية ١/ ٦١٥-٦١٦، الأعلام ٥/ ١١٠].

(٢) من أول قوله: «موصولة بياء وهو الوجه» قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٢٠٣.

(٣) وقرأ باختلاس الكسـرة أيضًا يعقوبُ وهشـامٌ وابنُ ذكوان وأبو جعفر وحفصٌ، وقرأ بإسكان الهاء أيضًا: ابنُ عامر وحمزةُ، ينظر: السبعة ص٤٥٧، ٤٥٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١١، حجة القراءات ص٥٠٣، تفسير القرطبي ١٢/ ٢٩٥، التيسير ص١٦٣، الإتحاف ٢/ ٣٠١.

(٤) ينظر قوله في الوسـيط ٣/ ٣٢٥، ولكن الفارسـي قال: «ومثل ذلك في الإسكان قراءة من قرأ: ﴿وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾، وليس ذلك على نحو ما أنشده أبو زيد:

قالَـتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنـا دَقِيقـا

لأن ذلك إنما يجوز في الشعر». التكملة للفارسي ص ٨.

٤٧ ـ قالَتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنا دَقِيقا[١]

وقولـه: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ يعني: المطيعينَ لله ورسـوله الخائفين المتَّقين، هم الذين نالوا ما طَلَبوا من رضا الله ونَيْل جنَّتِه.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ اللامُ: لامُ جوابِ القسم، و﴿جَهْدَ﴾: منصوبٌ على مذهبِ المصدر[٢]، تقديره: إقسامًا بليغًا بالله لَيَخرُجنَّ إلى الغزو، أو من ديارهم وأموالهم.

وذلك أنَّ المنافقينَ كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنتَ نكنْ معك، إن أقمـتَ أقمنا، وإن خَرَجتَ خرَجْنا، وإن جاهـدتَ جاهَدْنا معك، فقال الله تعالى: ﴿قُل﴾ لهم ﴿لَّا تُقْسِمُواْۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ رَفَعَه على خبرِ ابتداءٍ محذوف؛ أي: هـذه طاعـةٌ بالقول واللسـان دونَ اعتقادٍ في القلب، فهـي معروفةٌ منكم بالكـذبِ أنّكم تكذِبون فيها، وقيل: معناه: طاعةٌ معروفةٌ أمثلُ وأفضلُ من هذا القَسَمِ الذي تَحْنِثُونَ فيه، فحذف خبرَ الابتداء للعلم به، قاله الزَّجّاج[٣].

وقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٥٣﴾ يريـد: مِـن طاعتِكـم بالقول، ومخالفتِكم بالفعل.

---

(١) من الرجز المشطور، للعُذافِر الكِنْدِيِّ، ونُسِبَ لسُكَيْنِ بن نضرة، ويروى: «**اشْتَرْ لَنا سَوِيقا**».
التخريج: الخصائص ٢/ ٣٤٠، ٣/ ٩٦، المحتسب ١/ ٣٦١، المنصف ٢/ ٢٣٧، شرح شـواهد الإيضاح ص ٢٥٨، شـرح المفصل ٩/ ١٢٤، شـرح الشـافية للرضي ٢/ ٢٩٨، تفسير القرطبي ١/ ٤٠٢، شرح شواهد شرح الشافية ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) قاله السـجاوندي في عيـن المعاني ورقـة ٩٠/ أ، ويجوز أن يكون «جَهْـدَ» منصوبًا على الحال، والتقدير: جاهدين أَيْمانَهُمْ، ينظر: الكشاف ٣/ ٧٣، الدر المصون ٥/ ٢٣٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥١.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لَيُورِثَنَّهُمْ أَرْضَ الكفار من العرب والعجم، فيَجعَلُهم ملوكَها وساستَها وسكّانَها، ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴿٥٥﴾﴾ يعني: بَنِي إسرائيلَ، إِذْ أَهْلَكَ الجبابرةَ بِمِصْرَ والشامِ، وأَوْرَثَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ.

وإنّما دَخَل اللامُ في قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ لجوابِ اليمين المضمَر؛ لأنّ الوعدَ قولٌ[(١)]، مجازها: وقولُ الله ـ عزّ وجلّ ـ للذين آمنوا وعملوا الصالحات: واللهِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما/ استَخْلفَ الذين من قبلِهم.

ورَوَى أبو بكرِ بنُ عَيّاشٍ[(٢)]: ﴿كَما اسْتُخْلِفَ﴾ بضم التاء وكسر اللام، ووجهُه: أنه أريد به ما أريد بـ﴿ٱسْتَخْلَفَ﴾، وإذا كان المعنى كذلك فالوجهُ قراءةُ العامة.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ هذه لام الأمر، والمعنى: لِيَسْتَأْذِنْكُمْ في الدخول عليكم ﴿ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني: العبيدَ والإماء، ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ يريد: مِن أحراركم من الرجال والنِّساء. ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ نَصبٌ على المصدر[(٣)]؛ أي: ثلاثَ استئذاناتٍ في ثلاثةِ أوقات، ثم

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٥٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥١، معاني القرآن للنحاس ٤/ ٥٥٠.

(٢) ورواها أيضًا المفضلُ عن عاصم، وقرأ بها أيضًا الأعمشُ وعيسى بنُ عمر، ينظر: السبعة ص ٤٥٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٤، حجة القراءات ص ٥٠٤، الإتحاف ٢/ ٣٠١.

(٣) هذا القول ذكره مَكِّيٌّ بغير عزو في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٢٦، واختاره أبو حيان في البحر ٦/ ٤٣٣. ولكن الراجح أن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ منصوب على الظرف، قال المنتجب الهمداني: «والدليل على أنه ظرف، وأن انتصابه عليه، لا على المصدر كما زعم بعضهم، كونُهُ فُسِّرَ بزمانٍ، وهو قوله: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾، ومن شرط المُفَسِّرِ أن يكون من جنس المُفَسَّرِ». الفريد للهمداني ٣/ ٦١٤.

بيَّـنَ ذلك، فقال: ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ وذلك أنّ الإنسـانَ ربمـا يبيتُ عُريانًا، أو علـى حـالٍ لا يحبُّ أن يراه غيرُه في تلـك الحال، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ يريـد: وقتَ المَقِيلِ، وهي مشـتقّةٌ من الظهور، وهـو ضدُّ الاختفاءِ والاسـتتار، ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِ﴾ حين يَأوي الرجـلُ إلى امرأته، ويَخْلو بها.

أَمَرَ اللهُ تعالى بالاستئذان في الأوقات التي يَتَخَلَّى الناسُ فيها ويتكشَّفون، وفصَّلها، ثـم أَجْمَلَها بعد التفصيل، فقال: ﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡ﴾. قَرأَ الكوفيُّونَ إلّا حفصًـا والأعمـشَ[1]: ﴿ثَلَٰثَ﴾ بالنصب ردًّا على قولـه: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ﴾[2]، ورَفَعه الآخَرون على معنى: هذه الأوقاتُ ثلاثُ عوراتٍ لكم، والمعنى: ثلاثةُ أوقاتٍ[3] من أوقاتِ العورة، وسُمِّيت هذه الأوقات عوراتٍ لأنّ الإنسانَ يضعُ فيها ثيابَه، فتبدو عورته.

قال السُّـدِّي[4]: كان أُناسٌ من الصحابة يُعجبُهم أن يُواقِعُوا نساءهم في هذه السـاعات؛ ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة، فأمرهم الله تعالى أن يأمروا الغِلمانَ والمملوكينَ أن يستأذِنوا في هذه الثلاثِ الساعاتِ، قال موسى بن أبي

---

(١) ينظـر: السـبعة ص ٤٥٩، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١١٤، حجة القـراءات ص ٥٠٥، التيسير ص١٦٣.

(٢) يعنـي: أنه منصوب علـى البدل، ولا بُدَّ على هذا من تقدير مضـاف محذوف؛ أي: أَوْقاتَ ثَلاَثِ عَـوْراتٍ؛ لأن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖ﴾ ظرف زمان، و﴿ثَلاَثَ عَـوْراتٍ﴾ ليس ظرفًا، ويجوز أن يكون النصب على تقدير: أعني أو اتقوا، ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٢٠٦، التبيان للعكبري ص ٩٧٧، الفريد ٣/ ٦١٤، الدر المصون ٥/ ٣٣٤.

(٣) في الأصل: «ثلاث أوقات».

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٣٢٨.

عائشة[١]: قلتُ للشَّعبيِّ في هذه الآية: أمنسوخةٌ هي؟ قال: لا، قلت: قد تَرَكَها الناسُ، قال: الله المستعان[٢].

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يعني: المؤمنين الأحرارَ ﴿وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني: العبيدَ والإماءَ والخَدَمَ والأطفال ﴿جُنَاحُۢ﴾ في الدخول عليكم بغيرِ إذنٍ ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾؛ أي: بعدَ الأوقات الثلاثة التي نُهِيَ عن الدخول فيها بغير إذن.

وقوله: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ أي: هم طَوّافونَ عليكم، يدخلون ويَخرجون ويذهبون ويجيئون، ويتردَّدون في أحوالِهم وأشغالِهم بغيرِ إذن، ﴿بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ٥٨﴾ ابتداءٌ وخبر، أي: بعضُكم يَطُوفُ على بعض، وقيل: يَطُوفُ بعضُكم ـ وهم المماليك ـ على بعض ـ وهم الموالِي ـ.

[٢٩/ أ] قيل: هذه الآية / منسوخةٌ لا يُعْمَلُ بها اليومَ، وقيل: هي مُحكَمة، والعملُ بها واجبٌ لِما ذكرناه من قول الشَّعبي.

قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني: اللاتِي قعَدْنَ عن الأزواج والحَيْض، يعني: المرأةَ الكبيرةَ التي لا تَحيضُ من الكِبَرِ، وهو رفعٌ بالابتداء[٣]، وواحدُ القواعد: قاعِدٌ بغير هاءٍ، وقواعدُ البيت: أساسُه، واحدُها: قاعدةٌ بهاءٍ[٤].

---

(١) هو: موسى بن عبد الله بن أيوب بن أبي عائشة الهمدانِيُّ المخزومي، أبو الحسن الكوفِيُّ، ثقة عابد، حَدَّثَ عن أبيه وابن جبير، وحَدَّثَ عنه شعبةُ وابن عيينة. [سير أعلام النبلاء ٦/ ١٥٠، ١٥١، تهذيب التهذيب ١٠/ ٣١٥].

(٢) ينظر: جامع البيان ١٨/ ٢١٦، الكشف والبيان ٧/ ١١٧، الوسيط ٣/ ٣٢٨.

(٣) وخبره: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ﴾، ودخلت الفاء فيه لِما في المبتدأ من معنى الشرط، ينظر: الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦١٥.

(٤) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٠٧، ٣٠٨.

وقولـه: ﴿ٱلَّتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ﴾ محل ﴿أَن﴾: نصبٌ بِنَـزْعِ الصِّفةِ، تقديـره: في أنْ يضَعْـن ثيابَهنَّ ﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖ﴾؛ أي: مُظْهِراتٍ مَحاسِـنَهُنَّ بمـا لا ينبغي أن يُظهِرنَه[١]، وقيل[٢]: أصلُ التبرُّج: صعودُ البُرْجِ للإظهارِ أو الكشف، مأخوذٌ من بَرَجِ العَيْنِ، وهو السَّعةُ.

ونَصَبَ غَيْرًا: على الحال من الضمير في ﴿يَضَعۡنَ﴾، ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ﴾ فـلا يضَعْـن الجِلبـابَ ﴿خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ﴾ أي: هو خيرٌ لهن، وفيه معنى الشـرط والجزاء، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم: ﴿عَلِيمٞ ٦٠﴾ بما في قلوبكم.

وما بعدَ هذا ظاهرُ الإعراب إلى قوله: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ﴾ جَمْع شَتٍّ، وهم المتفرِّقون، وهما منصوبانِ على الحال.

قيل[٣]: نَزَلتْ هذه الآيةُ في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلونَ إذا نزل بهم ضيفٌ إلّا معَ ضيفِهم، فرَخَّصَ اللهُ تعالى لهم أن يأكلوا كيفما شاءوا، مجتمعينَ أو متفرِّقين.

قولـه: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ﴾؛ أي: يُسَـلِّمُ بعضُكم على بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[٤]؛ أي: لا يَقْتُلْ بعضُكم بعضًا[٥]،

---

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٦٩.

(٢) حـكاه الأزهري عن الليث في التهذيـب ١١/ ٥٥، ٥٦، وينظر أيضًـا: عين المعاني ورقة ٨٩/ أ، اللسان: برج.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١١٩، الوسيط ٣/ ٣٣٠.

(٤) النساء ٢٩.

(٥) قاله الحسن وابن زيد، ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٠٩، جامع البيان ١٨/ ٢٣١، معانِي القرآن للنحاس ٤/ ٥٦٢.

فإنْ لم يكن في البيت أحدٌ فليقُل: السَّلامُ علينا من ربِّنا، السَّلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، السّلامُ على أهل البيت ورحمةُ الله وبركاته.

وقال ابنُ عباس: المرادُ بالبيوت هاهنا: المساجد، قال النَّخَعيُّ(١): فإذا لم يكن في المسجدِ أحدٌ فقُل: السَّلامُ على رسول الله، فإذا لم يكنْ في البيت أحدٌ فقل: السَّلامُ علينا وعلى عباد الله الصالحين، هكذا ذكره صاحبُ الشِّفا بتعريفِ حقوق المصطفى(٢).

وقوله: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: نَصْبٌ على المصدر؛ أي: تُحَيُّونَ أنفسَكم بها تحيةً(٣)، وقيل(٤): على الحال، بمعنى: تفعلونها تحيّةً من عند الله ﴿مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾، قال ابن عباس: حسَنةً جميلة، وقال الزَّجّاج(٥): أَعْلَمَ اللهُ تعالى أن السَّلامَ مُبارَكٌ طَيِّبٌ؛ لِما فيه من الأجرِ والثواب.

---

(١) هو: إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من أكابر التابعين صلاحًا وصدقَ روايةٍ وحفظًا للحديث، من أهل الكوفة، كان فقيه العراق إمامًا مجتهدًا، له مذهب، مات مختفيًا من الحجاج سنة (٩٦هـ). [غاية النهاية ١/ ٢٩، ٣٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢٠-٥٢٩، الأعلام ١/ ٨٠].

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٦٧، وصاحبه هو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبيُّ، أبو الفضل السَّبْتِيُّ، عالم أهل المغرب وإمام أهل الحديث في زمنه، كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، وَلِيَ قضاء سبتة ثم غرناطة، وتوفِّي بمراكش مسمومًا سنة (٥٤٤هـ)، من كتبه: الشفا، شرح صحيح مسلم. [إنباه الرواة ٢/ ٣٦٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢، الأعلام ٥/ ٩٩].

(٣) لأن ﴿سَلِّمُوا﴾ بمعنى: حَيُّوا، فهو مصدر من معنى العامل، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٤/ ٥٤، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٤٩.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٢/ ٢٦٢.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥٥.

فصلٌ

عن جابرٍ ـ رضي الله عنه ـ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا دخلتُم بيوتكم فسَلِّمُوا على أهلها، وإذا طَعِمَ أحدُكم طعامًا فلْيَذْكُرِ اسمَ الله عليه، فإنّ الشيطانَ إذا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ لم يَدْخُلْ بَيْتَهُ، وإذا ذَكَرَ اسمَ الله على طعامه قال: لا مَبِيتَ لكم ولا عَشاء، وإن لم يُسلِّمْ حين يدخل/ بيتَه، ولم يَذْكُرِ اسمَ الله على طعامه، قال: أَدْرَكْتُم العشاءَ والمَبِيتَ»(١). [٢٩/ ب]

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «السَّلامُ اسمٌ من أسماء الله عزّ وجلّ، فأَفْشُوهُ بينَكم، فإنّ الرجُلَ المسلم إذا مَرَّ بالقوم فسَلَّمَ عليهم، فرَدُّوا عليه السَّلامَ كان له عليهم فضلُ درجةٍ بتذكيره إيّاهم بالسَّلام، وإنْ لم يَرُدُّوا عليه رَدَّ عليه من هو خيرٌ منهم وأطيب»(٢).

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كَبيانِهِ في هذه الآية ﴿يُبَيِّنُ [ٱللَّهُ] لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ يفصِّلُ لكم معالمَ دينِكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ أي: لكي تفقَهوا عن الله أمرَه ونهيَه وإرادتَه.

قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ مفعولٌ، أَعْلَمَهُم اللهُ تعالى فَضْلَ النَّبِيِّ ﷺ على سائر البَرِيّةِ في المخاطبة، وأَمَرَهُمْ أن يُفَخِّمُوهُ ويُشَرِّفُوهُ ويُعَظِّمُوهُ، ولا يقولوا له عند دعائه: يا محمدُ، يا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٦/ ١٠٨ كتاب الأشربة: باب آداب الطعام والشراب، وأبو داود في سننه ٢/ ٢٠١ كتاب الأطعمة: باب التسمية على الطعام، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٢٧٩ كتاب الدعاء/ باب ما يدعو به إذا دخل بيته.

(٢) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٠/ ١٨٢، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ١٢٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٩ كتاب الأدب/ باب في السلام.

ابنَ عبد الله، كما يَدْعونَ بعضَهم بعضًا، بل يقولوا: يا رَسُولَ اللهِ، يا نَبِيَّ اللهِ، في لِينٍ وتواضعٍ وخَفْضِ صوتٍ.

و﴿بَيْنَكُمْ﴾: نَصْبٌ على الظرف، ومن قرأ: ﴿نَبِيِّكُمْ﴾[1] بالخَفْض خَفَضَه على البدَل من الرسول.

وقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾؛ أي: يَخرُجون من الجماعة واحدًا [واحدًا] [2]، كقولك: سَلَلْتُ كذا من كذا: إذا أخرجتَه منه، والتسلُّل: الخروج في خُفْيةٍ، يقال: تَسَلَّلَ فلانٌ من بين أصحابه: إذا خرج من جملتِهم، ومنه: تَسَلُّلُ القَطا.

وقوله: ﴿لِوَاذًا﴾؛ أي: يستتر بعضُكم ببعض، ويروح في خُفْية، قال ابن هشام[3]: اللِّواذُ: الاستتارُ بالشيءِ عند الهرب، قال حسان:

٤٨ ـ وَقُرَيْشٌ تَفِرُ مِنّا لِواذًا أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْها الحُلُومُ[4]

واللِّواذُ: مصدر في معنى الحال، أي: مُتَلاوِذِينَ، وظهرت الواو في قوله: ﴿لِواذًا﴾ على معنى: لاوَذْتُ لِواذًا، يقال: لاوَذَ فُلانٌ بِفلانٍ يُلاوِذُ مُلاوَذةً

---

(١) هذه قراءة الحسن ويعقوب، ينظر: البحر المحيط ٦/ ٤٣٦، الإتحاف ٢/ ٣٠٢.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٧٠٢.

(٤) البيت من الخفيف، من قصيدة قالها يوم أُحُدٍ، ورواية ديوانه: «تَلُوذُ مِنّا... لَمْ يُقِيمُوا».

التخريج: ديوانه ص ٢٢٦ [ط دار صادر]، السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٦٥٥، ٧٠٢، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٣٨، الجليس الصالح الكافي ٢/ ٢٨١، تفسير القرطبي ١٢/ ٣٢٢، الحماسة البصرية ص ١٦٢.

ولِواذًا، ولو كان مصدرًا لـ«لُـذْتُ» لقال: لِياذًا، مثل: القِيامِ والصِّيامِ[(١)]، ويقال أيضًا: لاَذَ يَلُوذُ لِواذًا ولِياذًا بقلب الواو ياءً[(٢)].

قيـل[(٣)]: نَزَلت هذه الآيةُ في المنافقينَ، كانوا معَ رسـول الله ﷺ في حَفْرِ الخندق، وكانوا يذهبون بغير أَمْرِهِ مُخْتَفِينَ، وقيل[(٤)]: كان يَثْقُلُ عليهم خطبةُ النبي ﷺ يومَ الجمُعة فيَلُوذونَ ببعضِ أصحابه، فيَخرُجون من المسجد في استتارٍ من غير استئذان.

[٣٠/ أ] ومعنـى قوله: ﴿قَدْ يَعْـلَمُ ٱللَّهُ﴾ التهديدُ بالمجازاة، ثـم/ حَذَّرَهُم الفتنة والعذاب، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾؛ أي: أَمْرَهُ، و﴿عَنْ﴾: صلـةٌ[(٥)]، وقيل[(٦)]: معناه: يُعرِضون عـن أمره، وينصرفون عنه بغير إذنه، وقيل: معنى قوله: ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ يعني: عن أمر الله سبحانه.

وقولـه: ﴿أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ يعنـي: الكفر، وقيل: بـلاءٌ في الدنيا ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾؛ أي: وجيع في الآخرة، وقيل: القتل في الدنيا.

---

(١) قاله ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٣٨.

(٢) قلبت الـواو ياءً في «لِياذٍ»؛ لأن الفعل «لاذَ» أُعِلَّ فتبعه المصدر في الإعلال، أما اللواذ فإنه لـم يُعَلَّ لأن فعله «لاوذ» لم يُعَلَّ، ينظـر: إعراب القرآن ٣/ ١٥٠، تهذيب اللغة ١٥/ ١٥، شرح شافية ابن الحاجب للرضي٣/ ١٣٧.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٢١.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٢١، الوسيط ٣/ ٣٣١.

(٥) قالـه أبو عبيدة وابـن قتيبة، ينظر: مجاز القـرآن ٢/ ٦٩، تأويل مشـكل القرآن ص ٢٥١، وحكاه أبو حيان عن الأخفش في البحر المحيط ٦/ ٤٣٧.

(٦) يعني أنَّ ﴿يُخَالِفُونَ﴾ ضُمِّنَ معنى فعل آخر، وهو قول البصريين، ينظر: أمالي ابن الشجري ١/ ٢٢٤، ٢٨٣، التبيان للعكبري ص ٩٧٩، عين المعانِي ورقة ٩٠/ ب، الفريد ٣/ ٦١٧، أمالي ابن الحاجب ١/ ٢٦٨.

ثم عَظَّمَ نَفْسَــهُ، فقــال: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الخلق عبيده وفي مُلكِه ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق والاستقامة والمخالفة ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟﴾ من خيرٍ أو شــر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهــم وغيرهــا ﴿عَلِيمٌۢ ٦٤﴾؛ أي: عالِمٌ به، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

سورةُ الفرقان

مكّيَة

وهـي ثلاثةُ آلافٍ وسـبعُمائة وثلاثةٌ وثمانون حرفًـا، وثمانِمائة واثنتانِ وتسعون كلمةً، وسبعٌ وسبعون آية.

بابُ ما جاء في فَضْل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بنِ كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «من قرأَ سورةَ الفرقان بُعِثَ يومَ القيامة وهو يؤمن أنّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنّ اللهَ يبعَثُ مَنْ فِي القبور، ودَخَل الجنة بغير حساب»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَن قرأَ سورةَ الفرقان فَرَّقَ اللهُ بينَه وبين الباطل، وهَداهُ لِمَحابِّهِ، وصَيَّرَهُ في ضَمانِهِ إلى يومِ القِيامة»(٢).

بابُ ما جاء فيها من الإعراب



قولـه ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾: محمـدٍ ﷺ،

---

(١) ينظر: الكشـف والبيـان ٧/ ١٢٢، الوسـيط ٣/ ٣٣٣، الكشـاف ٣/ ١٠٣، مجمع البيان ٧/ ٢٧٨.

(٢) لم أعثر له على تخريج.

و﴿تَبَارَكَ﴾: «تَفاعَلَ» من البركة، ومعناه: تَعالَى وجاء بكل بَرَكةٍ، وقيل: تَعظَّمَ، وقيل: تَمَجَّدَ، وقيل: ثبت ودام بما لم يَزَلْ ولا يزال.

واشتقاقه من «بَرَكَ الشيءُ»: إذا ثَبَتَ، ومنه: بَرَكَ الجملُ، وأصل البركة النماءُ والزيادةُ(١).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ يعني: القرآنَ الذي فَرَّقَ اللهُ به بين الحَقِّ والباطلِ، والمؤمنِ والكافرِ، و﴿ٱلَّذِى﴾ في موضع رفع بفعله.

وقوله: ﴿لِيَكُونَ﴾ يعني: محمدًا ﷺ بالقرآن ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: الجنَّ والإنس ﴿نَذِيرًا ۝١﴾ مُخَوِّفًا من عذاب الله.

[٣٠/ ب] ثم/ عَظَّمَ نفسَه فقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يشاركه في مُلْكِهِ أَحَدٌ و﴿ٱلَّذِى﴾: في محل الرفع نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾(٢)، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما زَعَمت اليهود والنصارى والمشركون، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ يشاركه فيما خلق، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ هَداهُ لِما يَصْلُحُ له وسَوّاهُ، قال المفسرون: قَدَّر له من الأجل والرزق، فجَرَتِ المقاديرُ على ما خلق.

وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ﴾؛ أي: ما هذا القرآنُ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمدٌ، اخْتَلَقَهُ من تلقاء نفسه، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾؛ أي: أعان محمدًا على هذا القرآنِ: عَدّاسٌ مَوْلَى حُوَيْطِبِ بنِ عبدِ العُزَّى ويَسارٌ غلامُ الحضرميِّ وجَبْرٌ مولى ابنِ عامر، وكانوا من أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا

---

(١) ينظر: إعراب القرآن ٣/ ١٥١، تهذيب اللغة ١٠/ ٢٣١، الكشف والبيان ٧/ ١٢٣.

(٢) ويجوز أن يكون بدلًا منه، ويجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوفٍ؛ أي: هو الذي، ويجوز أن يكون في محل نصب على المدح، ينظر: التبيان للعكبري ص ٩٨٠، الفريد للهمداني ٣/ ٦٢٠.

﴿وَزُورًا ۝٤﴾ يعني: النَّضر بن الحارث وأصحابه، أي: فقد قالوا شِرْكًا وكذبًا بِنِسْبَتِهِمْ كلامَ الله تعالى إلى الإفك والافتراء.

وهما منصوبان على الحال[1]، يعني: ظالمين وزائرين حين زعموا أن القرآنَ ليس من عند الله، وقال الزَّجّاج[2]: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾؛ أي: بظلم وزور، وقال غيرُه[3]: المعنى: فقد أتَوْا ظلمًا وزُورًا.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: هذه أساطيرُ الأولين ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ محمدٌ؛ أي: انْتَسَخها مِنْ عَدّاسٍ وجَبْرٍ ويَسار، ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾؛ أي: تُقْرَأُ عليه ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥﴾ غدوةً وعشيًّا، نُصِبا على الحال والظرف.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟﴾ يعني: مشركي مكة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾؛ أي: هَلّا أُنْزِلَ إليه مَلَكٌ ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾؛ أي: داعيًا، ونَصْبُ «فَيَكُونَ» على جواب الاستفهام.

قوله[4] ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ يعني: أفضلَ من الكَنْزِ والبستان اللَّذَيْنِ ذَكَرُوا، وهو قوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ يعني: بساتين فِي الدنيا؛ لأنه قد شاء أن يعطيَه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠﴾ يعني: بيوتًا مُشَيَّدة، وسُمِّيَ القَصْرُ قَصْرًا لأنه قُصِرَ: أي حُبِسَ ومُنِعَ من الوصول إليه.

---

(١) لم أقف على من قال: إنهما منصوبان على الحال.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥٨.

(٣) حكاه النَّحاس عن الكسائي في إعراب القرآن ٣/ ١٥٢، وينظر أيضًا: البحر المحيط ٦/ ٤٤١.

(٤) في الأصل: «عز وجل تعالى».

واختلف القُـرّاءُ في قوله: ﴿وَيَجْعَل﴾، فَرَفَعَ لامَـهُ: ابنُ كثير وابنُ عامر وعاصمٌ بروايـة أبي بكرٍ والمُفَضَّـلِ: على الاسـتئنافِ(١)، وجَزَمَهُ الآخَرون: عطفًا علـى محلِّ الجزاء في قوله تعالـى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ﴾، وهو في موضع جَزْم، وإن كان لفظه منصوبًا(٢)؛ لأنه جوابُ الشرط، وهو قوله: «إِنْ شاءَ»، وأجاز الفَرّاء النصب على الصَّرف(٣).

قولـه تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ يعني: نارَ السـعير ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قيل: من مسـيرةِ مائة عـام ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾؛ أي: غَلَيانًا وفَوْرًا، كالغضبـان / إذا غَلَى [٣١/ أ]
صـدرُه من الغضـب ﴿وَزَفِيرًا ⑫﴾ يعني: صوتًا، قـال قُطْـرُبٌ(٤): التَّغَيُّظُ لا يُسْمَعُ، وإنما المعنى: رأَوْا لها تغيُّظًا، وسَمِعوا لها زفيرًا، قال الشاعر:

٤٩ ـ وَرَأَيْـتُ زَوْجَـكِ فِي الوَغَى مُـتَـقَـلِّـدًا سَـيْـفًـا وَرُمْـحـا(٥)

(١) وقـرأ برفعه أيضًا ابنُ محيصن ومجاهدٌ وحُمَيْـدٌ، وأبو عمرو في رواية محبوب عنه، ينظر: السبعة ص ٤٦٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٤٤، حجة القراءات ص ٥٠٨، البحر المحيط ٦/ ٤٤٤.

(٢) يعني مبنيًّا على الفتح، وهو من مصطلحات الكوفيـين في البناء.

(٣) معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٦٣، وقد قرأ بالنصب عبيد الله بن موسـى وطلحة بن سـليمان، ينظر: المحتسب ٢/ ١١٨، البحر المحيط ٦/ ٤٤٤.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٢٥، عين المعاني ٨٩/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٨.

(٥) البيت من مجزوء الكامل، لعبد الله بن الزِّبَعْرَى، ويُرْوَى صدره:

يـا لَـيْـتَ بَـعْـلَـكِ قـد غَـدا

اللغة: تَقَلَّدَ السيفَ: احتمله، وفي الكلام حذف، والمعنى: متقلدًا سيفًا وحاملًا رمحًا؛ لأن الرمح لا يُتَقَلَّدُ وإنما يقال: اعتقلتُ الرمحَ، فهو محمول على المعنى لِما في التقلد من معنى الحمل، ويجوز أن يكون مفعولًا معه.

التخريج: شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٦٨، معاني القرآن للفرّاء ١/ ١٢١، ٤٧٣، ٣/ ١٢٣، =

أي: وحاملًا رمحًا، قال عُبَيد بن عُمَير[1]: إنّ جهنَّم لَتَزْفِرُ زَفْرةً لا يَبْقَى نَبِيٌّ مرسل، ولا مَلَكٌ مقرَّب إلا خَرَّ لوجهه.

قوله: ﴿وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ قال ابنُ عباس: تضيق عليهم جهنَّم، كما يضيق الزُّجُّ[2] في الرُّمْحِ، وهو منصوبٌ على الظرف؛ أي: في مكانٍ ضيِّق، وقَرأَ ابن كثير: ﴿ضَيْقًا﴾ بالتخفيف[3].

وقوله: ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ قال ابن عباس: مُصَفَّدِينَ قد قُرِنَتْ أيديهم إلى أعناقهم في السلاسل والأعناق، وقال مقاتل: مُوثَقِينَ في الحديد قُرِنُوا مع الشياطين، وهو منصوبٌ على الحال، وقوله: ﴿دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ١٣﴾

= مجاز القرآن ١/ ٦٨، معاني القرآن للأخفش ص ٢٥٥، ٢٦٠، تأويل مشكل القرآن ص ٢١٤، المقتضب ٢/ ٥١، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٤، ٢/ ١٥٤، إعراب القرآن ٢/ ٢٦٢، ٤/ ٣١٢، إعراب القراءات السبع ١/ ٦٢، الخصائص ٢/ ٤٣١، أمالي ابن الشجري ٣/ ٨٢، ٨٣، شمس العلوم ٢/ ١١٧٢، الإنصاف ص ٦١٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٨٢، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٠٣، شرح كافية ابن الحاجب للرضي ٢/ ٣٦٢، اللسان: جدع، جمع، رغب، زجج، قلد، مسح، هدي، خزانة الأدب ٢/ ٢٣١، ٣/ ١٤٢، ٩/ ١٤٢.

(١) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد، أبو عاصم الليثي المكي، قاضي أهل مكة، قارئ ثقة من كبار التابعين، لأبيه صحبة، قيل: وُلِدَ في حياة النبي ﷺ، روى عن عَلِيٍّ وابن عمر وأُبَيٍّ رضي الله عنهم، وتوفِّي سنة (٦٨هـ)، وقيل: ٧٤هـ. [غاية النهاية ١/ ٤٩٦، ٤٩٧، حلية الأولياء ٣/ ٢٦٦-٢٧٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ١٥٦، ١٥٧].

(٢) الزُّجُّ: الحديدة التي تُرَكَّبُ في أسفل الرمح ليُرْكَزُ به في الأرض، والجمع أَزْجاجٌ وأَزِجّةٌ وزِجاجٌ وزِجَجةٌ.

(٣) قرأ ابن كثير في رواية قُنْبُلٍ: ﴿ضَيْقًا﴾ بالتخفيف، وهي قراءة عبيد بن عمير عن هارون عن أبي عمرو، ينظر: السبعة ص ٤٦٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٨، حجة القراءات ص ٥٠٨، البحر المحيط ٢/ ٤٤٥، الإتحاف ٢/ ٣٠٥.

يعني: هلاكًا؛ أي: صاحوا عند ذلك: واهلاكاه! وهو منصوبٌ على المصدر(١)، وقيل(٢): على المفعول به.

فصلٌ

عن أنسِ بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَن يُكْسَـى يومَ القيامة إبليسُ حُلّةً من النار، فيضعها على حاجبَيْه، فيَسْـحَبُها مَنْ خَلْفَهُ ـ وذُرِّيَّتُهُ خَلْفَهُ ـ وهو يقول: واثُبُوراهُ! وهم ينادُون: يا ثُبورَهُمْ! حتى يقفوا على النار، فيُنادِي: يـا ثُبوراهُ! وينادُون: يا ثُبُورَهُمْ! فيقول الله: ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ يعني: السعير ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ وهذا استفهامُ إنكار، وهو ابتداءٌ وخبر، و«أَمْ»: عطف على «خَيْرٌ»، وهذه الآية تنبيهٌ على تفاوتِ ما بينَ المنزِلتين، لا على أن في السعير خيرًا.

وقولـه: ﴿كَانَتْ لَهُمْ﴾ يعنـي الجنة للمتقيـن ﴿جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾؛ أي: ثوابًا ومرجعًا، ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾: نصبٌ على الحال ﴿كَانَ﴾ الخلـودُ ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ وذلك أنّ الله وَعَدَ المؤمنين الجنةَ على

---

(١) بمعنـى: ثُبِرْنا ثُبُورًا، وهذا قـول الفرَّاء وأبِي عبيدة والزَّجّاج، ينظر: معاني القرآن ٢/ ٢٦٣، مجاز القرآن ٢/ ٧١، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٥٩.

(٢) بمعنـى: دَعَوُا الثُّبُورَ كما يقال: يـا عَجَباهُ؛ أي: هذا من أوقاتك فاحضـر، قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٥٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسـند ٣/ ١٥٢-١٥٤، ٢٤٩، وينظر: الكشـف والبيان ٧/ ١٢٦، الوسيط ٣/ ٣٣٦، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٢ كتاب صفة النار/ باب في أهل النار وعلامتها وأول من يكسى حللها.

لسـان الرسُل، فسألوه ذلك الوعدَ في الدنيا، فقالوا: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[(١)]؛ أي: على لسان رسلك[(٢)].

قوله تعالـى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يعني: كفارَ مكةَ ومَـن كان يَعْبُدُ غيرَ اللهِ، وقَـرأَ ابنُ كثير وحفصٌ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء[(٣)]، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعنـي الأصنامَ، ثم يَأْذَنُ اللهُ تعالى لها فِي الكلام ومُخاطَبَتِه ﴿فَيَقُولُ﴾، وقَـرأَ ابـن عامر: ﴿فَنَقُـولُ﴾ بالنـون[(٤)] ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾؛ أي: أمَرْتُموهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: أخطَأوا الطريقَ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نَزَّهُـوا اللهَ مـن أن يكون معـه إلَهٌ يُعْبَـدُ ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ قال ابن عباس: أَطَلْتَ لهم العُمُرَ، وأَفْضَلْتَ عليهم، ووَسَّعْتَ لهم فِي الأرزاق ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني: تَركوا الموعِظةَ والإيمانَ بالقرآن ﴿وَكَانُوا۟ / قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾؛ أي: هَلْكَى قد غَلَبَ عليهم الشـقاوةُ والخِذْلاَنُ، قال أبو عُبيد[(٥)]: وأصله من البَوارِ، وهو الكسادُ والفساد، ومنه: بَوارُ الأَيِّمِ وبَوارُ السـلعة. وهو اسمُ مصدر، كالزَّوْر، يستوي فيه الواحدُ

---

(١) آل عمران ١٩٤.

(٢) قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٦٣، وينظر: عين المعاني ورقة ٨٩/ ب.

(٣) قرأ ابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي ونافع، وأبو بكر عن عاصمٍ، والحسنُ والشَّنَبُوذِيُّ وطلحةُ وخَلَفٌ: ﴿نَحْشُـرُهُمْ﴾ بالنون، وقـرأ الباقون، وحَفْصٌ عن عاصمٍ: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ بالياء، ينظر: السبعة ص ٤٦٣، حجة القراءات ص ٥٠٨، البحر المحيط ٦/ ٤٤٧، الإتحاف ٢/ ٣٠٥-٣٠٦.

(٤) وهي أيضًا قراءة الحسـن وطلحة والشـنبوذي وأبِي حيوة، ينظر: السـبعة ص ٤٦٣، حجة القـراءات ص ٥٠٨، إعـراب القراءات السـبع ٢/ ١١٨، الكشـف عن وجـوه القراءات ٢/ ١٤٤، البحر المحيط ٦/ ٤٤٧، الإتحاف ٢/ ٣٠٦.

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٢٧.

والاثنان والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث(١)، قال ابنُ الزِّبَعْرَى(٢) حين أسلم:

٥٠ ـ يا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لِسانِي   راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ(٣)

وقيل(٤): هو جمعُ البائر، يقال: رَجُلٌ بائِرٌ وقَوْمٌ بُورٌ، وهو: الفاسدُ الذي لا خَيْرَ فيه، ويقال: أَصْبَحَتْ منازلُهم بُورًا؛ أي: خاليةً لا شيءَ فيها.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ يا محمَّد ﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴿٢٠﴾﴾ إذا دَخَلت اللام لم يكن في «إنَّ» إلا الكسرُ، ولو لم

---

(١) هذا قول أكثر العلماء، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٦٤، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٤.

(٢) هو: عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي، أبو سعد القرشي، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديدًا على الرسول والمسلمين حتى فتحت مكة، فهرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة، وأسلم واعتذر، ومدح الرسول ﷺ، وتوفِّي سنة (١٥هـ). [أسد الغابة ٣/ ١٥٩، ١٦٠، الأعلام ٤/ ٨٧].

(٣) البيت من الخفيف، لعبد الله بن الزبعرى يعتذر للنبي ﷺ، ويمدحه بعدما جاء مسلمًا، ونُسِبَ لعبد الله بن رواحة، وهو في ديوانه أيضًا، ونُسِبَ لأَبِي سفيان بن الحارث، ويُرْوَى: «**يا رسول الإله**».

اللغة: الرَّتْقُ: ضد الفَتْقِ، وهو إلحام الفتق وإصلاحه.

التخريج: شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٧٢، ديوان عبد الله بن رواحة ص ٩٥، سيرة ابن هشام ٤/ ٨٧٦، مجاز القرآن ١/ ٣٤٠، ٢/ ٧٣، ٢٦٣، الزاهر ١/ ٤٧٧، تهذيب اللغة ١٥/ ٢٦٧، إعراب ثلاثين سورة ص ٢٣، إعراب القراءات السبع ١/ ٤٧، مقاييس اللغة ١/ ٣١٦، المخصص ٣/ ٤٨، ١٤/ ٣٣، ١٧/ ٣٠، ٣١، اللسان: بور، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٩٠، التاج: بور، ملك.

(٤) قاله الأخفش وأبو عبيدة والجوهري، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٢، مجاز القرآن ٢/ ٧٢، الصحاح ٢/ ٥٩٧.

يكن اللامُ ما جاز أيضًا إلّا الكسر؛ لأنها مستأنَفةٌ، هذا قولُ جميع النَّحْويِّين[١]، وحُكِـيَ عن محمد بن يزيد أنه قال: يجوز الفتح في «إِنَّ» هذه وإن كان بعدَها اللامُ[٢]. قال الصفّار[٣]: وأظنُّه سهوًا منه.

والحـقُّ أنّ اللام لو حُذِفَتْ كان «إِنَّ» مكسـورةً، نحو: مـا قَدِمْتُ عَلَى الأميـر إلّا إنـه مُكرِمِي، أي: إلّا وهـو مُكْرِمِي حَقًّا، وتقريـبُ «إِنَّ» بالواو: أَنَّ كليهما يَلِي جملةً مبتدَأةً، والمفتوحة لا يُبْتَدَأُ بها[٤]، قال الشاعر:

٥١ ـ مـا أَعْطَيانِي وَلا سَـأَلْتُهُما إِلّا وإِنِّـي لَحاجِـزِي كَرَمِـي[٥]

ولو قال: إلّا وإِنِّي يَصُدُّنِي كَرَمِي لَكَسَرَ أيضًا فافهَمْ.

واللام في الآيةِ والشِّـعْرِ جَوابُ القَسَـمِ، أي: إِلّا إِنَّهُمْ ـ واللهِ ـ لَيَأْكُلُونَ، وحذفت الواو في الآية كقول الشاعر:

---

(١) ينظر في هذه المسألة: الكتاب ٣/ ١٤٥، ١٤٦، معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٤٤٢، ٢/ ٢٦٤، معانـي القرآن للأخفـش ص ١٠٨، ١٠٩، معاني القرآن وإعرابـه ٤/ ٦٢، إعراب القرآن ٣/ ١٥٥، المسائل المنثورة ص ٢٣٦-٢٣٨ وغيرها.

(٢) قـال المبـرد بذلك في المقتضـب ٢/ ٣٤٣ وما بعدها، في بـاب «إنَّ» إذا دخلت اللام في خبرهـا، وهذه الحكاية حكاها النَّحاس عن الأخفش الأصغر عن المبرد في إعراب القرآن ٣/ ١٥٥، وينظر أيضًا: الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦٢٧.

(٣) يعني أبا جعفر النَّحاس، وانظر: إعراب القرآن ٣/ ١٥٥

(٤) قاله سـيبويه في الكتاب ٣/ ١٤٥، ١٤٦، وينظر: المقتضـب للمبرد ٢/ ٣٤٥، والأصول لابن السراج ١/ ٢٦٤، ٢٧٤.

(٥) البيت من المنسرح، لكثير عزة يمدح بعض بني مروان، ويروى: «**ما أَنْطَيانِي**» بالنون.

التخريـج: ديوانه ص ٢٧٣، الكتاب ٣/ ١٤٥، معانـي القرآن للأخفش ص ١٠٨، المقتضب ٢/ ٣٤٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٢، المسائل المنثورة ص ٢٣٧، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ١٩، ارتشاف الضرب ص ١٦٠٤، المقاصد النحوية ٢/ ٣٠٨، همع الهوامع ٢/ ٢٤٨.

٥٢ـ وما مَسَّ كَفِّي مِن يَدٍ طابَ رِيحُها ... مِنَ النّاسِ إلا رِيحُ كَفَّيْكَ أَطْيَبُ(١)

قولـه تعالـى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ يعني: يـومَ القيامة ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا بِشارةَ لَهُمْ فِي ذلك اليوم بالجنة والثواب.

ولا يجوزُ أن يكونَ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ منصوبًا بـ﴿بُشْرَىٰ﴾؛ لأن ما فِي حيِّز النفي لا يعمـل فيما قبلَه، ولكـنْ فيه تقديران: يجوز أن يكون المعنـى: إنهم يُمْنَعُونَ البشـارةَ يومَ يرَوْن الملائكة، ودَلَّ على هذا الحـذف ما بعدَه، ويجوز أن يكون المعنى: اذْكُرْ يومَ يرَوْن الملائكة(٢).

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ يعنـي: الملائكةُ يقولون للمجرمين: حِجْرًا مَحْجُورًا؛ أي: حَرامًا مُحَرَّمًا عليكم البُشرى بخير، قال الشاعر:

٥٣ـ أَلا أَصْبَحَتْ أَسْماءُ حِجْرًا مُحَرَّمًا ... وأَصْبَحْـتُ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِها حَما(٣)

---

(١) البيت من الطويل، لسلمة بن عياش يمدح جعفر بن سليمان بن عَلِيٍّ، ويروى:

فما شـم أنفٌ ريحَ كفٍّ شَمِمْتُها ... مـن الناس إلا ريـحُ كفِّكَ أطيبُ

التخريـج: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٨٣، الأزهيـة ص ٢٣٩، التذكرة الحمدونية ٢/ ٣٥٦، المستطرف للأبشيهي ١/ ٢٤٧.

(٢) من أول قوله: «ولا يجوز أن يكون يوم يرون» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ١٥٦.

(٣) البيت من الطويل، لعبد الله بن عجلان النهدي، ونُسِـبَ لمسـافر بن أَبِي عمرو، وكانت له امرأة، فطَلَّقَها، وتَزَوَّجَها أخوهُ، ويُرْوَى:

ألا إِنَّ هِندًا أصبَحَت مِنكَ مَحْرَما ... وأَصبَحتَ مِن أَدنَى حُمُوَّتِها حَما

اللغـة: حَما المرأةِ: أبو زوجها وأخو زوجها ومَن كان مِن قِبَلِهِ، يعني: أصبحتُ أخا زَوْجِها بعد أن كنتُ زوجَها.

التخريج: الشعر والشعراء ص ٧٢٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٠٤، الأغاني ٨/ ٤٩، ٥٠، ٥١، نشـوار المحاضرة للتنوخي ٥/ ١٥٤، تهذيب اللغة ٥/ ٢٧٢، تفسـير القرطبي ١٣/ ٢٠، اللسان: حمو، التاج: حمو.

أراد: أَلا أصبحتْ أَسْماءُ حَرامًا مُحَرَّمًا، وقيل: معناه: حرامٌ عليكم دخولُ الجنة، وألّا يدخلَها إلّا مَنْ قال: لا إلَه إلا الله. و﴿حِجْرًا﴾ يُقرَأ بالكسر والفتح والضم[١]، / وهو منصوبٌ على المصدر[٢]. [٣٢/ أ]

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾؛ أي: عَمَدْنا وقصَدْنا إلى عمل الكفارِ الذي عملوه في الدنيا، ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ يعني: باطلًا لا ثوابَ له؛ لأنهم لم يعملوه لله، وإنما عملوه للشيطان، والهباء: هو ما يُرَى في الكُوَى من شُعاع الشمس كالغبار، ولا يُمَسُّ بالأيدي، ولا يُرَى في الظل[٣]، والمنثور: المتفرِّق، والمعنى: أنّ اللهَ أحبط أعمالَهم حتى صارت كالهباءِ المنثور.

ثم ذَكَر فضلَ أهل الجنة على أهل النار، فقال: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يومَ القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ أفضلُ مَنْزِلًا في الجنة ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾، مأخوذٌ من القائلة، وهي: الاستكنان في وقتِ انتصاف النهار، قال الأزهري[٤]: القَيْلولةُ عند العرب: الاستراحة نصفَ النهار إذا اشتدَّ الحَرّ، وإن لم يكن مع ذلك نَوْمٌ.

والدّليل على ذلك أنّ الجنةَ لا نومَ فيها، قيل في التفسير[٥]: إنه لا ينتصفُ

---

(١) قرأ الحسن وأبو رجاء والضحاك: ﴿حُجْرًا﴾ بالضم، وقرأ المُطَّوِّعِيُّ: ﴿حُجُرًا﴾ بضم الحاء والجيم، وقُرِئَ: ﴿حَجْرًا﴾ بفتح الحاء، وقرأه الجمهور: ﴿حِجْرًا﴾ بالكسر، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢١، التبيان للعكبَري ص ٩٨٤، البحر المحيط ٦/ ٤٥٢، الإتحاف ٢/ ٣٠٧.

(٢) وهو من المصادر المُلْتَزَمِ إضمارُ فعلِها، كما ذكر سيبويه في الكتاب ١/ ٣٢٦؛ أي: حُجِرْنا حِجْرًا، وينظر: الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦٢٨، عين المعاني ورقة ٩٢/ أ.

(٣) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٧٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٢، جامع البيان ١٩/ ٦.

(٤) تهذيب اللغة ٩/ ٣٠٦.

(٥) قاله ابن مسعود، ينظر: عين المعاني ورقة ٩٢/ أ.

النهار يومَ القيامة حتى يستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار، فتجيءُ القائلةُ وقد فُرِغَ من الأمر، فيَقِيلُ أهلُ الجنة في الجنة، وأهلُ النار في النار، وهما منصوبان على التفسير.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾؛ أي: عن الغمام، والباء و«عَنْ» يتعاقَبانِ كما يقال: رَمَيْتُ بِالقَوْسِ وعنِ القَوْسِ بمعنًى واحد[1]، وقيل[2]: الباءُ للتعدِية؛ أي: تُشَقِّقُ السماءُ الغمامَ: تُهْوِيها إلى الأرض، وقال أبو عليٍّ الفارسي[3]: تَشقَّق السماءُ وعليها غمام، كما تقول: ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه؛ أي: وعليه سلاحُه وثيابه.

وإنما تنشقُّ السماء بنزول الملائكة، وذلك قولُه تعالى: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾، و﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾: عطفٌ على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، واختلف القُرّاءُ فِي قوله: ﴿تَشَقَّقُ﴾ فقرأ أبو عَمْرو وأهلُ الكوفة بتخفيف الشِّين على الحَذْفِ وتَرْكِ الإدغام والتخفيف، هاهنا وفي سورة ﴿قٓ﴾[4]، وقَرأ الآخَرون بالتشديد فيها، وأدغَموا التاءَ في الشين، على معنى: تَتَشَقَّقُ.

---

(١) هذا مذهب الكوفيين والأخفش وابن قتيبة، وهو أن حروف الخفض ينوب بعضها عن بعض، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٦٧، معاني القرآن للأخفش ص ٤٦، أدب الكاتب ص ٣٩٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٢.

(٢) قاله السجاوندي في عين المعاني ٩٢/ ب.

(٣) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٣/ ٣٣٨.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ قٓ ٤٤، قرأ بالتخفيف هنا وفي سورة قٓ أبو عمرو وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ والأعمشُ واليزيديُّ، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بتشديد الشين فيهما، ينظر: السبعة ص ٤٦٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ١١٩، البحر المحيط ٦/ ٤٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٠٧.

وقولـه: ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ قـرأه العامّـة ﴿نُزِّلَ﴾ بنـونٍ واحدة مع التشديد على الفعل المجهول، وقرأ ابن كثير[1]: ﴿نُنْزِلُ﴾ بنونَيْن مع التخفيف ونَصْبِ الملائكة: منَ الإنْزال، وجَعَلَ الفِعْلَ منَ الإنْزالِ والمَصْدَرَ عَلَى «فَعَّلَ»؛ لأَنَّ «أَنْزَلَ» مِثْلُ: «نَزَّلَ»، كقوله تعالى ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يـومَ القيامة ﴿ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأٌ وخبر، وأجاز أبو إسحاقَ نصبَ الحق بمعنى: أُحِقُّ الحقَّ، أو: أعني الحقَّ[3]، قـال ابن عبـاس: يريدُ أنّ يوم القيامـة لا مَلِكَ يقضي فيـه غَيْرُهُ ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ عَسُـرَ عليهم ذلك اليومُ لشـدّتِه ومشقَّتِه، ويُهَوَّنُ على المؤمنين كأَدْنَى صلاةٍ صَلَّوْها في دار الدنيا، وفي الآية تبشيرٌ للمؤمنين، حيث خَصَّ الكافرين بشدة ذلك اليوم وعُسْرِهِ.

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ يعني: عُقبةَ بنَ أبي مُعَيْط يأكل يدَيْه نَدَمًا / وتَحَسُّرًا حتى تذهبا إلى المِرفَقَيْن ثم تَنْبُتانِ، فلا يزال هكذا، كلما نبتت [٣٢/ ب]
يداه أَكَلَهُما ندامـةً على ما فعـل، ﴿يَٰقُولُ يَٰلَيْتَنِي﴾ فَتَح ياءه أبو عَمْرو[4]، وأسكنه الباقون.

---

(١) وهـي أيضًـا قراءة ابن محيصن، ورُوِيَـتْ عن أبِي عمرو، ينظر: السـبعة ص ٤٦٤، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٢٠، حجة القـراءات ص ٥١٠، البحر المحيط ٦/ ٤٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٠٧، ٣٠٨.

(٢) المزمل ٨، وينظر: معاني القراءات ٢/ ٢١٦، الحجة للفارسي ٣/ ٢١٠، ٢١١.

(٣) يعنـي: على المفعول المطلق أو على المفعول به، وهذا في غير القرآن، قال الزَّجّاج: «ولم يُقْرَأْ بها، فلا تَقْرَأَنَّ بها». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٥.

(٤) ونافعٌ فِي رواية أبي خُلَيْدٍ عنه، ينظر: السـبعة ص ٤٦٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٠، الإتحاف ٢/ ٣٠٨.

وقولـه: ﴿ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾؛ أي: اتَّبعتُ محمدًا في الدنيا، واتَّخذت معه سـبيلًا إلى الهـدى، ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ يعني: أُبَيَّ بنَ خَلَـفٍ الجُمَحِيَّ، وكان عُقْبةُ وأُبَيٌّ مُتَخالِلَيْنِ، فأَسْـلَمَ عُقْبةُ، فقال أُبَيُّ ابن خلف: وَجْهِي مِـنْ وَجْهِكَ حَرامٌ إن تابَعْتَ محمدًا، فكَفَرَ وارْتَدَّ، وأَرْضى خليلَه، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

وأُنْشِدَ في المعنى لأَبِي وائلٍ عبد الرحمن بن الحسن:

٥٤ـ تَجَنَّبْ قَرِينَ السُّوءِ واصْرِمْ حِبالَه ... فِـإِنْ لـمْ تَجِـدْ عَنْـهُ مَحِيصًـا فداره
وأَحْبِبْ حَبِيبَ الصِّدْقِ واحْذَرْ مِراءَهُ ... تَنَـلْ مِنْـهُ صَفْـوَ الوُدِّ مـا لـمْ تُمارِهِ
وفِي الشَّيْبِ ما يَنْهَى الحَلِيمَ عنِ الصِّبا ... إذا اشْـتَعَلَتْ نِيرانُـهُ فـي عِـذارِهِ(٢)

وأنشَد أبو بكرِ بن عبد الله الحامِدي:

٥٥ـ اصْحَبْ خِيارَ النّاسِ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... خَيْـرُ الصَّحابـةِ مَـنْ يكُـونُ عَفِيفـا
والنّـاسُ مِثْـلُ دَراهِـمٍ مَيَّـزْتَـهـا ... فـوَجَـدْتَ فِيهـا فِضّـةً وزُيُوفـا(٣)

---

(١) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٢/ أ.

(٢) الأبيات من بحر الطويل، لصالح بن عبد القدوس.

اللغـة: اصْـرِمْ حِبالَهُ: اقطعها، المحيص: المهـرب، دارَى الرجلَ: لايَنَهُ ورَفَقَ به وأَحْسَـنَ صحبته، والمُداراة: الملاينة، المِراءُ: الجَدَلُ، عِذارُ الرَّجُلِ: شَعَرُهُ النّابِتُ فِي مَوْضِعِ العِذارِ، والعِذارانِ: جانِبا اللِّحْيةِ.

التخريـج: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٧٢، العقد الفريد ٢/ ٣٣٨، الكشـف والبيان ٧/ ١٣١، عين المعاني ورقة ٩٢/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦، التذكرة الحمدونية ٤/ ٣٧٠.

(٣) البيتان من بحر الكامل، لم أقف على قائلهما.

اللغة: الزُّيُوفُ: جمع زَيْفُ: وهو مِنْ وَصْفِ الدراهم، يقال: زافَتْ عليه دراهِمُهُ؛ أي: صارت مردودة لغشٍّ فيها. =

فصلٌ

عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ جَلِيسِ السوءِ كمَثَلِ [صاحب] (١) الكِيرِ، إنْ لم يُحْرِقْ ثيابَك يَعْبَقْ بِكَ رِيحُهُ»(٢).

وقال مالكُ بن دينار(٣): إنك إنْ تنقُل الحجارةَ معَ الأبرار خيرٌ لك من أن تأكلَ الخَبِيصَ مَعَ الفُجّارِ.

قوله تعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾؛ أي: ويقولُ الرسول محمد ﷺ فِي ذلك اليوم: ﴿ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ يعنِي: قالوا فيه غيرَ الحق، وزعموا أنه شِعرٌ وسحر، مأخوذٌ من الهُجْرِ، وهو القول السيِّئ، وقيل: من الهِجْرانِ؛ أي: أَعْرَضُوا عنه وتركوه، فلم يؤمنوا به، ولمْ يعملوا بِما فيه، قَرأَ نافعٌ وأبو عَمْرو والبَزِّيُّ: ﴿قَوْمِيَ﴾ بفتح الياء(٤)، وأسكنها الباقون.

= **التخريج**: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص١٠٢، الكشف والبيان ٧/ ١٣١، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦.

(١) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٤٠٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٦١ كتاب الأدب: باب الجليس الصالح.

(٣) أبو يحيى البصري، مولى سامة بن لؤي بن غالب، معدود في ثقات التابعين، قليل الحديث، حَدَّثَ عن أنس بن مالك وابنِ جبير وابن سيرين والحسن، كان يكتب المصاحف بالأجرة، ولا يأكل شيئًا من الطيبات، توفي بالبصرة سنة (١٣١هـ)، وقيل: (١٢٧هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٢-٣٦٤، الأعلام ٥/ ٢٦٠، ٢٦١]، وينظر قوله فِي الكشف والبيان ٧/ ١٣٢، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٧، والخبيص: نوع من الحَلْواء المخلوطة.

(٤) قرأ بفتح الياء أيضًا أبو جعفر وروح، وقرأ الباقون وابن كثير في غير رواية البزي بإسكانها، ينظر: السبعة ص ٤٦٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٢، الإتحاف ٢/ ٣٠٨.

فصلٌ

عَن أَنَسِ بنِ مالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَعَلَّم القُرآنَ وعَلِّمْهُ، ومنْ عَلَّقَ مُصْحَفًا لمْ يَتَعاهَدْهُ ولمْ يَنْظُرْ فِيهِ، جاء يوْمَ القِيامةِ مُتَعلِّقًا بِهِ يقُولُ: يا رَبَّ العالَمِين! عَبْدُكَ هذا اتَّخَذَنِي مَهْجُورًا، اقْضِ بَيْني وبَيْنَهُ»(١).

وعن حُذَيفةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قِراءةُ الرَّجُلِ في غَيْرِ المُصْحَفِ أَلْفُ دَرَجةٍ، وفي قِراءَتِهِ في المُصْحَفِ يُضاعَفُ عَلَى ذَلِكَ أَلْفَيْ دَرَجةٍ»(٢).

ثم عَزَّى نَبِيَّهُ ﷺ فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: لا تحـزَنْ على ما فَعَلَ قومُكَ، فـإنَّ الأنبياءَ قبلَك / قد لقِيتَ هذا التكذيبَ من [٣٣/ أ] قومهم، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ مرشـدًا لـك ﴿وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ ناصرًا لك على أعدائك، وهما منصوبانِ على الحال أو التمييز(٣).

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: هلّا نُزِّلَ عليك القرآنُ في وقتٍ واحد، كما أُنزلت التوراة والإنجيلُ والزَّبُورُ؟ فقال الله تعالـى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنزلناه متفرِّقـا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ لِنُقَوِّيَ به قلبَكَ فيزدادَ بصيرةً ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: بيَّنّاهُ بيانًا، وفصَّلناه تفصيلًا، والترتيل: التحقيـقُ والتبيين، وهو مصدرٌ جاء على غير الصدر، ونَصْب ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: على الحال.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٣٢، الكشاف ٣/ ٩٠، المحرر الوجيز ٤/ ٢٠٩، عين المعاني ورقة ٩٢/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨.

(٢) رواه الطبرانـيُّ فـي المعجم الكبير ١/ ٢٢١، وذكره الهيثمي فـي مجمع الزوائد ٧/ ١٦٥ كتاب التفسير: باب القراءة في المصحف وغيره.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٦.

قولـه تعالـى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ يضربونه لك فِي إبطـال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ لنبطـل به كيدهم ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ مما أَتَوْا به من المثل، أي: أحسن بيانًا وكشفًا، والتفسير: «تفعيل»، من الفَسْر، وهو: كَشْفُ ما غُطِّيَ، وهو منصوبٌ على التفسير.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ قـال مُقاتلٌ: هم كفارُ مكّة، وذلك أنّهم قالوا لمحمدٍ ﷺ وأصحابِهِ: هم شَرُّ خَلْقِ الله، فقال الله تعالى: ﴿جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ يعني: منزلًا ومـصيـرًا ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ يعني: دينًا وطريقًا من المؤمنينَ، ونَصْب ﴿مَّكَانًا﴾ و﴿سَبِيلًا﴾: على التمييز.

قوله تعالـى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴿٣٧﴾﴾ بالطُّوفان، قال الزَّجّاج[(١)]: مَن كَذَّبَ نَبِيًّا فقد كَذَّبَ جميعَ الأنبياء.

ونَصْب ﴿قَـوْمَ نُوحٍ﴾ بإضمار: اذكرْ، أو على العطف على المضمَر في ﴿دَمَّرْناهُـمْ﴾[(٢)]، ويجـوز أن يكون معطوفًا على الضمير في ﴿جَعَلْناهُمْ﴾[(٣)]، وزَعَـم الفَرّاء أنه منصـوبٌ بـ﴿أَغْرَقْنا﴾[(٤)]، وهذا لا يحصـل؛ لأن ﴿أَغْرَقْنا﴾ ليس ممّا يَتعدَّى إلى مفعولَيْن، فيعملَ في المضمر[(٥)].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَعـادًا وَثَمُودًا وَأَصْحابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٦٧، ٦٨.

(٢) في قوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾. الآية ٣٦.

(٣) إذا كان يعني أنه معطوف على الضمير فِي ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ الآتي فهذا غير جائز؛ لأنه لا يتقدم المعطوف على المعطوف عليه، كما أنه غير مستقيم من جهة المعنى.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٦٨.

(٥) قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٦١.

كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾ عطفٌ على ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾ إِذْ كان ﴿قَوْمَ نُوحٍ﴾ منصوبًا على العطف، أو بمعنى ﴿اذْكُرْ﴾، ويجوز أن يكون هذا كله منصوبًا على أنه معطوفٌ على المضمَر الذي في ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾، وهو أَوْلى؛ لأنه أقربُ إليه(١).

وقَرأَ حفصٌ وحمزةُ: ﴿ثَمُودَ﴾ بغير تنوين، والباقونَ بالتنوين(٢)، والرَّسُّ في كلام العرب: كُلُّ محفورٍ، كالبئرِ والمعدِن والقبر ونحوِها، وجَمْعُها: رِساسٌ(٣)، قال الشاعر:

٥٦ ـ تَنابِلَةً يَحفِرونَ الرِّساسا(٤)

وقال أبو عُبيدة(٥): الرَّسُّ في كلام العرب: كُلُّ رَكِيّةٍ لمْ تُطْوَ بالحجارة

---

(١) من أول قوله: «إذ كان قوم نوح» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ١٦١.

(٢) قرأ ابنُ مسعود وعمرُو بن ميمون والحسنُ وعيسى بنُ عمر، وحَفْصٌ عن عاصم، وحمزةُ ويعقوبُ: ﴿وَثَمُودَ﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم: ﴿وَثَمُودًا﴾ بالتنوين، ينظر: السبعة ص ٣٣٧، إعراب القراءات السبع ١/ ٢٨٦، التيسير ص ١٢٥، البحر ٦/ ٤٥٧، الإتحاف ٢/ ٣٠٨.

(٣) في الأصل: «أرساس».

(٤) هذا عجز بيت من المتقارب، للنابغة الجعدي، وصدره:

سَبَقْتُ إِلَى فَرَطٍ ناهِلٍ

اللغة: الفَرَطُ: المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فيهيئ لهم الأَرْسانَ والدِّلاَءَ ويملأ الحياض ويستقي لهم، الناهل: العطشان، والناهل أيضًا: الرَّيّانُ، وهو من الأضداد، التنابلة: جمع تِنْبال، وهو الزَّرِيُّ القصير والكسلان.

التخريج: ديوانه ص ١٠١، الجيم ٢/ ٣١، مجاز القرآن ٢/ ٧٥، ٢٢٣، تهذيب اللغة ١٢/ ٢٩٠، المحرر الوجيز ٥/ ١٥٨، شمس العلوم ٢/ ٧٧٦، ٤/ ٢٣٤٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٢، اللسان والتاج: رسس.

(٥) قال أبو عبيدة: «وَأَصْحابَ الرَّسِّ: المَعْدِنُ وكُلُّ رَكِيّةٍ لم تُطْوَ». مجاز القرآن ٢/ ٢٢٣.

والآجُرِّ والخشب. قال الكَلْبيُّ[١]: أصحابُ الرَّسِّ أُرْسِلَ إليهم نَبيٌّ فأكلوه، وهم أولُ من عَمِلَ نساؤُهم بالسحر.

وقال السُّدِّيُّ: الرَّسّ: بئرٌ بأنطاكيةَ قتَلوا فيها حَبِيبًا النجارَ فنُسِبُوا إليها، وهذا قولُ ابن عباس، قال: سألتُ كَعْبًا عن أصحاب الرّسِّ فقال: هم الذين قَتلوا صاحبَ يّس الذي قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[٢]، ورَسُّوهُ فِي بئرٍ لهم يقال لها: الرَّسُّ؛ أي: دَسُّوْهُ فيها.

وقال وَهبٌ: كانوا أهلَ بئرٍ نُزُولًا عليها وأصحابَ مَواشٍ، فكَذَّبُوا شُعَيْبًا فانهارت البئرُ بهم وبمنازلِهم، فهَلَكوا جميعًا.

قوله: ﴿وَكُلّٗا ضَرَبۡنَا لَهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾؛ أي: بيَّنّا / لهم أنّ العذابَ نازلٌ بهم [٣٣/ ب] ﴿وَكُلّٗا تَبَّرۡنَا تَتۡبِيرٗا ۝٣٩﴾؛ أي: أهلَكْنا بالعذاب إهلاكًا، وكلُّ شيءٍ كَسَّرْتَهُ وفتَّتَّهُ فقد تبَّرْتَهُ، و﴿كُلا﴾: مفعولٌ مقدَّم، والتقدير: ضربنا كُلًّا، وتبَّرنا كلًّا[٣].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ﴾ يا محمّدُ ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾، ثم ذكر ما يقولون من الاستهزاء، فقال تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾؟ استفهامُ إنكارٍ، وأراد: بَعَثَهُ اللهُ إلينا رسولًا، ومتى كان العائدُ متّصلًا بفعل وهو مفعول، جاز إثباتُه وحذفه، مثلَ: أَعْجَبَ زَيْدًا ما كَرِهَ عَمْرٌو وما كَرِهَهُ عَمْرٌو، ومتى كان العائدُ متّصلًا بحرف جَرٍّ أو باسمٍ، لم يَحسُن حذفه مثلَ قولك:

---

(١) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٢/ ب.

(٢) يّس ٢٠.

(٣) ﴿كُلا﴾ الأول مفعول بفعل مضمر؛ أي: وأنذرنا كُلًّا ضربنا له الأمثال، قاله مَكِّيٌّ في المشكل ٢/ ١٣٣، وقال المنتجب الهمداني: «وأما ﴿كُلًّا تبَّرْنا﴾ فمنصوب بـ﴿تَبَّرۡنَا﴾ ليس إلا؛ لأنه فارغ له عارٍ عن ضميره». الفريد للهمداني ٣/ ٦٣١.

يعجبُني الذي مررتَ به والذي أنت ضاربُه؛ لأنّ المضافَ يبقى بلا مضافٍ إليه، وحرفُ الجرِّ يبقى بلا مجرور، فإنْ حذفتَ الجارَّ والمجرور أخلَلْتَ بالاسم. ونَصْب ﴿رَسُولًا﴾ على الحال، وقيل: على المصدر وهو بمعنى: رسالة[١].

قوله تعالى: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾؛ أي: يُضلُّنا، واللام هاهنا مقحَمةٌ زائدة، وهي مفتوحة[٢]، والمعنى: لقد كاد محمدٌ أن يصرفَنا عن عبادة آلهتِنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾؛ أي: على عبادتها، وجوابُ «لَوْلاَ»[٣] محذوفٌ، دَلَّ عليه ما قبله[٤].

قولـه: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ في الآخرة عِيانًا ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ أي: مَنْ أَخطَأُ طريقًا عن الهُدى، أَهُمْ أم المؤمنون؟ ونَصْب ﴿سَبِيلًا﴾ على التمييز.

قولُـه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴿٤٥﴾﴾ معناه: أَلم تَرَ إلى ربِّك كيف مدَّ الظل؟ وقال مُقاتلٌ: معناه: ألم ترَ إلى فعل ربِّك، فحذف المضاف.

---

(١) أي: أنه مصدر من معنى «بَعَثَ»؛ أي: أرسله إرسالاً، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال، أي: ذا رسول، أي: رسالة، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ١٦٢، الفريد للهمداني ٣/ ٦٣٢.

(٢) «إنْ» هنا هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وهذه اللام هي الفارقة بينها وبين «إنْ» النافية، واللام لازمة عند سيبويه، ينظر: الكتاب ٣/ ١٠٤، وذهب الكوفيون إلى أن «إنْ» نافية وأن اللام بمعنى «إلا» وأن المعنى: ما كاد إلا يضلنا. ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣٣، الفريد للهمداني ٣/ ٢٣، ٢٤، ٦٣٢، مغني اللبيب ص ٣٠٥، ٣٠٦، وأما كون اللام مقحمة زائدة، كما قال المؤلف، فقد ورد في الجمل المنسوب للخليل ص٢٦٣.

(٣) في الأصل: «لو».

(٤) تقديره: لولا صَبْرُنا ثابِتٌ عليها لصُرِفْنا عنها، قاله المنتجب الهمدانِيُّ في الفريد ٣/ ٦٣٢.

وقال الزَّجّاج(١): معناه: ألم تعلَم؟ وهذا من رؤية القلب، وذكروا أن هذا على القلب، تقديرُه: ألم ترَ إلى الظلِّ كيف مَدَّهُ رَبُّكَ؟ وهو: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وإنما جعله ممدودًا لأنه لا شمسَ معه، كما قال في الجنة: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾(٢)؛ أي: لم تكن معَه شمسٌ.

قال أبو عُبيدةَ(٣): الظِّلُّ: ما تنسَخُه الشمس، وهو بالغَداة، والفَيْء: ما نَسَخَ الشَّمْسَ، وهو بعدَ الزوال، وسُمِّيَ فَيْئًا لأنه فاء من جانب المغرب؛ أي رَجَع.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾؛ أي: سِتْرًا تستترون به وتسكنون فيه، والمعنى: أنّ ظُلمتَه تَلبَسُ كلَّ شخصٍ وتغشاه كاللباس؛ أي: يشتمل على لابسه.

قوله: ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾؛ أي: راحةً لأبدانكم وقَطْعًا لعملكم، وأصل السُّبات: القَطْعُ، ومنه: يومُ السَّبت والنِّعالُ السَّبْتِيّةُ(٤)، ويُقالُ: أَسْبَتَ الرَّجُلُ: إذا اعْتَرَتْهُ سَكْتةٌ، وسَبَتُوا عُنُقَهُ: إذا قَتَلُوهُ، والسُّباتُ مأْخُوذٌ / منَ الإقامةِ وَلُزُوم المكان(٥). [٣٤/ أ]

قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: يقَظةً وحياةً تنتشرون فيه لأشغالكم وابتغاءِ الرزق، والنُّشورُ هاهنا معناه: التفرُّق والانبساط بالتصرُّف.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٠.

(٢) الواقعة ٣٠.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٧٥، ٧٦.

(٤) النعال السبتية: اللينة المدبوغة التي لا شعر عليها. التهذيب ١٢/ ٣٨٨.

(٥) ينظر في هذه المعاني: التهذيب ١٢/ ٣٨٦، ٣٨٧.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وقرأ ابن كثيرٍ وحدَه: ﴿الرِّيحَ﴾ على التوحيد(١) ﴿بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ هو جَمْع بَشُورٍ، مثلَ: رَسُولٍ ورُسْلٍ(٢)، وهو منصوبٌ على الحال، وقد ذكرتُ نظيرَها فِي سورة الأعراف(٣).

قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨﴾، وهو الطّاهِرُ في نفسه المُطَهِّرُ لغيره، ﴿لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ ولم يقُلْ: ميِّتة؛ لأنه رَجَع إلى المكان والموضع(٤).

قال كعبُ الأحبار(٥): المطر رُوحُ الأرض، والمعنى: لنُحييَ ـ بالمطر ـ بلدةً ليس فيها نباتٌ ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ قرأ العامة: ﴿وَنُسۡقِيَهُۥ﴾ بضمِّ النون، ورُوِيَ(٦) عن عاصم بفتح النون، وهي قراءة عُمرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

والأَناسِيُّ: جَمْع الإنسان(٧)، فتكونُ الياء بدلاً من النون؛ لأنّ أصلَه:

---

(١) ينظر: السبعة ص ١٧٣، حجة القراءات ص ٥١١، الإتحاف ٢/ ٣٠٩.

(٢) على هذا فـ«بُشْـرًا» مُخَفَّفٌ من «بُشُر»، كما أن «رُسْلًا» مُخَفَّفٌ من «رُسُلٍ».

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾. الأعراف ٥٧.

(٤) وقال سيبويه: «وقد جاء شيء من «فَيْعِلٍ» في المذكر والمؤنث سواءً، قال الله ـ جل وعز ـ: ﴿وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدةً مَيْتًا﴾. الكتاب ٣/ ٦٤٣، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ٧٦.

(٥) هو: كعب بن ماتع، أبو إسحاق الحميري، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في عهد أبي بكر، وقدم المدينة في عهد عمر، فأخذ عن الصحابة، وأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة، سكن حمص وتوفي بها سنة (٣٢هـ)، وقيل: ٣٤هـ. [سير أعلام النبلاء ٣/ ٤٨٩: ٤٩٤، الأعلام ٥/ ٢٢٨].

(٦) رواها المفضل عن عاصم، وهي أيضًا قراءة ابن مسعود والأعمش وأبي عمرو وأبي حيوة وابن أبي عبلة والمُطَّوِّعِيِّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٥٦، البحر المحيط ٦/ ٤٦٣، الإتحاف ٢/ ٣٠٩.

(٧) هذا مذهب سيبويه، وأجازه الفرَّاء والزَّجّاج، ينظر: الكتاب ٣/ ٢١٦، معاني القرآن للفرَّاء =

أَناسِينُ ـ بالنون ـ مثلَ: سَراحِينَ جَمْع: سِرْحانٍ، فلما أُلْقِيَت النونُ من آخره عُوِّضَت الياءُ، ولو قيل[1]: هو جمع «إِنْسِيٍّ»، فهو أيضًا مذهبٌ صحيحٌ، وهو واحدُ الإنس، جَمْعه على لفظه، مثل: كُرْسِيٍّ وكَراسِيَّ. والإنس: جمع الجنس يكونُ بطرح ياء النسبة، مثلَ: رُومِيٍّ ورُوم[2].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾؛ أي: خَلَطَهما وأجراهما وأفاض أحدَهما في الآخر، وأصلُ المَرْجِ: الخَلْطُ والإرسال، ومنه قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ»[3]، ﴿هَٰذَا﴾ يعني: أحد البحرين ﴿عَذْبٌ﴾ طَيِّبٌ، يقال: عَذُبَ الماءُ يَعْذُبُ عُذُوبةً فهو عَذْبٌ ﴿فُرَاتٌ﴾ الفرات: أَعْذَبُ المِياهِ، يقال: فَرُتَ الماءُ يَفْرُتُ فُرُوتةً: إذا عَذُبَ، فهو فُراتٌ، ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديدُ المُلوحة، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا﴾ يعني: البحرَيْن، وهما: بَحْرُ فارِسَ وبَحْرُ الرُّومِ ﴿بَرْزَخًا﴾ حاجزًا من القُدرة ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ يعني: سِتْرًا ممنوعًا، كقوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾[4]، نظيرها في سورة الرحمن[5].

= ٢/ ٢٦٩، ما ينصرف وما لا ينصرف للزّجّاج ص ٤٧، ٤٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧١، وحكاه النَّحاس بغير عزو في معاني القرآن ٥/ ٣٥.

(١) هذا قول الفرَّاء والأخفش والمبرِّد والزَّجّاج ومكِّي، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠، معاني القرآن للأخفش ص ٤٢٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣٤، وقول المبرِّد في معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٣٥، إعراب القرآن ٣/ ١٦٣، وينظر: شرح الشافية للرضِّي ٢/ ١٦٣، البحر المحيط ٦/ ٤٦٣، الدُّر ٥/ ٢٥٧.

(٢) قال الأزهري: «وقال أبو زيد: إِنْسِيٌّ وإِنْسٌ وجِنِّيٌّ وجِنٌّ وعَرَبِيٌّ وعَرَبٌ». التهذيب ١٣/ ٨٦.

(٣) قٓ ٥، وجاءت الآية في الأصل هكذا: «بل هم في أمر مريج».

(٤) الإسراء ٤٥.

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن ١٩، ٢٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ الوحي والقرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾، «مِنْ»: صلةٌ؛ أي: أَجْرًا ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

قال أهل المعانِي[1]: هذا من الاستثناء المنقطع، مجازه: لَكِنْ مَنْ شاء أن يتَّخذ إلى ربِّه سبيلًا، بإنفاقِهِ مالَهُ في سبيل الله.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾: نَصْبٌ على الحال أو التمييز.

قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، محَلُّ ﴿ٱلَّذِى﴾ من الإعراب: الخفضُ: على نعت ﴿ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا / يَمُوتُ﴾، وقوله: [٣٤/ ب] ﴿أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ قيل[2]: معناه: فاسألْ خبيرًا بالرحمن، وقيل: فاسألْ به خبيرًا وهو الله تعالى، وقيل: جِبريل ـ عليه السّلام ـ، والباءُ بمعنى: «عَنْ»[3]، أي: فاسألْ عنه، كقول الشاعر عَلْقَمةُ ابنِ عَبَدَةَ[4]:

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٢٣، إعراب القرآن ٣/ ١٦٤-١٦٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣٤.

(٢) أي: أن الباء على معناها، وأنها متعلقة بـ﴿خَبِيرًا﴾ الذي هو مفعول ﴿اسأل﴾، ينظر: التبيان ص ٩٨٩، الفريد ٣/ ٦٣٧، الدُّر المصون ٥/ ٢٦٠.

(٣) وإذا كانت بمعنى «عَنْ» فهي متعلقة بـ«اسْأَلْ»، وهذا مذهب الكوفيين والأخفش وابن قتيبة، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٥٦٨، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٣، إيضاح الوقف ص ٨٠٩، الفريد ٣/ ٦٣٧، الدر المصون ٥/ ٢٦٠.

(٤) علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس التميمي: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان معاصرًا لامرئ القيس، وله معه مساجلات، ويعرف بعلقمةَ الفحلِ، مات سنة (٦٠٣م). [الشعر والشعراء ص ٢٢٤-٢٢٨، الأعلام ٤/ ٢٤٧].

٥٧ ـ فإنْ تَسأَلوني بِالنِّساءِ فإنَّني   بَصِيرٌ بِأدواءِ النِّساءِ طَبيبُ[(١)]

وفي رَفْع ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ ثلاثةُ أوجه: يجوز أن يكونَ بدلًا من المضمَر الذي في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾، ويَجوز أن يكون مرفوعًا بمعنى: هو الرَّحمن، ويَجوز أن يكونَ مرفوعًا بالابتداء، وخبره ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾، ويجوز الخَفْض، بمعنى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ... الرَّحْمَنِ، يكونُ نعتًا، ويجوز النَّصب على المدح[(٢)].

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ يعني: لكفّارِ مكة ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ ما نعرفُ الرَّحمنَ إلّا رَحْمانَ اليمامةِ، يعني: مُسَيْلِمةَ الكذاب، ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ استفهامُ إنكار؛ أي: لا نسجد للرَّحمن الذي تأمُرُنا بالسجود له.

قَرأَه العامةُ بالتاء، وقَرأَ حمزةُ والكسائي وعبدُ الله بن مسعود والأسودُ ابن يزيد[(٣)] والأعمَشُ: بالياء[(٤)]، والمعنى: أنسجُد لما يَأمُرُنا محمدٌ بالسجود

---

(١) من الطويل، ويروى: «خَبِيرٌ بِأَدْواءِ النِّساءِ»، والأدواء: جمع داء وهو اسم جامع لكل مرض وعيب، **والشاهد** فيه قوله: «بالنساء»، فقد جاءت الباء بمعنى «عن»، والمعنى: عن النساء.
التخريج: ديوانه ص ٢٣، أدب الكاتب ص ٣٩٧، تأويل مشكل القرآن ص ٥٦٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٣١، الأزهية ص ٢٨٤، الاقتضاب ٢/ ٢٧١، ٣/ ٣٤٤، الحلل ص ٤٣، البيان ٢/ ٢٠٧، عين المعاني ورقة ٩٣/ أ، الجنى الداني ص ٤١، ارتشاف الضرب ص ١٦٩٨، البحر المحيط ٦/ ٤٦٦، المقاصد النحوية ٣/ ١٦، ٤/ ١٠٥، همع الهوامع ٢/ ٣٣٨.

(٢) من أول قوله: «وفي رفع الرحمن ثلاثة أوجه» قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ١٦٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣٥، الفريد للهمداني ٣/ ٦٣٧.

(٣) الأسود بن يزيد بن قيس، أبو عمرو النخعي الكوفي، أدرك الجاهلية والإسلام: تابعي فقيه ثقة حافظ عابد، كان عالِمَ أهل الكوفة فِي عصره، وتوفي بها سنة (٧٥هـ). [غاية النهاية ١/ ١٧١، سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠، الأعلام ١/ ٣٣٠].

(٤) ينظر: السبعة ص ٤٦٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٦٤، البحر المحيط ٦/ ٤٦٦، الإتحاف ٢/ ٣١٠.

له؟ ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝٦٠﴾ قال مُقاتِل: زادهم ذِكْرُ الرحمن تباعُدًا عن الإيمان.

قولـه ـ عزّ وجـلّ ـ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يعنـي: منازلَ الكواكب السبعة السيّارة، وهي اثنا عشَرَ برجًا: الحَمَلُ والثَّور والجَوْزاءُ والسرطان والأسَد والسُّنبلة والميزان والعقرب والقَوْس والجَدْي والدَّلو والحوت، فالحَمَلُ والعقرب: بَيْتا المِرِّيخِ، والثَّور والميزان: بَيْتا الزُّهَرة، والجَوْزاء والسُّنبلة: بَيْتا عُطارِد، والسرطان: بَيْتُ القمر، والأسد: بَيْتُ الشمس، والقوس والحوتُ: بَيْتا المشتري، والجَدْي والدَّلو: بَيْتا زُحَلَ. وهذه البروجُ مقسومةٌ على الطبائع الأربع، فيكون نصيبُ كلٍّ واحدةٍ ثلاثة بروج تسمى المُثَلَّثاتِ، فالحَمَلُ والأسدُ والقوس مُثَلَّثةٌ ناريّة، والثَّور والسُّنبلة والجَدْي مثلَّثةٌ أرضيّة، والجَوْزاء والميزان والدَّلو مثلثةٌ هوائيّة، والسرطانُ والعقرب والحوت مثلَّثةٌ مائيّة[١].

والبروج قيل: هي القصور، دليله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٢]، قال الأخطل/: [٣٥/ أ]

٥٨ ـ كأنّها بُرجُ رُومِيٍّ يُشَيِّدُهُ   بانٍ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وأحجارِ[٣]

---

(١) من أول قوله: «منازل الكواكب السبعة» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ١٤٣، وينظر أيضًا: عين المعاني ورقة ٩٣/ أ.

(٢) النساء ٧٨.

(٣) البيت من البسيط، للأخطل، يصف ناقته، ونسبه القرطبي لطرفة، وهو خطأ، ورواية العجز في ديوان الأخطل:

لُزَّ بِجِصٍّ وآجُرٍّ وجَيّارِ

اللغة: الآجر: جمع آجُرّةٍ وهو: ما طبخ من الطين، لُزَّ الشيءُ بالشيء: قُرِنَ به وأُلْصِقَ، الجيار: قال ابن الأعرابي: إذا خُلِطَ الرمادُ بالنُّورةِ والجَصِّ فهو الجيار، ينظر: التهذيب: جير. =

وقيل: هي النجوم الكبار، سُـمِّيت بروجًا لظهورها، وقيل: هي الشَّرَجُ، وهي أبواب السماء التي تُسمى المَجَرّةُ[١].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ يعني: في السماء ﴿سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ٦١﴾ يعني بالسِّـراج: الشـمس، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[٢]، وقرأ حمزةُ والكسـائي: ﴿سُـرُجًا﴾ على الجمع[٣]، قال الزَّجّاج[٤]: أراد: الشمسَ والكواكبَ معها.

ودليلُ هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[٥].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أراد: مختلِفةَ الألوان للاعتبار والتفكُّر والتذكر، قال أبو عُبيدة[٦]: الخِلْفَةُ: كلُّ شيءٍ بعد شيء، الليلُ

= التخريـج: ديوانه ص ١٣٩، جامـع البيان ١٩/ ٣٩، ٢٩/ ٢٩٨، إعـراب القرآن للنَّحاس ٥/ ١١٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، ٤٦٠، عين المعاني ٩٣/ أ، تفسير القرطبي ٥/ ٢٨٢، اللسان: جير، التاج: جير.

(١) ينظـر في هذه الأقوال: معاني القرآن للفـرَّاء ٣/ ٢٥٢، جامع البيان ١٩/ ٣٨، ٣٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٢، معاني القرآن للنَّحاس ٤/ ١٥، ٥/ ٤٣، تهذيب اللغة ١٠/ ٤٧٨، الكشف والبيان ٧/ ١٤٤.

(٢) نوح ١٦.

(٣) وقرأ بها أيضًا: ابنُ مسـعود والأعمشُ وخَلَـفٌ والنخعيُّ وعلقمةُ، وقرأ الأعمشُ والنخعيُّ أيضًا وابنُ وثاب: «سُـرْجًا» بإسكان الراء، ينظر: السبعة ص ٤٦٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٣، البحر المحيط ٦/ ٤٦٧، الإتحاف ٢/ ٣١٠.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٤.

(٥) الملك ٥.

(٦) مجاز القرآن ٢/ ٧٩، ونص كلامه: «خِلْفةً؛ أي: يجيء الليل بعد النهار، ويجيء النهار بعد الليل يَخْلُفُ منه».

خِلْفةٌ للنهــار، والنهار خِلْفةٌ لِلَّيْلِ؛ لأنّ أحدَهمــا يَخْلُفَ صاحبَه، هذا يذهب، وهذا يَجِيءُ، فهما متعاقبان.

وقوله: ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ قرأه العامة بالتشــديد على الإدغام، وقرأ حمــزةُ مخفَّفًا(١) على معنى أنه يَذْكُرُ اللهَ ويسبح فيهما، قــال الفَرّاء(٢): ويَذْكُرُ ويتذكــر يأتيانِ بمعنًى واحــد، قــال الله تعالــى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ «واذْكرُواْ ما فِيهِ»(٣)، وفي حرف عبد الله: ﴿وَتَذَكَّرُواْ ما فِيهِ﴾(٤).

وفِي جَعْلِ اللهِ تعـالى الليـلَ والنهـارَ مُتَعاقِبَيْنِ يَخْلُفُ أحدُهُما صاحِبَهُ، اعتبـارٌ واسـتدلالٌ على قدرته، ومُتَّسَـعٌ لذِكْرِهِ وطاعتِهِ وشـكرِهِ، وذلك قوله تعالى: ﴿أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ٦٢﴾ يقال: شَكَرَ يَشْكُرُ شُكْرًا وشُكُورًا، قال صاحبُ إنســان العَيْن(٥): والشُّـكُورُ: إشارة إليه فِي عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لِفَواتِ وِرْدِهِ.

فإنْ فاتَ رَجُلًا من النهار شــيءٌ من وِرْدِهِ أَدْرَكَهُ بالليل، وإن فاته شــيء بالليل أدركه بالنهار، وذلك قوله: ﴿لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾.

قولــه تعالــى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾؛ أي: رِفقًا بالسَّكينة والوقار والطاعة والتواضع معَ الاستغفار، غيرَ أَشِرِينَ ولا متكبرين ولا

---

(١) قــرأ بالتخفيف أيضًا: ابنُ مسـعود وخَلَـفٌ والنَّخَعِيُّ وابــنُ وثاب وطلحةُ وزيــدُ بنُ عَلِيٍّ والأعمشُ، ينظر: السـبعة ص ٤٦٦، تفسـير القرطبي ١٣/ ٦٧، التيسـير ص ١٦٤، البحر المحيط ٦/ ٤٦٨، الإتحاف ٢/ ٣١٠.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٧١.

(٣) البقرة ٦٣، والأعراف ١٧١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٩، مختصر ابن خالويه ص ١٤، البحر المحيط ١/ ٤٠٧.

(٥) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ أ.

مَرِحِينَ ولا مفسِـدين، والهَوْنُ في اللغة: الرُّفق واللين، ومنه قوله ﷺ: «أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا ما عسى أن يكون بغيضَكَ يومًا ما، وأَبْغِضْ بغيضَكَ هَوْنًا ما، عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما»[1]،/ والهَوْنُ: مصدر الهَيِّن في السكينة والوقار، يقال: فلانٌ يمشي هَوْنًا: إذا كان يمشي في اقتصاد وتواضع وسَكِينة ووقار. [٣٥/ ب]

قوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ يعني: السُّفهاءَ بما يكرهونَه ﴿قَالُوا سَلَامًا (٦٣)﴾ نَصْبٌ على المصدر؛ أي: سـلَّموا عليهم سلامًا، وقال طاهر ابن أحمد[2]: ليس المرادَ بالسلام في الآية الكرامةُ والتحيّة، وإنما المرادُ به التَّبَرُّؤُ والتَّخْلِيةُ؛ لأنـه خطابُ المؤمنين للجاهلين، كأنهم قالـوا: تَبَرَّأْنا منكم تَبَرُّؤًا، وسُلِّمْنا منكم تَسْلِيمًا، فأَوْقَعَ السلامَ موقعَ التسليم، فانتصب بانتصابه، فلذلك وجب نصبه.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤)﴾ هذا وَصْفُ لَيْلِهِمْ، قال الزَّجّاج[3]: كُلُّ مَنْ أدركه الليل فقد بات يبيت، نام أو لم يَنَمْ، يقال: بـات فلانٌ قَلِقًا، والمعنى: يَبِيتون لربِّهم بالليل فِي الصلاة سُـجَّدًا وقيامًا، قال ابن عباس[4]: مَن صلَّى بالليل ركعتَيْنِ أو أكثرَ فقد بات لله ـ سـبحانه ـ ساجدًا وقائمًا، وهما منصوبانِ على الحال.

---

(١) رواه الترمذي في سـننه ٣/ ٢٤٣ أبواب البر والصلـة: باب ما جاء في الاقتصاد في الحب والبغض، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسـط ٣/ ٣٥٧، ٥/ ٢١٣، ٦/ ٢٠١، وذكره الهيثمي فـي مجمع الزوائد ٨/ ٨٨ كتاب الأدب: بـاب «أحبب حبيبك هونًا ما»، وذكر الهيثمي أنه ضعيف، وذكره الفتني في تذكرة الموضوعات ص ١٩٩.

(٢) في شرح جمل الزَّجّاجي ٢/ ١٥٢.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٥.

(٤) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ أ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾؛ أي: مَلْجَأً دائمًا لازمًا، غيرَ مُفارِقٍ مَن عُذِّبَ به من الكفار، ومنه سُمِّيَ الغَريمُ غريمًا؛ لِطَلَبِهِ حَقَّهُ وإِلْحاحِهِ على صاحبه وملازمتِهِ إِيّاهُ، ويقال: فلانٌ مُغْرَمٌ بفلان: إذا كان مُولَعًا به، لا يصبر عنه، ولا يفارقه[1]، قال الأعشى:

٥٩ ـ إِنْ يُعاقِبْ يكُنْ غَرامًا وإِنْ يُعْـ ـطِ جَزِيلًا فإِنَّنا لا نُبالِي[2]

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا﴾ يعني: جهنَّم ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾؛ أي: بئس موضعَ قرارٍ وإقامة، من: أقام يُقيم، وإذا فُتِحت الميم فهو المجلس، من: قام يقوم، وهما نَصْبٌ على التفسير.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ يقال: قَتَرَ الرَّجُلُ على عياله يَقْتُرُ ويَقْتِرُ قَتْرًا، وأَقْتَرَ إقتارًا: إذا ضَيَّقَ عليهم ولم يُنفقْ إِلّا قَدْرَ ما يمسك الرَّمق.

قَرأَ نافعٌ وابنُ عامر بضمِّ الياء وكسر التاء، وقَرأَ أبو عَمْرو وابنُ كثير بفتح

---

(١) قاله الأزهري في التهذيب ٨/ ١٣١.

(٢) البيت من الخفيف، للأعشى من قصيدة يمدح بها الأسودَ بنَ المنذر، ويستعطفه ليعفو عن ذبيان، ورواية ديوانه وغيره من المصادر: «**فإِنَّهُ لَا يُبالي**».

التخريج: ديوانه ص ٥٩، مجاز القرآن ١/ ٣٢٥، ٢/ ٨٠، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٣٩، إعراب القرآن للنَّحاس ٤/ ٣٤١، تهذيب اللغة ٨/ ١٣١، المخصص ٤/ ٦٢، ١٢/ ٩٨، المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، زاد المسير ٤/ ٣١٦، عين المعاني ورقة ٩٣/ أ، البحر المحيط ٦/ ٤٧٠، ٨/ ٢١١، اللسان: غرم، الدر المصون ٦/ ٢٦٤، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٢٢، التاج: غرم.

الياء وكسر التاء[١]، وقرأ الباقونَ بفتح الياء وضم التاء، قال أبو عُبيد[٢]: هي ثلاثُ لغات، معناها: لم يُضيِّقوا في الإنفاق.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: وكان الإنفاق بين الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ لا إسرافًا يدخل به في حدِّ التبذير، ولا تضييقًا يصير به فِي حَدِّ المنع لِما يجِبُ، وهذا هو المحمُودُ من النفقة، وقال قَتادة: الإسراف: النفقة في معصية الله، والإقتار: / الإمساك عن حقِّ الله، والقَوامُ من العيش: ما أقامك وأغناك. [٣٦/ أ]

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ يعني: هذه الخِصالَ جميعًا ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾؛ أي: عقوبةً وجزاءً لِما فَعَلَ، وهو شرطٌ ومجازاة، والأثام: الإثم، قال الفَرّاء[٣]: أَثَمَهُ اللهُ يأثِمُهُ إِثْمًا وأَثامًا؛ أي: جَزاهُ جَزاءَ الإثم، قال عامر بن الطفيل[٤]:

---

(١) قرأ بضم الياء وكسر التاء أيضًا: الكسائيُّ عن أبي بكر عن عاصم، وأبو جعفر وأبو عبد الرحمن السلمي، وقرأ بفتح الياء وكسر التاء أيضًا: يعقوبُ والحسنُ وابنُ محيصن واليزيديُّ ومجاهدٌ، ينظر: السبعة ص ٤٦٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٤، ١٢٥، حجة القراءات ص ٥١٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٧٤، البحر المحيط ٦/ ٤٧١، الإتحاف ٢/ ٣١١.

(٢) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٣/ ٣٤٦.

(٣) ينظر قوله في تهذيب اللغة ١٥/ ١٦٠.

(٤) عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر، أبو علي العامري، فارس قومه وأحد فُتّاكِ العربِ وشعرائهم وسادتهم في الجاهلية، ولد ونشأ بنجد، أدرك الإسلام شيخًا، فوفد على النبي يريد الغدر به، فلم يجرؤ عليه، فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فلم يسلم، ومات وهو عائد لقومه سنة (١١هـ). [الشعر والشعراء ص ٣٤١-٣٤٣، الأعلام ٣/ ٢٥٢].

٦٠ ـ ورَوَّيْنا الأَسِنّةَ مِن صُداءٍ ولاقَتْ حِمْيَرٌ مِنّا أَثاما[١]

وقال المفسِّرون[٢]: أثامٌ: وادٍ في جهنَّم من دم وقَيْح.

ثم ذكر ما يُجازَى به، وفَسَّرَ لُقِيَّ الأثام بقوله: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ وهو بدَلٌ من قوله: ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾؛ لأن لُقِيَّ الأثام مضاعفةُ العذاب[٣]، وهو بدَلُ فعلٍ من فعل، قال الشاعر:

٦١ ـ مَتَى تَأْتِنا تُلْمِمْ بنا في دِيارِنا تَجِدْ حَطَبًا جَزْلًا ونارًا تَأَجَّجا[٤]

---

(١) البيت من الوافر، لعامر بن الطفيل يفخر بانتصار قومه في يوم شعب جَبَلَةَ، ورواية ديوانه:

وطَحْطَحْنا شَنُوءةَ كُلَّ أَوْبٍ ولاَقَتْ حِمْيَرٌ مِنّا غَراما

اللغة: طَحْطَحَ بهم: بَدَّدَهُمْ وأهلكهم، شَنُوءةُ: يعني: الأزد، الأوب: الرجوع والسرعة.

التخريج: ديوانه ص ١٠٩.

(٢) قاله ابن عمر، ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ أ.

(٣) قال سيبويه: «وسألته [يعني الخليل] عن قوله ـ جل وعز ـ: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا * يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ فقال: هذا كالأول؛ لأن مضاعفة العذاب هو لُقِيُّ الأثامِ، ومثل ذلك من الكلام: إنْ تَأْتِنا نُحْسِنْ إليك نُعْطِكَ ونَحْمِلْكَ. تفسر الإحسان بشيء هو هو، وتجعل الآخر بدلًا من الأول». الكتاب ٣/ ٨٧، وينظر أيضًا: المقتضب للمبرِّد ٢/ ٦١.

(٤) البيت من الطويل، لعُبَيْدِ اللهِ بنِ الحُرِّ الجُعفيِّ، من قصيدة قالها لما حبسه مصعب بن الزبير، وصدره يُرْوَى بروايات مختلفة.

اللغة: تُلْمِمْ بنا: تنزل بنا، الحطب الجَزْلُ: اليابس، وقيل: ما عظم منه ويبس، وقوله: «تأججا» ذَكَّرَ الفعل لأن النار في تأويل الشهاب، أو أن الأصل «تأَجَّجَنْ» بنون التوكيد الخفيفة فأبدل منها ألفًا.

التخريج: ديوانه ص ٢٥٧، الكتاب ٣/ ٨٦، معاني القرآن للأخفش ص ٤٧٣، المقتضب ٢/ ٦١، الزاهر ٢/ ١٠٣، إعراب القرآن للنَّحاس ٢/ ٣٦٥، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٦٦، سر صناعة الإعراب ص ٦٧٨، شرح المفصل ٧/ ٥٣، ١٠/ ٢٠، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٤١، رصف المباني ص ٣٢، ٣٣٥، اللسان: نور، الدر المصون ٦/ ٢١٢، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ١٩٦، خزانة الأدب ٥/ ٢٠٤، ٩/ ٩٦، ٩٩.

مجـازُه: متَى تأْتِنا، ومتى تُلممْ بنـا؛ لأن الإلمامَ هو: الإتيان، وإنما قال: «تأجَّجـا»، ولم يقل: تأجَّجَتْ، والنارُ مؤنَّثـة؛ لأنه أراد: وَقودًا ولَهَبًا، والمذكر يغلِب المؤنث.

قوله: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ يعني: في العذاب ﴿مُهَانًا ۝٦٩﴾: عطفٌ على قوله: ﴿يُضَٰعَفْ﴾، قرأهما العامّةُ بجزم الفاءِ والدال على جواب الشرط، ورفعهما ابنُ عامر وأبو بكر عن عاصم على الابتداء، غيرَ أنّ ابن عامر حذف الألف من ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وشـدَّد العين على أصله، وكذلك ابـنُ كثير أيضًا يحذف الألف ويشـدِّد العين على أصلـه[1]، وقَرأَ ابنُ كثيرٍ وحفص: ﴿فِيهِـي مُهانًا﴾ بوَصْل الهاء بياء[2]، وهو منصوبٌ على الحال.

ثم اسْتَثْنَى، فقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ من ذنبِه ﴿وَءَامَنَ﴾ بربِّه ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ فيما بينَه وبينَ الله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني: أهلُ هذه الصفة ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ التبديلُ في الدنيا: طاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٠﴾ لذنوب التائبين.

---

(١) تفصيـل هذه القراءات: أن ابن عامر قرأ: ﴿يُضَعَّفُ... وَيَخْلُدُ﴾ بالرفع فيهما وتشـديد العين مـن ﴿يُضَعَّفُ﴾، وقرأ أبو بكر عن عاصـم: ﴿يُضاعَفُ... وَيَخْلُـدُ﴾ بالرفع فيهما وبالألف في ﴿يُضاعَفُ﴾، وأما ابن كثير فإنه قرأ: ﴿يُضَعَّفْ... وَيَخْلُدْ﴾ بالجزم فيهما وتشـديد العين مـن ﴿يُضَعَّفْ﴾، ووافقه أبو جعفر والحسـن ويعقوب، وقرأ الباقـون وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿يُضَٰعَفْ... وَيَخْلُدْ﴾ بالجزم فيهما وبالألف في ﴿يُضَٰعَفْ﴾، ينظر: السبعة ص ٤٦٧، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٢٦، ١٢٧، حجة القراءات ص ٥١٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٧٦-٧٧، البحر المحيط ٦/ ٤٧٢، الإتحاف ٢/ ٣١١

(٢) وقرأ الباقون باختلاس الكسرة، ينظر: السبعة ص ٤٦٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٧، الإتحاف ٢/ ٣١١.

فصلٌ

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إنّ وَحْشِيًّا قاتِلَ حَمْزَةَ(١) ـ رضي الله عنه ـ كتب إلى رسول الله ﷺ: إنِّي أريد أن أُسلم، ولكنْ منَعَني من الإسلام آيةٌ من القرآنِ أُنزلت عليك، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾، وإنّي قد فعلتُ هذه الأشياءَ كلَّها، فهل لي/ من توبة؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾، فكتب بذلك النبيُّ ﷺ إلى وَحْشي، فكتب وَحْشيٌّ إليه: إنّ في الآية لَشرطًا، وهو العمل الصالح، فلا أدري: أأنا أقدِرُ على العمل الصالح أم لا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(٢)، فكتب بذلك إلى وَحْشي، فكتب وَحْشيٌّ إليه: إنّ في الآية شرطًا، فلا أدري: أيشاء أن يغفر لي أم لا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٣)، فكتب النبي ﷺ بذلك إلى وَحْشي، فلم يجدْ في الآية شرطًا، فقَدِم المدينةَ فأسلم»(٤). [٣٦/ ب]

---

(١) وَحْشِيُّ بن حرب، أبو دسمة الحبشي، مولى بني نوفل، صحابي من أبطال الموالي في الجاهلية، قَتَلَ حمزةَ بن عبد المطلب يوم أُحُدٍ، ثم أسلم وشهد اليرموك، وتوفِّي بحمص سنة (٢٥هـ). [الإصابة ٦/ ٤٧٠، تهذيب التهذيب ١١/ ٩٩، الأعلام ٨/ ١١١].

(٢) النساء ٤٨، ١١٦.

(٣) الزمر ٥٣.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٥٧، ١٥٨، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٠٠، ١٠١ كتاب التفسير: تفسير سورة الزمر، ١٠/ ٢١٤، ٢١٥ كتاب التوبة: باب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: خَرَجْتُ ذاتَ ليلةٍ بعدَ ما صلَّيتُ العشاءَ الأخيرةَ مع رسول الله ﷺ، فإذا أنا بامرأةٍ منْتقِبة قائمة على الطريق، فقالت: يـا أبا هريرة: إنـي أذنبت ذنبًا عظيمًا، فهل لي من توبة؟ قلت: ما ذنبُكِ؟ قالت: إني زنَيْتُ، وقتلتُ ولـدي من الزنا، قال: فقلت لها: هلكتِ وأهلكتِ، والله ما لكِ من توبة، قال: فشَهِقَتْ شَهْقةً، وخرَّت مَغْشيًّا عليها، فقلتُ في نفسي: أُفتي ورسولُ الله ﷺ بين أظهُرِنا؟ فلمّا أصبحتُ غدَوْتُ إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسولَ الله ـ صلى الله عليك وسلم ـ: إنّ امرأةً استفتَتْني البارحةَ في كذا وكذا، وإنـي أفتيتُها بكذا وكذا، فقال رسـول الله ﷺ: «إنّا لله وإنّـا إليه راجعون! أنت ـ والله ـ هلكتَ وأهلكتَ يا أبا هريرة، أين كنت من هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَـٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾؟»، قال: فخرجتُ من عند رسول الله ﷺ وأنا أعدو في سِكك المدينة، وأنا أقول: من يدُلُّني على امرأةٍ اسـتفتَتْني البارحةَ بكذا وكذا؟ والصِّبيان يقولون: نحن يا أبا هريرة، حتى إذا كان في الليل لَقِيتُها في ذلك الموضع، وأعْلَمْتُها بقول رسول الله ﷺ: إنّ لها توبةً، فشَهَقَتْ شَهْقةً من السرور، وقالت: إنّ لي حديقةً، وهي صدَقةٌ للمساكين كفّارةً لذنبي(١).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ قيل: أراد الشِّرك بالله وتعظيمَ الأنداد، وقيل: شـهادةُ الزور، وقيل: أعيادُ المشـركين، وقيل: الكذب، وقيل: مجالـسُ الباطل، وقيـل: الغناءُ، بدليل ما رُوِي عن محمد بـن المنكدِر(٢) أنه

(١) ينظـر: كتاب التوابين لابن قدامـة ص ١٠٥، وأورده الذهبي في تهذيب التهذيب ٨/ ١٩٢ وذكر أنه موضوع.

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَيْرِ بن عبد العزى القرشي، أبو عبد الله التيمي المدني، =

قال: بلَغَني أنّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول يومَ القيامة: «أين الذين كانوا يُنزِّهُونَ أسماعَهُمْ / وأنْفُسَهُم عن اللَّهو ومزامير الشيطان؟ أدخِلوهم رياضَ المِسك»، [٣٧/ أ] ثم يقول للملائكة: «أَسْمِعُوا عبادي تحميدي وثنائي وتمجيدي، وأخبِروهم أَنْ لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون».

وأصلُ الزُّور: تحسينُ الشيء، ووصْفُه بخلاف صفته، حتى يُخَيَّلَ إلى من يسمعه ويراه بخلاف ما هو فيه، فهو تَموِيهُ الباطلِ بما يُوهِمُ أنه حَقٌّ.

قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ يعني: المعاصيَ كلَّها ﴿مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾؛ أي: إذا سمعوا من الكفّار الشَّتمَ والأذى أعرَضوا عنه وصَفَحوا، نظيرُه: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾[1]، والمعنى: مرُّوا مُنَزِّهينَ أنفسَهُم مُعْرِضين عنه، والتقدير: وإذا مَرُّوا بأهل اللَّغو وذَوِي اللَّغْوِ مَرُّوا كِرامًا، فلم يُجارُوهم فيه، ولم يَخوضوا معهم فيه.

قال أهل اللغة: وأصلُه من قول العرب: ناقةٌ كريمةٌ، وبقرةٌ كريمةٌ، وشاةٌ كريمةٌ: إذا كانت تُعرِضُ عند الحَلْبِ تكرُّمًا، كأنها لا تُبالِي بما يُحْلَبُ منها، ونَصْب ﴿كِرَامًا﴾: على الحال.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾؛ أي: إذا وُعِظوا بالقرآن ﴿رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا﴾؛ أي: لم يَقَعُوا ولم يقيموا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ بل يسمعون ما يُذَكَّرون به فيفهَمونَه، ويرَوْن الحقَّ فيه فيتَّبِعونه، وهو منصوبٌ أيضًا على الحال.

= محدث ثقة زاهد، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم، وتوفِّي سنة (١٣٠هـ). [حلية الأولياء ٣/ ١٤٦: ١٦٥، الأعلام ٧/ ١١٢]، وينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٥١، تفسير القرطبي ١٤/ ٥٣، الدر المنثور ٥/ ١٥٣، كنز العمال ١٥/ ٢٢٠.

(١) القصص ٥٥.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ قرأ أبو عَمْرٍو وأهلُ الكوفة إلّا حفصًا بغير ألف[١]، وقرأ الباقونَ بالألف، والذُّرِّيّةُ: يكونُ واحدًا وجمعًا، فكونُها للواحد قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٢]، وكونُها للجمع قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾[٣]، فمن أفرد في هذه الآية استغنى عن جمعها لَمّا كانت للجمع، ومَن جَمَعَ فلأنّ الأسماءَ التي للجمع قد تُجمع، نحو: قومٍ وأقوام، ورَهْطٍ وأَراهِط[٤].

وقوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: بأنْ نراهم مؤمنينَ صالحين مُطيعين لك، ووَحَّدَ القُرّةَ لأنها مصدر، يقال: قَرَّتْ عينُه قُرّةً، وأصلُها من البَرْد، والعرب تتأذّى من الحرّ وتَسْتَرْوِحُ إلى البرد، ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾؛ أي: أئمةً يُقْتَدَى بنا.

وقال بعضُهم[٥]: هذا من المقلوب؛ أي: واجعَل المتَّقينَ لنا إمامًا، واجعَلْنا مُؤْتَمِّينَ مقتدينَ بهم. ولم يقُلْ: أئمةً؛ لأنّ الإمامَ مصدر، يقال: أَمَّ فلانًا إمامًا مثلَ: الصِّيام والقيام.

وقال الفَرّاء[٦]: إنما قال: «إمامًا» ولم يقل: «أئمةً»، كما قال: ﴿إِنَّا رَسُولُ

---

(١) قرأ بغير ألف أيضًا: أبو بكر عن عاصم، وخلفٌ واليزيديُّ والحسنُ والأعمشُ وطلحةُ وعيسى بنُ عمر، ينظر: السبعة ص ٤٦٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٧، حجة القراءات ص ٥١٥، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٢، البحر المحيط ٨/ ٤٧٤.
(٢) آل عمران ٣٨.
(٣) النساء ٩.
(٤) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٢١٦، ٢١٧، وينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٣٤٨.
(٥) قاله الحسن ومجاهد وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٤، تأويل مشكل القرآن ص ٢٠٠، ٢٠٥، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٥٥، الكشف والبيان ٧/ ١٥٢، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٣.
(٦) معاني القرآن ٢/ ٧٤.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ «إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ»[١] للاثنَيْن، يعني: أنه من الواحد الذي أُرِيدَ به الجمعُ.

قال طاهر بن أحمد[٢]: وإمامٌ في الآية جَمْع؛ لأنه المفعول الثاني لـ«جَعَلَ»، والمفعول الأول جمعٌ/ أيضًا، والثانِي هو الأول، فوجب أن يكون [٣٧/ ب] جمعًا واحدُه: آمٌّ؛ لأنه قد سُمِعَ هذا في واحِدِهِ، قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾[٣]، فهذا جمعُ: آمٍّ مُسَلَّمًا، وقياسُهُ على حدِّ: نائم ونِيامٍ وقائم وقِيامٍ، فأما قولهم: أَئِمّةٌ فجمعُ إمام الذي هو مفرد، على حدِّ: عِنانٍ وأَعِنّةٍ وسِنانٍ وأَسِنّةٍ، والأصل: أَيِمّةٌ فقلبت ألفًا[٤].

وقيل: من جَمَعه «أئمةً»، فلأنه قد كثُر حتى صار بمعنى الصِّفة، وقال بعضهم[٥]: أراد «أئمةً»، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾[٦]، وقال الشاعر:

يا عاذِلاتي لا تُرِدْنَ مَلامَتِي ... إنَّ العَواذِلَ ليسَ لي بِأَمِيرِ[٧]

أي: بأُمَراءَ. وقيل[٨]: هو جَمْع «آمٍّ»، والجمعُ يَصلُح للواحد والجمع، يقال: دِرْعٌ دِلَاصٌ وأَدْرُعٌ دِلَاصٌ[٩].

---

(١) الشعراء ١٦.
(٢) شرح جمل الزَّجّاجي ٢/ ٢١٧.
(٣) المائدة ٢.
(٤) يعني: همزة.
(٥) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٢٣، وإليه ذهب الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٠٢، وينظر: الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦٤٤.
(٦) الشعراء ٧٧.
(٧) تقدم عَجُزُهُ برقم ١١ ص١/ ٢٢٨.
(٨) قاله طاهر بن أحمد كما سبق، وينظر: الكشاف ٣/ ١٠٢، البيان للأنباري ٢/ ٢١٠، الفريد ٣/ ٦٤٤.
(٩) دِرْعٌ دِلَاصٌ: بَرّاقةٌ مَلْساءُ لَيِّنةٌ. اللسان: دلص.

قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ يعني: أهلُ هذه الصِّفات ﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ يعني: على دينِهم، وقيل: على أذى المشركين، والغُرفة: كلُّ بناءٍ مرتفع، وأراد: غُرَفَ الجنّة من الزَّبرْجَد والدرِّ والياقوت.

قوله: ﴿وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا﴾ يعني: فِي الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ٧٥﴾، قال الكلبي: يُحَيِّي بعضُهُمْ بَعْضًا بالسلام، ويرسل الربُّ - تبارك وتعالى - إليهم بالسلام.

قرأ الكوفيُّون - سوى حفص -: ﴿ويَلْقَوْنَ﴾ بالتخفيف(١)، وقرأ الباقون بالتشديد، فمن شدَّد فحُجته قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةً وَسُرُورًا﴾(٢)، ونَصْب ﴿تَحِيَّةً﴾ على خبرِ ما لم يُسَمَّ فاعلُهُ، ومن خَفَّفَ فحُجته قوله تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٣)، ونصَبْ ﴿تَحِيَّةً﴾ على المفعول به، والفرق بين التحية والسلام، قال محمد بن يزيد(٤): التحيّةُ: تكون لكلِّ دعاء، والسلام مخصوص.

وقوله: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعني: مقيمينَ في الغرفة من غير موتٍ ولا زوال، وهو منصوبٌ على الحال، ﴿حَسُنَتۡ﴾ الغرفة ﴿مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦﴾ نَصْبٌ على التمييز.

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي﴾؛ أي: ما يُبالِي بكم، وقيل: ما يصنع،

---

(١) قرأ بالتخفيف أيضًا: أبو بكر عن عاصمٍ، والأعمشُ وخلفٌ والمفضلُ ومحمدٌ اليمانيُّ، ينظر: السبعة ص ٤٦٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٢٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٣، ٨٤، البحر المحيط ٦/ ٤٧٤، الإتحاف ٢/ ٣١١، ٣١٢.

(٢) الإنسان ١١.

(٣) مريم ٥٩، وينظر في حجة التخفيف والتشديد: الحجة للفارسي ٣/ ٢١٧، ٢١٨.

(٤) ينظر قوله في إعراب القرآن ٣/ ٣١٩.

وقيل: ما يفعَلُ بكم رَبِّي؟ قال أبو عُبيد[١]: يقال: ما عَبَأْتُ به شيئًا: أي لم أَعُدَّهُ، فوجودُه وعدمُه سواءٌ، مجازه: أيُّ مقدارٍ لكم؟

وأصل هذه الكلمة تَهْيِئةُ الشيءِ، يقال: عَبَأْتُ الجيشَ وعَبَأْتُ الطِّيبَ أَعْبَؤُهُ عَبْئًا وعُبُوًّا: إذا هَيَّأْتَهُ وعَمِلْتَهُ، قال الشاعر:

٦٢ ـ كأَنَّ بِنَحْرِهِ وبِمَنْكِبَيْهِ ... عَبِيرًا باتَ تَعبَؤُهُ عَرُوسُ[٢]

وقوله: ﴿لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ يعني: إياه فِي الشدائد، ومعنى الآية: قل ما يعبَأُ بِخَلْقِكُم رَبِّي لولا عبادتُكم وطاعتُكم وتوحيدُكم إياه، يعنِي: أنه خلَقكم لعبادتكم، نظيرُها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣]،/، وفي الآية دليلٌ على أنّ من لا يعبد الله ولا يوحِّده ولا يطيعه لا وزنَ له عند الله[٤]. [٣٨/ أ]

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ يعني: أهلَ مكة؛ أي: أنّ الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته، فكذَّبتم الرسول، ولم تُجِيبُوا دعوتَه ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ تهديدٌ لهم، قال الزَّجّاجُ[٥]: تأويلُه: فسوف يكون تكذيبكم لزامًا

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٥٣، الوسيط للواحدي ٣/ ٣٤٩.

(٢) البيت من الوافر، لأبي زبيد الطائي يصف أسدًا، ويُرْوَى:

كأَنَّ بِصَدْرِهِ وبجانِبَيْهِ

اللغة: العبير: نوع من الطيب ذو لون، عَبَأْتُ الطِّيبَ عَبْئًا: إذا صَنَعْتَهُ وَهَيَّأْتَهُ وخَلَطْتَهُ.

التخريج: ديوانه ص ٩٩، جمهرة اللغة ص ١٠٢٥، جامع البيان ١٩/ ٧٠، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٥٦، الصحاح ١/ ٦١، مقاييس اللغة ٤/ ٢١٦، تاريخ دمشق ١٢/ ٣٢٤، عين المعاني ورقة ٩٣/ ب، اللسان: عبأ، نسس، التاج: عبأ، عرس، نسس.

(٣) الذاريات ٥٦.

(٤) قاله الواحدي في الوسيط ٣/ ٣٤٩.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٧٨.

يلزمكم، فلا تُعْطَوْنَ التوبةَ، وقال غيره: يعني: موتًا، وقيل: قتالًا، وقيل هلاكًا، وقيل: عذابًا دائمًا لازمًا، قال الشاعر:

٦٣- فإمّا يَنْجُوا مِن خَسْفِ أَرْضٍ   فقَد لَقِيا حُتُوفَهُما لِزاما[1]

وقال المفسِّرون في تفسير اللِّزام: إنه يومُ بدر، والمعنى: أنّ كفار مكة قُتِلُوا ببدر، واتَّصل به عذابُ الآخرة لازمًا لهم، فلَحِقَهُمُ الوعيدُ الذي ذكره الله تعالى ببدرٍ[2]، والله أعلم.

* * *

(١) البيت من الوافر لصخر الغَيِّ الهذلي يرثي ابنه تليدًا، والضمير في «يَنْجُوا» و«لَقِيا حُتُوفَهُما»، يعود إلى قوله: «عِلْجانِ» فِي بيت سابق عليه فِي قوله:

أَرى الأَيّامَ لا تُبقي كَريما   ولا العُصْمَ الأَوابِدَ والنَّعاما
ولا عِلْجانِ يَنتابانِ رَوْضًا   نَضِيرًا نَبْتُهُ عُمًّا تُؤاما

التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ٢٩١، مجاز القرآن ٢/ ٨٢، معاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج ٤/ ٧٩، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٠، المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٣، عين المعاني ورقة ٩٣/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٦، البحر المحيط ٦/ ٤٧٥، اللسان: لزم، التاج: لزم.

(٢) ينظر في هذه الأقوال: جامع البيان ١٩/ ٧٢-٧٣، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٥٧-٥٨، الكشف والبيان ٧/ ١٥٤، الوسيط ٣/ ٣٤٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٥- ٨٦.

سورةُ الشُّعراء

مكّيــةٌ إلّا قولَــه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلــى آخِر الســورة، فإنها مدَنيّةٌ، نزلت في حسّــانِ بن ثابت وكعبِ بن مالــك وكعبِ بن زُهير وعبدِ الله ابن رَواحةَ، شعراءِ الرسول ﷺ.

وهي خمســةُ آلافٍ وخمسُــمائةٍ واثنان وأربعونَ حرفًــا، وألفٌ ومائتان وسبعٌ وتسعونَ كلمةً، ومائتانِ(١) وسبعٌ وعشرون آيةً.

بابُ ما جاء في فَضْل قراءتها

عــن أُبَيِّ بنِ كعــبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «من قَرأَ ســورةَ الشُّــعراء كان له من الأجرِ عَشْــر حسَــنات بعدد من صَدَّقَ بنوحٍ عليه السّــلام وكَذَّبَ به، وهُودٍ وشُعَيبٍ وصالحٍ وإبراهيمَ عليهم السلام، وبعددِ من كذَّب بموسى، وصدَّق بمحمد ﷺ»(٢).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «من قَرأَ ســورةَ الشُّعراء كان له من الأَجْر كعددِ أيام الدنيا وعدد النجوم وعدد الرَّمْل»(٣).

---

(١) في الأصل: «ومائة».

(٢) ينظر: الكشــف والبيــان ٧/ ١٥٥، الوســيط ٣/ ٣٥٠، الكشــاف ٣/ ١٣٤، مجمع البيان ٧/ ٣١٨.

(٣) لم أعثر له على تخريج.

بابُ ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولُه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ قَرأَ حمزةُ والكِسائي وخَلَفٌ وعاصمٌ ـ في بعض الروايات ـ بكسرِ الطاء، على الإمالة فيها وفي أُختها، وقَرأَ أهل المدينة بين الكسر والفتح، وهو الاختيار، وقَرأَ غيرُهم بالفتح: على التفخيم(١)، وأظهر النونَ من «طاسِينَ»، هاهنا وفي القَصَص: أبو جعفرٍ وحمزةُ للتبيين والتمكين(٢)، وأخفاها الآخَرون لِمجاورتها حرفَ الفم.

وأمّا تأويلُها فهو: اسمٌ من أسماء الله تعالى أقسم به، وقيل: أقسم الله تعالى/ بطَوْلِهِ وسَنائه ومُلكه. [٣٨/ ب]

وقال عَلِيُّ بن أبِي طالب ـ عليه السّلام ـ: لَمّا نزلت هذه الآيةُ ﴿طسٓمٓ﴾ قال رسول الله ﷺ: «الطاء: طُور سَيْناء، والسِّين: الإسكندرية، والميم: مكّة»(٣).

---

(١) قرأ حمزةُ والكسائيُّ، وأبو بكر عن عاصم، وخارجةُ عن نافع، وابنُ وثاب والأعمش والمفضل: بكسر الطاء، وكذلك قرأ هؤلاء: ﴿طسٓ﴾ في أول النمل، و﴿طسٓمٓ﴾ في أول القصص، وقرأ قالونُ عن نافع، وأبو جعفر وشيبةُ والزهريُّ بين الفتح والكسر، وقرأ الباقون، وحفصٌ عن عاصم بالفتح، ينظر: السبعة ص ٤٧٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٠، حجة القراءات ص ٥١٦، الحجة للفارسي ٣/ ٢١٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٨، الإتحاف ٢/ ٣١٣.

(٢) أظهر النونَ أيضًا: إسماعيلُ بنُ جعفر عن نافعٍ، ويعقوبُ، ينظر: السبعة ص ٤٧٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٠، حجة القراءات ص ٥١٦، الحجة للفارسي ٣/ ٢١٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٨٨، الإتحاف ٢/ ٣١٣.

(٣) رواه الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ١٥٦، وينظر: زاد المسير ٦/ ١١٥، مجمع البيان ٧/ ٣٢٠.

وقال جعفرُ بن محمد الصّادق ـ عليه السّلام ـ [(١)]: الطاءُ: شجرةُ طوبَى، والسِّين: سِدْرةُ المنتهى، والميم: محمدٌ المصطفى.

وقال الحسن: الطاءُ من الطَّوْلِ، والسِّين من السلام، والميمُ من الرحيم، وقيل[(٢)]: معناه: طَرَبُ المشتاقين، وسرورُ العارفين، ومغفرةُ العاصين، وقيل[(٣)]: معناه: الطاهرُ المطَّلع على الغيوب، السَّميعُ الساتر للعيوب، المَجِيدُ المُنْعِمُ بالسُّيُوبِ[(٤)]، والله أعلم.

وفي محلِّه من الإعراب أوجُهٌ، قيل: هو رَفْعٌ بالابتداء، وقيل: هو رَفْعٌ على خبر ابتداءٍ محذوفٍ تقديره: هذا الكتاب، وقيل: محَلُّه نَصْب بإضمار فعل تقديره: اذكروا أو اقرءوا ﴿طسٓمٓ﴾، وإن شئتَ قلت: محَلُّه نَصْب بحذف حرف القسم، وإن شئتَ قلت: محَلُّه خفض بإضمارِ حرف القسم[(٥)].

قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ﴾؛ أي: هذه الآياتُ آياتُ ﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ يريد: بَيَّنَ حلالَهُ وحرامَهُ وأَمْرَهُ ونَهْيَهُ وناسخَهُ ومنسوخَهُ، وقال الزَّجّاج[(٦)]: يُبَيِّنُ الحقَّ من الباطل والحلالَ من الحرام، وهو مأخوذٌ من «أبان» بمعنى: «ظَهَرَ».

وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ۝٣﴾ مفسَّرٌ فِي سورة الكهف[(٧)]، ومعنى الآية:

---

(١) ينظر: زاد المسير ٦/ ١١٥، عين المعاني ورقة ٩٣/ ب.
(٢) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ ب.
(٣) قاله أبو سهل، ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ ب.
(٤) السُّيُوبُ: جمع سَيْبٍ، وهو العطاء.
(٥) ينظر في هذه الأوجه: البيان للأنباري ١/ ٤٣، التبيان للعكبري ص ١٤، الدر المصون ١/ ٨٨.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣١ عند تفسيره الآية الأولى من سورة القصص.
(٧) يعني قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ الآية ٦.

لعلك قاتلٌ نفسَك لتركِهم الإيمانَ، ثم أَعْلَمَ أنه لو أراد أن يُنزِل ما يَضْطرُّهم إلى الطاعة لَقَدَرَ على ذلك فقال: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ شرطٌ وجزاء.

قوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا﴾ يعني: للآية ﴿خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ ولم يقل: خاضعةً ـ وهو صفةُ الأعناق، قيل[1]: معناه: فظلَّ أصحاب الأعناق لها خاضعين، فحذَف الأصحابَ وأقام الأعناقَ مقامَهم؛ لأنّ الأعناقَ إذا خضَعت فأربابُها خاضعون، قال الشاعر:

٦٤ ـ فما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي ولكِنْ حُبُّ مَن سَكَنَ الدِّيارا[2]

وقيل: إنما قال: ﴿خَٰضِعِينَ﴾ لأَجْلِ رُءُوسِ الآيِ لتكون على نَسَق واحد. وقال عيسى بن عمر[3]: «خاضعين» و«خاضعة» هاهنا واحدٌ. وفيه وجوهٌ يطول شرحها في هذا المختصر، وقرأ ابن أبي عَبْلة[4]: ﴿فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعةً﴾[5].

---

(١) قاله الفرَّاء وأبو عبيد والمبرد والزَّجّاج وابن السَّراج، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧، الكامل للمبرِّد ٢/ ١٤١، المقتضَّب ٤/ ١٩٨، ١٩٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٨٢، الأصول ٣/ ٤٧٧، وينظر قول أبي عبيد في الكشف والبيان للثعلبي ٧/ ١٥٧.

(٢) البيت من الوافر، لمجنون ليلى.
التخريج: ديوانه ص ١٧٠، عين المعاني ورقة ٩٣/ ب، شرح كافية ابن الحاجب للرَّضي ٢/ ٢٤٦، ٢٨٥، رصف المبانِي ص ١٦٩، مغني اللبيب ص ٦٦٦، خزانة الأدب ٤/ ٢٢٧، ٣٨٨.

(٣) ينظر قوله في معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٦٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٩٠.

(٤) إبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقظان بن المرتحل، أبو إسماعيل الفلسطيني الرملي العقيلي الشامي، تابعي ثقة صدوق، كان الوليد بن عبد الملك يبعثه إلى بيت المقدس ليقسم فيهم العطاء، ودخل على عمر بن عبد العزيز، توفِّي سنة (١٥١هـ)، وقيل: (١٥٣هـ). [غاية النهاية ١/ ١٩، سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٢٣-٣٢٥].

(٥) وقرأ بها أيضًا عيسى بن عمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠٧، مفاتيح الغيب ٢٤/ ١١٨، البحر المحيط ٧/ ٧.

قال مجاهدٌ(١): أراد بالأعناق هاهنا: الرؤساءَ والكُبَراء، وقيل(٢): أراد الجماعاتِ والطوائفَ من الناس، يقال: جاءَ القومُ عُنُقًا، أي: طَوائِفَ وعُصَبًا، كقول الشاعر:

٦٥ ـ أَنَّ العِراقَ وأهْلَهُ عُنُقٌ إليْكَ فهَيْتَ هَيْتا(٣)

قال ابن عباس(٤): نَزَلت هذه الآيةُ فينا وفي بني أُمَيّةَ، فستكون لنا عليهم الدَّولة، فتَذِلُّ لنا أعناقُهم بعدَ صعوبةٍ، وهَوان بعد عِزّةٍ.

[٣٩/ أ] قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا / إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: المكذِّبين ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا

(١) ينظر قوله في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٧، جامع البيان ١٩/ ٧٥، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٨٥، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٦٢.

(٢) قاله الخليل والأخفش وأبو زيد، ينظر: العين للخليل ١/ ٦٨، معاني القرآن للأخفش ص ٤٢٤، وينظر قول أبي زيد في الكامل للمبرد ٢/ ١٤١، المقتضب ٤/ ١٩٩، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٨٥، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٦٣، وينظر: شمس العلوم ٧/ ٤٧٨١.

(٣) البيت من مجزوء الكامل، لزيد بن علي بن أبي طالب يخاطب أباه عَلِيًّا رضي الله عنه، وقبله:

أَبْلِغْ أَمِيرَ المُؤْمِنِيـ ـنَ أَخا العِراقِ إذا أَتَيْتا

ويُرْوَى عَجُزُ الشاهد:

سِلْمٌ عَلَيْكَ، فهَيْتَ هَيْتا

وقوله: «هَيْتَ» معناه: هلمَّ وتعالَ.

التخريج: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٤٠، مجاز القرآن ١/ ٣٠٥، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٠٠، جمهرة اللغة ص ٢٥١، ٤١٣، إعراب القراءات السبع ١/ ٣٠٨، الخصائص ١/ ٢٧٩، المحتسب ١/ ٣٣٧، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٣٦، المحرر الوجيز ٤/ ٢٢٥، شمس العلوم ١٠/ ٧٠١١، عين المعاني ٩٣/ ب، اللسان: عنق، هيت، البحر المحيط ٧/ ٦.

(٤) ينظر: عين المعاني ورقة ٩٣/ ب.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ يعني: من كل صنفٍ ونوعٍ حسنٍ في المنظر، والمعنى: من زوجٍ نافعٍ لا يَقدِر على إنباته إلا ربُّ العالمين، ومحَلُّ ﴿كَمْ﴾ رَفْعٌ بالابتداء(١)، ويجوز أن يكون نصبًا لوقوع ﴿أَنۢبَتْنَا﴾ عليه، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ يعني: الذي ذُكِرَ من الإنبات في الأرض ﴿لَءَايَةً﴾ أي: لَدلالةً على وجودي وتوحيدي وكمال قُدرتي وحكمتي، ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ أي: قد سبق في علمي أنّ أكثَرهم لا يؤمنون، قال سيبَوَيْه(٢): و«كان» هاهنا: صلة.

قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠﴾، ثم أخبر عنهم، فقال: ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾؛ أي: ألا يَصْرِفُونَ عن أنفسهم عقوبةَ الله بطاعته، و﴿قَوْمَ﴾: نَصْب على البدل من القوم الأَوّل.

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى عليه السّلام ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝١٢﴾ يريد: بالرسالة ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ بتكذيبهم إِيّايَ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بالكلام والتبليغ لِلْعُقدةِ التي فيه، قَرأَه العامّةُ بالرَّفع فيهما ردًّا على قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ﴾، ونَصَبَهما يعقوبُ(٣) على معنى: وأن يضيقَ صدري وألا ينطلقَ لسانِي(٤).

---

(١) ينظر في مجيء «كَمْ» مبتدأً: الكتاب ٢/ ١٦١، المسائل المنثورة ص ٧٩، ارتشاف الضرب ص ٧٨٤.

(٢) الجبلي يريد زيادتها في العمل دون المعنى، ولم يذكر سيبويه هذه الآية، وإنما ذكر زيادة «كان» بين «ما» و«أَفْعَلَ» في التعجب (الكتاب ١/ ٧٣)، وبين اسم «إِنَّ» وخبرها، وبين الصفة والموصوف. (الكتاب ٢/ ١٥٣)، وعلى هذا فالعامل هنا هو «ما» الحجازية، فـ﴿أَكْثَرُهُم﴾: اسم «ما»، و﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبرها.

(٣) قرأ بالنصب فيهما أيضًا: الأعرجُ وطلحةُ وعيسى بنُ عمر وزيدُ بن عَلِيٍّ وأبو حيوة، وزائدةُ عن الأعمش، ورُوِيَ عن الأعرج أيضًا: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ﴾ بنصب الأول ورفع الثاني، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٩٢، البحر المحيط ٧/ ٨، تقريب النشر ص ١٥٢، الإتحاف ٢/ ٣١٤.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفرّاء ٣/ ١٧٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٨٤، إعراب القرآن ٣/ ١٧٥، معاني القراءات ٢/ ٢٢٤.

وقوله: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَـٰرُونَ ۝١٣﴾ أي: فأَرْسِلْ معي هارونَ، و﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى: «مَعَ»، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[1]؛ أي: مع أموالكم[2]، وقيل[3]: معناه: فأرسِلْ إلى هارونَ جبريلَ ليكون معي معينًا، وليؤازرَني ويظاهرَني على تبليغ الرسالة، وهذا كقول الرجل: إذا نزلتْ بِي نازلةٌ أرسلتُ إليكَ لِتُعِينَنِي.

قولـه: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾؛ أي: عندي[4] ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝١٤﴾ يريد: بالقتيل الذي قَتَلَهُ منهم، واسمُه: فاتونُ[5]، وهو خَبّازُ فرعون، ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يقتلوك به؛ لأنِّي لن أسلِّطَهم عليك، ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ أي: سامعون ما يقولون وما تُجابُونَ، وإنما أراد اللهُ تقويةَ قلوبهما، وإخبارَهُما أنهمـا بِعَيْنِهِ وحِفْظِهِ، وإنما قال: ﴿مَعَكُم﴾ وهما اثنـان؛ لأنه على مَذْهَبِ مَن يجعـلُ الاثنَيْنِ جماعةً؛ لأنّ معنى الجَمْع ضَمُّ شـيءٍ إلى شـيءٍ، فالاثنانِ فما فوقَهما جماعة، كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[6].

قوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦﴾، ولم يقل: رَسُولَا؛

---

(١) النساء ٢.

(٢) قالـه الفـرَّاء والأخفـش وابن قتيبة، ينظـر: معاني القـرآن للفـرَّاء ١/ ٢١٨، معاني القرآن للأخفـش ص ٤٦، أدب الكاتب ص ٤٠٩، ٤١٠، تأويل مشـكل القرآن ص ٥٧١، وينظر أيضًا: الصاحبي ص ١٧٩.

(٣) يعني أنه على حذف المفعول، قاله الفرَّاء والزمخشري، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٧٨، الكشاف للزمخشري ٣/ ١٠٦.

(٤) يعني أن «عَلَى» بمعنى «عِنْدَ»، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٨٤، تأويل مشكل القرآن ص ٥٧٨، تفسير غريب القرآن ص ٣١٦.

(٥) فاتونُ بالتاء، ذكره الفيروزآبادي في القاموس المحيط: فتن، وينظر: تاج العروس: فتن.

(٦) التحريـم ٤، وينظر في ذلك: الكتـاب ٣/ ٦٢١، ٦٢٢، معاني القرآن للأخفش ص ٢٢٩، ٢٣٠، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٦٧، الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦٥١.

لأنه أراد المصدر؛ أي: رسالةَ، مَجازُهُ: ذَوا رِسالةِ رَبِّ العالمين، كقول كُثَيِّرِ عَزّةَ:

٦٦ ـ لقد كَذَبَ الواشُونَ مابُحْتُ عِنْدَهُمْ بِسِرٍّ، ولا أَرسَلْتُهُمْ بِرسُولِ[١]

[٣٩/ ب] / أي: برسالة، هكذا قاله الفَرّاء[٢].

وقال أبو عُبيد[٣]: يجوز أن يكونَ الرسولُ في معنى: الاثنَيْنِ والجمع، تقول العرب: هذا رسولي ووكيلي، وهذانِ رسولي ووكيلي، وهؤلاءِ رسولي ووكيلي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾[٤]، قال الشاعر:

٦٧ ـ أَلِكْنِي إليها، وخَيْرُ الرَسُو لِ أَعلَمُهُمْ بِنواحي الخَبَرْ[٥]

---

(١) البيت من الطويل، لكُثَيِّرٍ، ورواية ديوانه: «بِرَسِيلِ»، ويُرْوَى: «ما فُهْتُ عِنْدَهُمْ... بِلَيْلَى».
التخريج: ديوانه ص ١١٠، مجاز القرآن ٢/ ٨٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٦، الزاهر ١/ ٣٥، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٢٩١، تهذيب اللغة ١٢/ ٣٩١، شمس العلوم ٤/ ٢٤٩٩، البيان للأنباري ٢/ ٢٠٦، ٢١٢، عين المعاني ورقة ٩٣/ ب، الفريد ٣/ ٦٥٢، تفسير القرطبي ١٣/ ٩٣، ١٨/ ٢٦٢، اللسان: رسل، التاج: رسل.
(٢) لم يقل الفرَّاء ذلك، ولكنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ طه ٤٧، قال: «ويجوز ﴿رسول ربك﴾»؛ لأن الرسول قد يكون للجمع وللاثنين والواحد، قال الشاعر:
أَلكني إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحي الخبرْ
أراد: الرُّسْل». معاني القرآن ٢/ ١٨٠، وقال نحوه مرة أخرى في المعاني ٣/ ٧٧.
(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٦٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٩٤.
(٤) الشعراء ٧٧.
(٥) البيت من المتقارب، لأبي ذؤيب الهذلِيِّ.
اللغة: أَلِكْنِي إليها: أَرْسِلْنِي إليها، هذا على ظاهره، ولكن معناه مقلوب، والمراد: كُنْ رَسُولِي إليها.
التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ١١٣، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٨٠، ٣/ ٧٧، الزاهر ١/ ٣٥، ٢/ ٢٥٥، شمس العلوم ٤/ ٢٥٠٠، الفريد ٣/ ٦٥٢، المخصص ١٢/ ٢٢٥، =

وقيل[1]: معناه: إنّ كُلَّ واحدٍ مِنّا رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ.

قوله: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٧﴾؛ أي: بأنْ أَرسِلْهم معَنا، وأطلِقْهم من الاستعباد، وخَلِّ عنهم، فأتَياهُ فبَلَّغاهُ الرسالةَ فـ﴿قَالَ﴾ فرعونُ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ يعني: صبيًّا صغيرًا، نَصْبٌ على الحال، ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ قيل: ثمانيَ عشْرةَ سنةً، وقيل: ثلاثينَ سنة، وقيل: أربعينَ سنة، و﴿سِنِينَ﴾: نَصْبٌ على الظرف.

قوله: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ١٩﴾ يعني: قَتْلَ القِبْطِيِّ، قال وَهبُ بن منبِّه: أوحى الله تعالى إلى موسى ـ عليه السّلام ـ: «وَعِزَّتِي وجَلالِي، لو أَنَّ النفسَ التي قَتَلتَ أَقَرَّتْ لي ساعةً من نهار بِأَنِّي إِلَهٌ خالقٌ رازق لَأذقتُكَ طعمَ العذاب، وإنّما عفوتُ عنك لأجل ذلك؛ لأنها لم تُقِرَّ لِي ساعةً أَنِّي إِلَهٌ خالقٌ رازق»[2].

و﴿فَعْلَتَكَ﴾ نَصْبٌ على المصدر، و﴿ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ نعتُها: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ نَصْب على الظرف[3]، ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾ أي: الجاهلين، لم يأتِني من الله شيء.

= عين المعاني ورقة ٩٣/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٩٣، ١٧/ ١٠، اللسان: ألك، رسل، لوك، نحا، التاج: ألك، شرح شواهد شرح الشافية ص ٢٨٨.

(١) حكاه السجاوندي عن عَلِيِّ بن عيسى في عين المعاني ٩٣/ ب، وينظر أيضًا: الفريد ٣/ ٦٥٢، البحر المحيط ٧/ ٩.

(٢) حكاه ابن عساكر عن وهب وعن الحسن فِي تاريخ دمشق ٦١/ ٣٠، ٣١.

(٣) هذا على مذهب الكوفيين، وهو أن «إذًا» ظرف وأن أصلها «إذا» ثم لحقها التنوين، وهو رأي الرضي أيضًا، وذهب البصريون إلى أنها حرف معناه الجواب والجزاء، ينظر: شرح الكافية للرَّضي ٣/ ٢٦٣، ٢٦٤، ٤/ ٣٩، ٤١، ٤٣، ارتشاف الضرب ص ١٦٥٠، الجنى الداني ص ٣٦١، مغني اللبيب ص ٣٠-٣٢.

قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ ابتداءٌ وخبر ﴿تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾، يقال: اسْتَعْبَدْتُ فُلانًا وأَعْبَدْتُهُ وتَعَبَّدْتُهُ وعَبَّدْتُهُ؛ أي: أَخَذْتُهُ عَبْدًا.

وفي محلِّ «أَنْ» من الإعراب وجهان، أحدُهما: النَّصب بِنَزْعِ الخافضِ، مَجازُهُ: بِتَعْبِيدِكَ بني إسرائيل، والثاني: الرَّفع على البدل من النعمة[1].

قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ابتداءٌ وخبر، قال محمد بن إسحاق[2]: اسْتَوْصَفَهُ إِلَهَهُ الذي أرسله إليه؛ أي: ما إِلَهُكَ هَذا؟ [3]. و«ما» هاهنا بمعنى: «مَنْ»، قال بعض النَّحْوِيِّين[4]: قد تدخل «ما» لصفاتِ مَنْ يَعْقِلُ، كقوله تعالى هاهنا: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنّ الربَّ هو المالك، والمِلْكُ صفة.

فلما اسْتَفْهَمَ فرعونُ موسى عليه السّلام: مَنْ رَبُّ العالمين؟ أجابه بما يدُلُّ عليه من خَلْقه، مما يَعْجِزُ المخلوقونَ عن أن يأتوا بمثله، فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ أنه خلق ذلك، فلمّا قال موسى ذلك تَحَيَّرَ فرعونُ، وعجَز عن ردِّ الجواب بما ينقُضُ به هذا القولَ، فـ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يريد: ألا تستمعون مقالةَ موسى؟

---

(١) ينظر في هذين الوجهين وغيرهما: معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٢٧٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٨٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٣٩، التبيان للعكبري ص ٩٩٥، الفريد ٣/ ٦٥٣، الدر المصون ٥/ ٢٧١.

(٢) محمد بن إسحاق بن يَسارٍ المطلبي بالولاء المدنِيُّ، من أقدم مؤرخي العرب، كان قدريًّا حافظًا للحديث، توفِّي ببغداد سنة (١٥١هـ)، من كتبه: السيرة النبوية، كتاب الخلفاء، المبدأ. [سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٣-٥٥، الأعلام ٦/ ٢٨].

(٣) ينظر قول محمد بن إسحاق في الوسيط ٣/ ٣٥٢.

(٤) هو طاهر بن أحمد، وهذا الكلام، قاله في شرح جمل الزَّجّاجي ١/ ٣٦.

قوله تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾/ يعني: عالِمُكُمْ ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هذا وَعيدٌ، واللام دَخَلت على «سَوْفَ» لمعنى التوكيد. [٤٠/ أ]

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾؛ أي: لا فسادَ ولا مكروهَ ولا ضررَ علينا فيما ينالُنا في الدنيا من العذاب، معَ ما لنا في الآخرة من المغفرة والثواب، ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ راجعون، يقال: ضَرَّهُ الأمرُ يَضُرُّهُ ضَرًّا، وضارَهُ يَضِيرُه ضَيْرًا، هاتان اللُّغتانِ الغالبتان، ويقال أيضًا: ضارَهُ يَضُورُهُ ضَوْرًا بِمَعْنًى واحد[(١)].

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني: بَنِي إسرائيل ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾؛ أي: عُصبة ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ نَعتُه، قال المبرِّد[(٢)]: الشِّرذمة: القطعةُ من الناس غيرُ الكثير، وجَمْعها: شَراذِمُ، قال الراجز:

٦٨ ـ جاءَ الشِّتاءُ وقَمِيصِي أَخْلاقْ
شَراذِمٌ يَضْحَكُ مِنِّي التَّوّاقْ[(٣)]

---

(١) قال ابن السكيت: «الفَرّاءُ: يقال: ضارَهُ يَضِيرُهُ. قال: وزعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول: لا ينفعني ذلك ولا يَضُورُني». إصلاح المنطق ص ١٣٦، وينظر: جمهرة اللغة ص ٧٥٣، ١٠٦٦، إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ١٧٩، التهذيب للأزهري ١٢/ ٥٧.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٣/ ٣٥٣.

(٣) البيتان من السريع المشطور، لم أقف على قائلهما.

اللغة: أخلاق: جمع خَلَقٍ، يقال: ثوبٌ خَلَقٌ أي: بالٍ، وقميصٌ أخلاقٌ: وصفٌ للواحد بالجمع، والمعنى: نواحيه أخلاق.

التخريج: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٤٢٧، ٢/ ٨٧، تأويل مشكل القرآن ص ٢٨٦، الزاهر ١/ ٢٢، الصاحبي ص ٣٥١، الأزهية ص ٣٠، إصلاح الخلل ص ٧٧، عين المعاني ٩٤/ أ، القرطبي ١٣/ ١٠١، شرح الكافية للرَّضي ١/ ١٣٢، اللسان: توق، خلق، شرذم، خزانة الأدب ١/ ٢٣٤.

قال الجوهري[١]: التَّوّاقُ: اسمُ ابنه. وقيل: أراد التَّوْق.

وقوله: ﴿قَلِيلُونَ﴾ قال الفَرّاء[٢]: يقال: عُصْبةٌ قليلةٌ وقلِيلُونَ، وكثِيرةٌ وكثِيرُونَ. قال ابن مسعود[٣]: كان هؤلاءِ الشِّرذمة سِتَّمِائةِ ألفٍ وسبعينَ ألفًا، ولا يُحْصَى عددُ أصحابِ فرعون.

قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يقال: غاظَهُ وأَغاظَهُ وغَيَّظَهُ: إذا أغضَبه[٤]، والغَيْظ: الغضب، قال الله تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[٥].

قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم: ﴿حَٰذِرُونَ﴾[٦]. قال الفَرّاء[٧]: الحاذِرُ: الذي يَحْذَرُكَ الآنَ، والحَذِرُ: المخلوقُ كذلك لا تلقاه إلّا حَذِرًا. وقال الزَّجّاج[٨]: الحاذر: المستعدُّ، والحَذِرُ: المُتيَقِّظُ. وقال أبو عُبيدة[٩]: يقال: رَجُلٌ حَذِرٌ وحاذِرٌ.

---

(١) الصحاح ٤/ ١٤٥٣.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٢٨٠.

(٣) ينظر قوله في تفسير مجاهد ٢/ ٤٦٠، جامع البيان ١٩/ ٩٣، ٩٤، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٧٩.

(٤) قال الزَّجّاج: «ومن قال: أَغاظَنِي فقد لَحَنَ». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٢، وقال الأزهري: «ورَوَى ثعلب عن ابن الأعرابِيِّ: غاظَهُ وأَغاظَهُ وغَيَّظَهُ بمعنى واحد». التهذيب ٨/ ١٧٤.

(٥) الملك ٨.

(٦) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وهشام ويعقوب وأبو جعفر: ﴿حَذِرُونَ﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون وابن ذكوان عن ابن عامر: ﴿حَٰذِرُونَ﴾ بألف، ينظر: السبعة ص ٤٧١، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٣، الإتحاف ٢/ ٣١٥.

(٧) معاني القرآن ٢/ ٢٨٠.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٢.

(٩) مجاز القرآن ٢/ ٨٦.

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم﴾ يعني: فرعونَ وقومه ﴿مِّن جَنَّٰتٍ﴾ يعني: بساتين ﴿وَعُيُونٍ (٥٧)﴾ أنهارٍ جارية ﴿وَكُنُوزٍ﴾ يعني: الأموالَ الظاهرة من الذهب والفضة، سُمِّيَ كَنْزًا لأنه لم يُعْطَ حقُّ الله منها، وما لم يُعْطَ حَقُّ الله منه فهو كَنْزٌ وإن كان ظاهرًا، ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨)﴾ يعني: المَجلسَ الحسن من مجالس الأُمراء والرؤساءِ التي كانت تَحُفُّ بهم الأتباع.

﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: كما وصَفْنا ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ (٥٩)﴾، وذلك أنّ الله ردَّ بني إسرائيلَ إلى مصرَ بعدما أَغْرَقَ فِرعوْنَ وقومَه، وأعطاهم جميعَ ما كان لقوم فِرعونَ من الأموال والعقارِ والمساكن.

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ (٦٠)﴾ يعني: قومَ فرعونَ لَحِقوا موسى وقومَه، فأدركوهم وقتَ إشراق الشمس، وهو إضاءتُها، يقال: شَرَقَتِ الشَّمْسُ: إذا طلَعت، وأَشْرَقَتْ: إذا أضاءت[1]، وقرأَ بعضهم[2]: ﴿مُشَرِّقِينَ﴾ بالتشديد، وهو منصوبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٦)﴾ يعني: الماضينَ الأوَّلين، ومحَلُّ ﴿أَنتُمْ﴾: رَفْعُ توكيد للواو فِي ﴿تَعْبُدُونَ﴾[3]، /

---

(١) قاله أبو عبيد وابن قتيبة، ينظر: غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٤٥٢، غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٢٤.

(٢) هذه قراءة الحسن وعمرو بن ميمون، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ١٠٦، مفاتيح الغيب ٢٤/ ١٣٨.

(٣) ﴿أَنتُمْ﴾ لا محل له من الإعراب، لأنه توكيد جِيءَ به ليصح العطف على ضمير الرَّفع المتصل فِي قوله: ﴿تَعْبُدُونَ﴾، و﴿آباؤُكُمْ﴾ معطوف على هذا الضمير المتصل لا على ﴿أَنتُمْ﴾.

و﴿آباؤُكُم﴾: معطوفٌ عليه، و﴿ٱلْأَقْدَمُونَ﴾: نعتُه.

ثـم قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ وَحَّدَ العَـدُوَّ لأن معنى الكلام: فإنّ كلَّ معبودٍ عَدُوٌّ لِي، قال الشاعر:

٦٩ ـ إذا أنا لم أنفَعْ خليلي بِوُدِّهِ فإنَّ عَدُوِّي لن يَضُرَّهُمُ بُغْضِي[1]

وأمّـا الوجهُ في وصفِ الجَماد بالعـداوة فهو أنّ معنى الآية: فإنهم عَدُوٌّ لِـي ـ لـو عَبَدْتُهُم ـ يومَ القيامة، كما قـال الله تعالى: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[2]، وقـال الفَـرّاء[3]: هذا من المقلـوب، أراد: فإنّي عدوٌّ لهم؛ لأن مَن عادَيْتَهُ عاداكَ.

ثم قال: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ نَصْبٌ بالاسـتثناء، يعني: فإنّهم عدوٌّ لِي وغيرُ معبودٍ لِي إلا رَبَّ العالمين فإنِّي أعبده. قاله الفراء[4]، وقيل[5]: هو بمعنى

---

(١) البيـت من الطويـل، للنابغة الذبيانِيِّ، ونُسِـبَ للنابغة الشـيبانِيِّ، ورواية ديوانـه: «**لم أَنْفَعْ صَدِيقِي... لم يَضُرَّهُم**».

التخريـج: ديـوان النابغة الذبيانِـي ص ٢٣١، ديـوان نابغة بني شـيبان ص ١٩٨، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٣١٧.

(٢) مريـم ٨٢، وهـذا قول الفرَّاء في معاني القـرآن ٢/ ٢٨١، وينظر: جامع البيان ١٩/ ١٠٥، إعراب القرآن ٣/ ١٨٣.

(٣) هذا القول ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ١٦٧، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ١١٠.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٨١.

(٥) أي: أنه من الاستثناء المنقطع، وهو قول للنَّحاس في معاني القرآن ٥/ ٨٦، إعراب القرآن ٣/ ١٨٣، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٠، الكشـاف ٣/ ١١٧، ونسـبه أبو حيان للفرَّاء في البحر المحيط ٧/ ٢٢.

«لكنْ»، وقال الحسين بن الفَضْل[١]: يعني: إلّا مَن عَبَدَ رَبَّ العالمينَ[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ يعني: إلى الدِّينِ والرُّشْدِ لا إلى ما تعبدون، ومحل ﴿ٱلَّذِى﴾: نَصْب؛ لأنه صفة ﴿رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ويحتمل أن يكون نصبًا على المدح، ويحتمل أن يكون رفعًا على خبر ابتداءٍ محذوف تقديره: هو الذي خلقني[٣].

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾؛ أي: ذِكْرًا جميلًا وثناءً حسنًا وقَبولًا عامًّا في الأُمم التي تجيءُ بعدي، فأعطاه اللهُ تعالى ذلك، فكلُّ أهل الأديان يَتَوَلَّوْنَ إبراهيمَ عليه السّلام ويُثْنُون عليه، قال القُتَيْبي[٤]: [يوضَعُ] اللِّسان موضعَ القول على الاستعارة؛ لأنّ القول يكون به[٥]، والعرب تُسمِّي اللغةَ لسانًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾؛ أي: لا تُعذِّبْني يومَ تَبْعَثُ الخَلْقَ، ثم فسَّر ذلك اليومَ، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ يعني: لا ينفَعُ المال والأولاد أحدًا، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ سَلِمَ من الشِّرك والنفاق،

---

(١) الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم، أبو علي البجلي النيسابوري، العلَّامة المفسر اللغوي المحدث عالِمُ عصره، كان رأسًا في معاني القرآن، أصله من الكوفة، وانتقل إلى نيسابور، وظل يعلم الناس فيها ٦٥ سنة حتى توفِّي سنة (٢٨٢هـ). [سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤١٤-٤١٦، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٣٧، الأعلام ٢/ ٢٥١، ٢٥٢].
(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ١٦٧، فتح القدير ٤/ ١٠٥.
(٣) ويجوز أن يكون مبتدأً، وخبره ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾، ودخلت فيه الفاء لِما فِي المبتدأ من معنى الشرط، ينظر: الفريد ٣/ ٦٥٧، ٦٥٨، البحر المحيط ٧/ ٢٢، الدر المصون ٥/ ٢٧٧.
(٤) تأويل مشكل القرآن ص ١٤٦.
(٥) في الأصل: «بها».

و﴿يَوْمَ﴾ الأول: نَصْب على الظرف، واليوم الثاني: نَصْب على البدَل منه، و﴿مَنْ﴾ منصوبٌ بـ﴿يَنفَعُ﴾، وهو مفعولٌ محقَّق.

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا﴾ يعني: في الجحيم ﴿هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾﴾ يعني الآلِهةَ والمشركين؛ أي: جُمِعُوا، وقيل: دُهْوِرُوا، وقيل: قُذِفُوا، وقيل(١): طُرِحَ بعضُهم على بعض، وقيل(٢): أُلْقُوا على رءوسهم، وأصله كُبِّبُوا، فكُرِّرَتِ الكافُ، مثلَ قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾(٣) ونَحْوِه، وقيل(٤): هو من قولك: كَبَبْتُ الإناءَ: إذا قَلَبْتَهُ على رأسه / ، فأبدِلَ الباءُ الوسطى كافًا استثقالًا لاجتماع ثلاث باءات. [٤١/ أ]

قوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾؛ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي: المصدِّقين بالتوحيد، ونَصْب ﴿فَنَكُونَ﴾ على جواب التمنِّي(٥).

---

(١) قاله أبو عبيدة والزَّجّاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٨٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٤.

(٢) قاله ابن قتيبة والنَّحاس، ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٨، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٨٩.

(٣) الحاقة ٦، وهذا قول الطَّبري والزَّجّاج، ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٠٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٤، وينظر: الكشاف ٣/ ١١٩، المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٦.

(٤) قاله ابن قتيبة والنَّحاس، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٨، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٨٩، وحكاه السجاوندي عن قطرب في عين المعاني ٩٤/ ب، وحكاه السمين الحلبي عن الكوفيين في الدر المصون ٥/ ٢٨٠.

(٥) قاله الأخفش والأنباري، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٦٥، البيان للأنباري ٢/ ٢١٥، وعليه فلا جواب لـ«لَوْ»، ويجوز وجه آخر، وهو أن تكون «لَوْ» على أصلها وجوابها محذوف، وقوله: ﴿فَنَكُونَ﴾ منصوب بأَنْ مضمرة، والتقدير: فلو وَقَعَ لنا أن نَكُرَّ كَرّةً فنَكُونَ من المؤمنين لفعلنا كذا، ينظر: التبيان للعكبري ص ٩٩٨، الفريد ٣/ ٦٥٩، البحر المحيط ٧/ ٢٦، الدر المصون ٥/ ٢٨٠.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ قال الزَّجّاج[١]: دَخَلت التاءُ ـ و﴿قَوْم﴾ مذكَّرون ـ لأنّ المراد بالقوم: الجماعةُ؛ أي: كَذَّبَتْ جماعةُ قَوْمِ نوحٍ المرسَلين، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّا﴾[٢].

وعنَى بالمرسَلين: نُوحًا وحدَه، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾[٣] يعني النَّبيَّ عليه السّلام؛ لأنَّ مَن كَذَّبَ رَسُولًا واحدًا مِن رُسُلِ الله فقد كَذَّبَ الجماعة؛ لأنّ كلَّ رسول يأمر بتصديق جميع الرسُل، وكذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ التأنيثُ لمعنى القبيلة؛ لأنه أُرِيدَ بعادٍ: القبيلةُ.

قوله تعالى: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً﴾؛ أي: علامةً ﴿تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ أي: تلعبون، والرِّيعُ: الصومعة، والرِّيعُ: التَّلُّ العالِي، وكلُّ مكانٍ مرتفع فهو رِيع، والرِّيع أيضًا: البُرج للحَمامِ[٤] يكون فِي الصحراء[٥]، وفيه لغتان: كسرُ الراء وفتحُها[٦]، وجَمْعُه: رِيعةٌ وأَرْياعٌ[٧]، والمعنى: أنهم كانوا يبنُون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارّةِ والسّابِلةِ[٨] فيَسْخَرُونَ منهم، ويَعْبَثُونَ بهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٥.

(٢) الحجرات ١٤.

(٣) المؤمنون ٥١.

(٤) في الأصل: «البرج من الحمام».

(٥) من أول قوله: «والريع: الصومعة» قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٣٨٦.

(٦) وقد قرأ بفتح الراء ابنُ أبي عبلة، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٠٨، البحر المحيط ٧/ ٣١.

(٧) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٨٨.

(٨) السابلة: أبناء السبيل، والجمع: السَّوابِلُ.

قوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ يعني: حصونًا، وقيل: قصورًا، واحدُها: مَصْنَعةٌ(١)، قال الشاعر:

٧٠ - تَرَكْنَ دِيارَهُم مِنْهُمْ قِفارا وهَدَّمْنَ المَصانِعَ والبُرُوجا(٢)

وقال قَتادة(٣): المصانعُ: بِرَكُ الماءِ، قال لَبِيد:

٧١ - بَلِينا وما تَبْلَى النُّجومُ الطَّوالِعُ وتَبقَى جِبالٌ بَعْدَنا ومَصانِعُ(٤)

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩﴾؛ أي: كأنّكم تَخْلُدونَ فلا تَمُوتُونَ، و﴿لَعَلَّكُمْ﴾ هاهنا بمَعنَى «كَأَنَّكُمْ»، وهي في سائر القرآن بِمعنى «لِكَيْ»، قاله الواقدي(٥)، وقيل: هي هاهنا بمعنى «حَتَّى»، قاله أبو بكرٍ النَّقّاش(٦).

---

(١) مَصْنَعةٌ ومَصْنَعٌ أيضًا، قاله الزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٦، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٩٣.

(٢) البيت من الوافر، لم أقف له على قائلٍ أو مناسبة.
التخريج: عين المعاني ٩٤/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ١٢٣، فتح القدير ٤/ ١١٠.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ١٩/ ١١٧، الكشف والبيان ٧/ ١٧٤.

(٤) البيت من الطويل لِلَبِيدٍ من قصيدة له في رثاء أخيه إِرْبِدَ، ورواية ديوانه: «**وَتَبْقَى الجِبالُ... والمَصانِعُ**».
التخريج: ديوانه ص ٨٨، الأغاني ١٥/ ١٤٠، تهذيب اللغة ٢/ ٣٧، الحماسة البصرية ص ٦٢٢، أساس البلاغة: صنع، عين المعاني ورقة ٩٤/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ١٢٣، اللسان: صنع، البحر المحيط ٧/ ٣١، التاج: صنع، فتح القدير ٤/ ١١٠.

(٥) لم أقف على قوله، وتؤيده قراءة أُبَيٍّ بن كعب: ﴿كَأَنَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، وقبل الواقدي قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ١٩/ ١١٨، الكشف والبيان ٧/ ١٧٥، الكشاف ٣/ ١٢٢، الوسيط ٥/ ٢٨٢، المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٨.

(٦) هو: محمد بن الحسن بن محمد بن زياد، أبو بكر النقاش: عالِمٌ بالقرآن وتفسيرِهِ، أصله من الموصل، ونشأ ببغداد، وكان في مبدأ أمره يعمل بنقش السقوف والحيطان، فعُرِفَ =

قولــه: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾؛ أي: سَـطَوْتُم وأخَذْتُـم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ يعني: قَتّالِيــنَ بغير حقٍّ، والجَبّارُ هو: الذي يقتُل ويضرب على الغضب، وهو منصوبٌ على الحال.

قولــه تعالى: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦﴾ قـال مُقاتلٌ: يعني: فيما أعطاهــم اللهُ من الخير آمِنينَ من الموت والعــذاب، ثم أَخْبر عن ذلك، فقال: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ يعني: البســاتين ﴿وَعُيُونٍ ١٤٧﴾ وهي: الأنهار الجارية، ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ١٤٨﴾ يعنــي: ثَمَرُهــا مُتراكِبٌ بعضُهــا / على بعضٍ في الكثرة. [٤١/ ب]

و﴿هَضِيمٌ﴾ بمعنــى: مهضوم[١]، وهو اللَّطيف شــخصُهُ، الصغيرُ حَبُّهُ، وبذلــك يُمْدَحُ الطَّلْعُ، فإذا عَظُمَ حَبُّهُ تَغَيَّرَ طَعْمُهُ، وقيل[٢]: ﴿هَضِيمٌ﴾ بمعنى: هاضِمٍ، وهو «فَعِيلٌ» بمعنى: «فاعل»، كأنه ـ لِمَرارتِهِ ـ يَهْضِمُ الطَّعام، ويقال[٣]: الهضيم: اللاصقُ بعضُه ببعض، وهو من قولك: هَضَمَنِي حَقِّي؛ أي: نَقَصَنِي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[٤]، وكلُّ مظلوم مهضومٌ، وقيل[٥]: الهضيم: المَرِيءُ الناعم. ونَصْب ﴿ءَامِنِينَ﴾ على الحال.

= بالنقاش، توفِّي سنة (٣٥١هـ)، من كتبه: شفاء الصدور المهذب في تفسير القرآن، الإشارة. [سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٧٣-٥٧٦، الأعلام ٦/ ٨١].

(١) يعني أنه فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُولٍ، قاله الطَّبري في جامع البيان ١٩/ ١٢٣.

(٢) ذكره النَّحاس بغير عزو في معاني القرآن ٥/ ٩٥، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ١٢٨.

(٣) قاله الطبري والزَّجّاج، ينظر: جامع البيان ١٩/ ١٢٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٦، وينظر: عين المعاني ورقة ٩٤/ ب.

(٤) طه ١١٢.

(٥) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٣٨٧.

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ قرأ أهلُ الشام والكوفة: ﴿فَارِهِينَ﴾ بالألف؛ أي: حاذِقين بنَحْتها، وقَرأ الباقون بغير ألف[١].

واختلفوا في معناه، فقيل: أَشِرِينَ، وقيل: بَطِرِينَ، وقيل: معجَبِين بصُنعكم، وقيل: لاعِبين[٢]، وقيل[٣]: فَرِحين، والعربُ تعاقِبُ بين الحاء والهاء مثلَ: مَدَحْتُهُ ومَدَهْتُهُ، فالهاء من ﴿فَرِهِينَ﴾ بدلٌ من الحاء، والفَرَحُ في كلام العرب ـ بالحاء ـ: الأَشَرُ والبَطَرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[٤]، ويجوز أن يكون ﴿فَارِهِينَ﴾ و﴿فرهين﴾ بمعنًى واحد، كقوله تعالى: ﴿عِظَامًا نَّخِرَةً﴾[٥] و﴿ناخِرةً﴾ ونحوهما[٦]، وهو نصبٌ على الحال.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾؛ أي: لئن لم تسكت ﴿يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ من بلدتنا، وهو جوابُ الشرط[٧]، ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم﴾ يعني:

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر ويعقوب: ﴿فَرِهِينَ﴾ بغير ألف، ينظر: السبعة ص ٤٧٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٧، حجة القراءات ص ٥١٩، تفسير القرطبي ١٣/ ١٢٩، البحر المحيط ٧/ ٣٤، الإتحاف ٢/ ٣١٩.

(٢) ينظر في هذه المعانِي: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٢، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٩٦، إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ١٨٧، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٩٦.

(٣) قاله ابن قتيبة والنَّحاس، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٤٩١، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٩٦، ٩٧، إعراب القرآن ٣/ ١٨٧، وللأخفش في الكشف والبيان ٧/ ١٧٦، وعين المعاني ٩٤/ ب.

(٤) القصص ٧٦.

(٥) النازعات ١١.

(٦) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٨٩، غريب القرآن ص ٣١٩، وحكاه النَّحاس عن قطرب في إعراب القرآن ٣/ ١٨٨.

(٧) يجب هنا أن يكون: ﴿لَتَكُونَنَّ﴾ جوابًا للقسم المقدر؛ لأن «إِنْ» تقدمت على الشرط، =

اللِّـواط ﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: المُبْغِضِينَ، يقال: قَلَيْتُهُ أَقْلِيهِ قِلًى: إذا أَبْغَضْتَهُ، والـلام فـي قوله: ﴿لِعَمَلِكُم﴾ لامُ جَـرٍّ، ولهذا كُسِـرَتْ، والخبـر قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾، والتقدير: إنِّي من القالِينَ لعملِكم[١].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾ وهم قومُ شُعَيْب، وأراد شُـعيبًا وحدَه، والأَيْكة: الغَيْضةُ، وفيها لغتان، يقـال: الأَيْكةُ ولَيْكةُ، وقد قُرِئَ بهما جميعًا، قَـرأَ نافعٌ وابنُ كثير وابن عامر: ﴿لَيْكـةَ﴾ بفتح اللام والكافِ[٢] والهـاءِ، من غير همز، ومثله في ﴿صٓ﴾[٣]، وقـرأ الباقون: ﴿الأَيْكةِ﴾ بالهمز والخفض.

فمَـن فَتح الهاءَ[٤] جَعَله اسـمًا للبلدة فلم يصرفْـه؛ للتعريف والتأنيث،

= وإذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما، وجواب الآخر محذوف، والسابق هنا هو القسـم المقدر، ينظر: شرح الكافية للرَّضي ٤/ ٤٩٢، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢١٥ وما بعدها، همع الهوامع ٢/ ٤٠٤.

(١) أنكـر الجَرْمِيُّ وابنُ السَّـرّاج وغيرُهما أن يكون الخبـر ﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾؛ لأن في ذلك تقديمَ معمـول الصلة وهـو ﴿لِعَمَلِكُم﴾، علـى الموصول وهـو «أل»، وقالوا: الخبـر محذوف، و﴿لِعَمَلِكُم﴾ متعلق بهذا الخبر المحذوف، و﴿مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾ نعت لهذا الخبر، والتقدير: لَقالٍ لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالِينَ، ينظر: الكامل للمبرد ١/ ٣٦، الأصول ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤، إعراب القرآن ٤/ ٦٢، ٦٣، التبيان للعكبري ص ١٠٠٠، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٣/ ٦٦٤، ارتشـاف الضرب ص ١٠٤٣-١٠٤٤.

(٢) فـي الأصل: «بفتح اللام واليـاء»، وهو خطأ. وهذه أيضًا قراءة أبـي جعفر وابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٤٧٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٧، ١٣٨، حجة القراءات ص ٥١٩، البحر المحيط ٧/ ٣٦، الإتحاف ٢/ ٣١٩.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ﴾. ص ١٣.

(٤) في الأصل: «التاء»، وقد صُوِّبَتْ في هامش الأصل. وهو يعني قراءة ﴿لَيْكَةَ﴾ بغير همز.

ووزنُه: «فَعْلةٌ»، ومَن خَفَض الهاءَ جَعَله معرَّفًا بالألف واللام، فخفضه لإضافة ﴿أَصْحَابُ﴾ إليه.

قال أبو عليٍّ الفارسي(١): الأَيْكة: تعريفُ أَيْكةٍ، فإذا خَفَّفْتَ الهمزةَ حَذَفْتَها وألقيتَ حركتَها على اللام، فقلتَ: الَيْكةُ، كما قالوا: الَحْمَرُ، وقَولُ مَن قال: ﴿أَصْحابُ لَيْكةَ﴾ مُشكِلٌ؛ لأنه فَتح التاءَ مع لَحاقِ الألفِ واللامِ الكلمةَ، وفي هذا امتناعٌ، كقول من قال: مَرَرْتُ بِلَحْمَرَ ففتح الآخِرَ مع لَحاق لام المعرفة.

[٤٢/ أ] وأصل(٢) ﴿أَيْكَةَ﴾ / : اسمٌ لموضع فيه شجرٌ ودَوْمٌ مُلْتَفٌّ، والدَّوم: المُقْلُ(٣)، وكان أكثرُ شجرِهم الدَّوْمَ، وجمعها: أَيْكٌ كما ترى، قال الشاعر:

٧٢ـ أفمِنْ بُكاءِ حَمامةٍ في أَيْكةٍ ... يَرْفَضُّ دَمْعُكَ فَوْقَ ظَهْرِ المِحْمَلِ(٤)

وقال جَرِيرٌ فِي الجَمْعِ:

٧٣ـ طَرِبَ الحَمامُ بِذِي الأَراكِ، فشاقَني ... لا زِلْتَ في غَلَلٍ وأَيْكٍ ناضِرِ(٥)

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٣٠، وقاله الفارسي عند قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾. الحِجْر ٧٨.

(٢) فِي الأصل: «وأصله».

(٣) الدَّوْمُ: شَجَرٌ يشبه النَّخْلَ، والمُقْلُ: ثَمَرُ ذلك الدومِ، واحدتها مُقْلةٌ، اللسان: دوم، مقل.

(٤) البيت من الكامل، لعنترة بن شداد، يهجو قيس بن زهير العبسي، ورواية ديوانه: «**ذَرَفَتْ دُمُوعُكَ...** »، ويُرْوَى: «**دَرَّتْ دُمُوعُكَ...**».

اللغة: المِحْمَل: شِقّانِ على البعير يُحْمَلُ عليهما.

التخريج: ديوانه ص ٢٤٧، مجاز القرآن ٢/ ١٧٨، جامع البيان ٢٣/ ١٥٦، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٤٦، اللسان: حمل.

(٥) البيت من الكامل.

اللغة: شاقَنِي: هيَّجَ شَوْقِي، الغَلَلُ: الماء يجري بين الشجر أو الحجارة. =

وقيل[1]: الأيكةُ: اسمُ القرية.

قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ ولم يقل: أخوهم شُعيبٌ؛ لأنه لم يكنْ من أصحابِ الأَيكة في النَّسب، فلمّا ذَكَرَ مَدْيَنَ قال: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[2]؛ لأنه كان منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ نَصْب على الحال، وقد ذكرتُ تفسيرَ نظيرِها في سورة هود والأعراف والبقرة[3]، فأغنى عن الإعادة.

قوله: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ الجِبِـلُّ: الخَلْقُ، قال الشاعر:

٧٤ ـ والموتُ أَعظَمُ حادِثٍ   مِمّا يَمُرُّ عَلَى الجِبِلَّهْ[4]

= التخريج: ديوان جرير ص ٣٠٧، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٤٦، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٨٦، تاريخ دمشق ٥٦/ ٢٤٨، العمدة ٢/ ٤٦.

(١) قال نشوان الحميري: «وحكى أبو عبيد أن لَيْكَةَ: اسم القرية التي كانوا فيها، والأَيْكَةَ: اسم البلد». شمس العلوم ١/ ٣٦٤.

(٢) الأعراف ٨٥، وهود ٨٤، والعنكبوت ٣٦.

(٣) ينظر الآية ٦٠ من سورة البقرة، والآية ٧٤ من سورة الأعراف، والآية ٨٥ من سورة هود، وكلها في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٤) البيت من مجزوء الكامل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويُرْوَى: «أَفْظَعُ حادِثٍ»، ويروى: «فِيما يَمُرُّ».

التخريج: شعر عبد الله بن معاوية ص ٧٣، تفسير غريب القرآن ص ٣٢٠، روضة العقلاء ص ٢٠٤، محاضرات الأدباء ٢/ ٤٨٣، الكشف والبيان ٧/ ١٧٨، المحرر الوجيز ٤/ ٢٤٢، مجمع البيان ٧/ ٣٤٩، زاد المسير ٦/ ١٤٢، عين المعاني ورقة ٩٤/ ب، ١١١/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ١٣٦، البحر المحيط ٧/ ٢٩، فتح القدير ٤/ ١١٥.

قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾﴾ يعني: القرآنَ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ قَرأ أهل الحجاز وأبو عَمْرو وحفصٌ بتخفيف الزاي ورَفْع الحاء والنون، يعنُون: نَزَلَ به جبريلُ عليه السّلام، وقَرأَ الباقون بالتشديد والنَّصب(١)، وهو الاختيارُ، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وهو مصدر، فمن قَرأَ بالتخفيف رَفَع الرُّوحَ بفعله، ومَن قَرأ بالتشديد فهو مفعولٌ، والفاعلُ: الله تعالى، نَزَّلَ به ربُّ العالمين الروحَ الأمينَ(٢).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً﴾ يعني القرآنَ، قَرأَ ابنُ عامر: ﴿تكُنْ﴾ بالتاء ﴿آيةٌ﴾ رفعًا(٣)، وقرأ الباقونَ بالياء ﴿ءَايَةً﴾ بالنصب على الخبر، قال الزَّجّاج(٤): قوله: ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ ﴿١٩٧﴾﴾ اسمُ «كان»، و﴿ءَايَةً﴾: خبره، والمعنى: أَوَلم يَكُنْ عِلْمُ عُلماءِ بني إسرائيلَ أَنَّ محمدًا نبيٌّ حقٌّ علامةً ودِلالةً على نُبُوَّتِهِ؟

وعلى قراءة ابن عامر قال الفَرّاء والزَّجّاج(٥): جَعَل ﴿آيةٌ﴾ هي الاسم، و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ خبر ﴿تكُنْ﴾. ووَجْه رفع ﴿آيةٌ﴾ على أنّ الاسمَ ضميرُ القصة، و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ في معرض الابتداء، و﴿آيةٌ﴾ خبر، وجعلُ المعرفة خبرًا والنكرة اسمًا ضعيفٌ وإن جاء اسمًا(٦)، قال الشاعر:

---

(١) قرأ بالتشديد والنصب أيضًا: أبو بكر عن عاصم، ينظر: السبعة ص ٤٧٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٣٨، حجة القراءات ص ٥٢١، الإتحاف ٢/ ٣٢٠.
(٢) ينظر في هذه المعاني: معاني القراءات ٢/ ٢٣٠، الحجة للفارسي ٣/ ٢٢٥-٢٢٦.
(٣) وهي قراءة عاصم الجحدري أيضًا، ينظر: السبعة ص ٤٧٣، الإتحاف ٢/ ٣٢٠-٣٢١.
(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠١.
(٥) هذا معنى قولهما، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٣، معاني القرآن وإعرابه للزَّجّاج ٤/ ١٠١.
(٦) هذا الكلام متعلق بتوجيه الفرَّاء والزَّجّاج لقراءة ﴿أَوَ لم تكُنْ لَهُمْ آيةٌ﴾، وقد أجاب بعضهم على ذلك بأن اسم ﴿تكُنْ﴾ وإن كان نكرة إلا أنه تخصص بالجار والمجرور «لهم»، وفي القراءة وجوه أخرى، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٠١، الفريد للمنتجب الهمداني ٣/ ٦٦٦، ارتشاف الضرب ص ١٠٤٣، الدر المصون ٥/ ٢٨٧.

٧٥ ـ كأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ دارِ عُرْسٍ يكُونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ[١]

قولُه تعالى: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ﴾ يعني: القرآنَ ﴿عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ١٩٨﴾ هو: جمع الأعجَميِّ[٢]، وقيل[٣]: / هو: جمعُ أَعْجَمَ، يقال: رَجُلٌ أَعْجَمُ وأَعْجَمِيٌّ أيضًا: إذا كان في لسانه عُجْمةٌ.

وقال صاحبُ إنسان العَيْن[٤]: ﴿ٱلۡأَعۡجَمِينَ﴾ كالأَشْعَرِينَ والنُّمَيْرِينَ، وليس كما توهَّم الزَّجّاج أنه جَمْع أَعْجَمَ[٥]، فإنه لا يقال: أَحْمَرُونَ، والأَعْجَمِيُّ:

---

(١) البيت من الوافر لحسان بن ثابت من قصيدة يمدح بها النبي ﷺ، ويهجو أبا سفيان بن الحارث، ورواية الديوان:

كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ*

ويروى: «كَأَنَّ سُلافَةً... »، وخبر «كَأَنَّ» جاء في البيت التالي، وهو قوله:

عَلَى أَنْيابِها أَوْ طَعمُ غَضٍّ مِنَ التُّفّاحِ هَصَّرَهُ اِجْتِناءُ

ونسب للنابغة الذبيانِيِّ، وهو في ملحق ديوانه.

التخريج: ديوان حسان ص ٧١، ملحق ديوان النابغة ص ٢٢٧، الكتاب ١/ ٤٩، ٤/ ٩٢، معاني القرآن للفرَّاء٣/ ٢١٥، المقتضب ٤/ ٩٢، الكامل ١/ ١٢٦، إعراب القرآن للنَّحاس ٢/ ١٨٧، شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨، إعراب القراءات السبع ١/ ٢٢٧، ٢/ ١٣٩، المحتسب ١/ ٢٧٩، الحلل ص ٤٦، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٠٣، شرح المفصل ٧/ ٩١، ٩٣، عين المعاني ورقة ٩٥/ أ، شرح الكافية للرضي ٤/ ١٩٠، ٢٠٦، اللسان: جني، رأس، سبأ، مغني اللبيب ص ٥٩١، ٩١١، ارتشاف الضرب ص ١١٧٨، ٢٣٧٣، ٢٤٥٢، شرح شواهد المغني ص ٨٤٩، الخزانة ٩/ ٢٢٤، ٢٣١، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٣.

(٢) في الأصل: «الأعاجم».

(٣) هذا قول الزَّجّاج. ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٢.

(٤) ينظر قوله في عين المعاني ورقة ٩٥/ أ.

(٥) قال الزَّجّاج: «الأَعْجَمِينَ: جمع أَعْجَمَ، والأنثى: عَجْماءُ، والأعجم: الذي لا يُفْصِحُ، وكذلك الأعجمي». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٢.

هو الذي لا يُفْصِحُ ولا يُحْسِنُ العربيةَ، وإن كان منسوبًا إلى العرب، وجَمْعه: عُجْمٌ، وتأنيثُه عَجْماءُ، ومنه قيل للبهائم: عُجْمٌ؛ لأنها لا تتكلَّم، قال النبيُّ ﷺ: «العَجْماءُ جُرْحُها جُبارٌ»(١)، فإذا أردتَ أنه منسوبٌ إلى العَجَمِ قلت: عَجَمِيٌّ.

قال الفَرّاء(٢): الأعجَميُّ: منسوبٌ إلى نفسه من العُجْمةِ، كما قالوا للأَحْمَرِ: أَحْمَرِيٌّ، وكقوله:

٧٦ ـ والدَّهْرُ بالإنسانِ دَوّارِيُّ(٣)

وإنما هو: دَوّار.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾؛ أي: من أهل قريةٍ بالعذاب في الدنيا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٨/ ٤٦ كتاب الديات: باب «المعدن جبار»، ورواه مسلم في صحيحه ٥/ ١٢٧ كتاب الحدود: باب «جرح العجماء جبار».

(٢) قال الفرَّاء: «الأعجمي: المنسوب إلى أصله إلى العَجَمِ وإن كان فصيحًا، ومن قال: أَعْجَمُ قال للمرأة: عَجْماءُ إذا لم تُحْسِنْ العربيةَ، ويجوز أن تقول: عَجَمِيٌّ تريد: أَعْجَمِيٌّ، تنسبه إلى أصله». معاني القرآن ٢/ ٢٨٣، والرجز ليس في معاني القرآن.

(٣) الرجز للعجاج، وقبله:

أَطَرَبًا وأنْتَ قِنَّسْرِيُّ؟

اللغة: الطَّرَبُ: خفة تعتري الإنسان عند السرور أو الحزن، القِنَّسْرُ والقِنَّسْرِيُّ: الكبير المُسِنُّ، الدَّوّارِيُّ: الدهر الدائر بالإنسان أحوالًا، والمعنى: أَتَطْرَبُ إلى اللهو طربَ الشبان وأنت شيخ مسنٌّ؟

التخريج: ديوانه ص ٢٤٧، الكتاب ١/ ٣٣٨، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١١٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٢، المحتسب ١/ ٣١٠، الخصائص ٣/ ١٠٤، المنصف ٢/ ١٧٩، عين المعاني ورقة ٩٥/ أ، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٨١، اللسان: دور، قسر، قعسر، قنسر، مغني اللبيب ص ٢٦، ٨٩٢، شرح شواهد المغني ص ٧٢٢، خزانة الأدب ٦/ ٥٤٠، ١١/ ٢٧٥.

﴿إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ۝٢٠٨ ذِكْرَىٰ﴾ أي: تذكِرةً، محَلُّها نَصْبٌ على الحال عندَ الكِسائي(١)، وعلى المصدر عند الزَّجّاج والفَرّاء(٢)، ولا يتبيَّن فيها الإعراب؛ لأنّ فيها ألفًا مقصورًا، ويجوز: «ذِكْرًا» بالتنوين(٣)، وقيل(٤): محَلُّها رفع؛ أي: تلك ذِكرى، يعني: موعظةً وتذكيرًا، ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٠٩﴾ فنُعَذِّبَ على غير ذنب، ونعاقبَ من غير تذكيرٍ وإنذار.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ وذلك حين دُعي النبيُّ ﷺ إلى دين آبائه، ومعناه: فلا تعبُدْ مع الله إلهًا آخَر ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾ قال ابن عباس: يُحَذِّرُ به غيرَهُ، يقول: أنت أكرمُ الخلق عَلَيَّ، ولو اتَّخذتَ من دوني إلَهًا لَعَذَّبْتُكَ، ونَصب ﴿فَتَكُونَ﴾ على جوابِ النهي بالفاء، كقوله تعالى: ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾(٥).

قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾؛ أي: رَهْطَكَ الأَدْنَيْنَ، وهم بنو هاشم، وبنو عبد المطَّلب خاصةً، أي: حَذِّرْهُمْ عذابَ الله وعقوبتَه.

---

(١) ينظر قول الكسائي في إعراب القرآن ٣/ ١٩٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٢، البيان للأنباري ٢/ ٢١٧، البحر المحيط ٧/ ٤٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ١٠٢، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢/ ٢٨٤.

(٣) قاله الزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٣، إعراب القرآن ٣/ ١٩٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٢، وهذا إنما يجوز في غير القرآن، وأما في القرآن فلم يُقْرَأْ به.

(٤) هذا قول آخر للفرَّاء والزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٢، إعراب القرآن ٣/ ١٩٤، وفيه أوجه أخرى تنظر في: الكشاف ٣/ ١٣٠، عين المعاني ورقة ٩٥/ أ، الدر المصون ٥/ ٢٩١.

(٥) طه ٦١.

فصلٌ

عن أَبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ حين أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، فقال: «يا معشرَ قُريش! اشْتَرُوا أنفسَكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مَناف! لا أُغْنِي عنكم من الله شيئًا، يا عباسُ بنَ عبد المطَّلب! لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا صفيّةُ عمةَ رسول الله! لا أُغني عنك من الله شيئًا، يا فاطمةُ بنتَ محمد! سَلِينِي ما شئتِ لا أغني عنكِ من الله شيئًا»[١]، رواه البخاري عن أبي اليمان[٢]، ورواه مسلم عن حَرْمَلة[٣]، عن ابن وهب[٤]، عن يونس[٥]، عن الزهري[٦].

---

(١) صحيح البخاري ٣/ ١٩٠ كتاب الوصايا: باب «هل يدخل النساء والولد في الأقارب»، ٦/ ١٧ كتاب التفسير: سورة الشعراء، صحيح مسلم ١/ ١٣٣ كتاب الإيمان: باب في قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾.

(٢) هو الحكم بن نافع، أبو اليمان البَهْرانِيُّ الحمصي، محدث من شيوخ البخاري وابن حنبل، روى عن صفوان بن عمرو وأرطاة بن المنذر، ولد بحمص، وبها توفِّي سنة (٢٢٢هـ). [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣١٩، الأعلام ٢/ ٢٦٧].

(٣) حرملة بن يحيى بن عبد الله، أبو عمران التُّجِيبِيُّ الفقيه تلميذ الشافعي، محدث ثقة صدوق، روى عنه مسلم وابن ماجه، وتوفِّي بمصر سنة (٢٤٣هـ)، من كتبه: المبسوط، المختصر. [سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٨٩، الأعلام ٢/ ١٧٤].

(٤) هو: عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري بالولاء، أبو محمد المصري القارئ الفقيه، صاحب مالك، حافظ ثقة، أخذ القراءة عن نافع، توفي بمصر سنة (١٩٧هـ). [غاية النهاية ١/ ٤٦٣، الأعلام ٤/ ١٤٤].

(٥) هو: يونس بن يزيد بن أبي النجاد، أبو يزيد الأَيْلِيُّ، مولى معاوية بن أبي سفيان، ثقة مكثر من الرواية، توفِّي بمصر سنة (١٥٩هـ)، وقيل غير ذلك. [سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٧-٣٠١، تهذيب التهذيب ١١/ ٣٩٥].

(٦) هو: محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، أبو بكر الزهري، أَوَّلُ من دَوَّنَ الحديث وأحد =

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: لَمّا نزلت: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ صَعِدَ رسولُ الله ﷺ على الصَّفا، فقال: / «يا صَباحاهُ»[١]، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: «أَرَأَيْتَكُم إن أخبرتُكم أن العدو مُصْبِحكم أو مُمْسِيكم ما كنتم تصدقونني؟» قالوا: بلى، قال: «فإنِّي نذيرٌ لكُم بَيْنَ يَدَيْ عذابٍ شديد»، قال أبو لَهَبٍ: تَبًّا لك، ألهذا دعوتَنا جميعا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[٢] إلى آخرها[٣]. رواه مسلم عن أبي كُريب[٤]، ورواه البخاري عن عمر بن حفص ابن غِياث[٥] عن الأعمش. [٤٣/ أ]

قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾ يعني: شعراءَ المشركين ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤﴾. قرأه العامة: ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾ بالتشديد، وقرأ نافع بالتخفيف[٦]،

= أكابر الحفاظ والفقهاء، من أهل المدينة، نزل الشام وتوفِّي بفلسطين سنة (١٢٤هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٢٦، الأعلام ٧/ ٩٧].

(١) يا صباحاه: منادى مستغاث، وهذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، فكأن معناها: قد غشينا العدو، ينظر: النهاية لابن الأثير ٣/ ٦، ٧، اللسان: صبح، فتح الباري ٦/ ١١٤.

(٢) المسد ١.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٢٩، ٩٤، ٩٥ كتاب التفسير: سورة سبأ، وسورة ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾، صحيح مسلم ١/ ١٣٤ كتاب الإيمان: باب في قوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾.

(٤) هو محمد بن العلاء بن كريب الهمدانِيُّ الكوفِيُّ، قارئ ثقة حافظ، روى القراءة عن أبي بكر ابن عياش، روى عنه الأئمة الستة، توفِّي سنة (٢٤٨هـ). [غاية النهاية ٢/ ١٩٧، سير أعلام النبلاء ١١/ ٣٩٤-٣٩٨].

(٥) في الأصل: «عمر بن حفص عن غياث»، والصواب ما أثبت، وهو عمر بن حفص بن غياث ابن طَلْقِ بن معاوية النخعي، أبو حفص الكوفي، محدث ثقة صدوق، روى عن أبيه وعن أبي بكر بن عياش، وروى عنه البخاري ومسلم، توفِّي سنة (٢٢٢هـ). [سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٣٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٣٨١، ٣٨٢].

(٦) وهي أيضًا قراءة أبي عبد الرحمن السلمي والحسن وشيبة، ينظر: السبعة ص ٤٧٤، إعراب القراءات=

و﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾: رفع بالابتداء، ومن قرأ بالنصب[١] نصبه بإضمار ما بعده، تقديره: ويتبعُ الشعراءَ يتبعهم الغاوون.

ثم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ يقال: هامَ يَهِيمُ هَيَمانًا وهَيْمًا: إذا ذهب على وجهه، قال ابن عباس: في كل فن من الكذب يتكلمون، وفي كل لغو يخوضون ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآيةَ، استثنى اللهُ شعراءَ المؤمنين، وهم: حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير، من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وهم شعراء الكفار: عبد الله بن الزِّبَعْرَى المخزومي وهُبيرة بن أَبي وهب[٢] ومُسافع بن عبد مناف[٣] وعمرو بن عبد الله أبو عَزّة الجُمحي[٤] وأمية بن أَبي الصلت، كانوا يهجون النبي ﷺ فيتبعهم الناس، فأنزل الله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ...﴾ الآية، وقيل: أراد بالغاوين: الشياطين، دليله قوله تعالى: ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾[٥].

= السبع ٢/ ١٤١، تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٢، البحر المحيط ٧/ ٤٦، الإتحاف ٢/ ٣٢٢.

(١) قرأ بالنصب عيسى بن عمر، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٠٩، عين المعاني ورقة ٩٥/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٢.

(٢) هو: هبيرة بن جعدة بن عمرو المخزومي، فارس قريش وشاعرها في الجاهلية، هجا الرسول والمسلمين، ومات كافرًا بنجران بعد الفتح. [طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٥، أنساب الأشراف ص ٤١، ٤٢].

(٣) في الأصل: «شافع» وهو خطأ، وهو شاعر من قريش خرج معهم يوم أحد وقال شعرًا يرثي به عمرو بن عبد ودٍّ. [سيرة ابن هشام ٣/ ٥٨٢، المنمق ص ٤٠٣، معجم ما استعجم ص ١٣٩٩].

(٤) في الأصل: «وأبو عزة... » بالواو، وأبو عزة: شاعر من أهل مكة، أدرك الإسلام ولم يسلم، أُسِرَ يوم بدر، ثم أُسِرَ يوم أحد، فأمر الرسول بقتله؛ لأنه قال شعرًا يُحَرِّض فيه على المسلمين. [طبقات فحول الشعراء ص ٢٣٤، الأعلام ٥/ ٨٠، ٨١].

(٥) الصافات ٣٢.

فصل

عن كعب بن مالك، قال: قلت: يا رسول الله: ماذا تقول في الشعر؟ فقال ـ عليه السّلام ـ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لَكأَنَّهُم يَنْضَحُونَهم بالنَّبْل»[١].

وعن أُبي بن كعب، قال: قال رسول ﷺ: «إن من الشِّعْرِ لَحِكْمةً»[٢].

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها كانت تقول: «الشعر كلام، فمنه حسن ومنه قبيح، فخُذِ الحسنَ ودَع القبيحَ»[٣]، وعن الشعبي قال[٤]: كان أبو بكر يقول الشعرَ، وكان عُمَرُ يقول الشعرَ، وكان عَلِيٌّ أَشْعَرَ الثلاثة.

وعن حسان بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «اهْجُهُم ـ أو: هاجِهِم، ورُوحُ القُدُسِ معك»[٥]، فقال حسان بن ثابت لأبي سفيان[٦] مُجِيبًا عن النَّبِيِّ عليه السّلام:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٦، ٦/ ٣٨٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٣٩ كتاب الشهادات: باب شهادة الشعراء، وينظر: المعجم الكبير ١٩/ ٧٦، كنز العمال ٣/ ٥٨٠، ٨٦٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٦، ٥/ ١٢٥، والبخاري في صحيحه ٧/ ١٠٧ كتاب الأدب: باب ما يجوز من الشعر، والدارمي في سننه ٢/ ٢٩٧ كتاب الاستئذان: باب في «إن من الشعر حكمة».

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ١٨٥، وينظر: فتح الباري ١٠/ ٤٤٥، كنز العمال ٣/ ٥٧٧.

(٤) ينظر: الوسيط ٣/ ٣٦٦، تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٢٠، أنساب الأشراف ص ١٥٢، البداية والنهاية ٨/ ٩.

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٩٩، ٣٠٢، والبخاري في صحيحه ٥/ ٥١ كتاب المغازي: باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ٧/ ١٠٩ كتاب الأدب: باب هجاء المشركين، ومسلم في صحيحه ٧/ ١٦٣ كتاب فضائل الصحابة: باب فضائل حسان بن ثابت.

(٦) هو: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، اسمه المغيرة، ابن عم الرسول، وأخوه من =

٧٧ـ هَجَوتَ مُحَمَّدًا فأَجَبتُ عنهُ ... وعِندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
هَجَوتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا ... أَمينَ اللهِ شيمتُهُ الوفاءُ
[٤٣/ ب] / فإنَّ أَبي ووالدتي وعِرضي ... لِعِرضِ مُحمَّدٍ منكُم وِقاءُ
أَتَهجوهُ ولستَ لهُ بِكُفءٍ ... فشرُّكما لخيرِكما الفِداءُ
فمَن يَهجو رسولَ اللهِ مِنكُمْ ... ويَمدَحُهُ ويَنصُرُهُ سَواءُ
لِساني صارِمٌ لا عَيبَ فيهِ ... وبَحري لا تُكَدِّرُهُ الدِّلاءُ(١)

وهذه الأبيات في قصيدة له، أنشدها قبل فتح مكة.

قوله: ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ يعني: شعراء المؤمنين لم يشغَلْهم الشعر عن ذكر الله تعالى، ولم يجعلوا الشعر هَمَّهُمْ، و﴿كَثِيرًا﴾: نعت لمصدر محذوف، تقديره: وذكروا الله ذِكْرًا كثيرًا ﴿وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ قال مقاتل: انتصروا من المشركين؛ لأنهم بَدَءُوا بالهجاء.

ثم أَوْعَدَ شعراءَ المشركين، فقال: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ يعني: الذين أشركوا وهَجَوْا رسول الله ﷺ والمؤمنين ﴿أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ٢٢٧﴾ يعني: أيَّ مَرْجِعٍ يرجِعون إليه بعد مماتهم، قال ابن عباس: إلى جهنم والسعير، يعني: أنهم ينقلبون إلى نار جهنم يخلدون فيها.

= الرضاع، كان يهجو الرسول ﷺ والمؤمنين، ثم أسلم وثبت مع الرسول يوم حنين، توفِّي سنة (٢٠هـ). [الإصابة ٧/ ١٥١، الأعلام ٧/ ٢٧٦].

(١) الأبيات بترتيب مختلف في ديوان حسان ص ٧٦، وينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٨٧٨، ٨٧٩، المقتضب ٢/ ١٣٥، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٦٣، إعراب القرآن للنَّحاس ٢/ ٣٥٣، ٣/ ١٥٤، ٢١٧، الاقتضاب ٢/ ١٩، ٣/ ٣٦، ٣٧، عين المعاني ورقة ٩٥/ أ، شرح شواهد المغني ص ٨٥٠.

و﴿أَيِّ﴾: منصوب بقوله: ﴿يَنقَلِبُونَ﴾ لا بقوله: ﴿سَيَعْلَمُ﴾؛ لأنه اسم أقيم مقام المصدر[١]، تقديره: ينقلبون انقلابًا، تقدم المصدر على الفعل، والنحويون يقولون: ﴿مُنقَلَبٍ﴾: ظرف أو مصدر لـ﴿يَنقَلِبُونَ﴾، ولا يعمل في الاستفهام ما قبله، والعلة في ذلك أن الاستفهام معنًى، وما قبله معنًى آخر، فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعضُ المعاني في بعض[٢]، والله أعلم.

* * *

(١) أقيم مقام المصدر لأنه أضيف إلى المصدر وهو ﴿مُنقَلَبٍ﴾، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٤٧.
(٢) من أول قوله: «ولا يعمل في الاستفهام ما قبله» قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ١٩٦.

سورةُ النمل
مكّية

وهي أربعة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفًا، وألفٌ ومائة وتسع وأربعون كلمةً، وثلاث وتسعون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ «طس سليمان» كان له من الأجر عشر حسنات، بِعَدَدِ مَن صَدَّقَ بسليمان عليه السّلام، وكَذَّبَ به، وهودٍ وشعيبٍ وصالحٍ وإبراهيمَ صلى الله عليهم أجمعين، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا اللهُ محمد رسول الله ﷺ»[١].

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة سليمان عليه السّلام استغفر له كلُّ شيء خلقه الله بيده، وقال له: كن فكان، سوى الثقلين، وقَبِلَ اللهُ استغفارَهم له»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب



/ قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿طسٓ﴾ قال ابن عباس[٣]: هو اسمٌ من أسماء الله [٤٤/ أ]

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٨٨، الوسيط ٣/ ٣٦٨، الكشاف ٣/ ١٦٤، مجمع البيان ٧/ ٣٦١.

(٢) لم أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ١٩/ ١٦٠، الكشف والبيان ٧/ ١٨٨.

ـ عزّ وجلّ ـ أقسم به على أن هذه السورة ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ يعني: وآياتُ كتابٍ مبينٍ، وقيل: الطاء من اللطيف، والسين من السميع، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن، وقال مجاهد في الحروف المقطَّعة[1]: هي فواتحُ يَفتَتِحُ اللهُ بها القرآنَ، وليست من أسمائه.

قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ بيان: من الضلالة لِمَن عمل به، وبُشْرَى: بما فيه من الثواب للمصدِّقين به أنه من عند الله.

وفي محلهما من الإعراب وجهان، أحدهما: الرفع على خبر الابتداء، أي: هو هُدى، وإن شئت على حذف حرف الصفة، [أي: فيه هدى، ويجوز أن يكون الخبر] [2] في قوله تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، والثاني: النصب على القطع والحال، ويحتمل أن يكون نصبًا على المصدر، تقديره: يَهْدِي هُدًى، ويُبَشِّرُ بُشْرَى[3].

ثم نَعَت المؤمنين، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ۝٣﴾ الآية، وفي محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من الإعراب ثلاثة أوجه، أحدها: الخفض على النعت، والثاني: النصب على المدح، والثالث: الرفع على خبر ابتداءٍ محذوف، تقديره: هم الذين.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ يعني: الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿وَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾ فـ﴿هُمْ﴾ الأولى: رفع بالابتداء، والثانية: ابتداء وخبر، و﴿ٱلْأَخْسَرُونَ﴾: خبر ابتداء الثاني، وهما خبر ابتداء الأول.

---

(١) ينظر قوله في الوسيط ٣/ ٣٦٨.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق من تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٥، ويعني المؤلف بحرف الصفة حرف الجر، ومعنى حذفه أن ﴿هُدًى﴾: فاعل بالجار والمجرور على مذهب الكوفيين والأخفش.

(٣) ينظر في هذه الأوجه وغيرها: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٧، الكشاف ٣/ ١٣٥، الفريد ٣/ ٦٧١، ٦٧٢، البحر المحيط ٧/ ٥١، الدر المصون ٥/ ٢٩٤، ٢٩٥.

قولـه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾؛ أي: يُلْقَى عليك القرآنُ وحيًا ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾؛ أي: من عند الله الحكيم العليم، ونصب القرآن على الخبر للفعل المجهول[١].

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ يعني: في مَسِيرِهِ من مَدْيَنَ إلى مِصْرَ، وقد أَصْلَدَ زَنْدُهُ[٢]، قال الزَّجّاج[٣]: موضع ﴿إِذْ﴾ نصب، والمعنى: اذكر إذ قال موسى؛ أي: اذكر قصته إذْ قال لأهله، يعني: لامرأته ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾؛ أي: أَحْسَسْتُ، والإيناس: إِحْساسُ مَأْنُوسٍ به، وقيل[٤]: أبصرتُ نارًا، فامكثوا مكانكم، ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ منونًا على البدل من ﴿شِهابٍ﴾، ويحتمل أن يكون نعتًا له، تقديره: بشهابٍ مَقْبُوسٍ، وقرأ غيرهم بالإضافة[٥]، وهو الاختيار.

ووَجْه قراءة من قرأ بالتنوين أنه بمنْزِلة ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[٦]، ووجه الإضافة أنه بمنْزِلة «دارُ آجُرٍّ»، قال الزَّجّاج[٧]: مَن نَوَّنَ جعل القَبَسَ من صفة الشهاب.

---

(١) يعني أنه مفعولٌ ثانٍ للفعل المبني للمجهول، والمفعول الأول هو نائب الفاعل، الذي هو الضمير المستتر، وتقديره: أنت.

(٢) الزَّنْدُ والزَّنْدةُ: خَشَبَتانِ يُسْتَقْدَحُ بِهِما، فالسفلى: زَنْدةٌ والأعلى: زَنْدٌ، ويقال: صَلِدَ الزَّنْدُ يَصْلَدُ صَلْدًا وأَصْلَدَ: صَوَّتَ ولم يُخْرِجْ نارًا. اللسان: زند، صلد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٨.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٩٢، وينظر أيضًا: جامع البيان ١٩/ ١٦٢، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١١٤.

(٥) قرأ بالإضافة: ابنُ عامر وأبو عمرو ونافع وابن كثير والحسن وأبو جعفر، ينظر: السبعة ص٤٧٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٣، حجة القراءات ص ٥٢٣، البحر المحيط ٧/ ٥٣، الإتحاف ٢/ ٣٢٣.

(٦) الصافات ١٠.

(٧) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٨.

ومن أضاف فقال الفرّاء[١]: هو مما يضاف إلى نفسه إذا اختلف الاسمان، كقوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾[٢].

ومعناه: سآتيكم بشعلة من نار أقتبسها منه، والشهاب: كل ذي / نور، [٤٤/ ب] نحو الكواكب والعود المُوقَدِ، والقبس: اسمٌ لِما يُقْتَبَسُ من الجَمْرِ وما أشبهه، والمعنى: بشهاب من قبس، يقال: قَبَسْتُ قَبْسًا، والاسم: القَبَسُ، كما يقال: قَبَضْتُ قَبْضًا، والاسم: القَبَضُ[٣]، ويجوز: بشهابٍ قبسًا في غير القرآن، على أنه مصدر أو بيان أو حال[٤].

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾؛ أي: لكي تستدفئوا من البرد، وكان ذلك في شدة الشتاء، يقال: صَلِيَ بالنّار، واصطلى بها: إذا اسْتَدْفَأَ، وأصل الطاء تاءٌ، فأبدل منها طاءً؛ لأن الطاء مطبِقة، فكان الجمع بينهما حسنًا.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؛ أي: بورِكَ على مَن في النار، أو فيمن في النار، قال الفراء[٥]: والعرب تقول: بارَكَهُ اللهُ، وبارَكَ عليه، وبارَكَ فيه بمعنًى واحد. والتقدير: مَن في طَلَبِ النار، وهو موسى، فحذف المضاف[٦].

وهذا تَحِيّةٌ مِن الله تعالى لِمُوسَى ـ عليه السّلام ـ بالبركة، كما حَيّا إبراهيمَ

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٨٦.

(٢) يوسف ١٠٩، والنحل ٣٠.

(٣) قاله ابن قتيبة والنَّحاس، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٢٢، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١١٥، والقَبَضُ: ما قُبِضَ من الأموال، والقَبْضُ: ما جُمِعَ من الغنائم، ينظر: تهذيب اللغة ٨/ ٣٥٠، تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٧.

(٤) قاله القرطبي في تفسيره ١٣/ ١٥٧، ولم يقرأ أحد بالنصب.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٨٦.

(٦) ينظر: الوسيط للواحدي ٣/ ٣٦٩، البيان للأنباري ٢/ ٢١٩.

عليه السّلام بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه، فقالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[1]، وقيل[2]: ﴿مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ هم الملائكة، وذلك أن موسى ـ عليه السّلام ـ رأى نورًا عظيمًا، وكان فيه ملائكة لهم زَجَلٌ بالتسبيح والتقديس، ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ هو موسى عليه السّلام؛ لأنه كان بالقرب منها، ولم يكن فيها، والله تعالى نادى موسى لَمّا توجَّه إلى النار بأنه قد بارك فيه وفي الملائكة الذين كانوا في ذلك النور الذي رآه موسى عليه السّلام.

وقال صاحب إنسان العين في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3]: قيل: أراد موسى الذي هو في أمر النار وطلبها، يقال: فيم أنت؟ أي: ما تَطْلُبُ؟ قال الشاعر:

٧٨ـ فبُورِكْتَ مولُودًا، وبُورِكْتَ ناشِئًا   وبُورِكْتَ عِنْدَ الشَّيبِ إذْ أنتَ أَشْيَبُ[4]

وقيل: أراد الملائكةَ كما ذكرنا، وقيل: أراد اللهَ سبحانه، والمراد: أَمْرُهُ وكلامُهُ، يقال: قَطَعَ الأميرُ اللصَّ؛ أي: أَمَرَ بقطعه، وقيل: «مَنْ» بمعنى «ما»، يعنى: النور الذي في النار. و«حَوْلَها»: منصوب على الظرف.

ثم نَزَّهَ نَفْسَهُ، فقال: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾﴾، ثم أخبر اللهُ موسى عن نفسه، وتَعَرَّفَ إليه بصفاته وذاته فقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ الهاء في قوله: ﴿إِنَّهُۥٓ﴾: عماد، وليست بكناية، وهو اسم لا يظهر،

(١) هود ٧٣.
(٢) ذكره النَّحاس بغير عزو في معاني القرآن ٥/ ١١٦.
(٣) عين المعاني ورقة ٩٥/ ب.
(٤) البيت من الطويل، للكميت بن زيد من إحدى هاشمياته يمدح النبي ﷺ.
التخريج: ديوانه ٤/ ١٨٧، الكشف والبيان ٧/ ١٩٠، تاريخ دمشق ٥٠/ ٢٣٦، ٢٣٩، تفسير القرطبي ١٣/ ١٥٨، البحر المحيط ٧/ ٥٤، الدر المصون ٥/ ٢٩٦.

قاله الفراء[1]، وقيل: الكناية في ﴿إِنَّهُۥ﴾ هو ضمير الشأن والأمر؛ أي: إن الشأن والأمر أن المعبود أنا.

ثـم أراه آيةً على قدرته ليشـاهد من قـدرة الله ما لم يشـاهده قَبْلُ، وهو قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾ وفي الآية محذوف تقديره: فألقاها فصارت حيةً[2] ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا / جَآنٌّ﴾ قال الزجاج[3]: صارت العصا تتحرك كما يتحرك الجانُّ، وهو الحية الأبيض. [٤٥/ أ]

وإنما شَبَّهَها بالجانِّ في خفة حركتها، وشَبَّهَها فِي موضع آخرَ[4] بالثعبان لِعظَمِها[5] ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ خوفًا من الحية، ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴿١٠﴾﴾؛ أي: ولم يَرْجِعْ[6]، يقال: عَقَّبَ فـلان: إذا رَجَعَ، وكل راجِع مُعَقِّبٌ، وقيل[7]: معناه: ولم يلتفت، وقيل: معناه: ولم يُقْبِلْ بعد أن وَلَّى، قال الشاعر:

---

(١) معانـي القـرآن ٢/ ٢٨٧، يعني الفـرَّاءُ بالعماد: ما يُسَـمَّى عند البصريين بضمير الشـأن، وهذه التسمية اسـتعملها الفرَّاء وحده من الكوفيين، أما جمهورهم فقد استعملوا مصطلح المجهول، ينظر: مصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ٤٧، ٤٨.

(٢) قالـه الطبري فـي جامع البيـان ١٩/ ١٦٥، وينظر: الوسـيط للواحدي ٣/ ٣٦٩، تفسـير القرطبي ١٣/ ١٦٠، البحر المحيط ٧/ ٥٥.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٠٩.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾. الأعراف ١٠٧، والشعراء ٣٢.

(٥) هذا القول حكاه الأزهري عن ثعلب في التهذيب ١٠/ ٤٩٦، وينظر: الوسـيط ٣/ ٣٦٩، اللسان: جنن.

(٦) قالـه مجاهد وأبو عبيدة وابـن قتيبة، ينظر: مجاز القـرآن ٢/ ٩٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٢٢، جامـع البيـان ١٩/ ١٦٦، وينظر: معاني القرآن وإعرابه٤/ ١٠٩، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١١٧، تهذيب اللغة ١/ ٢٧٣.

(٧) قاله سـفيان وقتادة والفرَّاء والنَّحاس، ينظر: معانـي القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٨٧، إعراب القرآن ٣/ ١٩٩، تهذيب اللغة ١/ ٢٧٣.

٧٩ ـ طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ[1]

ونصب ﴿مُدْبِرًا﴾ على الحال.

ثم أراه آيةً أخرى، فقال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ يعني: جَيْبَ المِدْرَعةِ[2] من قِبَلِ صدره، وكانت المِدْرَعةُ مِصْرِيّةً، وقيل[3]: معنى ﴿فِي جَيْبِكَ﴾؛ أي: في قميصك، ولهذا سُمِّيَ القميصُ جَيْبًا؛ لأنه يُجابُ؛ أي: يُقْطَعُ، فكل شيء قطعتَه فقد جَيَّبْتَهُ، فأَدْخَلَ يَدَهُ في جيبه ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، فذلك قوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: بَرَصٍ وآفةٍ، ومحل ﴿بَيْضَاءَ﴾ نصب على الحال.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ يعني: مضيئة بَيِّنةً واضحة، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[4]، وهو منصوب على الحال، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا﴾؛ أي: هذا الذي نراه عِيانًا ﴿سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا﴾ يعني بالآيات، ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أنها من عند الله، وأنها ليست بسحر

---

(١) هذا عجز بيت من بحر الكامل، للبيد بن ربيعة يصف حمارًا وأَتانَه، وصدره:

حَتّى تَهَجَّرَ فِي الرَّواحِ وَهاجَهُ

اللغة: التهجير: السير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر، الرواح: السير بعد الزوال، هاجَهُ: أَثارَهُ، المُعَقِّبُ: الذي يَتْبَعُ حَقًّا له يَسْتَرِدُّهُ.

التخريج: ديوانه ص ١٥٥، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٦٦، أمالي ابن الشجري ١/ ٣٤٧، ٢/ ٢٢٣، الإنصاف ص ٢٣٢، شرح شواهد الإيضاح ص ١٣٣، شرح المفصل ٢/ ٢٤، ٤٦، ٦/ ٦٥، ٦٦، عين المعاني ورقة ٩٥/ ب، شرح الكافية للرَّضي ١/ ٣٤٣، ٣/ ٤٨١، اللسان: عقب، خزانة الأدب ٢/ ٢٤٢، ٢٤٥، ٨/ ١٣٤.

(٢) المِدْرَعةُ: ثوب من صوف مشقوقٌ من المُقَدَّم. اللسان: درع.

(٣) قاله قتادة، ينظر: الوسيط ٣/ ٣٧٠، البحر المحيط ٧/ ٥٦.

(٤) الإسراء ٥٩.

﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴿١٤﴾﴾ قال الزَّجّاج[١]: التقدير: وجحدوا بها ظلمًا وعلوًّا؛ أي: شِرْكًا وتكَبُّرًا، وهما منصوبان على الحال مثل: أَحْمَدُ اللهَ شُكْرًا، وقيل: هما مصدران في موضع الحال[٢].

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وهو وادٍ بالشام معروفٌ عند العرب[٣]، وقال كعب[٤]: هو بالطائف، ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ عَرْجاءُ تُسَمَّى مُنْذِرةً، لها جناحان: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ كان وجه الكلام أن يقول: ادخلي مَسْكَنَكِ، فلما خاطبها بفعل الآدمِّيين أجرى فعلها كفعل الآدميين المُمَيِّزِينَ؛ لاختصاصها بخاصيّة الآدمِّيين[٥] كقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾[٦]، وقد جاء: أكلوني البراغيث، وقرأ أُبَيٌّ: ﴿ادْخُلْنَ مَساكِنَكُنَّ﴾[٧]، ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١.

(٢) والمعنى: جَحَدُوا بِها ظالِمِينَ وعالِينَ، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٠٦، الفريد للهمداني ٣/ ٦٧٦، الدر المصون ٥/ ٣٠٠.

(٣) قاله قتادة ومقاتل، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٩٧، الوسيط ٣/ ٣٧٣، عين المعاني ورقة ٩٥/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٩.

(٤) قول كعب الأحبار في الكشف والبيان ٧/ ٩٧، الوسيط ٣/ ٣٧٣، تفسير القرطبي ١٣/ ١٦٩.

(٥) وخاصِّيّةُ الآدميين هنا هي الكلام والخطاب، قال سيبويه: «وأما ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ و﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ﴾ و﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ﴾ فزعم [يعني الخليل] أنه بمنزلة ما يعقل ويسمع لَمّا ذَكَرَهُمْ بالسجود، وصار النمل بتلك المنزلة حين حَدَّثْتَ عنه كما تُحَدِّثُ عن الأناسيِّ... فجاز هذا حيث صارت هذه الأشياء عندهم تُؤْمَرُ وتُطِيعُ، وتفهم الكلام وتَعْبُدُ بِمَنْزِلةِ الآدميين». الكتاب ٢/ ٤٧، ٤٨، وينظر أيضًا: معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٥، معاني القرآن للأخفش ص ٩٠، ٣٦٢، ٤٦٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٢، إعراب القرآن ٣/ ٢٠٢.

(٦) يوسف ٤.

(٧) في الأصل: «مساكنكم»، وانظر قراءة أُبَيٍّ في تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٠، والبحر المحيط ٧/ ٥٩.

﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ أي: لا يَكْسِرَنَّكُمْ، لفظه نَهْيٌ، وتأويله جزاء[1]، والحَطْمُ: الكَسْرُ، والحُطامُ: ما تَحَطَّمَ، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١٨﴾ يريد: بِحَطْمِكُم ووَطْئِكُم.

قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ يعني: من قول النملة، والتبسم: أول الضحك، وهو الذي لا صوت له، قال الزَّجّاج[2]: أَكْثَرُ ضَحِكِ الأنبياء ـ عليهم السلام التَّبَسُّمُ، و﴿ضَاحِكًا﴾: حال، ومعناه: متبسمًا.

فصل

رُوِيَ فِي بعض الأخبار، أن سليمان عليه السّلام لَمّا سَمِعَ النملةَ تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، نَزَلَ عندها وقال: ائتوني بها، فأَتَوْهُ بها فقال لها: لِمَ حَذَّرْتِ النملَ؟ هل سمعتم أني ظالِمٌ؟ أما علمتم أن نَبِيَّ الله عَدْلٌ؟ فلمَ قلتِ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾؟ فقالت: يا نبيَّ الله: أما سمعتَ قولي: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؟ مع أَنِّي لم أُرِدْ بقولِي حَطْمَ النفوس، وإنما أردت حَطْمَ القُلُوبِ، خشيتُ أن يَتَمَنَّيْنَ ما أُعْطِيتَ فيُفْتَنَّ ويُشْغَلنَ بالنظر إليك عن التسبيح / ، فقال لها: عِظِينِي، فقالت: [٤٥/ ب]
هل علمتَ لِمَ سُمِّيَ أبوكَ داودَ؟ قال: لا، قالت: لأنه داوى جُرْحَهُ، وهل تدري لِمَ سُمِّيتَ سليمانَ؟ قال: لا، قالت: لأنك سليم ولسلامة قلبك، ثم قالت:

---

(١) هذا قول الفرَّاء في معاني القرآن ١/ ١٦٢، ٤٠٧، ٢/ ٣١٤، وقد رده الزَّجّاج بأن لفظ النهي لسليمان، ومعناه للنمل، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤١٠، وينظر كلام الفارسي في هذه المسألة في الإغفال ٢/ ٢٩٤-٣٠٠، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٠٠٦، الفريد للهمداني ٣/ ٦٧٧، ٦٧٨، البحر المحيط ٧/ ٦٠، الدر المصون ٥/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٢.

أتدري لِمَ سَخَّرَ اللهُ لك الريحَ؟ قال: لا، قالت: أَخْبَرَكَ أن الدنيا كلها ريح، فتبسم ضاحكًا من قولها متعجبًا(١).

﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾؛ أي: أَلْهِمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ... ﴿١٩﴾﴾ الآية، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: نَهَى رسولُ اللهِ ﷺ عن قتل أربعة من الدواب: الهُدْهُدِ والصُّرَدِ(٢) والنحلة والنملة(٣).

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ التَّفَقُّدُ: طَلَبُ ما غاب عنك، والطير: اسم جامع للجنس، وكانت الطير تصحب سليمانَ في سفره تُظِلُّهُ بأجنحتها، والمعنى: أنه طَلَبَ ما فُقِدَ من الطير ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾؛ أي: ما لِلْهُدْهُدِ لا أَراهُ؟ تقول العرب: ما لِي أَراكَ كَئِيبًا؟ معناه: ما لَكَ؟ ولكنه من القَلْبِ الذي يُوَضِّحُهُ المَعْنَى(٤). والهدهد: طائر معروف.

فتح ابنُ كثيرٍ وعاصمٌ والكسائيُّ وهشامٌ(٥) وأيوب: ﴿مَالِيَ﴾ هاهنا وفي

---

(١) ورد هذا الخبر في الكشف والبيان ٧/ ١٩٧، ١٩٨، وتفسير القرطبي ١٣/ ١٧١.

(٢) الصُّرَدُ: طائر فوق العصفور، يصيد العصافير، وجمعه: صِرْدانٌ. اللسان: صرد.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٣٢، ٣٤٧، والدارمي في سننه ٢/ ٨٩ كتاب الأضاحي/ باب النهي عن قتل الضفادع والنحلة، وأبو داود في سننه ٢/ ٥٣٢ أبواب النوم/ باب في قتل الذَّرِّ.

(٤) قاله الواحدي والقرطبي، ينظر: الوسيط ٣/ ٣٧٣، تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٩، قال أبو حيان: «ولا ضرورة إلى ادعاء القلب». البحر المحيط ٧/ ٦٢، وينظر: الدر المصون ٥/ ٣٠٤.

(٥) هو: هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السلمي، مقرئ محدث خطيب قاض، ثقة صدوق واسع الرواية، من أهل دمشق، روى عن مالكٍ وابن عيينة، روى عنه القراءة القاسم ابن سلام، توفِّي سنة (٢٤٥هـ)، من كتبه: فضائل القرآن. [غاية النهاية٢/ ٣٥٤-٣٥٦، سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٢٠-٤٣٥، الأعلام ٨/ ٨٧].

سورة ﴿يسٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ﴾[١]، وأرسل حمزةُ الياءَ فيهما جميعًا، وأما أبو عمرو فكان يرسل الياء في هذه، ويفتح في ﴿يسٓ﴾، وكذلك نافع، وفَرَّقَ غيرُهم بينهما؛ لأن هذه التي في النمل استفهام، والأخرى انتفاء[٢].

وقوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ قيل[٣]: الميم صلة، وقيل[٤]: ﴿أَمْ﴾ بمعنى: بل كان من الغائبين، وقيل[٥]: ﴿أَمْ كَانَ﴾ بمعنى: صار؛ أي: صار ممن يغيب عن مركزه.

ثم أوعده على غيبته، فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال المفسرون: تَعْذِيبُهُ إِيّاهُ أَنْ يَنْتِفَ رِيشَهُ، ثم يُلْقِيَهُ في الشمس، فلا يمتنع من نَمْلةٍ ولا من شيء من هَوامِّ الأرض، ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ لأقطعن عنقه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ يعني: بحجة بَيِّنةٍ في غيبته، وأصله: لَيَأْتِيَنَّنِي بنونَيْن كما يقرؤه ابن كثير[٦]، ولكنْ حُذفت النون التي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات.

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. يس ٢٢.

(٢) قرأ ابنُ كثير في رواية البَزِّيِّ عنه، وابنُ محيصن، وابنُ عامر في رواية هشام عنه، وعاصمٌ والكسائيُّ وأيوبُ: ﴿مَالِىَ﴾ بفتح الياء هنا وفي ﴿يسٓ﴾، وقرأ حمزة وابن عامر وخلف والأعمش ويعقوب بإسكان الياء هنا وفي ﴿يسٓ﴾، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وابنُ وردانَ وهشامٌ بخلاف عنهما بإسكان الياء هنا وفتحها في ﴿يسٓ﴾، ينظر: السبعة ص ٤٧٩، ٥٤٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٤، ١٤٥، تفسير القرطبي ١٣/ ١٧٩، التيسير ص ١٨٥، الإتحاف ٢/ ٣٢٤.

(٣) يعني أن «أَمْ» بمعنى: الهمزة، والمعنى: أكان من الغائبين؟ ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٩٨، عين المعاني ورقة ٩٥/ ب.

(٤) قاله المبرِّد والنَّحاس، ينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٠٢، وقول المبرد في الوسيط ٣/ ٣٧٤، وينظر: الفريد للهمداني ٣/ ٦٧٩.

(٥) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ٩٥/ ب.

(٦) ينظر: السبعة ص ٤٧٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٥.

قوله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؛ أي: لم يلبث غيرَ يَسِيرٍ حَتَّى جاء الهُدْهُدُ، و﴿غَيْرَ﴾ نعت [لظرفٍ محذوفٍ أو] [١] لِمَصْدَرٍ محذوفٍ، تقديره: وَقْتًا غيرَ بعيد أو: مُكْثًا غيرَ بعيد، وقرأ عاصم: ﴿فَمَكَثَ﴾ بفتح الكاف، الباقون بضمها[٢]، ﴿فَقَالَ﴾ الهدهد ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: علمت بما لم تعلم، ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: بِخَبَرٍ صادِقٍ، قرأ أبو عمرو والبَزِّيُّ: ﴿مِنْ سَبَأَ﴾ غير مصروف، وكذلك: ﴿لِسَبَأَ﴾[٣] فِي سورتها، وأسكن الهمزةَ فيهما قُنْبُلٌ، وقرأ الباقون بالخفض والتنوين فيهما[٤]، فمن صرف «سبأً» جعله اسمًا لأب أو لحي، ومن لم يصرفه جعله اسمًا لقبيلة أو لِمَدِينةٍ أو لامرأةٍ، فلم يصرفه للتعريف / والتأنيث، ومن أسكن الهمزة فعلى نية الوقف. [٤٦/ أ]

قال الزَّجّاج[٥]: من لم يصرف فلأنه اسم مدينة تُعرَف بِمَأْرِبَ من اليمن، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، ومن صرف فلأنه اسم البلد، فيكون مذكرًا سُمي به مذكر. ورُوِيَ فِي الحديث، أن النبي ﷺ سُئِلَ عن سبأٍ فقال: «كان رجلًا له عشَرة من البنين»[٦].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٦، التبيان للعكبري ص ١٠٠٦، الفريد للهمداني ٣/ ٦٨٠.

(٢) ينظر: السبعة ص ٤٧٩، ٤٨٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٦، حجة القراءات ص ٥٢٥، الإتحاف ٢/ ٣٢٥.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾. الآية ١٥.

(٤) قرأ أبو عمرو، والبزيُّ عن ابن كثيرٍ، وابنُ محيصن واليزيديُّ: ﴿مِنْ سَبَأَ﴾ هنا، و﴿لِسَبَأَ﴾ في سورة سبأ بمنع صرفه، وقرأ قنبل والنبال وشبل عن ابن كثير: ﴿لسبأْ﴾ بإسكان الهمزة، كأنه نوى الوقف، فأجرى الوصل مجراه، وقرأ الباقون بالصرف، ينظر: السبعة ص ٤٨٠، ٥٢٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٧، ٢١٣، الإتحاف ٢/ ٣٢٥، ٣٨٤.

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٤.

(٦) رواه الطبراني عن فروة بن مسيك في المعجم الكبير ١٨/ ٣٢٦، ٢٢/ ٢٤٥، والحاكم =

وقد تكلمت العرب فيه بالإجراء وغير الإجراء، قال جرير:

٨٠ ـ الوارِدُونَ وتَيْمٌ في ذُرا سَبَأٍ(١)

وقال آخر:

٨١ ـ مِنْ سَبَأَ الحاضِرِينَ مَأْرِبَ إذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيلِها العَرِما(٢)

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ قرأ أبو عبد الرحمن السلميُّ وأبو جعفرٍ

= في المستدرك ٢/ ٤٢٣، ٤٢٤ كتاب التفسير: سورة سبأ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٤ كتاب التفسير: سورة سبأ.

(١) هذا صدر بيت من البسيط، لجرير من قصيدة يهجو بها عمر بن لَجَأٍ التيمي، وعَجُزُهُ:

قَد عَضَّ أَعناقَهُم جِلدُ الجَوامِيسِ

وروایة دیوانه:

تَدعوكَ تَيمٌ، وَتَيمٌ في قُرَى سَبَإٍ

التخريج: ديوانه ص ١٣٠، معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٣٠٨، ٢/ ١٠٢، ٢٩٠، ٣٥٨، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٢٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٧، المخصص ١/ ٣١، ٤/ ٤١، ١٣/ ٨٦، ١٧/ ٣٠، شرح شواهد الإيضاح ص ٤٣٩، عين المعاني ورقة ٩٦/ أ، تفسير القرطبي ١٠/ ١١٢، ١٣/ ١٨١، ١٣/ ٣٨٣، اللسان: ضغبس، البحر المحيط ٧/ ٦٣، ٢٥٨.

(٢) البيت من المنسرح، للنابغة الجعدي، ونُسِبَ لأمية بن أَبِي الصلت، وهو في ديوانه، ونُسِبَ للأعشى، وليس في ديوانه، ويُرْوَى: «**الخاسِرِينَ مَأْرِبَ**»، ويُرْوَى: «**مِنْ دُونِ سَيْلِهِ**».

التخريج: ديوان النابغة الجعدي ص ١٤٩، ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٩٠، الكتاب ٣/ ٢٥٣، مجاز القرآن ٢/ ١١/ ٤٧، جمهرة اللغة ص ٧٧٣، ١٠٢٢، ١١٠٧، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٤، شرح أبيات سيبويه ٢/ ٢٤١، معاني القراءات ٢/ ٢٣٧، الوسيط ٣/ ٣٧٥، شمس العلوم ٥/ ٢٩٤١، الإنصاف ص ٥٠٢، عين المعاني ٩٦/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ١٨١، ١٤/ ٣٨٣، البحر المحيط ٧/ ٦٣، ٢٦٠، اللسان: سبأ، عرم، خزانة الأدب ٩/ ١٣٩.

وحُمَيْدٌ الأعرجُ[١] والكسائيُّ، ويعقوبُ برواية وَرْشٍ[٢]: ﴿أَلَا يا اسْجُدُواْ﴾ بالتخفيف على معنى: ألا يا هؤلاءِ اسجدوا، جعلوه أَمْرًا من الله تعالى مُسْتَأْنَفًا، وحذفوا «هؤلاء» اكتفاءً بدلالة «يا» عليه.

وحكى الفراء عن العرب: ألا يا ارْحَمُوا، ألا يا اقْصِدُوا علينا، بمعنى: ألا يا هؤلاءِ افعلوا هذا[٣]. قال الفرَّاء[٤]: أنشدني المفضل، وقال أبو بكر: أنشدنا أبو العباس[٥]:

٨٢ـ ألا يا اسْلَمِي قَبْلَ الفِراقِ ظَعِينا   تَحِيّةَ مَنْ أَمْسَى إِلَيْكِ حَزِينا
تَحِيّةَ مَن لا قاطِعٌ حَبْلَ واصِلٍ   ولا صارِمٌ قَبْلَ الفِراقِ قَرِينا[٦]

أراد: ألا يا هذه اسلمي.

---

(١) في الأصل: «وأبو حميد».

(٢) وهي أيضًا قراءة ابن عباس والحسن والشَّنَبُوذِيِّ والمُطَّوِّعِيِّ والزُّهْرِيِّ وطلحة، ينظر: السبعة ص ٤٨٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٨، حجة القراءات ص ٥٢٦، البحر المحيط ٧/ ٦٥، الإتحاف ٢/ ٣٢٥.

(٣) من أول قوله: «على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا» قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٠.

(٤) قول الفرَّاء ليس في معاني القرآن، وإنما حكاه عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ١٧٠، ١٧١.

(٥) أبو بكر هو: ابن الأنباري، وأبو العباس هو: أحمد بن يحيى ثعلب.

(٦) البيتان من بحر الطويل للأسود بن يَعْفُرَ.

اللغة: ظَعِينا: أراد: يا ظعينة فرَخَّمَهُ على لغة من ينتظر، والظعينة: المرأة التي تكون في الهودج.

التخريج: ديوانه ص ٨١، إيضاح الوقف والابتداء ص ١٧٠، ١٧١، والثاني فقط في الأزهية ص١٦١، والأول فقط في الإنصاف ص ١٠١.

فعلى هذه القراءة: ﴿اسْجُدُوا﴾: في موضع جزم على الأمر، والوقف عليه: ﴿أَلَا يَا﴾ ثم تبتدئ: ﴿اسْجُدُوا﴾، وهي في قراءة عبد الله: ﴿هَلَّا يَسْجُدُواْ﴾، وفي قراءة أُبَيٍّ: ﴿أَلَّا تَسْجُدُونَ﴾ بالتاء[1].

فهاتان القراءتان حُجّةٌ لِمَنْ خَفَّفَ؛ لأن قولك: ألا تقوم؟ بمنزلة قولك: قُمْ، وقرأ الباقون: ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾ بالتشديد، على معنى: وَزَيَّنَ لهم الشيطانُ أَعْمالَهُمْ لِئَلّا يَسْجُدُوا، ثم حُذفت اللام[2]، قال الواحدي[3]: والوجه قراءة العامة؛ لئلّا تنقطع الصلة بما ليس منها.

و«أَنْ» في موضع نصب[4]، و«يَسْجُدُواْ» نصب بـ«أَنْ»، والوقوف على هذه القراءة: «أَلا»، ثم تبتدئ: ﴿يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ يعنِي: المخبوء ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، يقال: خَبَأْتُ الشيءَ أَخْبَؤُهُ خَبْئًا، والخَبْءُ: ما خَبَأْتَهُ لوقتٍ[5]، وقال أكثر المفسرين: خَبْءُ السماواتِ: المَطَرُ، وخَبْءُ الأرضِ:

---

(١) قرأ ابن مسعود والأعمش والمُطَّوِّعِيُّ: ﴿هَلَّا يَسْجُدُوا﴾، وقرأ أُبَيٌّ: ﴿أَلاّ تَسْجُدُونَ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٠، تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٦، البحر المحيط ٧/ ٦٥، الإتحاف ٢/ ٣٢٦.

(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٢٩، وينظر: إيضاح الوقف ص ١٧٣، ١٧٤، الحجة للفارسي ٣/ ٢٣٤.

(٣) الوسيط ٣/ ٣٧٥.

(٤) يعني المصدر المؤول من ﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ﴾، ونصبه من وجهين، أحدهما: أنه مفعول له؛ أي: فَصَدَّهُم عن السبيل لئلا يسجدوا، فحذف الجارُّ. والثاني: أنه بَدَلٌ من ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾؛ أي: وَزَيَّنَ لهم عَدَمَ السجود، وفيه أوجه أخرى تنظر في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٧، البيان للأنباري ٢/ ٢٢١، التبيان للعكبري ص ١٠٠٧، الفريد للهمداني ٣/ ٦٨١، الدر المصون ٥/ ٣٠٨.

(٥) قاله الأزهري في تهذيب اللغة ٧/ ٦٠٣.

النباتُ، قال الزَّجّاج(١): وعلى هذا ﴿فِي﴾ يكون بِمَعْنَى «مِنْ»، وكذا هو في قراءة عبد الله(٢).

قوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ فِي قلوبهم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم، وقرأ الكسائيُّ وحَفْصٌ فيهما بالتاء(٣)؛ لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي، وهو قوله: ﴿أَلَا يا اسْجُدُوا﴾، فكذلك هاهنا.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ هو الذي يستحق العبادة لا غيره، فهو رب العرش العظيم لا ملكة سبأ؛ لأن عرشها ـ وإن كان عظيمًا ـ لا يبلغ عرش الله في العِظَم.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: مختوم حَسَنٌ
[٤٦/ ب] ما فيه ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾؛ أي: وإن المكتوب فيه / ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾؛ أي: لا تَتَعَظَّمُوا ولا تَتَكَبَّرُوا، يحتمل أن يكون جزمًا على النهي(٤)، ويحتمل أن يكون نصبًا بـ﴿أَلَّا﴾(٥)، والمعنى: لا ترفعوا عليَّ

(١) هذا القول للفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩١، ولم أقف عليه للزَّجّاج في معاني القرآن وإعرابه، ونسبه الواحدي للزجاج في الوسيط ٣/ ٣٧٥.

(٢) هذه قراءة ابن مسعود وأُبَيٍّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٠، تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٨، البحر المحيط ٧/ ٦٧.

(٣) وهي أيضًا قراءة الشَّنَبُوذِيِّ والجَحْدَرِيِّ وعيسى بن عمر، ينظر: السبعة ص ٤٨٠، ٤٨١، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٤٩، الحجة للفارسي ٣/ ٢٣٥، تفسير القرطبي ١٣/ ١٨٨، الإتحاف ٢/ ٣٢٦.

(٤) هذا إذا جعلت «أَنْ» مفسرة، فتكون «لا» ناهية، وهو قول الخليل وسيبويه، وشبهه سيبويه بقوله تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟﴾، ينظر: الكتاب ٣/ ١٦٢، وينظر أيضًا: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١١٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٨، الفريد للهمداني ٣/ ٦٨٣.

(٥) هذا إذا جعلت «أَنَّ» ناصبة، فتكون «لا» نافية، وهو قول الزَّجّاج والنَّحاس، ينظر: معاني =

﴿وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ يعني: طائعين مؤمنين منقادين مخلصين بالتوحيد لله تعالى، وهو منصوب على الحال.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ وإنما هو إلى سليمان، كما يُخبَرُ عن الملوك، ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ بقَبُولٍ أَمْ رَدٍّ، والأصل: بِما، حُذِفَت الألفُ فَرْقًا بين الاستفهام والخبر[1]، و﴿ناظِرةٌ﴾ رفع بالعطف على ﴿مُرْسِلَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ يعني الهدهد، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: لا طاقة لهم بها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ يعني: من قرية سبأ ﴿أَذِلَّةً﴾ نصب على الحال ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: أذلاء.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ يعني: بِسَريرِها، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: مصلحين منقادين طائعين، فلا يَحِلُّ لنا أَخْذُهُ بعد إسلامها، ونصب ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على الحال.

قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ... ﴿٣٩﴾﴾ الآية، العِفْريتُ: المارد القوي الشديد الغليظ، والعِفرُ أيضًا: الشديد، يقال: أَسَدٌ عِفْرٌ وعِفْريتٌ، ورجل عفريت؛ أي: خبيث، والعَفْرُ: الدهاء، ذكره صاحب إنسان العين[2].

وفيه لغتان، يقال: عِفْرِيتٌ وعِفْرِيةٌ[3]، فمن قال: عِفْرِيتٌ جَمَعَهُ عَفارِيتَ،

= القرآن وإعرابه ٤/ ١١٨، ١١٩، إعراب القرآن ٣/ ٢٠٩، ومعاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٣٠، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٣/ ٦٨٣.

(١) قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢١٠.

(٢) ينظر: عين المعاني ٩٦/ ب.

(٣) قرأ أبو بكر الصديق وأبو رجاء العطاردي وأبو السمال وعيسى بن عمر: ﴿قالَ عِفْرِيةٌ﴾، =

ومَن قال: عِفْرِيةٌ جَمَعَهُ عَفاري[1]، والتاء فِي عِفْرِيتٍ زائدة كزيادتها في طاغُوت، واختلفوا في اسمه، فقيل: اسمه عمرو، وقيل: اسمه كوذن، وقيل: ذكوان[2].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ في الآية محذوف، تقديره: فدَعا آصِفُ بنُ بَرْخِياءَ اللهَ تعالى، فأُتِيَ بالعرش، فلما رآه سليمانُ مستقرًّا عنده ثابتًا بين يديه ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي ﴿٤٠﴾﴾ وعطائه ومِنَّتِهِ عَلَيَّ، ونصب ﴿مُسْتَقِرًّا﴾ على الحال؛ لأنه من رؤية العين.

فصل

واختلفوا في الدعاء الذي دعا به آصِفُ بنُ بَرْخِياءَ ما هُو؟ فقيل[3]: هو: يا ذا الجلال والإكرام. وقيل[4]: هو: يا حيُّ يا قيوم. وقيل[5]: قال سليمان

= ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١١، المحتسب ٢/ ١٤١، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٣، البحر المحيط ٧/ ٧٢.

(١) قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٤، وقال النَّحاس: «ومن قال: عِفْرِيةٌ جمعه على عَفارٍ، ومن قال: عِفْرِيتٌ كان له فِي الجمع ثلاثة أوجهٍ، إن شاء قال: عفاريت، وإن شاء قال: عَفارٍ؛ لأن التاء زائدة كما يقال: طَواغٍ في جمع طاغوت، وإن شاء عَوَّضَ من التاء فقال: عَفارِيُّ». إعراب القرآن ٣/ ٢١٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٨.

(٢) ينظر في هذه الأقوال: جامع البيان ١٩/ ١٩٧، الكشف والبيان ٧/ ٢١٠، الكشاف ٣/ ١٤٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٣.

(٣) ذكره الزَّجّاج بغير عزو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢١، والواحدي في الوسيط ٣/ ٣٧٨، وحكاه النَّحاس عن مجاهد في معاني القرآن ٥/ ١٣٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٤، الكشف والبيان ٧/ ٢١١، الوسيط ٣/ ٣٧٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٤.

(٥) ذكره الزَّجّاج بغير عزو في معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢١، والثعلبي في الكشف والبيان ٧/ ٢١١، والواحدي في الوسيط ٣/ ٣٧٨، وحكاه القرطبي عن الزهري في تفسيره ١٣/ ٢٠٤.

عليه السّلام لصاحب العرش: قد رَأَيْتُكَ تُرَجِّعُ بِشَفَتَيْكَ، فما قُلْتَ؟ قال: قلت: يا إلهي وإلَه كلِّ شيء إلهًا واحدًا لا إله إلا أنتَ، ائْتِ به.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: منعها الإيمانَ والتوحيدَ الذي كانت تعبد من دون الله، وهو الشمس، قال الفراء[1]: معنى الكلام: وصَدَّها من أن تعبد اللهَ ما كانت تعبد من دون الله.

و«ما» في محل الرَّفع على هذا القول؛ لأنه فاعل، وفعله: ﴿صَدَّها﴾. وقال بعضهم[2]: يحتمل أن يكون نصبًا بنزع الصفة تقديره: وصدها / سليمانُ [٤٧/ أ] عَمّا كانت تعبد من دون الله؛ أي: مَنَعَها، وحالَ بينها وبينه. ولو قيل: وصَدَّها اللهُ ذلك بتوفيقها للإسلام، لكان وجهًا صحيحًا[3]. فعلى هذين التأويلَيْن يكون محل «ما» نصبًا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ۝٤٣﴾ استئناف، أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس، فنشأت فيما بينَهم، وقُرِئَ: ﴿إِنَّهَا﴾ بالكسر والفتح[4]، فمَنْ كَسَرَها فعلى الاستئناف، ومن فتحها فعلى معنى: «لأَنَّها»[5].

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٢٩٥.

(٢) قاله الفرَّاء أيضًا، وعليه فالفاعل: ضمير سليمان أو: ضمير الله عزّ وجلّ، وشَبَّهَهُ النَّحاسُ بما أنشده سيبويه من قول الشاعر:

وَنُبِّئْتُ عَبْدَ اللهِ بِالْجَوِّ أَصْبَحَتْ … كِرامًا مَوالِيها لَئِيمًا صَمِيمُها

أي: نبئت عن عبد الله، ينظر: إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٢١٣، وينظر أيضًا: إيضاح الوقف والابتداء ص ٨١٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٤٩، الكشاف ٣/ ١٥٠.

(٣) قاله الطبري في جامع البيان ١٩/ ٢٠٤.

(٤) قرأ سعيد بن جبير وابنُ أَبِي عبلة: ﴿أَنَّها﴾ بالفتح، ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢٠٨، البحر المحيط ٧/ ٧٥.

(٥) يعني أنه منصوب على نزع الخافض، ويجوز أن يكون الفتح على البدل من «ما» إذا =

قولـه تعالـى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: مؤمنون وكافرون، كل فريق يقول: الحَقُّ معي ﴿قَالَ﴾ يعنـي: صالِحًا للفريق المكـذب ﴿يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعني: البـلاءَ والعقوبة ﴿قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يعنـي: العافية والرحمة، والاسـتعجال: طلب التعجيـل بالأمر، وهـو الإتيان به قبـل وقتـه، ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾؛ أي: هَلَّا تستغفرون الله بالتوبة من كُفْرِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ فلا تُعَذَّبُونَ فِي الدنيا.

قوله: ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ﴾؛ أي: تَشـاءَمْنا بك، وأصله: تَطَيَّرْنا بك، ﴿وَبِمَن مَّعَكَ﴾ وذلك أن المطر أُمْسِـكَ عنهم، وقُحِطُوا، فقالوا: أصابنا هذا البلاء من شُـؤْمِكَ وشُـؤْمِ أصحابك، يعنـون صالحًا ـ عليهِ السّـلام ـ ومن آمن معه من قومـه، فـ﴿قَالَ﴾ لهـم صالح: ﴿طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: الشـؤم أتاكم من عند الله بكفركم، وهذا كقوله تعالى: ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: تُخْتَبَرُونَ بالخير والشر.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ يَعْنِي: مَدِينةَ ثَمُودَ، وهي الحِجْرُ، ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ جَمْعٌ لاَ واحِدَ لهُ مِن لَفْظِه[2] ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ يَأْمُـرُونَ بِالمُنْكَر، ويَنْهَوْنَ عنِ المعروفِ، ويَظْلِمُـونَ النّاسَ، ويَتَتَبَّعُونَ مَعايِبَ

= كانـت فِي موضع رفع على الفاعلية؛ أي: صَدَّها عن عبـادة الله أنها كانت من قوم كافرين؛ أي: كونهـا. ينظر: معاني القرآن للفـرَّاء ٢/ ٢٩٥، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢٢، إعراب القرآن ٣/ ٢١٣.

(١) الأعراف ١٣١.

(٢) يعني بالجمع هنا اسم الجمع؛ لأن الرهط اسمُ جَمْـع، وجمعه أَرْهُطٌ، وجمع الجمع أَراهِطُ، قال الأزهري: «قال ثعلب: المَعْشَـرُ والنَّفَرُ والرَّهْطُ والقَـوْمُ، هؤلاء معناهم الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، وهو للرجال دون النساء». التهذيب ٦/ ١٧٤.

النّـاسِ، ولا يُقِيلُـونَ عَثَراتِهم، ولا يَسْـتُرُونَ عَوْراتِهم، وأسـماؤُهُم: قُدارُ بنُ سالِفٍ، ومِصْدَعُ بنُ مِهْرَجٍ ـ وقيلَ: مِهْزَعٌ ـ وأَسْلَمُ، ودَهْماءُ، ودُهَيْمٌ، ودَعْمَى، ودُعَيْمٌ، وقُتالٌ، وصُدافٌ، رَأْسُهُم قُدارٌ ومِصْدَعٌ، وهُمُ الَّذِينَ عَقَرُوا النّاقةَ(١).

قوله: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ يعني: التسعةَ الرَّهْطِ، أي: تَحالَفُوا بالله، وموضع ﴿تَقَاسَمُواْ﴾: جزم على الأمر، وقيل: محله نصب على الفعل الماضي(٢).

وقوله: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ أي: لَنُهْلِكَنَّهُ ﴿وَأَهْلَهُۥ﴾ بياتًا يعني ليلًا بالقتل، وأراد صالِحًا وأهله، [وهو] جواب القسم، وقرأ حمزة والكسـائي: ﴿لَتُبَيِّتُنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُـمَّ لَتَقُولُنَّ / لِوَلِيِّهِ﴾ بالتاء(٣) فيهما على فعل خطاب الجماعة، فمن قرأ بالتاء [٤٧/ ب] جعـل ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أَمْرًا، ومن قرأ بالنون جعل ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعلًا ماضيًا لجمع المذكر(٤)، ولفظ الأمر ولفظ الماضي سواء في جمع «تَفاعَلَ» و«تَفَعَّلَ».

وقوله: «لِوَلِيِّهِ» يعني ذا رَحِمِ صالِحٍ إنْ يَسْـأَلُونا عنه: ﴿**ما شَهِدْنا مُهْلَكَ**

---

(١) ينظر في أسـمائهم: المُحَبَّرُ لمحمد بن حبيب ص ٣٥٧، جامع البيان ٨/ ٢٩٦، الكشـف والبيان ٧/ ٢١٦، الكشاف ٣/ ١٥٢، عين المعاني ٩٦/ ب، وهذا الضبط لأسمائهم نقلًا عن عين المعاني.

(٢) يعنـي: البناء على الفتـح، وإذا كان ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ فعلًا ماضيًا فـ﴿قَـدْ﴾ مقدرة معه؛ أي: قد تقاسـموا، والجملة فِـي موضع الحال؛ أي: قالوا متقاسـمين، ينظر: معانـي القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٦، كشف المشكلات للباقولي ٢/ ١٩٣، الفريد للهمداني ٣/ ٦٨٨.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن مسـعود وخلف والأعمش والحسن، ينظر: السبعة ص ٤٨٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٥٤، حجة القراءات ص ٥٣٠، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٣٠.

(٤) ويجوز على قراءة ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ بالنون أن يكون ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ أمرًا أيضًا، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٦، معانِي القراءات ٢/ ٢٤٢، الحجة للفارسـي ٣/ ٢٤٠، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٠-١٥١.

﴿أَهْلِهِ﴾؛ أي: ما ندري مَن قَتَلَ صالحًا وأهله، وما نعرف الذين قتلوه، ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ بما نقول.

والْمُهْلَكُ يجوز أن يكون مصدرًا بمعنى: الإهلاك، ويجوز أن يكون الموضع، ورُوِيَ عن عاصمٍ: ﴿مَهْلَكَ﴾ بفتح الميم واللام يريد: الهلاك، يقال: هَلَكَ يَهْلِكُ مَهْلَكًا، ورَوَى حَفْصٌ عنه بفتح الميم وكسر اللام[١]، وهو اسم المكان على معنى: ما شهدنا موضعَ هلاكهم ومكانه.

قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾؛ أي: جازيناهم جَزاءَ مَكْرِهِمْ بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ بمكر الله بهم، ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾، ﴿عَاقِبَةُ﴾: رفع على اسم ﴿كَانَ﴾، ولم يَحْتَجْ إلى خَبَرٍ؛ لأنه بمعنى: وَقَعَ وحَدَثَ، ويحتمل أن يكون خبره ﴿كَيْفَ﴾ مقدم على ﴿كَانَ﴾[٢].

وقوله: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾؛ أي: أهلكناهم، يعني: التسعةَ رهطٍ ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾ نَصْب على الحال والقطع والتوكيد، قرأ الحسن وأهل الكوفة والأعمش وابن أبي إسحاق ويعقوب: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ بفتح الألف[٣]، ولها

---

(١) قرأ السُّلَمِيُّ وأبو بكر عن عاصم: ﴿مَهْلَكَ أَهْلِهِ﴾ بفتح الميم واللام، وروى حفص عن عاصم: ﴿مَهْلِكَ﴾ بكسر اللام، وقرأ الباقون: ﴿مُهْلَكَ﴾ بضم الميم وفتح اللام، ينظر: السبعة ص٤٨٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٥٤، ١٥٥، الحجة للفارسي٣/ ٢٤٠، حجة القراءات ص٥٣١، التيسير ص١٤٤، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٣٠.

(٢) ويجوز أن يكون الخبر ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ كما سيذكر المؤلف بعد قليل، وإذا كانت «كان» تامة فـ«كيف» في موضع نصب على الحال، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢٤، إعراب القرآن ٣/ ٢١٥، ٢١٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥١.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف والحسن والأعمش وابن أَبي إسحاق: =

وجهان، أحدهما: أن يكون ﴿أَنَّا﴾ في محل الرفع رَدًّا على العاقبة[1]، والثاني: النصب على خبر ﴿كَانَ﴾، تقديره: كان عاقبةُ مكرهم التدميرَ، واختار أبو عُبيد هذه القراءة؛ اعتبارًا لحرف أُبَيٍّ: ﴿أَنْ دَمَّرْناهُمْ﴾، وقرأ الباقون: ﴿إِنّا﴾ بكسر الألف على الابتداء.

قوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً (٥٢)﴾ يعني: خَرِبةً، قرأه العامة بالنصب على الحال، وقال الفرّاء والكسّائي وأبو عُبيدة[2]: على القطع، مجازه: فتلك بيوتهم الخاويةُ، فلما قُطِعَ عن الألف واللام نصب، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[3]، وقرأ عيسى بن عمر: ﴿خاوِيةٌ﴾ بالرَّفع[4] على الخبر.

قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا﴾؛ أي: واذكر لوطًا ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ وهي: الفِعْلةُ القبيحة الشَّنيعة ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤)﴾ قيل: كانوا يَرَوْنَ بعضُهم بعضًا، وكانوا لا يستترون، عُتُوًّا منهم وتَمَرُّدًا.

= ﴿أَنّا﴾ بفتح الهمزة، وقرأ أُبَيٌّ وحده: ﴿أَنْ دَمَّرْناهُمْ﴾، وقرأ الباقون: ﴿إِنّا﴾ بكسر الهمزة، ينظر: السبعة ص ٤٨٣، ٤٨٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٥٦، حجة القراءات ص ٥٣٢، التيسير ص ١٦٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٧، البحر المحيط ٧/ ٨٢، الإتحاف ٢/ ٣٣٠.

(١) يعني أنه بدل من العاقبة، وفيه وجوه أخرى تنظر في معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٩٦، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٢٤، إعراب القرآن ٣/ ٢١٥، ٢١٦، الفريد للهمدانِيِّ ٣/ ٦٨٩، ٦٩٠، البحر المحيط ٧/ ٨٢، الدر المصون ٥/ ٣٢٠.

(٢) لم أقف على قول الفرَّاء في المعانِي، ولا على قول أبي عبيدة في المَجاز، وإنما حكى الثعلبيُّ قول ثلاثتهم في الكشف والبيان ٧/ ٢١٧، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٨. على أن مصطلح القطع عند الكوفيين مرادف لِمصطلح الحال عند البصريين، فهما يطلقان على معنًى واحد، ينظر: مصطلحات النحو الكوفِي ص ٥٧-٦٠.

(٣) النحل ٥٢.

(٤) قرأ بالرَّفع أيضًا: نصر بن عاصم وعاصمٌ الجحدريُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١١، تفسير القرطبي ١٣/ ٢١٨، البحر المحيط ٧/ ٨٢.

[٤٨/ أ] قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ﴿٥٦﴾﴾ قد مضى ذِكْرُ / نظيره وتفسيره، وكذلك مضى ذكر نظير الآيتَيْن قبلَها فِي سورة الأعراف(١)، فأغنى عن الإعادة هاهنا، إذ المعنى واحد.

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قيل(٢): الخطاب في قوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ لِلُوطٍ عليه السّلام، وقيل(٣): لمحمد ﷺ، و﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قيل: هم الأنبياء عليهم السلام، وقيل: أصحاب محمد عليه السّلام، وقيل: هم أُمَّتُهُ اصطفاهم الله لمعرفته وطاعته، ومعنى السلامِ عليهم: أنهم سَلِموا ممّا عذب الله به الكفار.

ثم قال إلزامًا للحُجة: ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ القراءة به ممدودة، وكذلك كل استفهام لَقِيَهُ أَلِفُ وَصْلٍ(٤)، مثلَ قوله: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾(٥) و﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾(٦)، جُعِلَتِ المَدّةُ عَلَمًا بين الاستفهام والخبر، وذلك أنهم لو قالوا: اللهُ خيرٌ، بلا

---

(١) الأعراف ٨٠-٨٤، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) قاله الفرّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٧، وينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢٢٠.

(٣) قاله أكثر العلماء، قال النَّحاس: «وهذا أَوْلَى؛ لأن القرآن منزل على النبي ﷺ، وكل ما فيه فهو مخاطب به، عليه السّلام، إلّا ما لم يصح معناه إلا بغيره». إعراب القرآن ٣/ ٢١٧، وينظر: جامع البيان ٢٠/ ٤، الكشف والبيان ٧/ ٢١٨، المحرر الوجيز ٤/ ٢٦٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٢٠.

(٤) ليس كُلُّ أَلِفِ استفهامٍ بعده ألفُ وَصْلٍ يُمَدُّ كما قال المؤلف، وينظر: معاني القرآن للفرّاء ٢/ ٣٥٤، معاني القرآن للأخفش ص ٧، ٨، إيضاح الوقف والابتداء ص ١٩١-١٩٣.

(٥) قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾. الأنعام ١٤٣، ١٤٤.

(٦) في قوله تعالى: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾. يونس ٥١، وقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. يونس ٩١.

مَدٍّ، لالتبس الاستفهامُ بالخبر، وأنشد الفراء[١]:

٨٣ ـ آلْحَقُّ إِنْ دارُ الرَّبابِ تباعَدَتْ ... أَوِ انْبَتَّ حَبْلٌ أَنَّ قلبَكَ طائِرُ[٢]

وقوله: ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ محَلُّه: رفع عطف على ﴿ءَآللَّهُ﴾، وهو جواب استفهام ﴿ءَآللَّهُ﴾، أو ﴿أَمْ﴾ بمعنى: ألف الاستفهام؛ أي: أهو خيرٌ أم ما تشركون؟، وكذلك في سائر الآيات.

ومعنى الآية: آللهُ الذي صنع هذه الأشياءَ خيرٌ أم ما تشركون يا أهل مكة من الأصنام؟ أي: آلله خير لِمَن عَبَدَهُ أم الأصنامُ لِعُبّادِها؟ وهذا إلزامٌ بالحجة على المشركين.

قرأ عاصم وأهل البصرة: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بالياء، وقرأ الباقون بالتاء[٣]، ولا خلاف في الثاني أنه بالياء[٤]، وكان النبي ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: «بل اللهُ خَيْرٌ وأبقى وأَجَلُّ وأَكْرَمُ»[٥].

---

(١) إنشاد الفرَّاء حكاه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ١٩٣، وليس البيت في معاني القرآن للفرَّاء.

(٢) البيت من الطويل، لعمر بن أَبي ربيعة، ونُسِبَ لجميل بثينة، ولكُثَيِّرِ عَزّةَ، وهو في دواوينهم، وروايته في ديوان عمر:

أَحَقًّا لَئِنْ دارُ الرَّبابِ تَباعَدَتْ

اللغة: انْبَتَّ: انقطع، طار القلب: فَزِعَ وذُعِرَ.

التخريج: ديوان عمر بن أبي ربيعة ١/ ١٢٤، ديوان جميل بثينة ص ٤٧، ديوان كثير عزة ص ١٣١، الكتاب ٣/ ١٣٦، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٤٦٧، خزانة الأدب ١٠/ ٢٧٧.

(٣) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ١٥٩، حجة القراءات ص٥٣٣، البحر المحيط ٧/ ٨٤، الإتحاف ٢/ ٣٣٢.

(٤) يعني قوله تعالى: ﴿تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، على أن أبا حيان نَصَّ على أن بعضهم قرأ: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ بالتاء، ينظر: البحر المحيط ٧/ ٨٦.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/ ١٥٤، عين المعاني ورقة ٩٧/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٢١.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال أبو حاتم[١]: فيه إضمارٌ، كأنه قال: آٰلِهَتُكُم خيرٌ أم الذي خلق السماوات والأرض[٢]؟ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ يعني: بساتين، جمع: حديقة، ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾: بدلٌ من ﴿حَدَآئِقَ﴾؛ أي: ذاتَ منظر حسن، وقيل: ﴿ذَاتَ﴾ نعت لـ﴿حَدَآئِقَ﴾، والبهجة: الحُسْنُ يَبْتَهِجُ به من رآه، قال الفراء[٣]: الحديقة: البستان المُحاطُ عليه، فإن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة.

وقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ أي: ما ينبغي لكم ذلك؛ لأنكم لا تقدرون عليها، ومحل «أَنْ»: رفع اسم «كان».

ثم قال مستفهمًا منكرًا عليهم: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: هل معه معبودٌ سواه، وهو رفع بالابتداء حيث كان[٤]، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠﴾ ابتداء وخبر؛ أي: يشركون بالله غيرَه، يعني: كفار مكة.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ أي: يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۝٦٣﴾ يعني: قُدّامَ / [٤٨/ ب]

---

(١) هو: سهل بن محمد بن عثمان الجشمي، أبو حاتم السجستاني، نحوي لغوي عروضي مقرئ، روى عن أبي زيد وأبي عبيد والأصمعي، وأخذ عنه المبرد وابن دريد، توفي بالبصرة سنة (٢٤٨هـ)، من كتبه: اختلاف المصاحف، إعراب القرآن، القراءات. [إنباه الرواة ٢/ ٥٨-٦٤، بغية الوعاة ١/ ٦٠٦، الأعلام ٣/ ١٤٣].

(٢) ينظر قول أبي حاتم في الكشف والبيان ٧/ ٢١٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٢١.

(٣) معاني القرآن ٢/ ٢٩٧.

(٤) يعني: حيث كان في هذه الآيات، ويجوز النصب في مثله في غير القرآن، وقد قُرِئَ به كما ذكر الزمخشري، والنصب على معنى: أَتَدْعُونَ إِلَهًا؟ ينظر: الكشاف ٣/ ١٥٥، الفريد ٣/ ٦٩٣، البحر ٧/ ٨٥، الدر المصون ٥/ ٢٢٣.

المطرِ، وهو نَصْب على الحال، وقد تقدم ذكر الخلاف فِي سورة الأعراف[(١)].

قولـه: ﴿قُل﴾ يـا محمـد ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ﴾ يعنـي: الملائكـة ﴿وَالْأَرْضِ﴾ يعني: الناس ﴿الْغَيْبَ﴾ يعني: ما غاب عن العباد ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحدَه، نزلت في المشـركين، سألوا رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة، فنزلت هذه الآية، قال الفراء[(٢)]: وإنما رُفِعَ ما بعد «إِلّا» لأن ما قبلها جَحْدٌ، تقول: ما ذهب أحدٌ إلّا أبوك.

قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾؛ أي: متى يكون البعث؟

فصل

رُوِيَ أنه كان عند الحجاج بن يوسـف مُنَجِّمٌ، فأَخَذَ الحَجّاجُ حَصًى قد عَرَفَ عَدَدَها، فقال للمنجِّم: كم في يدي؟ فحَسَبَ فأصاب المنجمُ، ثم اعتقله الحجـاج فأخـذ حَصَياتٍ لم يَعُدَّهُـنَّ، فقال للمنجم: كم في يدي؟ فحَسَـبَ فأخطأ، ثم حَسَـبَ فأخطأ، فقال: أيها الأمير: أظنك لا تعرف عددها في يدك، قال: فما الفرق بينهما؟ قال: إن ذلك أحصيتَهُ فخرج من حَدِّ الغيب، وحَسَبْتُ

(١) يشـير إلى قوله تعالـى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ الأعراف ٥٧، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.
وقد قرأ عاصم: ﴿بُشْـرًا﴾ بالباء هنا وفي الأعراف، وقرأ ابن عامر: ﴿نُشْـرًا﴾، وقرأ حمزة والكسـائي وخَلَفٌ: ﴿نَشْـرًا﴾، ووافقهم الأعمـش، وقرأ نافع وابن كثيـر وأبو عمرو وأبو جعفـر ويعقوب: ﴿نُشُـرًا﴾، ووافقهم ابن محيصـن واليزيدي، ينظر: السـبعة ص ٢٨٣، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٢.

(٢) معانـي القـرآن ٢/ ٢٩٨، ٢٩٩، وهذا على أن لفظ الجلالة بـدل من «مَن» الذي هو فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾، و﴿الْغَيْبَ﴾ مفعول به، و«إلّا» ملغاة، والمعنى: لا يعلم أحدٌ الغيب إلّا الله.

فأصبتُ، وإِنَّ هذه لم تعرف عَدَدَها، فصار غَيْبًا، ولا يعلم الغيبَ إلّا اللهُ[١].

ورُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: من زعم أنه يعلم ما في غَدٍ، فقد أَعْظَمَ الفِرْيةَ، واللهُ ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢].

قوله: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ قال ثعلبٌ[٣]: معناه: تَدارَكَ عِلْمُهُم بالظن أن القيامة تكون أو لا تكون. قال أبو عمرو[٤]: «بل»: استفهام. وقال غيره[٥]: «بل»: إيجاب، والاستفهام في هذا الموضع إنكار؛ أي: لم يكن ذلك، كما قال تعالى: ﴿ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ ﴾[٦]؛ أي: لم يشهدوا.

قرأ أبو جعفرٍ ومجاهدٌ وحُميد وابن كثير وأبو عَمْرو ويعقوب: ﴿بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ﴾ من الإدراك؛ أي: لم يدركوا علمَ الآخرة، وقرأ الحسن ويحيى بن

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٢٠، تفسير القرطبي ٤/ ٢٩٠، ١٣/ ٢٢٦.

(٢) هذا جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه ١/ ١١٠ كتاب الإيمان/ باب معنى قول الله، عزّ وجلّ،: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾، والترمذي في سننه ٤/ ٣٢٨ أبواب تفسير القرآن/ سورة الأنعام.

(٣) لم أعثر عليه، وقد قاله الفرَّاء من قبله في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩، وحكاه الأزهري عن السُّدِّيِّ وأَبي معاذ الضرير في تهذيب اللغة ١٠/ ١١٢.

(٤) الذي حُكِيَ عن أبي عمرو أن «بَلْ» إيجاب، قال النَّحاس: «وقرأ ابن محيصن: ﴿بَلْ أَآدَّرَكَ عِلْمُهُمْ﴾، وأنكر هذا أبو عمرو، قال: لأن «بَلْ» لا يقع بعدها إلا إيجاب». معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٤٦، وينظر أيضًا: جامع البيان ٢٠/ ٩.

(٥) هو أبو حاتم كما في البحر المحيط ٧/ ٨٧، والدُّر المصون ٥/ ٣٢٤، وهو قول أبي عمرو كما في تقدم في الحاشية السابقة.

(٦) الزخرف ١٩.

وثاب[١] والأعمش وشيبة ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ ﴾ بكسر اللام وتشديد الدال؛ أي: تدارك وتتابع علمهم في الآخرة هل هي كائنة أم لا؟ وتصديقُ هذه القراءة أنها في حرف أُبَيٍّ: ﴿أَمْ تَدارَكَ عِلْمُهُمْ في الآخِرةِ﴾[٢].

والعرب تضع «بَلْ» موضع «أَمْ» و«أَمْ» موضع «بَلْ» إذا كان في أول الكلام استفهام، كقول الشاعر:

٨٤ـ فواللهِ ما أَدْرِي أَسَلْمَى تَغَوَّلَتْ أَمِ القَوْمُ أو كُلٌّ إِلَيَّ حَبِيبُ[٣]

أي: بل كلٌّ[٤]، ومعنى الكلام: هل تتابع علمهم بذلك في الآخرة؛ أي: لم يتتابع، فضَلَّ وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه؛ لأن في الكلام ضربًا من الجَحْد.

---

(١) يَحْيَى بن وَثّابٍ الأَسَدِيُّ بالولاء الكوفِيُّ، تابعي ثقة قليل الحديث، إمام أهل الكوفة في القراءة، تلا القرآن على أصحاب عَلِيٍّ وابنِ مسعودٍ، ورَوَى مُرْسِلًا عن عائشة، كان أبوه من سَبْيِ قاسان واسمه يَزْدَوَيْهِ، فسماه ابن عباس وَثّابًا، توفِّي سنة (١٠٣هـ). [غاية النهاية ٢/ ٣٨٠، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٩، الأعلام ٨/ ١٧٦].

(٢) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٤٨٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٠، ١٦٢، مختصر ابن خالويه ص ١١١، حجة القراءات ص ٥٣٥، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٢٧، البحر المحيط ٧/ ٨٧، الإتحاف ٢/ ٣٣٣.

(٣) البيت من الطويل، لعقبة المضرَّب بن كعب بن زهير، ويُروَى: «**تَقَوَّلَتْ.. أَمِ الحِلْمُ**»، ويُرْوَى: «**أَمِ النَّوْمُ أَمْ كُلٌّ**»، و«تَغَوَّلَتْ»؛ أي: تَلَوَّنَتْ.
التخريج: معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٧٢، ٢/ ٢٩٩، الصاحبي ص ١٦٨، الأزهية ص ١٢٩، اللسان: أمم، درك، البحر المحيط ٨/ ٢٣، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٢٧٦، همع الهوامع ٣/ ١٦٩، الدرر اللوامع ٦/ ١٠٢.

(٤) من أول قوله: «والعرب تضع بل» قاله الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٩٩، وينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ١١١-١١٢.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا﴾ يعني: الآخرة ﴿بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾؛ أي: جَهَلةٌ، واحدُهم: عَمٍ، وهو الأعمى القلبِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴿٧٢﴾﴾؛ أي: دَنا وقَرُبَ لكم، وقيل: تَبِعَكُمْ وجاء بعدكم، وقيل: حَضَرَكُم، ويقال[1]: رَدِفْتُ الرَّجُلَ وأَرْدَفْتُهُ / : إذا رَكِبْتَ خَلْفَهُ، والمعنى: رَدِفَكُمْ، فأَدخل اللام فيه كما أُدخل فِي قوله: ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾[2] و﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[3]، وقال الفراء[4]: اللام صلة زائدة كما تقول: نَفَذْتُهُ مِائةً، ونَفَذْتُ لَهُ مِائةً. [٤٩/ أ]

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾؛ أي: مكتومِ سِرٍّ وخفيٍّ أمرٍ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ إلّا وهو بَيِّنٌ فِي اللوح المحفوظ، وإنما أدخل الهاء فِي ﴿غَآئِبَةٍ﴾ على الإشارة إلى الجمع فِي السماء والأرض[5].

قولــه تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: فثِقْ يا محمدُ بالله، وذلك حين دُعِيَ

---

(١) حكاه ثعلبٌ عن ابن الأعرابي، وحكاه أبو عبيد عن أبي زيد، ذكر ذلك الأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٩٦.

(٢) الأعراف١٥٤.

(٣) يوسـف ٤٣، يعني أن اللام زائدة لتقوية الفعل الـذي ضعف عن العمل، قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٣١، وينظر: أسرار العربية ص ٢١٠، التبيان للعكبري ص ٧٣٣، مغني اللبيب ص ٢٨٦.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٢٩٩، ٣٠٠، وأجاز الفرَّاء أيضًا أن يكون «رَدِفَ» ضُمِّنَ معنى دَنا وقَرُبَ، وهذا مـا ذهب إليه البصريون، وفي الآية أوجه أخرى تنظر في الفريد للهمداني ٣/ ٦٩٥، البحر المحيط ٧/ ٩٠، الدر المصون ٥/ ٣٢٦.

(٥) قالـه الثعلبي في الكشـف والبيان ٧/ ٢٢٢، وينظر: الكشـاف ٣/ ١٥٩، الفريد للهمداني ٣/ ٦٩٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣١.

إلــى ملة آبائه، فأَمَرَهُ أن يثق بــالله، ولا يَهُولَهُ قولُ أهل مكة، وقوله: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ يعني: على الدِّينِ البيِّنِ، وهو الإسلام.

ثم ضرب لكفار مكة مَثَلًا، فقال: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، شَبَّهَ كفارَ مكة بالأموات، يقول: كما لا يَسـمع الميتُ النداءَ، كذلك لا تَسمع الكفارُ النداءَ، ولا تفقه ما تقول.

قولــه: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يعنــي أن الأَصَمَّ إذا وَلَّى مدبرًا، ثم ناديتَهُ: لم يسمع النداء، كذلك الكافر لا يسمع الإيمان إذا دُعِيَ إليه، وقرأ ابن كثير: ﴿يَسْـمَعُ﴾ بياء مفتوحة، وبفتح الميم ﴿الصُّمُّ﴾ بالرَّفع، ومثله في الروم[1]، ونصب ﴿مُدْبِرِينَ﴾: على الحال من المضمر فِي ﴿وَلَّوْاْ﴾، ومعنى الآية[2]: أنهم ـ لفَرْطِ إعراضهم عما يُدْعَوْنَ إليه من التوحيد ـ كالميِّت الذي لا سبيل إلى إسماعه، وكالصُّمِّ الذين لا يسمعون.

ثم ضرب العَمَى مَثَلًا لهم أيضًا فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾؛ أي: ما أنت بِمُرْشِـدٍ من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبَهُ عــن الإيمان، وهذه قراءة العامة، وقرأ حمــزة: ﴿تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ بالتاء ونصب ﴿الْعُمْـيَ﴾ هاهنــا وفي الــروم[3] على الفعــل، وحجته قولــه تعالى: ﴿أَفَأَنتَ

---

(١) الروم ٥٢، وهذه القراءة قرأ بها ابنُ كثير وابنُ محيصن وحميدٌ وابنُ أبي إسحاق، وأبو عمرو في رواية عباس عنه، ينظر: السـبعة ص ٤٨٦، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٦٢، تفسـير القرطبي ١٣/ ٢٣٢، الإتحاف ٢/ ٣٣٤.

(٢) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٢٤٥.

(٣) الروم ٥٣، وقرأ بهذه القراءة أيضًا ابنُ وَثَّابٍ والأعمشُ وطلحةُ ويحيى بنُ يَعْمُرَ والشَّنَبُوذِيُّ، ينظر: السـبعة ص ٤٨٦، الكشـف عن وجوه القراءات ٢/ ١٦٦، البحر المحيط ٧/ ٩١، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٣٤.

﴿تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾[١]، والمعنى: إنك لا تهديهم عن ضلالتهم لشدة عنادهم[٢]، ﴿إِن تُسۡمِعُ﴾؛ أي: ما تُسْمِعُ إسماعَ إفهام ﴿إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ قال مقاتل: إلّا من صَدَّقَ بالقرآن أنه من الله ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٨١﴾ مخلصون بتوحيد الله.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: وَجَبَ العذابُ والسُّخط على الكفار ﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾. قرأ العامة بالتشديد: من التكليم، وتصديقها قراءة أُبَـيٍّ: ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾، وقرأ أبو رجاء العُطاردي: ﴿تُكَلِمُهُمۡ﴾ من الكَلْمِ[٣] وهو الجرح؛ أي: تَسِمُهُمْ / وتَجْرَحُهُمْ، ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعني: أهل مكة [٤٩/ ب] ﴿كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾؛ أي: لم يؤمنوا بالقرآن والبعث والثواب والعقاب، قرأ ابن أَبي إسحاق وأهل الكوفة ويعقوب: ﴿أَنَّ﴾ بفتح الألف؛ أي: تُكَلِّمُهُم الدابة بأن الناس، وقرأ الباقون بالكسر[٤]، أي: تقول لهم: إن الناس؛ لأن الكلام قولٌ.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ يريد: إلى موقف الحساب ﴿قَالَ﴾ اللهُ لَهُمْ: ﴿أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا﴾ نَصْب على المصدر[٥] ﴿أَمَّاذَا كُنتُمۡ

---

(١) يونس ٤٣.
(٢) قاله الفارسي في الحجة ٣/ ٢٤٥.
(٣) وبها قرأ أيضًا ابنُ عباس وابنُ جبير ومجاهدٌ وعاصمٌ الجحدريُّ وأبو حيوة وأبو زرعة والحسنُ وابنُ أبي عبلة، وقرأ بعضهم: ﴿تَجْرَحُهُمْ﴾، وقرأ أُبَيٌّ: ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾، وقرأ يحيى ابن سلّام: ﴿تُحَدِّثُهُمْ﴾، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٤، مختصر ابن خالويه ص ١١٢، المحتسب ٢/ ١٤٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٨، البحر المحيط ٧/ ٩١.
(٤) قرأ بالكسر ابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر والكسّائي، ينظر: السبعة ص ٤٨٦-٤٨٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٤، حجة القراءات ص ٥٣٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٨، البحر المحيط ٧/ ٩٢، الإتحاف ٢/ ٣٣٥.
(٥) والعامل فيه ﴿تُحِيطُواْ﴾؛ لأن الإحاطة بِمعنى العِلْمِ، والمعنَى: ولم تَعْلَمُوا عِلْمًا، ينظر: الفريد للهمداني ٣/ ٦٩٨.

﴿تَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا فيها، ومحل «ماذا»: نصب بوقوع «تَعْلَمُونَ» عليه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ العامل فِي «يومَ»: فعل مضمر تقديره: اذكُرْ يا محمد يومَ يُنفخ في الصور، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: ماتوا لشدة الخوف، كقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1]، والمعنى: يبلغ منهم الفزعُ إلى أن يموتوا.

قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: أراد بالاستثناء: الشهداءَ، وهم الأحياء عند ربهم يرزقون، وقيل: أراد جبريلَ وميكائيل وإسرافيل وعَزْرائيل، ﴿وَكُلٌّ آتُوهُ داخِرِينَ (٨٧)﴾ يعني: صاغرين، وأصل «آتُوهُ»: آتِيُوهُ، وهو فعل مستقبَل[2] على قراءة العامة، وقرأ الأعمش وحمزة وحفص: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ﴾[3] من غير مَدٍّ، جعلوه فعلًا ماضيًا. ونصب ﴿دَٰخِرِينَ﴾ على الحال.

قولـه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾؛ أي: واقفةً مكانَها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾؛ أي: تسير سَيْرَ السحاب حتى تقع على الأرض فتُسَوَّى بها، قال القُتيبي[4]: وذلك أن الجبال تُجْمَعُ وتَسِيرُ، وهي في رُؤْيةِ العين كالواقفة وهي

---

(١) الزمر ٦٨.

(٢) يعني بالفعل المستقبل اسم الفاعل، ويبدو أنه من مصطلحات الكوفيين؛ فإنهم يسمون اسم الفاعل بالفعل الدائم، ولكني لم أقف على قولٍ في هذا، ينظر: مصطلحات النحو الكوفي ص ٥٠-٥٢.

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن مسعود وابن وثاب وخلف، وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصمٍ: ﴿آتُوهُ﴾ اسم فاعل، ينظر: السبعة ص ٤٨٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٥، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤١، البحر المحيط ٧/ ٩٤، الإتحاف ٢/ ٣٣٥.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٥، ٦، وينظر: تفسير غريب القرآن له ص ٣٢٧.

تسـير، وكذلك كل شـيء عظيم، وكل جَمْع يَقْصُرُ عنه البصرُ لكثرته وعِظَمِهِ وبُعْدِ ما بين أطرافه فهو ـ في خيال الناظر ـ كالواقف [وهو] يسـير، وإلى هذا ذهب الشاعر فِي وصف جيش:

٨٥ ـ بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسَبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لِحـاجٍ والـرِّكابُ تُهَمْلِجُ[١]

وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فعـل الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾؛ أي: أَحْكَمَ، وقيل: أَحْسَـنَ، وقيل: أَبْرَمَ ما خَلَقَ وأحكمه، ومعنى الإتقان فِي اللغة: الإحكام للأشـياء. و﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾: نَصْب على المصدر، وقيل: على الأمر، أي: أَبْصِرُوا صُنْعَ اللهِ[٢]، وقرأ أُبَـيٌّ: ﴿صُنْعُ اللهِ﴾[٣] بضم العين، أي: ذلك صنع الله ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ / بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ من الطاعة والمعصية، قرأ ابن كثير وأبو عَمْرو وهشـامٌ بالياء[٤]، [٥٠/ أ]

---

(١) البيت من الطويل للنابغة الجعدي، ويروى: «وُقُوفٌ لأَمْرٍ».

اللغـة: بِأَرْعَنَ: أي: بجيشٍ أَرْعَـنَ، وهو المضطرب لكثرته، الطَّوْدُ: الجبل العظيم، الحاجُ: جمـع حاجةٍ، الرِّكابُ: الإبل التي يُسـارُ عليها، واحدها: راحلـة ولا واحد لها من لفظها، تُهَمْلِجُ: الهَمْلَجةُ: حُسْنُ سيرِ الدابةِ في سرعةٍ.

التخريـج: ديوانه ص ٤٩، المعانِي الكبير ص ٨٩١، الكشـف والبيـان ٧/ ٢٢٩، المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣، زاد المسـير ٦/ ١٩٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٢، اللسان: صرد، البحر المحيط ٧/ ٩٤، الدر المصون ٥/ ٣٢٩، التاج: صرد.

(٢) النصـب علـى المصدر هو قول سـيبويه، وقد ذكر سـيبويه أن بعضهم ينصبـه على الأمر، وبعضهـم على الإغـراء، وجَوَّزَ سـيبويه الرَّفعَ على خبـر ابتداء محـذوف، ينظر: الكتاب ١/ ٣٨١، ٣٨٢، وينظر أيضًا: المقتضب ٣/ ٢٠٣، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣٠، إعراب القرآن ٣/ ٢٢٣، ٢٢٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٥٥، ١٥٦.

(٣) ينظر: شواذ القراءة للكرمانِي ورقة ١٨٣، عين المعاني ورقة ٩٧/ ب.

(٤) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياء، واخْتُلِفَ فيه عن هشام وابن ذكوان، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب، ينظر: السبعة ص ٤٨٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٥، حجة القراءات ص ٥٣٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٤، الإتحاف ٢/ ٣٣٦.

واختاره أبو عُبيد[١]؛ لقوله: ﴿أَتَوْهُ﴾، إنما أخبر عنهم، وقرأ الباقون بالتاء على خطاب الكافة.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ يعني: بكلمة الإخلاص شهادة أنْ لا إله إلّا الله، والمعنى: مَنْ وافَى يوم القيامة بالإيمان ﴿فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾، قال ابن عباس: فمنها يصل الخير إليه، والمعنى: له من تلك الحسنة خيرٌ يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، و﴿خَيْرٌ﴾ هاهنا: اسم من غير تفضيل[٢] ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾، قرأ الكوفيون: ﴿مِّن فَزَعٍ﴾ بالتنوين، وهي قراءة ابن مسعود، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾: منصوب على الظرف، وقرأ الباقون على الإضافة[٣]، واختاره أبو عبيد، قال[٤]: لأنه أعمُّ التأويلَيْنْ.

---

(١) اختيار أبي عبيد في الحجة للفارسي ٣/ ٢٤٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٠.

(٢) هذا أحد وجهين فِي ﴿خَيْرٌ﴾ هنا، وعليه يكون ﴿مِّنْهَا﴾ في موضع رفع صفة لـ﴿خَيْرٌ﴾؛ أي: فله خير حاصل من جهتها، والوجه الآخر: أن يكون ﴿خَيْرٌ﴾ على بابه من أنه اسم تفضيل، ويكون ﴿مِّنْهَا﴾ من صلته؛ أي: فله خير من قدرها واستحقاقها، قاله ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٢٧٣، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٠١٥، الفريد ٣/ ٧٠٠، البحر المحيط ٧/ ٩٥، الدر المصون ٥/ ٣٢٩.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ﴾ بالتنوين فيهما، ولا يجوز مع التنوين إلا فتح ميم «يوم»، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بالإضافة، غير أنه قد اختُلِفَ عن نافع في ميم «يوم»، فـرَوَى عنه قالونُ وابنُ جماز وأبو بكر بن أبي أويس والمُسَيَّبِيُّ وورش: ﴿مِّن فَزَعِ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة مع فتح الميم من «يوم»، وروى عنه إسماعيل بن جعفر الإضافة مع كسر الميم، ينظر: السبعة ص ٤٨٧، التيسير ص ١٧٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٥، البحر المحيط ٧/ ٩٦، الإتحاف ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧.

(٤) قول أبي عبيد في الكشف والبيان ٧/ ٢٣١، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٥، وحكى ابن الجوزي أن أبا عُبَيْدٍ اختار قراءة التنوين، وقال: هي أعم التأويلين، ينظر: زاد المسير ٦/ ١٩٧.

ومحل ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: خَفْضٌ، كأسماء الأوقات إذا أُضِيفَتْ إلى غير متمكِّن، وهو مبني على الفتح، وقد أُضِيفَ هاهنا إلى «إذْ»، وهو غير متمكن، قال أبو علي الفارسي[١]: إذا نُوِّنَ يجوز أن يُعْنَى به: فَزَعٌ واحدٌ، ويجوز أن يُعْنَى به الكثرةُ لأنه مصدر، والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردةَ الألفاظِ، كقوله تعالَى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[٢]، وكذلك إذا أضيف يَجُوزُ أن يُعْنَى به مفردٌ، وَيَجُوزُ أن يُعْنَى به كثرةٌ، وعلى هذا فالقراءتان سَواءٌ، لا فَضْلَ بينهما، فإن أُرِيدَ به الكثرةُ فهو شاملٌ لكل فَزَع، وإن أُرِيدَ به واحدٌ فتفسيره ما ذكرناه فِي سورة الأنبياء عند قوله: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾[٣].

قال الكلبي[٤]: إذا أَطْبَقَتِ النارُ على أهلها فَزِعُوا فزعةً لم يفزعوا مثلها، وأهلُ الجنة آمنون من ذلك الفزع، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عَمْرو بكسر الميم، وقرأ الباقون بالفتح، وهي قراءة ابن مسعود، وقد تقدم نظيره فِي سورة هود[٥].

قوله: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعني: الشِّرك بالله ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ تقول: كَبَبْتُ الرَّجُلَ: إذا أَلْقَيْتَهُ على وجهه، فانْكَبَّ وأُكِبَّ، وتقول لهم خَزَنة جهنم: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٠﴾ في الدنيا من الشرك.

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٣/ ٢٤٨.

(٢) لقمان ١٩.

(٣) الأنبياء ١٠٣، وانظر ما سبق فيها ١/ ٢١٣.

(٤) ينظر قول الكلبي فِي الوسيط للواحدي ٣/ ٣٨٧، مجمع البيان ٧/ ٤١٠، زاد المسير ٦/ ١٩٧.

(٥) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾. هود ٦٦.

فصل

عن صفوانَ بن عَسّالٍ المُرادي[١]، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامة جاء الإيمان والشِّرك يَجْثُوانِ بين يدي الرب تبارك وتعالى، فيقول الله تعالى للإيمان: انطلقْ أنت وأهلُكَ إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلقْ أنت وأهلُكَ إلى النار»، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾، يعني قول: لا إله إلا الله، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ يعني: الشرك، ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾[٢].

قوله: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ يعني: مكة، جعلها حَرَمًا آمنًا من القتل/ فيها والسَّبي والظلم، فلا يُصادُ صيدها ولا يُخْتَلَى خلَاهـا[٣]، ومحل ﴿ٱلَّذِى﴾: نَصْب، صفة ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾، وقرأ ابن عباس: ﴿رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدةِ الَّتِي﴾[٤] فيكون على هذه القراءة: خفضًا على نعت البلدة.

قوله: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ لأنه خالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٩١﴾ المخلصين لله بالتوحيد.

---

(١) صحابيٌّ من بني الرَّبَضِ بن زاهر بن عامر، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وروى عنه أحاديث، رَوَى عنه زِرُّ بن حبيش وعبد الله بن سلمة المرادي، سكن الكوفة. [الإصابة ٣/ ٣٥٣، الأعلام ٣/ ٢٤].

(٢) ينظر: الوسيط ٣/ ٣٨٧، الدر المنثور ٥/ ١١٨، كنز العمال ١/ ٧٤.

(٣) الخَلَى: الرَّطْبُ من الحشيش، واحدته خَلاةٌ، يقال: خَلَا الرَّجُلُ الخَلَى خَلْيًا واخْتَلَاهُ فانْخَلَى: إذا جَزَّهُ وقَطَعَهُ. اللسان: خلي.

(٤) وهي قراءة ابن مسعود أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٢، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٤٦، البحر المحيط ٧/ ٩٦.

قولـه تعالـى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يعنـي: على نِعَمِهِ التـي أَنْعَمَ بها عليك يا محمـد ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ قال مقاتل: يعني: العذابَ فِـي الدنيا والقتلَ بِبَدْرٍ ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ حين تشـاهدونها، ثـم أراهم ذلك وضربـت الملائكة وجوهَهم وأدبارهـم، وعَجَّلَ الله بأرواحهم إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يـا محمد ﴿بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُـونَ ﴿٩٣﴾﴾ وَعيدٌ لهم بالجزاء على أعمالهـم، قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء: على خطاب الحاضرين، وقرأ الباقون بالياء[1] على خطاب الغائبين، والله أعلم.

* * *

(١) ينظـر: السـبعة ص ٤٨٨، إعراب القراءات السـبع ٢/ ١٦٦، حجة القـراءات ص ٥٤١، الإتحاف ٢/ ٣٣٧.

سورةُ القَصَص

مكية إلّا قولَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾(١)، فإنها نزلت على النبي ﷺ بالجُحْفةِ(٢)، وليست بمكّية ولا مدَنية.

وهي خمسة آلاف وثمانِمائة حرف، وألفٌ وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمةً، وثمانٍ وثمانون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿طسٓمٓ﴾ القصص لم يَبْقَ مَلَكٌ في السماوات والأرض إلّا شهد له يومَ القيامة أنه كان مصدِّقًا أن كل شيء هالكٌ إلّا وجهَه، له الحكم وإليه ترجعون، ويُعْطَى بكل حرف عشْرَ حسنات»(٣).

ورُوِيَ عنه ـ عليه السّلام ـ أنه قال: «من قرأ سورة موسى عليه السّلام أَلَحَّتِ الملائكةُ حتى يفرُغ منها، يقولون: رضي الله عنك فازْدَدْ»(٤).

---

(١) القصص ٨٥.

(٢) الجُحْفةُ: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة، وهي ميقات الحج لأهل مصر والشام إذا لم يَمُرُّوا بالمدينة، وسمِّيت الجُحْفةَ لأن السَّيْلَ اجْتَحَفَها في بعض الأعوام، ينظر: معجم البلدان ٢/ ١٢٩.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٣٢، الوسيط ٣/ ٣٨٩، الكشاف ٣/ ١٩٤، مجمع البيان ٧/ ٤١٢.

(٤) لم أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ قد تقدَّم تفسيره فِي سورة الشعراء والنمل، فأغنى عن الإعادة هاهنا إذ المعنى واحد، وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ تقدم أيضًا تفسيره، قال قتادة: مُبينٌ ـ واللهِ ـ بَرَكَته وهُداهُ ورُشْدَه. فهذا من: بانَ، بمعنى ظَهَرَ، وقال الزجاج[1]: مُبينٌ الحقَّ من الباطل والحلالَ من الحرام، وهذا من: أَبانَ، بمعنى أَظْهَرَ.

وما بعد هذا ظاهر إلى قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ... ۝٧﴾ الآية، قال الأصمعي: مَرَرْتُ بامرأة تَنْزِعُ من بئر وهي ترتجز بهذه الأبيات:

٨٦ ـ أَسْتَغْفِرُ اللهَ لِذَنبي كُلِّهْ
قَتَلْتُ إِنْسانًا بِغَيْرِ حِلِّهْ
مِثْلَ غَزالٍ كانِسٍ فِي ظِلِّهْ
لِحُسْنِ عَيْنَيْهِ وحُسْنِ دَلِّهْ
وانْتَصَفَ/ اللَّيْلُ ولمْ أُصَلِّهْ
والْخَمْرُ مِفْتاحٌ لِهذا كُلِّهْ [2]

---

(١) ما قاله الزَّجّاج هو أن بانَ وأَبانَ بمعنى واحد، فقد قال: «يقال: بانَ الشَّيْءُ وأَبانَ في معنى واحد، ويقال: بانَ الشيءُ وأَبَنْتُهُ أنا، فمعنى «مُبينٌ»: مُبَيِّنٌ خَيْرِهِ وبَرَكَتِهِ، ومُبَيِّنُ الحقِّ من الباطل، والحلالِ من الحرامِ». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣١، وينظر: التهذيب ١٥/ ٤٩٥.

(٢) الأبيات من الرجز المشطور لديك الجن الحمصي، ورواية البيتين الأخيرين في ديوانه:
وانْصَرَمَ اللَّيْلُ......
والسُّكْرُ مِفْتاحٌ...... =

فقلتُ: قاتَلَكِ اللهُ، ما أفصحَكِ! ما أفصحَك! جَمَعْتِ المعانيَ في هذه الكلمات، فقالت: يا عَمِّي، وهل تَرَكَ القرآنُ لذي لهجةٍ فصاحةً؟ قال: فقلتُ: أتعرفين القرآن؟ قالت: نعم، أعرفه وأعرف منه آيةً جَمَعَتْ بين أمرَيْنِ ونهيَيْنِ وبشارتَيْن وخبرَيْن، وهو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، قاله صاحب «نظام الغريب»[(١)].

قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فأخذه، والعرب تقول لما وَرَدْتَ عليه فجأةً من غير طلب ولا إرادة: أَصَبْتُهُ الْتِقاطًا، ولَقِيتُ فُلانًا الْتِقاطًا[(٢)]، ومنه قول الراجز:

٨٧ - ومَنْهَلٍ وَرَدْتُـهُ الْتِقاطا
إذْ لـمْ أَكُـنْ وَرَدْتُـهُ فُرّاطا[(٣)]

= **اللغة**: غزال كانس: داخلٌ فِي كِناسِهِ وهو موضعٌ فِي الشجر يَكْتَنُّ فيه ويستتر من الحَرِّ، الدَّلُّ: حُسْنُ المَنْظَرِ.
التخريج: ديوانه ص ١٨٥، رسالة الصاهل والشاحج ص ٢٥٤، ديوان المعانِي ١/ ٣١٦، عين المعاني ورقة ٩٧/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٢.

(١) نظام الغريب ص ١٦٤، وصاحب نظام الغريب هو عيسى بن إبراهيم الرَّبَعِيُّ الوُحاظِيُّ اليَمَنِيُّ، فقيه نحوي لغوي، كان رأس الطبقة في اللغة، وعليه المعول في اليمن، ولد في وُحاظة، وبها توفِّي سنة (٤٨٠هـ)، ونظام الغريب معجم في غريب اللغة أفرد فيه ذكر لغات الأشعار واقتصر عليها. [هدية العارفين ١/ ٨٠٧، معجم المطبوعات ١/ ٩٢٨، الأعلام ٥/ ١٠٠].

(٢) ينظر: تهذيب اللغة ١٦/ ٢٤٩.

(٣) الرجز لِنِقادةَ الأسديِّ، ونسب لأَبِي النجم العجلي، وهو في ملحق ديوانه، ونُسِبَ لرؤبة بن العجاج، وليس في ديوانه، ويُرْوَى الثانِي:
لـم أَلْـقَ إذْ وَرَدْتُـهُ فُرّاطـا =

ومنه: اللُّقَطةُ، وهو ما وَجَده ضالًّا فأخذه.

وقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۝٨﴾ هذه اللام تسمى لامَ العاقبة ولام الصَّيرورة(١)؛ لأنهم إنما أخذوا موسى عليه السّلام ليكون لهم قُرّةَ عَيْنٍ، فكان عاقبةَ ذلك أنه كان عدوًّا لهم وحزنًا، قال الشاعر:

٨٨- ولِلموتِ تَغْذُو الوالِداتُ سِخالَها ... كما لِخَرابِ الدَّهْرِ تُبْنَى المساكِنُ(٢)

والمعنى: فكان لهم عدوًّا، فاللام في موضع الفاء، ومثله قوله تعالى:

= اللغة: المنهل: المورد، وهو عينُ ماءٍ تَرِدُهُ الإبلُ في المراعي، والنَّهَلُ: أولُ الشرب، فُرّاطُ القَطا: مُتَقَدِّماتُها للماء.

التخريج: شعر نِقادةَ الأسدي ص ١٥٤، ملحق ديوان أبي النجم ص ٣٠٢، الكتاب ١/ ٣٧١، إصلاح المنطق ص ٦٨، ٩٦، تهذيب اللغة ٨/ ٥٨، ١٦/ ٢٥٢، مجمل اللغة ٤/ ٨١٢، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٦، تصحيح الفصيح ص ٣٥١، المخصص ١٤/ ٢٢٦، عين المعاني ورقة ٩٧/ ب، اللسان: رجم، فرط، لغط، لقط.

(١) وتسمى أيضًا لامَ المَآلِ، وهي عند الفرَّاء لام «كَيْ»، وذكر الزَّجّاجي أن البصريين يسمونها لام العاقبة؛ أي: كان عاقبةُ التقاطهم العداوةَ والحزنَ، وأن الكوفيين يسمونها لام الصيرورة؛ أي: صار لَهُم عدوًّا وحزنًا، وإن التقطوه لغيرهما. ولكن من الواضح أن البصريين يستعملون التسميتين بلا تفريق بينهما، ينظر: معاني القرآن ١/ ٤٧٧، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٠، إعراب القرآن ٢/ ٦٨، ٦٩، ٣٦٤، المسائل المشكلة ص ١٨٨، الصاحبي لابن فارس ص ١٥٢، البيان للأنباري ٢/ ٢٢٩، الجنى الداني ص ١٢١، مغني اللبيب ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) البيت من الطويل، لسابق بن عبد الله البربري، ويُروى: «فَلِلْمَوْتِ.... لِخَرابِ الدُّورِ».

اللغة: السِّخالُ: جمع سَخْلةٍ وهو المولود المُحَبَّبُ لأبويه، وهو في الأصل ولد الغنم ساعةَ تضعه أمه.

التخريج: العقد الفريد ٢/ ٦٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٦، زاد المسير ٤/ ٥٦، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٢، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٤٦، اللسان: لوم، مغني اللبيب ص ٢٨٢، خزانة الأدب ٩/ ٥٢٩، ٥٣٢.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾[(١)]؛ أي: فَضَلُّوا عن سبيلك[(٢)]، قال الشاعر:

٨٩ ـ هُمُ سَمَّنُوا كَلْبًا لِيَأْكُلَ بعضَهُمْ ... ولو عَلِمُوا ما سَمَّنُوا ذلكَ الكَلْبا[(٣)]

والمعنى: فأكل، هكذا قاله الخليل رحمه الله[(٤)].

وقوله: ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ قرأ أهل الكوفة إلّا عاصمًا: ﴿حُزْنًا﴾ بضم الحاء وجزم الزاي، وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي[(٥)]، وهو الاختيار: للتفخيم، مثلَ: العَدَمِ والعُدْمِ، والسَّقَمِ والسُّقْمِ[(٦)].

---

(١) يونس ٨٨.

(٢) كون اللام في هذه الآية بمعنى الفاء هو قول الأخفش، قاله في معاني القرآن ص ٣٤٧، وينظر أيضًا: المسائل المشكلة للفارسي ص ١٨٨. قال المرادي: «ولا حجة لهم في شيء من ذلك؛ لأن اللام في الآيتين لام الصَّيْرُورةِ». الجنى الداني ص ١٨٨.

(٣) البيت من الطويل، لِمالِكِ بنِ أَسْماءٍ الفَزارِيِّ، وروايته في أكثر المصادر:

وَلَوْ ظَفِرُوا بِالحَزْمِ لم يَسْمَنِ الكَلْبُ

ويُرْوَى:

وَلَوْ عَمِلُوا بِالحَزْمِ ما سَمَّنُوا كَلْبا

التخريج: شعر مالك بن أسماء ص ٢٦٤، الفاخر للمفضل بن سلمة ص ٧٠، الحيوان ١/ ١٩١، المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٢٣، جمهرة الأمثال ١/ ٤٢٨، ثمار القلوب ص ٣٩٣، محاضرات الأدباء ٢/ ٥٩١.

(٤) الجمل المنسوب للخليل ص ٢٥٨، ٢٥٩، ولم يرد هذا البيت في الجمل، وإنما ورد قول طرفة:

لَنا هَضْبَةٌ لَا يَدْخُلُ الذُّل وَسْطَها ... وَيَأْوِي إِلَيْها الْمُسْتَجِيرُ لِيُعْصَما

(٥) ينظر: السبعة ص ٤٩٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٨، ١٦٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٢، البحر المحيط ٧/ ١٠١، الإتحاف ٢/ ٣٤١.

(٦) واختار أبو عمرو والخليلُ الحَزَنَ في موضع النصب، كقوله تعالى هنا: ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ و﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾، واختارا الحُزْنَ في موضع الرَّفع والجَّر، كقوله تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ و﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾. العين ٣/ ١٦٠، ١٦١، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٩، الحجة للفارسي ٣/ ٢٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾ آسيةُ بنت مُزاحم عمّةُ موسى عليهما السلام: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٍ﴾؛ أي: هو قرة عين ﴿لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ (٩)﴾، فإنّ الله أتانا به من أرضٍ أخرى، وليس هو من بني إسرائيل، وإنما لم تَقُلْ: «لا تَقْتُلْهُ» وهي تخاطب فرعون وحدَه؛ لأن هذا خطابُ الجبابرةِ، وكما يخبرون عن أنفسهم[١].

وقرة العين مشتقة من: القَرُورِ، وهو الماء البارد، ومنه قولهم: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَكَ، أي: أَبْرَدَ اللهُ دَمْعَتَكَ؛ لأن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة[٢]، ولهذا يقال للمَدْعُوِّ له: أَقَرَّ اللهُ عَيْنَهُ، مأخوذٌ من القُرِّ وهو البرد، وقيل للمدعوِّ عليه: أَسْخَنَ اللهُ عَيْنَهُ، مأخوذ من السُّخْنَةِ وهي الحرارة[٣].

[٥١/ ب] قوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾؛ أي: ساهيًا لاهيًا / خاليًا من كل شيء إلّا من ذكر موسى وهَمِّهِ، فهي مقبلةٌ ومدبرة وباكية، تأتي النيلَ مَرّةً، وترجع إلى منزلها مَرّةً، هذا قول أكثر المفسرين. وقيل: معناه: فارغًا من الوحي الذي أوحى الله تعالى إليها حين أمرها أن تلقيَه في البحر، وقرأ ابن مُحَيصِن[٤] وفَضالة بن عبيد[٥]: ﴿فَزِعًا﴾[٦] بالزاي والعين من غير ألف، مأخوذٌ من الفزع.

---

(١) قاله النَّحاس، وهو بنصه تقريبًا في إعراب القرآن ٣/ ٢٢٩.

(٢) حكاه الأزهري عن الأصمعي في التهذيب ٨/ ٢٧٦، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١١٩، اللسان: قرر.

(٣) أَسْخَنَ اللهُ عَيْنَهُ: أَبْكاهُ، ينظر: اللسان: قرر.

(٤) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص، مُقْرِئُ أهلِ مكة بعد ابن كثير، وأعلمُ قُرّائِها بالعربية، انفرد بحروف خالف فيها المصحف، توفِّي سنة (١٢٣هـ). [غاية النهاية ٢/ ١٦٧، الأعلام ٦/ ١٨٩].

(٥) فضالة بن عبيد بن نافذ الأنصاري، أبو محمد الأوسي، صحابِي ممن بايع تحت الشجرة، شهد أُحُدًا وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، رَوَى عن النبي ﷺ خمسين حديثًا، توفِّي سنة (٥٣هـ). [الإصابة ٥/ ٢٨٣، الأعلام ٥/ ١٤].

(٦) وهي أيضًا قراءة الحسن وأبي الهذيل ويزيد بن قطيب ومحمد بن السميفع وأبي زرعة بن =

وقولـه: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ قيـل[١]: الهاء راجعة إلى موسـى عليه السّـلام، ومعنى الكلام: إن كادت لتبدي به أنه ابنُها من شدة الوجد عليه، وقيـل[٢]: الهاء عائدة على الوحـي؛ أي: إن كادت لتبدي بالوحي الذي أوحينا إليهـا أن نـرده عليهـا، ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ فقوَّينا قلبَهـا[٣]، فعصمناها وثبتناهـا، ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠﴾؛ أي: المصدِّقين الموقنين بوعد الله تعالى.

قولـه: ﴿وَقَالَتْ﴾ يعني: أمه ﴿لِأُخْتِهِۦ﴾ مريـم ﴿قُصِّيهِ﴾؛ أي: اتْبَعِي أَثَرَهُ حتى تعلمي خبره، ومنه القَصَصُ؛ لأنه حديث يَتْبَعُ فيه الثانِي الأولَ، يقال: قَصَصْتُ الشيءَ: إذا تتَبَّعْتَ أَثَرَهُ متعرفًا حاله قَصًّا وقَصَصًا، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾؛ أي: أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾؛ أي: عن بُعْدٍ، قال ابن عباس[٤]: الجُنُبُ: أن يسمو بَصَرُ الإنسـان إلى الشـيء البعيد وهو إلى جَنْبِهِ لا يشعر به، قال قتادة: جعلتْ تنظر إليـه كأنها لا تريده ولا توهم أنها تـراه، وكان يقرأ: ﴿عن جَنْبٍ﴾ بفتح الجيم

= عمرو وأبي العالية، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٣، المحتسب ١/ ١٤٧، ١٤٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٥، البحر المحيط ٧/ ١٠٢.

(١) قالـه ابن عباس وقتـادة والفرَّاء وابن قتيبة والزَّجّاج، ينظر: معانـي القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠٣، تأويل مشـكل القـرآن ص ٢٢٦، جامع البيان ٢٠/ ٤٦، معاني القـرآن وإعرابه ٤/ ١٣٤، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٨.

(٢) قالـه الأخفش في معاني القرآن ص ٤٣٢، وينظر: معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٦٠، ١٦١، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٨.

(٣) قـال الزَّجّاج: «والرَّبْطُ على القلب: إِلْهامُ الصبرِ وتشـديده وتقويته». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣٤.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٠/ ٤٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٨.

وسكون النون، وقرأ النعمان بن سالم[١]: ﴿عَنْ جانِبٍ﴾[٢]؛ أي: عن ناحية، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ١١﴾ أنها أخته.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ وهي جمع مُرْضِعةٍ ﴿مِن قَبْلُ ١٢﴾ أي: من قَبْلِ مجيءِ أُمِّهِ، وذلك أنه كان يُؤْتَى بِمُرْضِعٍ بعد مُرْضِعٍ، فلا يَقْبَلُ ثَدْيَ امْـرَأةٍ، فهَمَّهُمْ ذلك حتى دَلَّتْهُمْ أختُهُ مريمُ على أمه، فلما جاءت إليه أمه وجد ريحها، فقَبِلَ ثَدْيَها.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قال الكلبي[٣]: الأَشُدُّ: ثمانيَ عشْرةَ سنة، وقال سائر المفسرين[٤]: الأشُدّ: ثلاثٌ وثلاثون سنة، وقوله: ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ يعني: بلغ أربعين سنة ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعني: الفقه والعقل والعلم في دينه ودين آبائه، فحَكَم موسى وعَلِم قبل أن يُبعَث نبيًّا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٤﴾ يعني: الصابرين على الثواب، تفسيرها في سورة يوسف.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: هو نصف

---

(١) تابعيٌّ من أهل الطائف، ثقة صالح الحديث، روى عن ابن عمر وابن الزبير، وروى عنه سِماك ابن حرب وداود بن أبي هند وشُعْبةُ. [تهذيب الكمال ٢٩/ ٤٤٨، الجرح والتعديل ٨/ ٤٤٥].

(٢) قرأ ابن عباس وقتادة وزيد بن علي والحسن والأعرج: ﴿عَنْ جَنْبٍ﴾، وقرأ النعمان بن سالِمٍ: ﴿عَنْ جانِبٍ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٣، المحتسب ٢/ ١٤٩-١٥٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٥٧، البحر المحيط ٧/ ١٠٣.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٢٣٩، وبغير عزو في معاني القرآن للنَّحاس ٦/ ٤٤٩.

(٤) ينظر: جامع البيان ٨/ ١١٣، ١٢/ ٢٣٠، ٢٣١، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣٥، معاني القرآن للنَّحاس ٣/ ٤٠٨، ٥/ ١٦٤، ٦/ ٤٤٨-٤٤٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٣٩، القرطبي ٧/ ١٣٤، ١٣٥.

النهار عند القائلة، وقد خلت الطرق ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ من بني إسرائيل ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من القِبْطِ، أراد تسخير الإسرائيلي ليحمل لـه حطبًا إلى مطبخ فرعون، ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: فاستنصر الإسرائيليُّ موسى على القبطي ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾؛ أي: دفعه ولم يتعمَّدْ / [٥٢/ أ] قَتْلَهُ، ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ⁽١٥⁾﴾؛ أي: قتله وفرغ من أمره. وكل شيء فرغتَ منه فقد قضيتَه وقضيت عليه[١]، والوَكْزُ: الدفع، قيل[٢]: بِجُمْعِ الكَفِّ، وقيل: بأطراف الأصابع، قاله الفراء[٣] وأبو عُبيد[٤]، وفي مصحف عبد الله: «فَنَكَزَهُ» بالنون[٥]، والوَكْزُ والنَّكْزُ واللَّكْزُ واللَّهْزُ بمعنًى واحد، ومعناها: الدفع[٦].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر الأخبار، والترقُّب: انتظار المكروه، والمعنى: أنه ينتظر متى يُؤْخَذُ فيُقْتَلُ بالقِبْطِيِّ، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾؛ أي: يستغيثه، وأصله: من الصُّراخِ، كما يقال: يا لَبَني فلان، يا صَباحاهُ! ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ⁽١٨⁾﴾؛ أي: لَمُضِلٌّ بَيِّنٌ، قتلتُ أمسِ بسببك رجلًا، وتدعوني اليوم إلى آخَرَ، وعلى هذا الغَوِيُّ: فَعِيلٌ

---

(١) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٣٣٠.

(٢) قاله الخليل وأبو عبيدة والزَّجّاج، ينظر: العين ٥/ ٣٩٤، مجاز القرآن ٢/ ٩٩، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣٧، وحكاه النَّحاس عن مجاهد في معاني القرآن ٥/ ١٦٦، وجُمْعُ الكفِّ: مِلْؤُها حين تَقْبِضُها.

(٣) قال الفرَّاء: «وقوله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ يريد: فَلَكَزَهُ». معاني القرآن ٢/ ٣٠٤، هذا ما قاله الفرَّاء، ولم يذكر أن الوكز هو الدفع بأطراف الأصابع أو بغيرها.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٢٤١.

(٥) قرأ ابن مسعود أيضًا: « فَلَكَزَهُ » باللام، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٠، البحر المحيط ٧/ ١٠٥.

(٦) حكاه الأزهري عن الكسائي في التهذيب: «نكز» ١٠/ ١٠٠، ١٠١، و«وكز» ١٠/ ٣٢٢.

بمعنى: المُغْوِي، كالوجيع والأليم، ويجوز أن يكون بمعنى الغاوي[١]، أي: إنك غاوٍ فِي قتالك من لا تطيق دفعَ شرِّه عنك.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ أي: من آخرِها وأبعَدِها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يُسرع في مشيه، قيل: هو حِزْقِيلُ بن صُورِيّا مؤمن آل فرعون، وكان ابنَ عَمِّ فرعونَ، أقبل يمشي على رجليه لينذر موسى ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ يعني: يأمر بعضُهم بعضًا، نظيره قوله تعالى: ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾[٢]، وقال النَّمِر بن تَوْلَب[٣]:

٩٠ـ أَرَى النّاسَ قد أحدَثُوا شِيمةً وفي كُلِّ حادِثةٍ يُؤْتَمَرْ[٤]

وقوله: ﴿فَٱخْرُجْ﴾ يعني: من هذه القرية ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا﴾ يعني: من مدينة فرعونَ ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۝٢١﴾؛ أي: ينتظر الطلبَ أن يأخذوه فيقتلوه بالقِبطي الذي قتله موسى عليه السّلام، وقد تقدم نظيره، ونصب ﴿خَآئِفًا﴾ هاهنا على الحال، والذي قبله على خبر ﴿أَصْبَحَ﴾ والضمير اسمها.

---

(١) أي: أنه بمعنى «فاعل»، وهذا الوجه الثاني قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٣، والوجهان ذكرهما ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٢٠٩، وينظر: الفريد ٣/ ٧١٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٥.

(٢) الطلاق ٦.

(٣) النمر بن تَوْلَبِ بن زهير بن أُقَيْشٍ العُكْلِيُّ، شاعر مخضرم، كان جوادًا، لم يَمْدَحْ وَلم يَهْجُ أحدًا، أدرك الإسلام كبيرًا، فأسلم ووفد على النبي ﷺ، وتوفي سنة (١٤هـ). [الشعر والشعراء ص ٣١٥، الإصابة ٦/ ٣٧٠، الأعلام ٨/ ٤٨].

(٤) البيت من المتقارب، والشيمة: الخُلُقُ والطبيعة.

التخريج: ديوانه ص ٦٤، مجاز القرآن ٢/ ١٠٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٤٢، المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٢، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٦٦، البحر المحيط ٧/ ١٠٦، الدر المصون ٥/ ٣٣٧، المقاصد النحوية ١/ ٥٦٥.

قولـه تعالـى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾؛ أي: نَحْوَهـا وقَصْدَها ماضيًا إليهـا هاربًا من فرعـون، يقال[1]: دارُهُ تِلْقاءَ دارِ فـلان: إذا كان مُحاذِيَها، وهو منصوب على الظرف، وقيل: على المصدر، وقيل: مفعول، وأصله من اللقاء، ولم تصرف «مَدْيَن» لأنها اسـم بلدة معروفة نُسِبَتْ إِلَى مَدْيَنَ بنِ إبراهيمَ عليه السّلام، قال الشاعر:

٩١ ـ رُهْبـانُ مَدْيَنَ لو رَأَوْكِ تَنَزَّلُوا والعُصْمُ مِنْ شَعَفِ الجِبالِ الفادِرِ[2]

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: يرشدني قَصْدَ الطريق إلـى مَدْيـن، وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ﴾ يعني: موسـى ـ عليه السّـلام ـ ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ وهو بئرٌ كانت لهم ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعةً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشـيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ﴾ وهما: ابنتا شُـعيب ﴿تَذُودَانِ﴾؛ أي: تحبسـان وتمنعان أغنامهما عن الماء / حتى يَفْـرُغَ الناسُ، وتَخْلُوَ لهُم البئر، [٥٢/ ب]
ومعنى الـذَّوْدِ في اللغة: الطَّـرْدُ والكَفُّ والدَّفْـعُ، ومعنى ﴿تَذُودَانِ﴾ تدفعان

---

(١) قالـه أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٠١، وينظر: جامع البيان ٢٠/ ٦٥، الكشـف والبيان ٧/ ٢٤٣.

(٢) البيـت من الكامل لجرير، ورواية ديوانه: «من شَـعَفِ العُقُولِ»، ويُـرْوَى: «الفادِرُ» بالرفع، ونُسِبَ لِكُثَيِّرِ عَزّةَ.
اللغة: التَّنَزُّلُ: النُّزُولُ في مهلة، العُصْم: جمع أَعْصَمَ وهو الوَعِلُ أو الظبي الذي في ذراعيه بياض، الشَّعَفُ: جمع شَعَفةٍ وهي أعلى كل شيء، وشعف الجبال: رءوسها، الفادر: المُسِنُّ من الوعول.
التخريج: ديوان جرير ص٣٠٨، ملحق ديوان كثير ص ٥٣١، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣٠٤، الكشـف والبيان٧/ ٢٤٣، تفسـير القرطبي ٦/ ٢٥٨، ١٣/ ٢٦٨، معجم البلدان: مدين، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١/ ٥٤١، ٢/ ١١٨، اللسان والتاج: رهب.

وتكفان، ﴿قَالَ﴾ لهُما مُوسَى ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ابتداءٌ وخَبرٌ[١]؛ أي: ما شَأْنُكُما لا تَسْقِيانِ مواشِـيَكُما مَعَ الناس؟! ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾؛ أي: حتى يُصْدِرُوا مَواشِيَهُم من وِرْدِهم.

قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ والحسن وابن عامر وأبو عَمْرو وأبو جعفرٍ وأيـوب بن المتوكل[٢]: ﴿يَصْـدُرَ﴾[٣] بفتح الياء وضم الـدال، جعلوا الفعل للرِّعاءِ، أي: حتى يرجِعوا هم عن الماء، وقرأ الباقون بضم الياء وكسـر الدال؛ أي: حتـى يصرفوا مواشـيَهم عن المـاء[٤]، والرِّعاء: جمـع راعٍ، مثل: تاجر وتِجار، ومعنى الآية: نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال، ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الكبر.

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ يعني: ظلِّ شجرة مثمرة، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ أي: طعام ﴿فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: محتاج، وكان ـ عليه السّلام ـ لـم يَذُق الطعام منذ سـبعة أيام، قال قطـرب[٥]: واللام فـي قوله: ﴿لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ﴾ بمعنـى «إلى»، تقول العرب: احتجتُ لـه، واحتجتُ إليه، بمعنى واحد.

---

(١) في الأصل: «﴿قَالَ﴾ لهما موسى ابتداء وخبر ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي: ما شأنكما؟ ».

(٢) من أهل البصرة إمام ثقة ضابط له اختيار تَبِعَ فيه الأثرَ، قرأ على الكسائي ويعقوب الحضرمي، روى عنه عليُّ بنُ المديني ويحيى بن معين، وتوفِّي سنة (٢٠٠هـ). [غاية النهاية ١/ ١٧٢، الثقات ٨/ ١٢٦، تاريخ بغداد ٧/ ٧، ٨].

(٣) وهي أيضًا قراءة شـيبة وقتادة، ينظر: السـبعة ص ٤٩٢، حجة القـراءات ص ٥٤٣، البحر المحيط ٧/ ١٠٨.

(٤) فحذف المفعول اختصارًا، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ١٦٩، ١٧٠، الحجة للفارسي ٣/ ٢٤٩.

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ٧/ ٢٤٤.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ يعني: الشرط ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾، وَتَمَّ الكلام، ثم قال: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ يعني: من الثماني حِجَجٍ أو العَشْرِ، ونَصَب أَيًّا بـ﴿قَضَيْتُ﴾، و«ما»: زائدة للتوكيد، وخفض الأجلين بإضافة «أَيٍّ» إليهما، قال الفراء[١]: «ما»: صلة، وهي في قراءة عبد الله بن مسعود: «أَيَّ الأَجَلَيْنِ ما قَضَيْتُ»[٢] أي: أتممت وفرغت منه، ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾؛ أي: لا ظلم عليَّ بأن تطالبَني بأكثر منه، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ٢٨﴾ شهيد وحفيظ فيما بيني وبينك.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ يعني: السنينَ العشْر ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ﴾؛ أي: أَبْصَرَ ورَأَى، ويقال: أَحَسَّ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ يعني: النور بالأرض المقدسة ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾، قرأ حمزة بضم الهاء[٣]، وكسرها الباقون، ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ﴾؛ أي: رأيت ﴿نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يعني: أثر الطريق، وكان قد تَحَيَّرَ ليلًا، فإن لم أجد أحدًا يخبرني عن الطريق أتيتكم بجذوةٍ، يعني: قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ٢٩﴾؛ أي: لكي تستدفئوا من البرد.

وفي قوله: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ ثلاث لغات: فتح الجيم - وهي قراءة عاصم - وضَمُّها - وهي قراءة حمزة[٤] / - وكَسْرُها، وهي قراءة الباقين. والجذوة: [٥٣/ أ]

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٣٠٥.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢٧٩، البحر المحيط ٧/ ١١٠.

(٣) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٨، الكشف لمكي ٢/ ٩٥، التيسير ص ١٥٠، الإتحاف ٢/ ٣٤٢.

(٤) قرأ عاصم والسلمي وزر بن حبيش: ﴿جَذْوَةٍ﴾ بفتح الجيم، وقرأ حمزة وخلف والأعمش وطلحة وأبو حيوة بضم الجيم، ينظر: السبعة ص ٤٩٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨١، البحر المحيط ٧/ ١١١، الإتحاف ٢/ ٣٤٢.

قطعة ذاتُ لهب(١)، والجَذْوُ: القَطْعُ، وقيل(٢): الجذوة: العود الذي قد احترق بعضه، وجمعه: جِذًا، قال ابن مُقبِل(٣):

٩٢ ـ باتَتْ حَواطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لها جَزْلَ الجِـذا غيرَ خَـوّارٍ ولا دَعِرِ(٤)

الخَوّارُ: الذي يَتَقَصَّفُ، والدَّعِرُ: الذي فيه ثقب(٥).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ وكانت من ورقِ آسِ الجنةِ، هبط بها آدم معه من الجنة، وكانت عند إبراهيم حتى وصلت إلى شـعيب عليهما السلام، وكان طُولُها عَشَرةَ أَذْرُع، وكان لا يأخذها غيرُ نَبِيٍّ إلّا أَكَلَتْهُ(٦). قال ابن عباس:

---

(١) قالـه ابن قتيبة والنَّحاس، ينظر: غريب القرآن لابـن قتيبة ص ٣٣٢، معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٧٧.

(٢) قاله قتادة ومقاتل، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٤٨، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ.

(٣) تميم بن أُبَيٍّ بن مقبل، من بني العجلان من عامر بن صعصعة، شاعر جاهلي أدرك الإسلام فأسلم، وكان يُهاجِي النَّجاشِيَّ الشاعرَ، تُوُفِّيَ بعد سنة (٣٧ هـ). [الشعر والشعراء ص ٤٦٢، الإصابة ١/ ٤٩٦، الأعلام ٢/ ٨٧].

(٤) البيت من البسيط، لتميم بن أُبَيِّ بنِ مقبل، ويُرْوَى: «يَقْتَبِسْنَ».

اللغة: الجِذا: أصول الشجر العظام التي بَلِيَ أعلاها وبَقِيَ أسفلُها، واحدتها جَذاةٌ، والجَزْلُ: الحطب الكثير اليابس الغليظ، الخوار: الضعيف، الدَّعِرُ: ما احترق من الحطب فطُفِئَ قبل أن يشتد احتراقه، واحدها: دعِرةٌ.

التخريـج: ديوانه ص ٨٠، مجاز القرآن ٢/ ١٠٣، التهذيب ٢/ ٢٠٣، ١١/ ١٦٧، إعراب القـراءات السـبع ٢/ ١٧٢، مقاييس اللغة ٢/ ٢٨٣، المخصـص ١١/ ٢٣، ١٥/ ١٥٦، الكشـف والبيان ٧/ ٢٤٨، أسـاس البلاغة: جـذو، الكشـاف ٣/ ١٧٤، المحرر الوجيز ٤/ ٢٨٦، شـرح شـواهد الإيضاح ص ٤٤٩، عين المعاني ٩٨/ أ، القرطبي ١٣/ ٢٨١، اللسان: جذا، دعر، البحر المحيط ٧/ ٩٨، الدَّر المصون ٥/ ٣٤٠.

(٥) قاله السجاوندي في عين المعاني ورقة ٩٨/ أ.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ١٧٤، تفسير القرطبي ١١/ ١٩٠، ٢٦١، مجمع البيان ٧/ ١٨، والآسُ: شَجَرةٌ وَرَقُها عَطِرٌ.

وكان في رأسها مكتوبٌ بالعربية وبالسُّريانية: هَيُوها هَيا شَراهَيا، وفَسْرُها: أنا الأول وأنا الآخر وأنا الحي الذي لا أموت أبدًا[١].

قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ وهي الحية، من سرعة حركتها ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يعني: ولم يَرْجِعْ، ونصب ﴿مُدْبِرًا﴾ على الحال، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ يعني: أَدْخِلْ يَدَكَ اليمنى في جيبك ﴿تَخْرُجْ﴾ جواب الأمر ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَصٍ، بل نور يتلألأ كشعاع[٢] الشمس، ومحل ﴿بَيْضَآءَ﴾: نصب على الحال، وقد تقدم نظيرها فِي سورة النمل[٣].

قوله: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾؛ أي: يدك ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾، قرأ حفص بفتح الراء وجزم الهاء، وقرأ أهل الكوفة ـ إلّا حفصًا ـ وأهلُ الشام: بضم الراء وجزم الهاء، وقرأ الباقون بفتح الراء والهاء[٤]، ودليلها قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا

---

(١) ينظر: اللسان: شره، هيه، ورَوَى ابنُ كثير عن عبد الله قال: «لَمّا بَعَثَ اللهُ، عزّ وجلّ، موسى إلى فرعون فقال: ربِّ أي شيء أقول؟ قال: قل: هيا شراهيا، قال الأعمش: فَسْرُ ذلك: أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء». تفسير ابن كثير ٣/ ١٥٥.

(٢) في الأصل: «شعاع».

(٣) النمل ١٢.

(٤) قرأ حفصٌ عن عاصمٍ، وأبو عبد الرحمن السلميُّ وعيسى بنُ عمر وابنُ أبي إسحاق: ﴿مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ أبو بكر عن عاصم، وابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ والشَّنَبُوذِيُّ: ﴿مِنَ الرُّهْبِ﴾ بضم الراء وإسكان الهاء، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب: ﴿مِنَ ٱلرَّهَبِ﴾ بفتح الراء والهاء، ينظر: السبعة ص ٤٩٣، حجة القراءات ص ٥٤٤، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٧٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٤، الإتحاف ٢/ ٣٤٣.

﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[1]، وكلها لغات بمعنى: الخوف والفَرَقِ[2]، ومعنى الآية: إنْ هالَكَ يا موسى أَمْرُ يَدِكَ وما ترى من شعاعها، فأدخلها فِي جيبك تَعُدْ إلى حالتها الأولى.

وقوله: ﴿فَذَانِكَ﴾ يعني: العصا واليدَ البيضاء ﴿بُرْهَانَانِ﴾؛ أي: حُجَّتانِ ﴿مِن رَّبِّكَ ﴿٣٢﴾﴾ على صدقك، قرأه العامة: ﴿فَذَانِكَ﴾ بتخفيف النون، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورُوَيْسٌ[3] بتشديد النون[4]، وهي لغة قريش[5]، وفي وجهه أربعة أقوال، قيل[6]: شَدَّدُوا النونَ عوضًا من الألف الساقطة، ولم يُلْتَفَتْ إلى التقاء الساكنَيْن، وقيل[7]: التشديد للتأكيد كما أدخلوا اللام في

(١) الأنبياء ٩٠.

(٢) وقال قتادة وأبو عمرو الشيبانِيُّ وابن الأعرابِيِّ: الرُّهْبُ بالضم: الكُمُّ، ينظر: إصلاح المنطق ص ٨٦، تهذيب اللغة ٦/ ٢٩١، ٢٩٢، معانِي القراءات ٢/ ٢٥١، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٧٣، ١٧٤.

(٣) هو: محمد بن المتوكل اللؤلؤي، أبو عبد الله البصري، مقرئ ضابط مشهور، أحد رواة قراءة يعقوب، ومن أحذق أصحابه، روى عنه محمد بن هارون التَّمّارُ، توفِّي سنة (٢٣٨هـ). [غاية النهاية ٢/ ٢٣٤].

(٤) ورُوِيَ عن أَبِي عمرو أنه كان يُخَفِّفُ ويُثَقِّلُ، ورُوِيَ عن ابن كثير: ﴿فَذانِيكَ﴾ خفيفة النون بياء، وهي قراءة ابن مسعود وعيسى بن عمر، ينظر: السبعة ص ٤٩٣، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٥، البحر المحيط ٧/ ١١٣، الإتحاف ٢/ ٣٤٣.

(٥) قاله أبو عمرو، ينظر: جامع البيان ٢٠/ ٩٢، الكشف والبيان ٧/ ٢٤٩، الوسيط ٣/ ٣٩٨، أمالِيُّ ابن الشجري ٣/ ٥٥.

(٦) يعني: عوضًا من ألف «ذا» التي سقطت عند التثنية، وهذا القول حكاه النَّحاس عن أبي حاتم في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٧، وبه قال ابن جني ومكي بن أبي طالب، ينظر: سر صناعة الإعراب ص ٤٨٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٠.

(٧) قاله الأخفش وأبو عبيدة، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٣٣، مجاز القرآن ٢/ ١٠٤، وحكاه الأزهري عن الأخفش في التهذيب ١٥/ ٣٤.

«ذلك»، وقيل(١): شددت فَرْقًا بينها وبين النون التي تسقط للإضافة؛ لأن «ذانِ» لا يضاف، وقيل(٢): للفرق بين تثنية الاسم المتمكن وبينها.

قال أبو عبيد(٣): وكان أبو عمرو يَخُصُّ هذا الحرفَ بالتشديد دون كل تثنية في القرآن، فأحسبه فَعَلَ ذلك لِقِلّةِ / الحروف في الاسم، فقرأه بالتثقيل، [٥٣/ ب] وقال الزجاج(٤): التشديد تثنية «ذلك»، والتخفيف تثنية «ذاك»، جُعِلَ بَدَلَ اللامِ في «ذَلِكَ» تشديدُ النون في «ذانِّكَ».

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ﴾ ابتداءٌ وخبر ﴿مِنِّي لِسَانًا﴾؛ أي: أحسن مني بيانًا، وهو نصب على التفسير، وإنما قال ذلك للعُقْدةِ التي في لسانه من قِبَلِ الجَمْرةِ التي تناولها، ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: مُعِينًا، يقال: أَرْدَأْتُهُ؛ أي: أَعَنْتُهُ(٥)، ترك هَمْزَهُ أهلُ المدينة وعيسى بن عمر طلبًا للخفة(٦)، وهَمَزَهُ الباقون، وهو

(١) هذا القول حكاه الأزهري عن الفرَّاء في التهذيب ١٥/ ٣٤، وللفرَّاء في اللسان: «ذاك، ذلك»، ولم أقف عليه في معاني القرآن، ولبعض نحويي الكوفة في جامع البيان ٢٠/ ٩٢، وهو بغير نسبة في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٧، ٢٣٨، الكشف والبيان ٧/ ٢٤٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦١، البيان للأنباري ٢/ ٢٣٢.

(٢) هذا القول حكاه الأزهري عن الكسائي في التهذيب ١٥/ ٣٤، وللكسائي في اللسان: «ذاك وذلك»، وهو لبعض نحويي الكوفة في جامع البيان ٢٠/ ٩٢، وبدون نسبة في الكشف والبيان ٧/ ٢٤٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦١، البيان للأنباري ٢/ ٢٣٢.

(٣) حكاية أبي عبيد عن أبي عمرو في الكشف والبيان ٧/ ٢٤٩، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٤٣.

(٥) قاله ابن السكيت وابن قتيبة، ينظر: إصلاح المنطق ص ١٥٥، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٧.

(٦) قرأ نافع وأبو جعفر وورش: ﴿رِدًا﴾ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الدال، ولكن أبا جعفر =

منصوبٌ على الحال، وقوله: «يُصَدِّقُنِي» قرأه العامة بالجزم، وقرأه عاصمٌ وحمزة بالرفع(١)، وهو اختيار أبي عبيد، فمن جزمه فهو على: جواب الأمر للدعاء، ومن رفعه فعلى: الحال؛ أي: رِدْءًا مصدقًا خالصَ التصديق(٢)، كقوله تعالى: ﴿أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾(٣)؛ أي: كائنة، حالٌ صُرِفَ إلى الاستقبال.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ جمع بَيِّنةٍ، والتاء في موضع نَصْب على الحال ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾؛ أي: الذي جئتنا به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ افتريتَهُ من قِبَلِ نفسك ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي تدعونا إليه ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ﴾ يعني: قومَ فرعون ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يعني: الغرق ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: المُبْعَدِينَ الملعونين، مأخوذ من القبح وهو الإبعاد، قال أبو زيد(٤): يقال: قَبَحَ اللهُ فُلانًا قَبْحًا

= يبدل من التنوين ألفًا في الوصل والوقف، ينظر: السبعة ٤٩٤، الكشف عن وجوه القراءات ١/ ٣٨٣، ٢/ ١٧٤، البحر المحيط ٧/ ١١٣، الإتحاف ٢/ ٤٣.

(١) ينظر: السبعة ص ٤٩٤، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ١٧٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٨٨، البحر المحيط ٧/ ١١٣، الإتحاف ٢/ ٣٤٣.

(٢) جوز النَّحاس في جملة ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ أن تكون نعتًا، وأن تكون حالًا، وإذا كانت حالًا فصاحب الحال هو: الضمير المستتر في ﴿رِدْءًا﴾؛ لأنه مؤول بالمشتق، فهو بمعنى «مُعِينًا»، ينظر: إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٢٣٦، معاني القراءات للأزهري ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣، الحجة للفارسي ٣/ ٢٥٥.

(٣) المائدة ١١٤.

(٤) هو: سعيد بن أوس بن ثابت، أبو زيد الأنصاري البصري، أحد أئمة اللغة والأدب، كان يرى رأي القدرية، كان سيبويه إذا قال: سمعت الثقة عَنَى أبا زيد، توفِّي سنة (٢١٥هـ)، من =

وقُبُوحًا؛ أي: أَبْعَدَهُ من كل خير[١]، وقال ابن عباس[٢]: يعني: المشوَّهين الخِلقة بسواد وجوههم وزُرْقةِ أعينهم في النار، وعلى هذا التأويل يكون ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ بمعنى: المُقَبَّحِينَ، قال أهل اللغة[٣]: يقال: قَبَحَهُ اللهُ يَقْبَحُهُ: إذا جعله قَبِيحًا.

وانتصب «يومَ» على أنه مفعولٌ به على السَّعة، كأنه قال: «وَأَتْبَعْناهُمْ فِي هذه الدنيا لعنة وَلَعْنةَ يَوْمِ القِيامةِ»، ثم حذف اللعنة الثانية لدلالة الأولى عليها، وقام «يوم» مقامها فانتصب بانتصابها، ويجوز أن ينصب اليوم على أن تعطفه على موضع ﴿فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾، كما قال الشاعر:

٩٣ ـ إذا ما تلاقَيْنا منَ اليوْمِ أو غدا[٤]

ويجوز نصبه على أنه: ظرف للمقبوحين؛ أي: وهم من المقبوحين يوم القيامة، ثم قُدِّمَ الظرفُ[٥].

= كتبه: النوادر، الهمز، لغات القرآن. [إنباه الرواة ٢/ ٣٠: ٣٥، بغية الوعاة ١/ ٥٨٢-٥٨٣، الأعلام ٣/ ٩٢].

(١) ينظر قول أبي زيد في التهذيب ٤/ ٧٥، زاد المسير ٦/ ٢٢٤، اللسان: قبح.

(٢) ينظر قول ابن عباس في الكشف والبيان ٧/ ٢٥١، مجمع البيان ٧/ ٤٤٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٠، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ.

(٣) قاله أبو زيد كما سبق، وهو قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٠٦، وهو للأخفش في مجمع البيان ٧/ ٤٤٠.

(٤) هذا عجز بيت من الطويل، لكعب بن جُعَيْلٍ، وصدره:

أَلَا حَـيِّ نَدْمانِي عُمَيْرَ بنَ عامِرٍ

التخريج: الكتاب ١/ ٦٨، المقتضب ٤/ ١١٢، ١٥٤، شرح أبيات سيبويه ١/ ٢٣٣، المحتسب ٢/ ٣٦٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٢، الإنصاف ص ٣٣٥، البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٢٣٤، ٣٣٣، الفريد للهمداني ٣/ ٧١٨، البرهان للزركشي ٢/ ١٦٢.

(٥) من أول قوله: «وانتصب «يوم» على الظرف» قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٢، =

قولـه تعالـى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ يعنـي: قـوم نوح وعـاد وثمـود / وغيرهم كانوا قبل موسـى، ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾ جمـع: بصيـرة، أي: لِيَتَبَصَّـرُوا بذلك الكتـاب ويهتدوا بـه، وهو قوله: ﴿وَهُدًى﴾؛ أي: مـن الضلالة لِمَنْ عَمِلَ بـه ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ آمَنَ به من العذاب ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: لكـي يتذكروا ما فيه من المواعظ والبصائر، فيؤمنوا بتوحيد الله، و﴿بَصَآئِرَ﴾: منصوبٌ على الحال، و﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾: عطفٌ عليه، ويجوز الرفع بمعنى: وهو هُدًى[1]، يعني: الكتاب، ورحمةٌ لمن آمن به من العذاب. [٥٤/ أ]

فصل

عن أبي سـعيد الخُدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أَهْلَكَ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ قومًا ولا أمةً ولا قرنًا ولا أهلَ قريةٍ بعذاب من السـماء منذ أنزل الله سـبحانه التـوراة، غيرَ أهل القرية الذين مُسِـخُوا قِرَدةً، أَلَم تَـرَ أن الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ...﴾ الآية»[2].

= والوجـه الثانـي الذي ذكره موافق لمذهب سـيبويه والمبرد، وهـو العطف على الموضع، ينظر: الكتاب ١/ ٦٨، المقتضب ٤/ ١١٢، ١٥٤، وأما الوجه الثالث الذي ذكره المؤلف فهو قول المازنيِّ، وأجازه بشـرط أن تكون «أل» فـي ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ للتعريف، لا بمعنى «الذي»؛ لئلّا تتقدم الصلة على الموصول.

وفـي الآيـة وَجهٌ آخَرُ لم يذكره المؤلـف، وهو: أن يكون «يوم» منصوبًا بمحذوف يفسـره ﴿ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾؛ أي: وقُبِحُـوا يـوم القيامة، ثم فسـر بالمقبوحين، ينظـر: البيان للأنباري ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤، التبيـان للعكبـري ص ١٠٢١، الفريد للهمدانـي ٣/ ٧١٧-٧١٨، الدَّر المصون ٥/ ٣٤٥.

(١) قاله النَّحاس في إعراب القرآن ٣/ ٢٣٨، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٢.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠٨ كتاب التفسير: تفسير سورة القصص، وينظر: الكشف =

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ يعني: موسى ﴿وَلَٰكِن رَّحۡمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، قرأه العامة بالنصب: على المصدر[1]، تقديره: ولكن رَحِمْناكَ رحمةً من ربك، وقال الزجاج[2]: هو مفعول من أجله؛ أي: للرحمة، وقال الكسائي[3]: هو منصوب على خبر «كان»، وقرأ عيسى بن عمر: ﴿وَلَكِنْ رَحْمةٌ﴾[4] بالرَّفع، يعنِي: ولكن هي رَحْمةٌ من ربك؛ إذْ أَطْلَعَكَ عليه وعلى الأخبار الغائبة عنك، ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٤٦﴾؛ أي: لكي يتعظوا.

فصل

عن سهل بن سعد الساعدي[5]، قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا﴾ قال: «كتب الله كتابًا قبل أن يخلُق الخلق بألفَيْ عام في ورقة آسٍ، ثم وضعها على العرش، ثم نادى: يا أمة

= والبيان ٧/ ٢٥١، الوسيط ٣/ ٤٠٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٠، مجمع الزوائد ٧/ ٨٨ كتاب التفسير: سورة القصص.

(١) هذا قول الأخفش، قاله في معاني القرآن ص ٤٣٣، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٤٧.

(٣) وعليه فـ«كان» مضمرة، وينظر قوله فِي إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٢٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٣.

(٤) وبها قرأ أبو حيوة أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١١٤، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ، البحر المحيط ٧/ ١١٧.

(٥) صحابِيٌّ مشهور، من أهل المدينة عاش نحو مائة سنة، كان اسمه حَزَنًا، فسماه الرسول سهلًا، له ولأبيه صحبة، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة (٩١هـ)، وقيل: (٨٨هـ). [الإصابة ٣/ ١٦٧، الأعلام ٣/ ١٤٣].

محمد: إنّ رحمتي سبقت غضبي، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، ورَحِمتُكُم قبل أن تسترحموني، مَن لَقِيَني منكم يشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا عبدي ورسولِي أَدْخَلْتُهُ الجنةَ»[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ونقمة في الدنيا ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعصية، يعني كفار مكة، ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا، نداءٌ مضاف ﴿لَوْلَآ﴾؛ أي: هَلّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ نصب على جواب الاستفهام بالفاء، وجواب «لولا» الأَوَّلِ محذوفٌ؛ أي: لَعاجَلْناهُمْ بالعقوبةِ، وقيل: معناه لَما أرسلنا إليهم رسولًا، ولكنّا بعثنا إليهم لئلّا يكون على الله حجةٌ بعد الرسل.

[٥٤/ ب] قوله / تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ محمد ﷺ والقرآن ﴿قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾؛ أي: هَلّا ﴿أُوتِىَ﴾ محمدٌ من الآيات ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من العصا واليد البيضاء، فاحتجَّ الله عليهم بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد، وقوله: ﴿قَالُوا۟﴾ يعني: كفّارَ مكة ﴿سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا﴾؛ أي: تعاونا على السحر والضلالة، يعنون موسى ومحمدًا عليهما السلام، ومن قرأ: ﴿سِحْرَانِ﴾[٢] أراد: التوراة والقرآن، وهما رفع على خبر ابتداءٍ محذوف، تقديره: هما ساحران ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ من التوراة والقرآن ﴿كَـٰفِرُونَ ۝٤٨﴾.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٥٢، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ، الدر المنثور ٥/ ١٢٩، فتح القدير ٤/ ١٧٩.

(٢) قرأ ابن مسعود وزيد بن عَلِيٍّ وعاصمٌ وحمزةُ والكسائيُّ وخلف والمُطَّوِّعِيُّ: ﴿سِحْرَانِ﴾، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر ويعقوب والحسن: ﴿ساحِرانِ﴾، ينظر: السبعة ص ٤٩٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٧٧، حجة القراءات ص ٥٤٧، البحر المحيط ٧/ ١١٨، الإتحاف ٢/ ٣٤٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾؛ أي: بيَّنّا، وقيل: فَصَّلنا، وقيل: وصَّلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة، حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا، وقيل: والَيْنا وتابَعْنا، وأصلها من: وَصْلِ الحِبالِ بعضِها إلى بعض، قال الشاعر:

٩٤ ـ فقُـلْ لِبَني مَـرْوانَ ما بالُ ذِمّةٍ   وحَبْلٍ ضَعِيفٍ ما يَزالُ يُوَصَّلُ؟ [١]

قرأ الحسن: ﴿وَصَلْنا﴾ خفيفةً[٢]، وقرأه العامة بالتشديد: على التكثير، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)﴾ أي: لكي يتعظوا ويخافوا، فيؤمنوا.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ يعني: من قبل القرآن، وقيل: من قبل محمد عليه السّلام، ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)﴾؛ أي: يصدقون بمحمد ﷺ ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ يعني: القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: صدَّقْنا بالقرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾؛ أي: من قبل القرآن ﴿مُسْلِمِينَ (٥٣)﴾ مخلصين لله بالتوحيد مصدِّقين بمحمد ﷺ أنه نبي حق.

ثم أثنى الله عليهم خيرًا، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾؛ أي: ضعفين ﴿بِمَا صَبَرُوا (٥٤)﴾ على دينهم الأول حتى أدركوا النبي ﷺ فأسلموا معه أيضًا، وهو ابتداءٌ وخبر، ونصب ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ على المصدر.

قيل[٣]: نزلت هذه الآية في قوم من أهل الكتاب آمنوا بمحمد عليه السّلام

---

(١) البيت من الطويل، للأخطل يعاتب بني أمية لأنهم لم يدافعوا عن تَغْلِبَ، ورواية ديوانه:
فسائِلْ بَنِي مَرْوانَ...

التخريج: ديوانه ص ٢٣٠، مجاز القرآن ٢/ ١٠٨، جامع البيان ٢٠/ ١٠٧، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٤، عين المعاني ورقة ٩٨/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٥، البحر المحيط ٧/ ١٢٠.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٥، البحر المحيط ٧/ ١١٩، الإتحاف ٢/ ٣٤٤.

(٣) قاله قتادة، ينظر: جامع البيان ٢٠/ ١٠٩، زاد المسير ٦/ ٢٢٩، عين المعاني ورقة ٩٨/ ب، تفسير القرطبي ١٣/ ٢٩٧.

قبل أن يُبْعَثَ وأدركه بعضُهم، منهم: عبد الله بن سلام[١] ومَن أَسْلَمَ معه.

وقيل[٢]: إن النجاشي وَجَّهَ باثنَيْ عشَر رجلاً من أصحابه مع جعفر بن أَبي طالب من الحبشة إلى النبي ﷺ فجلسوا مع النبي ﷺ، وكان أبو جهل وأصحابه قريبًا منهم، فآمنوا بالنبي ﷺ، فلما قاموا من عنده تبعهم أبو جهل ومن معه / ، [٥٥/ أ] وقالوا: خَيَّبَكُم اللهُ من رَكْبٍ، وقَبَّحَكُمْ من وفد، لم تلبثوا أن صدقتموه، ما رأينا رَكْبًا أَحْمَقَ ولا أجهل منكم، فقالوا: سلام عليكم، لم نَأْلُ أَنْفُسَنا رشدًا.

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ يعني: لنا ديننا ولكم دينكم، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾؛ أي: لا نريد أن نكون من أهل الجهل والسفه، وقيل: معناه: لا نبتغي دين الجاهلين.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ شرط وجزاء، قيل[٣]: نزلت هذه الآية في الحارث بن نوفل بن عبد مناف القرشي[٤]، وذلك

---

(١) عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي، أسلم عند قدوم النبي ﷺ للمدينة، كان اسمه الحصين، فسماه الرسول عبدَ الله، شهد فتح بيت المقدس، وتوفِّي بالمدينة سنة (٤٣هـ). [الإصابة ٤/ ١٠٢، الأعلام ٤/ ٩٠].

(٢) ذكر ابن هشام هذه القصة في السيرة ١/ ٢٦٣، وينظر: زاد المسير ٦/ ٢٢٩، تفسير القرطبي ٦/ ٢٥٦، ١٣/ ٢٩٦، البداية والنهاية ٣/ ١٠٣.

(٣) روى النسائي ذلك عن ابن عباس في السنن الكبرى ٦/ ٤٢٥ كتاب التفسير: سورة القصص، وينظر: جامع البيان ٢٠/ ١١٥، ١١٦، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٥، أسباب النزول ص ٢٢٨، عين المعاني ٩٨/ ب.

(٤) صحابي من الولاة، وَلّاهُ النبيُّ ﷺ بعض أعمال مكة، وأَقَرَّهُ أبو بكر وعمر وعثمان، ثم انتقل إلى البصرة فتوفِّي بها سنة (٣٥هـ). [الإصابة ١/ ٦٩٥-٦٩٦، أسد الغابة ١/ ٣٥٠-٣٥١، الأعلام ٢/ ١٥٨].

أنه قال للنبي ﷺ: إنا لَنَعْلَمُ أن الذي تقول حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك مخافةُ أن تَتَخَطَّفَنا العَرَبُ من أرضنا، يعني: مكة، فإنما نحن أَكَلَةُ رَأْسٍ[1] بين العرب، ولا طاقة لنا بهم، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ يعني: يُجمَع، من قولك: جَبَيْتُ الماءَ في الحوض: إذا جَمَعْتَهُ، وقيل: يُحمل إلى الحرم ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: من ألوان النبات ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني: أكثر أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ يقول: يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون فِي الحرم من القتل والسبي، فكيف يخافون لو أسلموا؟! أنجعل لهم الحرمَ آمنًا في الشرك ونخوِّفهم فِي الإسلام؟! فإنّا لا نفعل بهم ذلك لو أسلموا.

قرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل: ﴿تُجْبَى﴾ بالتاء: على تأنيث الجماعة، وقيل: لأجل الثمرات[2]، واختاره أبو حاتم، وقرأ غيرهم: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالياء[3] على تذكير الجمع، وقيل: لأجل ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، واختاره أبو عبيد، وثَمَراتٌ: جمع ثَمَرةٍ، وثَمَرٌ جَمْعُهُ: ثِمارٌ[4]، ونصب ﴿رِّزْقًا﴾ على المصدر؛ أي: رزقناهم رزقًا من عندنا، وقيل: على المفعول من أجله[5].

(١) قال الجوهري: «وقولهم: هم أَكَلَةُ رَأْسٍ؛ أي: هم قليل يشبعهم رأس واحد». الصحاح ٤/ ١٦٢٤.

(٢) يعني: لأجل تأنيث لفظ الثمرات.

(٣) ينظر: السبعة ص ٤٩٥، حجة القراءات ص ٥٤٨، البحر المحيط ٧/ ١٢١، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٣٤٥.

(٤) في الأصل: «وثمرات جمع ثمر، وثمر جمع ثمار»، والتصويب من إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٢٤٠.

(٥) وفيه وجه ثالث وهو أن يكون حالًا من ﴿ثَمَرَٰتُ﴾ لتخصيصها بالإضافة، وهو على هذا مصدر بمعنى المفعول؛ أي: مرزوقًا من لدنا، ينظر: الفريد ٣/ ٧٢٠، ٧٢١، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٠، الدر المصون ٥/ ٣٤٩.

قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾؛ أي: عاشوا في البَطَرِ والأَشَرِ، فأكلوا رزق الله، وعبدوا الأصنام، وجُعِلَ الفعلُ للقرية، وهو في الأصل للأهل، وقد مضى نظير هذه المسألة في قوله تعالَى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾(١).

وسُمِّيت قريةً لجمعها لأهلها؛ لأنها تَقْرِي النّاسَ؛ أي تجمعهم، من قولهم: قَرَى في حوضه الماءَ يَقْرِيهِ: إذا جَمَعَهُ، وقَرَى البَعِيرُ في شِدْقِهِ العَلَفَ: إذا جَمَعَهُ، قَرْيًا(٢).

وقال قوم: أصل قَرْيةٍ: قُرْيةٌ بالضم. وسُمِّيت المدينة مدينةً لأنها مَنْزِلُ المَلِكِ يكون فيها من يَدِينُ له ويطيعه، يكون هذا من «مَفْعِلَةٍ»(٣) من: دانَ يَدِينُ: إذا أطاع، وقيل(٤): سُمِّيت مدينةً من: مَدَنَ بالمكان / : إذا أقام به، وهي «فَعِيلةٌ» من ذلك؛ لأنه يُقامُ بها. [٥٥/ ب]

وقوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ البَطَرُ هاهنا لأهل القرية، والبَطَرُ: سوء حمد النعمة، وهو أن يتكبر ويقهر ويُعْرِضَ عن الشكر.

---

(١) يوسف ٨٢، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٢) ينظر: إصلاح المنطق ص ٢٤٤، تهذيب اللغة ٩/ ٢٦٩-٢٧٠، اللسان: قري.

(٣) أي: أن الميم فيه زائدة، وعليه فجمعه مدائن بوزن مفاعل، وقد حكاه الأخفش بغير عزو في معاني القرآن ص ٢٩٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٦، الإغفال للفارسي ٢/ ٢٣٦، ٢٣٧، الصحاح ص ٢٢٠١، اللسان: مدن.

(٤) هذا قول أكثر العلماء، وعليه فجمعها: مدائن بوزن «فَعائِلَ»؛ لأن الميم أصلية، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٢٩٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٧٦، الإغفال ٢/ ٢٣٧، تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٥، الصحاح ص ٢٢٠١.

والمعيشـة: نَصْب عند المازنِيِّ[١] والزَّجّاج[٢] على تقدير حذف حرف الجَرِّ، تقديره: بَطِرت في معيشـتها، فلما أسـقط الجار تعدى الفعل، فنصب، على حَدِّ قَوْلِهِ تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾[٣]، وغير ذلك.

وقال الفرَّاء[٤]: هي نصب على التفسير. وهو بعيد؛ لأنها معرفة، والتفسير لا يكون إلّا نكرةً، وقيل[٥]: هي نصب بـ﴿بَطِرَتْ﴾، وبَطِرت بمعنى: جهلت، أي: جهلت شـكر معيشـتها، ثم حُذف المضاف، وقيل[٦]: جهلت معيشتها، فانتصابها على هذا الوجه انتصاب المفعول به.

وقولـه تعالـى: ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قـال ابن عباس[٧]: لم يسكنها إلا المسافر ومارُّ الطريقِ يومًا أو ساعةً.

---

(١) هو: بكر بن محمد بن حبيب بن بقية، أبو عثمان المازنيُّ، أحد أئمة النحو واللغة والأدب، روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، أخذ عنه المبرد، وتوفِّي بالبصرة سنة (٢٤٨هـ)، من كتبـه: التصريف، العـروض، علل النحو. [إنبـاه الـرواة ١/ ٢٨١-٢٩١، بغية الوعاة ١/ ٤٦٣-٤٦٦، الأعلام ٢/ ٦٩].

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٠، وينظر قول المازنيِّ في إعراب القرآن للنَّحاس ٣/ ٢٤٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٣، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ٩، الفريد للهمداني ٣/ ٧٢١.

(٣) الأعراف ١٥٥.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣٠٨.

(٥) هذا القول حكاه مَكِّيٌّ بغير عزو في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٣، وبه قال العكبَري في التبيـان ص ١٠٢٣، وينظر: تفسـير القرطبـي ١٣/ ٣٠١، البحر المحيـط ٧/ ١٢١، الدر المصون ٥/ ٣٤٩، وذهب الكسائي إلى أنه منصوب على التشبيه بالمفعول به كما ذكر ابن مالك في شرح التسهيل ٢/ ١٣٠، وينظر: ارتشاف الضرب ص ١٣٣٨.

(٦) قاله طاهر بن أحمد في شرح جمل الزَّجّاجي ٢/ ٩.

(٧) ينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٥٦، الوسيط ٣/ ٤٠٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠١، زاد المسير ٦/ ٢٣٣.

ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على الاستثناء والنعت لمصدر محذوف، والمعنى: لم تُسْكَنْ من بعدهم إلّا سُكُونًا قليلًا[١]، ﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾، نظيره قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣]، والمعنى: لم يَخْلُفْهم أحدٌ بعد هلاكهم فِي منازلهم، فبقيت خرابًا غير مسكونة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ يريد: بكفر أهلها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا﴾ يريدُ مكة ﴿رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ كافرون، قال ابن الأنباري[٤]: إذا اضْطُرِرتَ إلى الوقف على ﴿مُهْلِكِي﴾ وقفتَ عليه بالياء، وكان الأصل فيه: مُهْلِكِينَ القرى، فسقطت النون للإضافة، وسقطت الياء من اللفظ لسكونها وسكون اللام، وثَبَتَتْ في الوقف؛ لأنه لم يجتمع معها في الكلمة ساكنٌ يوجب سقوطَها، إنما أتى الساكنُ في حرف آخر، ومثله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾[٥]، و﴿غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ﴾[٦]، و﴿الْمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾[٧]، وما أشبه ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾، محل «ما»: رفع بالابتداء، ﴿فَمَتَٰعُ

---

(١) ويجوز أن يكون نعتًا لظرف محذوف، أي: وقتًا قليلًا، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٢٣، الدر المصون ٥/ ٣٤٩.

(٢) مريم ٤٠، والحديد ١٠.

(٣) آل عمران ١٨٠، والحديد ١٠.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٣٩.

(٥) المائدة ١.

(٦) التوبة ٢.

(٧) الحج ٣٥.

﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ خبر الابتداء، الخطاب لأهل مكة؛ أي: وما أُعْطِيتُمْ من خير ومالٍ فهو متاع الحياة الدنيا ﴿وَزِينَتُهَا﴾ تتمتعون فيها أيامَ حياتِكم فِي الدنيا، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني: من الثواب في الآخرة ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾؛ أي: أفضل وأَدْوَمُ لأهله مما أُعْطِيتُمْ في الدنيا الفانية، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠﴾ أنّ الباقيَ خيرٌ من الفانِي الذاهب، قرأ أبو عمرو: ﴿أَفَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ بالياء[1]، وقرأ الباقون بالتاء.

قولـه تعالـى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ يعنِي: مِنْ خَلْقِهِ للرسالة، ﴿وَيَخۡتَارُ﴾ لَها مَنْ يَشاءُ ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ ٦٨﴾؛ أي: لا يُرسِلُ الله الرسُلَ على اختيارهم، والخِيَرةُ: اسم من الاختيار يُقامُ مُقامَ المصدر[2]، والْخِيرَةُ: اسم للمُخْتارِ أيضًا[3]، يقال: مُحَمَّدٌ خِيَرةُ الله مِن خَلْقِهِ، ويَجُوزُ التخفيف فيهما[4].

وهذا جوابٌ لقول الوليد بن المغيرة: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ

---

(١) قرأ الدُّورِيُّ عن أبي عمرو: ﴿يَعْقِلُونَ﴾ بالياء، ورُوِيَ عن أبي عمرو أيضًا التخيير بين الغيب والخطاب، ينظر: السبعة ص ٤٩٥، النشر ٢/ ٣٤٢، البحر المحيط ٧/ ١٢٢، الإتحاف ٢/ ٣٤٥.

(٢) هذا هو المشهور، وقال الليث: «الخِيرةُ خفيفةً: مصدر اختار خِيرةً مثل: ارتاب رِيبةً، وكل مصدر لـ«أَفْعَلَ» فاسم مصدره «فَعالٌ» نحو: أفاق يفيق فَواقًا، وأَصابَ يصيب صوابًا، وأجاب يجيب جوابا، أقيم الاسم مقام المصدر». التهذيب ٧/ ٥٤٨، وينظر: الصحاح ٢/ ٦٥٢، اللسان: خير.

(٣) قاله الفرَّاء في معانِيه ٢/ ٣٠٩، وينظر: إصلاح المنطق ص ١٦٩، التهذيب ٧/ ٥٤٧، ٥٤٩.

(٤) يعني إسكان الياء، قاله ابن السكيت والأزهري والجوهري، ينظر: إصلاح المنطق ص ١٦٩، تهذيب اللغة ٧/ ٥٤٨، الصحاح ٢/ ٦٥٢.

ﵟٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍﵞ(١)، أخبر الله ـ عزّ وجلّ ـ أنه لا يبعث الرسل باختيارهم، وهذا من الجواب المفصول.

[٥٦/ أ] وللقُـرّاءِ في هذه الآية وجهان(٢)، أحدهما / : أن يَمُرَّ على قوله: ﵟمَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُﵞ، ويجعل «ما» بمعنى «الذي»؛ أي: ويَخْتارُ لهم ما هو أصلح بالخيرة، والثانِي: أن يقف على قوله: ﵟوَيَخۡتَارُﵞ ويجعل «ما» نفيًا؛ أي: ليس لهم الاختيار.

قال الثعلبي(٣) ـ رحمه الله ـ: وهذا القول أصوب وأعجب إِلَيَّ، كقوله تعالى: ﵟوَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡﵞ(٤)، وأَنْشَدَ لمحمودٍ الورّاق(٥):

٩٥ـ تَوَكَّل عَلى الرَحمَنِ في كُلِّ حاجةٍ ... أَردتَ فإِنَّ اللهَ يَقضي ويَقدِرُ
مَتى ما يُرِد ذو العَرشِ أَمرًا بِعَبدِهِ ... يُصِبهُ وما لِلعَبدِ ما يَتَخَيَّرُ

---

(١) الزخرف ٣١.

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥١، ١٥٢، إيضاح الوقف والابتداء ص ٨٢٣، ٨٢٤، المكتفى في الوقف والابتدا ص ٢٨١، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٥، البحر المحيط ٧/ ١٢٤.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، مفسر مقرئ واعظ أديب، توفِّي سنة (٤٢٧ هـ)، من كتبه: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، عرائس المجالس. [إنباه الرواة ١/ ١٥٤، الأعلام ١/ ٢١٢]، وقوله في كتابه الكشف والبيان ٧/ ٢٥٨.

(٤) الأحزاب ٣٦.

(٥) هو: محمود بن الحسن، أبو الحسن الوراق البغدادي، خَيْرُ شاعرٍ مجودٍ، أكثر نظمه في المواعظ، روى عنه ابن أبي الدنيا، توفِّي سنة (٢٢٥هـ). [طبقات فحول الشعراء ص٣٦٧، ٣٦٨، سير أعلام النبلاء١١/ ٤٦١].

وَقَـد يَهلِكُ الإِنسـانُ مِن وَجْـهِ أَمْنِهِ ويَنْجُـو بِحَمْدِ اللهِ مِن حَيْثُ يَحْذَرُ[(١)]

وأَنْشَدَ أيضًا لأَبِي الفوارس بن حُنَيف الطبري:

٩٦ ـ العَبْدُ ذُو ضَجَرٍ والرَّبُّ ذُو قَدَرٍ والدَّهْـرُ ذُو دُوَلٍ والـرِّزْقُ مَقْسُـومُ
والخَيْـرُ أَجْمَـعُ فِيما اخْتـارَ خالِقُنا وفي اخْتِيارِ سِـواهُ اللَّوْمُ والشُّـومُ[(٢)]

فصل

عـن جابر بـن عبد الله ـ رضي الله عنهم ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله ـ عزّ وجلّ ـ اختار أصحابِي على جميع العالمين سوى النبيِّين والمرسَلين، واختـار لِي من أصحابِي أربعـةً: أبا بكر وعُمَر وعثمـان وعَلِيًّا، فجعلهم خير أصحابِـي، وفي كل أصحابِي خيرٌ، واختار أُمّتي على سـائر الأمم، واختار لِي من أمتي أربعة قرون بعد أصحابِي: القرنَ الأولَ والثانِيَ والثالثَ تَتْرَى، والرابعَ فردًا»[(٣)].

---

(١) الأبيـات من بحر الطويل، وهي لأبي العتاهية، ولم أقـف عليها في ديوان محمود الوراق، ورواية الثالث في ديوان أبِي العتاهية: «مِنْ بابِ أَمْنِهِ... وَيَنْجُو لَعَمْرُ اللهِ».
التخريج: ديوان أبي العتاهية ص ١٧٧، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ١٥٣، الكشـف والبيـان ٧/ ٢٥٨، عين المعاني ٩٩/ أ، تفسـير القرطبـي١٣/ ٣٠٦، والثالث في الكامل للمبرد ١/ ٣٢٣، المختار من شعر بشار ص ٣١٤.

(٢) البيتان من البسيط، وقوله: «والشُّومُ» مخفف، من: الشُّؤم.
التخريج: الكشف والبيان ٧/ ٢٥٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٦، والثاني في مناقب آل أبي طالب ١/ ٢٢١.

(٣) رواه ابـن حبان في كتاب المجروحين ٢/ ٤١، وينظر: الكشـف والبيان ٧/ ٢٥٨، مجمع الزوائـد ١٠/ ١٦ كتـاب المناقب: بـاب في فضائـل الصحابة، كنز العمـال ١١/ ٦٣٥، ١٣/ ٢٣٦-٢٣٧.

ورُوِيَ عن وهب بن منبِّه، عن أخيه فِي قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، قال[١]: «اختار من الغنم الضَّأن، ومن الطير الحمام».

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ معناه: أَخْبِرُونِي ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائمًا ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ لا نهارَ معه ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ أي: بنور تطلُبون فيه المعيشةَ ونهارٍ تبصرون فيه ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ سَماعَ تَفَهُّمٍ وقبولٍ فتستدلون بذلك على توحيد الله.

ونصب ﴿سَرْمَدًا﴾ على الظرف[٢]، و﴿غَيْرُ﴾ رفع، نعتٌ لـ﴿إِلَٰهٌ﴾، ويحتمل أن يكون رفعًا لأنه في التأويل خبر «ما» النافية، وذلك أن تأويله: ما إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ، فعلى هذا التأويل يجوز أن يكون رفعًا[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: إنه كان ابنَ عَمِّ موسى لَحًّا[٤]، وهو قول أكثر العلماء[٥]؛ لأنه كان قارونَ بنَ يصهرَ بن

---

(١) ينظر قول وهب في الكشف والبيان ٧/ ٢٥٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٣٠٥.

(٢) لا وجه لانتصاب ﴿سَرْمَدًا﴾ هنا على الظرف، وإنما هو مفعول ثانٍ لـ﴿جَعَلَ﴾ إذا كان بمعنى صَيَّرَ، ويجوز أن يكون حالًا إذا كان ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى الخلق والإنشاء، ينظر: التبيان للعكبري ص ١٠٢٥، الفريد للمنتجب الهمدانِي ٣/ ٧٢٤، الدر المصون ٥/ ٣٥٢.

(٣) هذا وهم منه، فليس في الآية «ما» ولو على جهة التأويل؛ لأن «مَن»: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و﴿إِلَٰهٌ﴾ خبره، و﴿غَيْرُ﴾ صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾، وجملة ﴿يَأْتِيكُم﴾ صفة أخرى له.

(٤) لَحًّا؛ أي: لَاصِقَ النَّسَبِ، يقال: لَحَّتِ القرابةُ بين فلان وبين فلان: إذا صارت لَحًّا. اللسان: لحح.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٠/ ١٢٨، الكشف والبيان ٧/ ٢٥٩، الكشاف ٣/ ١٩٠، المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٠.

قاهث، وموسى بنَ عِمران بن قاهث[١]، وقيل[٢]: كان ابنَ خالتِهِ، وقال ابن إسحاق[٣]: كان ابنَ عمِّه لأبيه وأُمه / .

وكان أَعْلَمَ بني إسرائيل بعد موسى وهارون عليهما السلام وأفضلهم وأجملهم، قال قتادة: وكان يُسمَّى المُنَوَّرَ لحُسْنِ صُورَتِهِ، ولم يكن في بني إسرائيل أَقْرَأُ للتوراة منه، ولكنْ نافَقَ عَدُوُّ الله كما نافق السامريُّ، وقيل: كان عاملًا لِفِرْعَوْنَ على بني إسرائيل، وكان يبغي عليهم ويظلمهم، وقيل: زاد عليهم في الثياب شبرًا، وقيل: بغى عليهم باللهو والبدع لكثرة ماله، وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾؛ أي: لتَثْقُلُ وتَمِيلُ بهم إذا حَمَلُوها لِثِقَلِها، وكانوا سبعين رجلًا فِي بعض الأقاويل.

وعن خَيْثمةَ[٤] قال: وجدت في الإنجيل أنّ مفاتح خزائنِ قارون وِقْرُ[٥] ستينَ بَغْلًا غُرًّا مُحَجَّلةً، وكانت من جلود الإبل، كل مفتاح مثل الإصبع، لكل مفتاح كَنْز، أينما ذهب حُمِلَتْ معه مفاتيحُ خزائنه[٦]. وفيه اختلاف بين العلماء يطول شرحه هاهنا.

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه ١/ ٤٤٣.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٨، تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٠.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٠/ ١٢٨، ١٢٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٦٠، تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٠.

(٤) هو: خيثمة بن عبد الرحمن بن يزيد الجُعْفِيُّ، أبو بكر الكوفي، من صغار التابعين، لأبيه ولجده صحبة، كان من العلماء العباد، سخيًّا جوادًا، توفِّي بعد سنة (٨٠ هـ). [حلية الأولياء ٤/ ١١٣-١٢٦، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٢٠].

(٥) الوِقْرُ: الحِمْلُ الثقيل، وأكثر ما يستعمل في البغل والحمار. اللسان: وقر.

(٦) ينظر قول خيثمة في جامع البيان ٢٠/ ١٣٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٦٠، الوسيط ٣/ ٤٠٧.

فإن قيل: ما وجه قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾، وإنما العُصْبةُ التي تَنُوءُ بِها؟ قيل: فيه قولان، أحدهما: تَمِيلُ بهم ويُثْقِلُهُم حَمْلُها[١]، والآخر، وهو قول أهل البصرة: أن العرب تفعل هذا، يقولون للمرأة: إنها لَتَنُوءُ عَجِيزَتُها، وإنما هو: تَنُوءُ بِعَجِيزَتِها كما ينوء البعيرُ بحمله[٢]، قال الشاعر:

٩٧ ـ فَدَيْتُ بِنَفْسِهِ نَفْسِي ومالي ... وما آلُوكَ إلّا ما أُطِيقُ[٣]

والمعنى: فديت بنفسي ومالي نَفْسَهُ، وقال آخر:

---

(١) قاله الفرَّاء وابن قتيبة والطبري والنَّحاس، ومعناه أن الباء في ﴿بِٱلۡعُصۡبَةِ﴾ للتعدية كالهمزة، والمعنى: لَتُنِيءُ المَفاتِحُ العُصْبةَ الأقوياءَ، ولا قلب في الكلام، ينظر: معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٤، جامع البيان ٢٠/ ١٣٣، ١٣٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٥، إعراب القرآن ٣/ ٢٤٢، ومعاني القرآن للنَّحاس ٥/ ١٩٩، وينظر أيضًا: الإيضاح العضدي ص ١٩٥، الفريد للهمداني ٣/ ٧٢٥، البحر المحيط ٧/ ١٢٧، الدُّر المصون ٥/ ٣٥٢.

(٢) يعني أن في الكلام قلبًا، قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٤٣٤، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١١٠، والمبرِّد في كتابه «ما اتفق لفظه واختلف معناه» ص ٣٨، وينظر: الجمل المنسوب للخليل ص ٥٠، الأصول لابن السراج ٣/ ٤٦٥.

(٣) البيت من الوافر للعباس بن مِرْداس يمدح النبي ﷺ، وهو في ملحقات ديوانه، وروايته فيه:

وما آلُوهُ إلّا ما يُطِيقُ

ونُسِبَ لِعُرْوةَ بنِ الورد العبسي، وهو في ملحقات ديوانه أيضًا.

اللغة: آلُوكَ: أُعْطِيكَ، وهو مقلوب المعنى، والمراد: فديت بنفسي ومالي نفسَه ومالَه.

التخريج: ملحق ديوان العباس بن مرداس ص ١١٩، شعر عروة بن الورد ص ١٢٧، مجاز القرآن ٢/ ٧٩، ١١٠، جامع البيان ٢٠/ ١٣٢، أمالي المرتضى ١/ ٢١٧، الأضداد لابن الأنباري ص ١٠٠، الكشف والبيان ٧/ ٢٦١، المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩، زاد المسير ٦/ ٢٤٠، اللسان: تيز، مغني اللبيب ص ٩١٣، شرح شواهد المغني ص ٩٧٢.

٩٨ ـ ونَرْكَبُ خَيْلًا لا هَوادةَ بَيْنَها وتَشْقَى الرِّماحُ بِالضَّياطِرةِ الحُمْرِ[(١)]

والمعنى: تَشْقَى الضياطرةُ بالرماحِ، والخيلُ هاهنا: الرجال، هكذا ذكره الثعلبيُّ[(٢)]. الضَّياطرة: جمع ضَيْطَرٍ، وهو الرجل الضخم اللئيم، ومثله: الضَّوْطَرُ، ويقال: ضَيْطارٍ أيضًا بالألف، على «فَيْعالٍ»، ذكره صاحب الضياء[(٣)].

و«إنَّ» واسمها وخبرها: في صلة «ما»، قال أبو جعفر[(٤)]: وسمعت عَلِيَّ ابن سليمان[(٥)] يقول: ما أَقْبَحَ ما يقول الكوفيون في الصِّلَاتِ: إنه لا يجوز أن

---

(١) البيت من الطويل، لِخِداشِ بنِ زهير العامري، من مجمهرته، ورواية ديوانه: «**وَنَعْصِي الرِّماحَ**».
اللغة: الهَوادةُ: المصالحة والموادعة، والضياطرة أيضًا جمع الضَّوْطَرُ والضَّوْطَرَى، وهو الذي لا غَناءَ عنده، وهو مقلوب المعنى، والمراد: وتشقى الضياطرةُ بالرماح أي: يُقْتَلون بها، وذكر ابن قتيبة أنه من المقلوب على الغلط.
التخريج: شعر خداش بن زهير ص ٧٩، مجاز القرآن ٢/ ١١٠، معاني القرآن للأخفش ص ١٣٥، تأويل مشكل القرآن ص ١٩٨، الأضداد لابن الأنباري ص ١٠١، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٩٩، الموازنة للآمدي ص ١٩٥، سر صناعة الإعراب ص ٣٢٣، الصاحبي ص ٣٣٠، المخصص ٢/ ٧٧، أمالي المرتضى ١/ ٤٦٦، الكشف والبيان ٧/ ٢٦١، المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩، اللسان: ضطر.

(٢) الكشف والبيان ٧/ ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) يعني: كتاب ضياء الحلوم، ينظر: شمس العلوم ٦/ ٣٩٦٧.

(٤) يعني: النَّحّاسَ، قاله في إعراب القرآن ٣/ ٢٤٢، وهو يعني أن الأخفش الأصغر ينكر على الكوفيين أنهم لا يجيزون وقوع «إنَّ» أو إحدى أخواتها صلة للموصول، وهو على حق، فقد وقعت «إنَّ» صلةً لـ«ما» هنا، كما أن سيبويه والمبرد وغيرهما من البصريين أجازوه، ينظر: الكتاب ٣/ ١٤٦، المقتضب ٣/ ١٩٤، الأصول لابن السراج ١/ ٢٦٣، ٢/ ٣٢٢، الإيضاح العضدي ص ١٦٣، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣٥٦، ارتشاف الضرب ص ١٢٥٥.

(٥) هو: عَلِيُّ بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن البغدادي، المعروف بالأخفش الأصغر، =

يكون صِلةُ «الَّذِي» وأخواتِهِ «إِنَّ» وما عملت فيه. قال الفراء[1]: و﴿مَفَاتِحَهُۥ﴾: جمع مِفْتَحٍ، ومن قال: مِفْتاحٌ، قال: جمعه مفاتيح.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ يعني: المؤمنين من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ أي: لا تَأْشَرْ ولا تَمْرَحْ ولا تَبْطَرْ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ [٧٦]﴾ الأَشِرِينَ البَطِرِينَ الذين لا يشكرون الله على ما / أعطاهم، قال الشاعر: [٥٧/ أ]

٩٩ - ولَسْتُ بِمِفْراحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّني ولا جازِعٍ مِن صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ[2]

أراد: لستُ بِأَشِرٍ؛ لأنّ السرورَ غيرُ مكروه ولا مذموم.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ يعني: بعدما خُسِفَ به وبداره الأرضُ، والهاء عائدة إلى قارون، والعرب تعبر بـ«أصبح» و«أمسى» و«أضحى» عن الصَّيروة والفعل، فتقول: أصبح فلانٌ عالمًا، وأمسى حزينًا،

= نحوي لغوي إخباري، سمع من المبرد وثعلب، أقام بمصر من سنة (٢٨٧هـ) إلى (٣٠٠هـ)، ثم رحل إلى حلب، ثم عاد إلى بغداد، وتوفِّي بها سنة (٣١٥هـ)، من كتبه: شرح كتاب سيبويه، الأنواء. [إنباه الرواة ٢/ ٢٧٦، بغية الوعاة ٢/ ١٦٧، الأعلام ٤/ ٢٩١].

(١) هذا القول قاله النَّحاس بنصه في إعراب القرآن ٣/ ٢٤٢، وأما الفرَّاء فإنه عند قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ قال: «مفاتحه: خزائنه، وواحد المفاتيح مَفْتَحٌ إذا أردت به المصدر، وإذا كان من المفاتيح التي يُفْتَحُ بها، وهو الإِقْلِيدُ، فهو مِفْتَحٌ ومِفْتاحٌ». معاني القرآن ٢/ ٢٦١، فواضح من كلامه أن المفاتيح عنده جمع لِمِفْتَحٍ ومفتاح على السواء.

(٢) البيت من الطويل، لتأبطَ شرًّا، ورواية ديوانه: «مِنْ صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ»، ونُسِبَ لِهُدْبَةَ بنِ الخَشْرَمِ، وللبعيث، ولأَبِي العتاهية، وليس لَهُمْ، ويُرْوَى: «**وَلاَ ضارِعٍ في صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ**»، ويُرْوَى: «**وَلاَ جازِعٍ مِنْ رَيْبِهِ المُتَقَلِّبِ**».

اللغة: المِفْراح: الكثير الفرح الذي يفرح كلما سَرَّهُ الدهر، صروف الدهر: نوائبُه لأنها تَصْرِفُ الشيءَ عن وجهه.

وأضحى معدَمًا: إذا صار بهذه الأحوال، وليس ثَمَّ من الصبح والمساء شيءٌ[١].

وقوله: ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ (٨٢) اختلف العلماء في هذه اللفظة، فقيل[٢]: معناه: أَلم تَعْلَمْ؟ وقيل[٣]: أَلم تَرَ؟ وقال الفراء[٤]: «وَيْكَأَنَّ» في كلام العرب: كلمة تقرير، كقولك: ألا ترى إلى صنع الله وإحسانه؟ وأنشد قول الشاعر:

١٠٠ ـ سالَتانِي[٥] الطَّلَاقَ إِذْ رَأَتانِي ... قَلَّ مالِي، قد جِئْتُمانِي بِهُجْرِ
وَيْكَأَنْ مَن يَكُنْ لهُ نَشَبٌ يُحْـ ... ـبَبْ، ومَنْ يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ[٦]

---

(١) **التخريج**: ديوان تأبط شرًّا ص ١٩، مَجاز القرآن ٢/ ١١، عيون الأخبار ١/ ٢٧٦، ٢٨١، الشعر والشعراء ص ٥٨٤، الكامل للمبرد ٤/ ٨٦، ديوان المعانِي ١/ ٥٥، ٥٦، العقد الفريد ١/ ٩٩، الكشف والبيان ٧/ ٢٦١، محاضرات الأدباء ٢/ ٥٠٨، عين المعاني ٩٩/ أ، التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٢١، ٤/ ٣٠٤، تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٣.
ذكر الزمخشري أن «أصبح» تأتي بمعنى «كان» و«صار» من غير أن يُقْصَدَ بها إلى وقت مخصوص، انظر: المفصل ص ٢٦٦، وينظر: شرح المفصل ٧/ ١٠٤، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٤٦، ارتشاف الضرب ص ١١٥٥، المساعد على تسهيل الفوائد ١/ ٢٥٦، ٢٥٧، شفاء العليل ١/ ٣١١.

(٢) قاله قتادة ومجاهد والكسائي، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٦، تأويل مشكل القرآن ص ٥٢٦، جامع البيان ٢٠/ ١٤٦، الكشف والبيان ٧/ ٢٦٦.

(٣) قاله قتادة والأخفش وأبو عبيدة، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٤٣٤، مجاز القرآن ٢/ ١١٢، جامع البيان ٢٠/ ١٤٦.

(٤) معاني القرآن ٢/ ٣١٢، باختلاف في ألفاظه، وقد أنشد الفرَّاء البيت الثاني فقط.

(٥) في الأصل: «سألاتانِي» خطأ، وقوله: «**سالتانِي**» جاء بتخفيف الهمزة لأجل الوزن.

(٦) البيتان من الخفيف، لزيد بن عمرو بن نفيل، ونُسِبا لابنه سعيد بن زيد، ونُسِبا لنبيه بن الحجاج السهمي وللأعشى، ويُرْوَى الأول: «**أَنْ رأتا مالِي قليلًا**».
اللغة: النَّشَبُ: المال الأصيل من الناطق والصامت. =

وذَكَـرَ أنه أَخْبَـرَهُ مَن سَـمِعَ أعرابيةً تقـول لزوجها: أين ابنُـكَ؟ فقال: وَيْكأنّه[١] وَراءَ البيتِ، يعني: أَما تَرَيْنَهُ وراءَ البيت؟

وقيل[٢]: هي كلمةُ ابتداءٍ وتحقيق، تقديره: إنّ الله يبسط الرزق، وقيل[٣]: هـي كلمة تعجب، وقيـل[٤]: هي كلمة يقولها المتنـدِّم إذا أظهر ندامته، وقال قطرب[٥]: إنما هو: «وَيْلَكَ» فأسقَطوا منه اللام، كما قالوا: قُمْ لَا أَبَاكَ، يريدون:

= **التخريـج**: الكتـاب ٢/ ١٥٥، ٣/ ٥٥٥، معانـي القرآن للفـرَّاء ٢/ ٣١٢، مجـاز القرآن ٢/ ١١٢، معاني القرآن للأخفش ص ٣٤١، ٤٣٥، مجالس ثعلب ص ٣٢٢، شرح أبيات سيبويه ٢/ ١١، إعراب القراءات السبع ٢/ ١٨٠، المسائل العضديات ص ٦٢، المحتسب ٢/ ١٥٥، الخصائـص ٣/ ٤١، ١٦٩، الصاحبـي ص ٢٨٣، الكشـف والبيان ٧/ ٢٦٦، البيـان للأنباري ٢/ ٢٣٧، شـرح الجمـل لطاهر ابن أحمـد ٢/ ١٢٢، عين المعاني ورقة ٩٩/ أ، تفسـير القرطبـي ١٣/ ٣١٨، زاد المسـير ٦/ ٢٤٦، شـرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٧٦، شـرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٤٦، ٤/ ٨، شـرح الشافية للرضي ٣/ ٤٨، شرح الكافية للرضي ٣/ ٢١٠، اللسـان: «وا»، و«يا»، المغني ص ٤٨٣، همع الهوامع ٣/ ٨٥، خزانة الأدب ٦/ ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٠.

(١) في الأصل: «ويك».

(٢) قاله ابن عباس والحسـن، ينظر: الكشـف والبيان ٧/ ٢٦٦، عين المعاني ٩٩/ أ، تفسـير القرطبي ١٣/ ٣١٨.

(٣) قالـه الفرَّاء وابـن الأنباري، ينظر: معاني القرآن للفـرَّاء ٢/ ٣١٢، إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٩٦، ٣٩٧، وهو للكسائي في معاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٠٤، والقرطبي ١٣/ ٣١٩، والبرهان للزركشـي ٤/ ٤٤٣، وللأخفش في المسـائل العضديات ص ٦١، والخصائص ٣/ ٤٠، ١٧٠.

(٤) نُسِـبَ للخليل وسـيبويه في مشـكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٥، عين المعاني ورقة ٩٩/ أ، الفريد ٣/ ٧٢٦، البحر المحيط ٧/ ١٣٠، وللسيرافِيِّ في أمالي ابن الشجري ٢/ ١٨٣.

(٥) ينظر قوله في تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٩، مفاتيح الغيب ٢٥/ ٢٠، وحكاه الفرَّاء بدون نسبة في معاني القرآن ٢/ ٣١٢، وقد خَطَّأَ الزَّجّاجُ هذا الرأيَ، فقال: «وهذا خَطَأٌ من غير جهة، =

لا أَبا لَكَ، فحذفوا منه اللام، قال عنترة:

١٠١ ـ ولقد شَفَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَها قَوْلُ الفَوارِسِ: وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ(١)

أراد: وَيْلَكَ، فحذف اللام، وقال آخر:

١٠٢ ـ أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لا بُدَّ أَنِّي مُلَاقٍ ـ لَا أَبَاكِ ـ تُخَوِّفِينِي(٢)

أراد: لا أبا لكِ، فحذف اللام، و«أَنَّ»: منصوبة بإضمار: اعْلَمْ أن الله،

= لو كان كما قال لكانت «أَنَّ» مكسورة، كما تقول: وَيْلَكَ إنه قد كان كذا وكذا، ومن جهة أخرى أن يقال لمن خاطَبَ القَوْمَ بهذا فقالوا: ويلك إنه لا يفلح الكافرون، ومن جهة أخرى أنه حذف اللام من ويل». معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥٦، وينظر: إعراب القرآن ٣/ ٢٤٤، ومعاني القرآن للنَّحاس ٥/ ٢٠٤.

والعامل في «أَنَّ» على قول قطرب «اعْلَمْ» مضمرًا، قال الفرَّاء: «ولم نجد العرب تُعْمِلُ الظَّنَّ والعِلْمَ بإضمارٍ مضمرٍ في أَنَّ». معاني القرآن ٢/ ٣١٢، وينظر أيضًا: إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٩٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٥.

(١) البيت من الكامل، لعنترة بن شداد، من معلقته، ويُرْوَى: «وَأَذْهَبَ سُقْمَها... قِيلُ الفوارس».
التخريج: ديوانه ص ٢٠٢، معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٣١٢، المسائل الحلبيات ص ٤٤، المحتسب ١/ ١٦، ٢/ ٥٦، الصاحبي ص ٢٨٤، الكشف والبيان ٧/ ٢٦٦، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٨٤، الاقتضاب ٣/ ١٨٩، عين المعاني ورقة ٩٩/ أ، تفسير القرطبي ١٣/ ٣١٩، شرح الكافية للرضي ٣/ ٢١١، اللسان: ويا، الجنى الداني ص ٣٥٣، البحر المحيط ٧/ ١٣٠، ارتشاف الضرب ص ٢٢٩٢، مغني اللبيب ص ٤٨٣، المقاصد النحوية ٤/ ٣١٨.

(٢) البيت من الوافر، لأبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيِّ.
التخريج: ديوانه ص ١٧٧، مجاز القرآن ١/ ٣٥٢، معاني القرآن للأخفش ص ٢٣٥، المقتضب ٤/ ٣٧٥، الخصائص ١/ ٣٤٥، المنصف ٢/ ٣٣٧، زاد المسير ٦/ ٢٤٦، شرح شواهد الإيضاح ص ٢١١، شرح المفصل ٢/ ١٠٥، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٦٠، ٦٣، ٣/ ٢٢٦، اللسان: أبي، خعل، فلا، همع الهوامع ١/ ٤٦٥، خزانة الأدب ٤/ ١٠٠، ١٠٥، ١٠٧.

وقيل: هي تنبيه بمنزلة «أَلا» و«أَما»، وقال القتيبي[١]: معناه: رَحْمةً لهُ بلغة حِمْيَرٍ.

وقال سيبوَيْه[٢]: سألتُ الخليل عنه، فقال: «وَيْ»: كلمة تنبيه منفصلة من «كَأَنَّ»، ومعناها: التعجب. و«كَأَنَّ» في معنى الظن والعلم كما تقول: وَيْ لِمَ فعلتَ ذلك وكأنَّ الفرج قد أتاك؟ أي: أظن ذاك وأقدِّر[٣]. وقال يعقوب الحَضْرمي[٤]: «وَيْ كَأَنَّ» كلمتان، وأنشد:

١٠٣ ـ وَيْ كَأَنَّ المَسَرّةَ لا تَدُومُ ولا يَبْقَى على الْبُؤْسِ النَّعيمُ[٥]

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾؛ أي: لا تَعْبُدْ يا محمد معه غيرَهُ، ثم وَحَّدَ نفسَهُ فقال: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾/ يعني: كلُّ شيء من الحيَوان يموت. [٥٧/ ب]

ثم استثنى نفسه بأنه حَيٌّ لا يموتُ، فقال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾، واختلفوا في معناه، فقال قوم: إلا هو ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يعني: القضاء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ تُرَدُّونَ

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٢٧.

(٢) الكتاب ٢/ ١٥٤ باختلاف كبير في لفظه، وينظر: العين للخليل ٨/ ٤٤٣.

(٣) قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٩٦-٣٩٧، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٢٢.

(٤) ينظر قول يعقوب وإنشادُهُ في شفاء الصدور للنقاش، النسخة الثانية ورقة ٧٤.

(٥) البيت من الوافر، ووزنه مضطرب على هذه الرواية، والرواية الصحيحة له: «**أَلَا وَيْكَ المَسَرّةُ**»، ويُرْوَى: «**أَلَا تِلْكَ المَسَرّةُ**»، وهو لامرأة من هذيل تبكي ابنًا لها كان خالد بن الوليد قد قتله.

التخريج: الصاحبي ص ٢٨٢، العقد الفريد ٣/ ٢٦٠، معجم البلدان: «ود» ٥/ ٤٠٩، البحر المحيط ٧/ ١٣١، بلاغات النساء لابن طيفور ص ١٩٣، الدر المصون ٥/ ٣٥٤، روح المعاني ٢٠/ ١٢٤.

بعد الهلاك أحياءً في الآخرة، فيجزيكم بأعمالكم، وقيل: معناه: إلّا دِينَهُ، وقيل: إلا مُلْكَهُ، وقيل: إلّا جاهَهُ، يقال: لفلانٍ وَجْهٌ عند الناس؛ أي: ما يُقْصَدُ إليه بالقربة، وقيل: معناه: إلّا ما أُرِيدَ به وَجْهُهُ، وقيل: الوجه: العَمَلُ، ومنه قولهم: «مَنْ صَلَّى بالليل حَسُنَ وَجْهُهُ بالنهار»(١)؛ أي: عَمَلُهُ، وأنشد الفراء(٢):

١٠٤ ـ أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لستُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ العبادِ إليهِ الوَجْهُ والعَمَلُ(٣)

أي: إليه أُوَجِّهُ العملَ.

وقال آخرون: الوجه: صفةٌ من صفاته تعالى، ولا يفسَّر بغير ما نطق به القرآن، وذَكَرَ اللهُ تعالى الوجهَ في كتابه في أحدَ عشَر موضعًا.

ونصب الوجه على الاستثناء، ويجوز في الكلام الرفعُ على معنى الصفة، كأنه قال: غيرُ وجهه، كما قال الشاعر:

وكُلُّ أَخٍ مُفارِقُهُ أخُوهُ ... ـ لَعَمْرُ أَبِيكَ ـ إلّا الفَرْقَدانِ(٤)

---

(١) هذا حديث موضوع، رواه ابن الجوزي عن جابرٍ وأنسٍ في الموضوعات ٢/ ١٠٩، ١١١، وينظر: عين المعاني ورقة ١٢٤/ ب، الجامع الصغير ٢/ ٦٤٠، كنز العمال ٧/ ٧٨٣، كشف الخفاء ٢/ ٢٧٤.

(٢) معاني القرآن ٢/ ٣١٤.

(٣) البيت من البسيط، لم أقف على قائله.

التخريج: الكتاب ١/ ٣٧، معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٣٣، ٢/ ٣١٤، أدب الكاتب ص ٤١٩، المقتضب ٢/ ٣٢٠، شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١/ ٢٧٩، الصاحبي ص ٢٩١، ٣٣٩، الاقتضاب ٣/ ٤٠٠، شرح المفصل ٧/ ٦٣، ٨/ ٥١، عين المعاني ورقة ٩٩/ ب، تفسير القرطبي ٢/ ٨٤، ١٣/ ٣٢٢، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٣٧٩، شرح الكافية للرضي ٢/ ٢٦، اللسان: غفر، البحر المحيط ٧/ ١٣٣، المقاصد النحوية ٣/ ٢٢٦، همع الهوامع ٣/ ١٠، خزانة الأدب ٣/ ١١١، ٩/ ١٢٤.

(٤) تقدم هذا البيت برقم ٥ ص١/ ١٨٥.

أي: غيرُ الفرقدين، فـ«غير» صفة لـ«كل»، كذلك جواز الآية[1].

فصل

عن عُبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يُجاءُ بالدنيا يوم القيامة، فيقال: مِيزُوا ما كان لله منها، قال: فَيَمِيزُونَ ما كان لله منها، ثم يُؤْمَرُ بسائرها فيُلْقَى في النار»[2]، والله أعلم.

* * *

(١) من أول قوله: «ونصب الوجه على الاستثناء» قاله مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ١٦٥.

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٣٢٦، وينظر: الكشف والبيان ٧/ ٢٦٧، عين المعاني ٩٩/ ب، الدر المنثور ٤/ ٢٥٧.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

